الصراط المستقيم
إلى مستحقي التقديم

تأليف العلامة المتكلم الشيخ زين الدين
أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي
المتوفى ٨٧٧

صححه وحققه وعلق عليه
محمد الباقر البهبودي

عنيت بنشره المكتبة المرتضوية
لإحياء الآثار الجعفرية

الصراط المستقيم

إلى مستحقي التقديم

تأليف العلامة المتكلم الشيخ زين الدين

أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي

المتوفى ٨٧٧

صححه وحققه وعلق عليه

محمد باقر البهبودي

الجزء الأول

يا علي يا فاطمة

المكتبة المرتضوية

رقم التليفون - ٥٧١٣٥

حقوق الطبع بهذه الصورة محفوظة

الطبعة الاولى ـ ١٣٨٤

مطبعة الحيدرى تليفون ٥٢٩٥٢

الصراط المستقيم

الى مستحقى التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الله احمد حمداً لا يضاهي على وجوب وجوده واياه اشكر شكراً لا يتناهى على افاضة خيره وجوده الذي من
اتمه الاعتراف من ما هل عدله ومن اقمه الاعتراف بصدق رسله ومن اجله الايمان بخلافة اوصيائه ومن
اكمله عرفان ما اختصهم من صفات انبيائه ومن اتمه اعتقاد ما انزل فيهم من الايات المحكمات ومن
اتمه نصوص نبيه عليهم في الروايات المشهورات والاعراق فيما جاء من الله ورسوله في قيام خاتمهم
والاشراق بما الظهر الانام من فضايحهم ظالمهم والمجادلة لنصرة دينهم الذي هو الحق اليقين والمحاولة
لرد شبهات المنافقين والشروع الى تخطية ايمة الضلال والشروع في تصحيح شرايع خير الآل فله الفضل
الاشمل بما خلصنا من العلايق الدنية الجسمانية ومنه الطول الاكمل بما نجانا من العوايق الردية الظلمانية
وبما ارسل على ارواحنا من شوارق انواره وبما انجلى على نفوسنا من بوارق اثاره انه الكريم المفضال ذو العز
والجلال اما بعد فلما كان كمال الايمان بمعرفة ايمة الازمان بمنطوق شريف القران وجب صرف الهمة
اليها في كل اوان لوجوب الاستمرار على الايمان في كل آن وقد صنف علماؤنا رضوان الله عليهم في ذلك
كتباً متوفرة والف فضلاؤنا في الرد على مخالفيهم اقوالاً محررة واجالوا في الحقايق والدقايق خواطرهم
واحالوا عن العلايق والعوايق نواظرهم ونصبوا في ذلك رايات المعقول والمسموع واوضحوا ايات المستنبط
المطبوع غير حايدين عن رواية الصدق المبين وغير مايلين عن رعاية الحق اليقين فيستضيء المتعرف بانوار
مصنفاتهم ويرتدي المحترف باسرار بيناتهم فاحببت ان اضع في ذلك كتاباً متوسطاً بين الخفيف والثقيل
والجمع من كتب الفريقين ما يغني عن التطويل وان كان فيما وضعوا كفاية فهذا زيادة في الحسنى وفيما صنعوا هداية
فهو تأكيد للمعنى وكيف لا تصرف العناية الى قوم هم الاحبار لا سيما والابحار الاخصم احد السببين الذين من
اعتلق بهما فاز قداحه وثاني الثقلين الذين من تعلق بهما اسفر عن جميل السري صباحه ولانهم نجاة
في الاولى والعقبى مودتهم واجبة قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى فما من شرف تمتد اليه الابصار
ولا من طرف يرتفع لديه الاقدار ولا باب تعظم فيه الاخطار ولا لباب تحكم به الاثار الا وقد حازته قادات
الاطهار وحازته سادات الابرار مع سعي المعاندين في اطفاء نورهم ويابى الله الا ان يتم نوره ويبغي الجاحدين

صورة فتوغرافيّة من الصفحة الأولى للنسخة الّتي كانت هي الأصل
عند الطباعة تاريخ كتابتها ١٠٨٠ هـ.

حياة المؤلف

رسالة سمح بهاقلم العلامة أبي المعالي شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي دامت بركاته العالية ، المسماة برياض الاقاحي في ترجمة العلامة البياضي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي خلقنا في أحسن تقويم ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، وحبانا بجنّة النعيم ، و أكرمنا بالكوثر و التسنيم ، و الصلاة و السلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد و على آله الغطارفة اللّهاميم ، سيّما ابن عمّه و خليفته أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب النّبأ العظيم .

و بعد : يقول اللائذ العائذ بأبواب أهل بيت الوحي والسفارة ، الفادي بنفسه و مهجته في إعلاء كلمتهم ، و نشر علومهم ، و بثّ آثارهم **أبو المعالي شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي** حشره الله مع أحبّته ، و أخرجه من الدنيا بولايتهم .

إنّ أصحابنا شيعة آل الرسول الأكرم ، و تبعة العترة الطاهرة ، قد أتعبوا نفوسهم الزكيّة ، و سهروا اللّيالي ، و أجهدوا الأيّام في تأليف كتب و رسائل ، و تنسيق زبر و أسفار في المعتقدات ، خصوصاً مسئلة الامامة ، فكم لهم فيها تصانيف رشيقة ، وتآليف أنيقة ، جزاهم الله جزاء المحامين عن دينه ، وأوردهم المنهل العذب من رحمته .

و من أحسن ما رأيته في هذا المضمار ، بحيث لا يُبعد في عدّه من النمط الأوّل و الصفّ المقدّم هو كتاب **« الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم »** للعلاّمة البحّاثة ، المتكلّم النحرير **الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي** قدّس الله لطيفه ، و أجزل تشريفه .

ألا وهو سفر عجيب في بابه ، وحيد في شأنه ، فريد في مسابقته ، أودع المصنّف الهمام فيه لباب مائتي كتاب من رشحات أقلام أعلام الفريقين و عصارتها ، مع تقديم مقدّمة وجيزة في البراهين العقليّة على إثبات أصول الاعتقاد بعبائر سهلة ، و قوالب جزلة ، حباه الله بما تقرّ به العين ، و يثلج الفؤاد .

و حيث لم تكن نسخته مطبوعة منتشرة ، وكانت نادرة جدّاً في خبايا خزائن الكتب تحت أيدي المتصرّفين الأشحّاء ، لا تصل إليها أيمان أرباب الاستفادة . قيّض الله همّة الشهم الكريم ، التاجر الكتبيّ الوجيه ، ذي الفضل و السّداد المؤيّد لترويج كلمات الأئمّة الهداة ، أخينا في الله ، و الخليل في مرضاته **الحاج الشيخ عبدالكريم المشتهر به : چيت چيان** مؤسّس المكتبة المرتضويّة ببلدة طهران أدام الله أيّامه ، و أسعد أعوامه ، ببذل النفقة لطبعه و نشره ، و توفيره و تكثيره تعميماً للمنفع ، و طلباً للأجر .

وقام العالم الفاضل الموفّق لاحياء الزبر الدينيّة **الاقامحمد باقرالبهبودى** شكّر الله مساعيه ، ووفّر معاليه بتصحيحه و تنقيحه بالمراجعة إلى النسخ العديدة و أرجو من فضل ربّي الرحيم أن يديم توفيق الناشر و المصحّح ، و كلّ من له دخل في هذا المشروع الجميل ، و أن يضاعف اُجورهم و حسناتهم آمين آمين .

ثم إنّ الناشر المكرّم طلب منّي رسالة في ترجمة حياة المؤلّف المقدام إحياءً لذكره ، و تعريفاً بشأنه ، وحيث لم أجد بدّاً من إسعاف مأموله ، و إنجاح مسؤله ألّفت هذه العجالة مع ما بي من تزلزل البال ، و انكسار الحال ، وتراكم الأحزان ولواعج الأشجان ، بحيث أخذ منّي الرقاد وسلب الارتياح ، وأسأل الله تعالى أن يكشف عنّا غمرات الكروب ، وسمّيتها به « **رياض الاقاحى فى ترجمة العلامة البياضي** » سائلاً من فضل المولى سبحانه ، أن يكرمني بقبولها ، وعدّها في صفحات أعمالي ، إنّه البرّ الرحيم . فأقول :

اسم المؤلف و كنيته و لقبه

هو العلاّمة أبو محمّد الشيخ زين الدين عليّ بن محمّد بن يونس العامليّ النباطيّ البياضيّ العنفجريّ .

آباؤه الغر الكرام

كان والده العلّامة الشيخ محمّد و من قبله من أسلافه و أجداده ، من فطاحل العلم و أرباب الأدب و الكمال في لبنان .

ميلاده

ولد في النباطيّة من قرى جبل عامل لأربع مضين من شهر الله رمضان المبارك سنة ٧٩١ .

البياضيون

فليعلم أنّ عدّة من العلماء و الأدباء اشتهروا بالبياضيّ .

منهم : علّامة الشعر و الأدب أبو جعفر مسعود بن محسن بن عبد الوهّاب بن عبدالعزيز القرشيّ البغداديّ المتوفّى في يوم الثلثا ١٦ ذي القعدة سنة ٤٦٨ صاحب الكتب الأدبيّة و ديوان الشعر ، و منه قوله في التغزّل :

يا ليلة بات فيها البدر معتنقي ✡ إلى الصباح بلا خوف ولا حذر

كلامه الدرّ يغني عن كواكبها ✡ و وجهه عوضٌ فيها عن القمر

وددت لو أنّها طالت عليّ ولو ✡ أمددتها بسواد القلب و البصر

و منهم : العلّامة الشيخ زين الدين عليّ بن عبد الجليل الرازيّ البياضيّ من مشايخ العلّامة الشيخ منتجب الدين بن بابويه صاحب الفهرست المتوفّى سنة ٥٨٥ له كتب : منها كتاب الاعتصام في علم الكلام .

و منهم : العلّامة الشاعر الأديب الملاّ محمّد إبراهيم الهنديّ الخراسانيّ الأصل البياضيّ من شعراء السلاطين التيموريّة .

و منهم : العلّامة الشيخ زين الدين عليّ بن محمّد بن يونس النباطيّ البياضيّ الّذي ألّفت هذه الرسالة في ترجمة حياته .

وجه الاشتهار بالبياضى

فبعضهم كأبي جعفر مسعود الشاعر اشتهر به ، لأنّ رجلاً من سلفه حضر في مجلس أحد الخلفاء العبّاسيّين ، لابساً الثوب الأبيض ، جالساً بين العباسيّة اللاّبسين الثياب السود ، فسأل الخليفة من هذا البياضيّ ؟ فقيل : هوفلان . فلمّا

خرج من المجلس اشتهر بين الناس بالبياضيّ ، و سرى اللّقب في أعقابه .

و بعضهم اشتهر بالبياضيّ نسبةً إلى البيّاض بالياء المثنّاة التحتانيّة المشدّدة بعد الباء الموحّدة قرية من أعمال بلدة « صور » من لبنان .

و بعضهم اشتهر بالبياضيّ لأنّه ألّف سفراً عرف بالبياض و هو في المصطلح العرفيّ ما يفتح و يقرأ طولاً بخلاف الكتاب فانّه يفتح و يقرأ عرضاً .

و ممن وجه شهرته هذا الوجه هو الملاّ محمّد إبراهيم المذكور ، و كان يقال له « بياض‌خان » ثمّ قيل له بياضيّ .

والاظهر عندي في وجه اشتهار المترجم بالبياضيّ هو المحتمل الثاني ، فاذاً البيّاضيّ بالتشديد ، ثمّ بعد الغمض عن ذلك فالأظهر الوجه الأوّل .

وجه الاشتهار بالعنفجرى

الظاهر أنّه نسبة إلى عين « فجور » وهي قرية كانت بقرب « لبايا » من أعمال البقاع في طريق دمشق الشام و هي اليوم خراب و العين باقية ، كما أفاده الشريف الجليل العالم الفاضل السيّد حسن الأمين في تعليقته على ج ٤٢ من أعيان الشيعة .

وجه الاشتهار بالنباطى

عرف به المترجم لأنّه ولد في قرية النباطيّة العليا من قرى جبل عامل ، و هذه القرية من القرى المباركة ، حيث خرج منها جماعة من علماء الشيعة ، و سبّاق رهان الفضل .

مشايخه

أخذ عن جماعة من تلامذة شيخنا الشهيد الأوّل قدّس سرّه .

و ممن أخذ وروى عنه والده العلاّمة الشيخ أبوجعفر محمّد بن يونس العامليّ .

و منهم : عمّه العلاّمة الشيخ حسن بن يونس البياضيّ ، كما وجدته في هامش نسخة مخطوطة من أمل الآمل و غيرهما .

تلاميذه الاخذون منه و الراوون عنه

أخذ و روى عنه جماعة :

منهم : ابنه العلّامة الشيخ محمّد البياضي، رأيت إجازة والده له على ظهر نسخة من الفقيه في خزانة كتب العلّامة فقيد الفضل و الأدب الحاجّ حيدر قلي خان المشتهر به « سردار الكابلي » نزيل بلدة قرميسين حشره الله مع أحبّته و مواليه .

وقد أطرى شيخنا المترجم في تلك الاجازة بحيث يظهر منها جلالة شأن ابنه و غزارة علمه ، و أنّه كان صاحب تأليف و تصنيف .

كلمات العلماء في حقه

كلّ من ذكره من أرباب معاجم التراجم أثنى عليه ثناء جميلاً ، ووصفه بالفضل و الفقه و الحديث و الأدب ، و أنّه من الأكابر .

قال العلّامة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ صاحب الوسائل في كتابه أمل الآمل بعد ذكر اسمه ما لفظه : كان عالماً فاضلاً محقّقاً مدقّقاً ثقة متكلّماً شاعراً أديباً متبحّراً الخ . . .

و قال في حقّه علّامة علمي التراجم و الرجال ، مولانا الميرزا عبدالله أفندي في موسوعته النفيسة « رياض العلماء » فوق ماذكر صاحب الأمل .

و ذكره العلّامة آية الله السيّد محسن الحسينيّ الأمين الدمشقيّ العامليّ من مشايخنا في الرواية في كتابه أعيان الشيعة ج ٤٢ ص ٣١ و أورد في حقّه ما ينبىء عن نبالته و علوّ شأنه و نبوغه .

و ذكره العلّامة صاحب الروضات وأثنى عليه .

و ذكره العلّامة المعاصر البحّاثة الميرزا محمّد علي المدرّس الخيا باني التبريزي في كتابه : ريحانة الأدب ج ١ ص ١٨٧ قائلاً في حقّه : عالمى است فاضل فقيه محدث محقق مدقق اديب شاعر متكلم ماهر متبحر ، وحيد عصر و فريد دهر خود و از اكابر مشايخ شيعه و جامع كمالات اوائل و اواخر .

وفاته و مدفنه

توفّي قدّس سرّه سنة ٨٧٧ كما نقل ذلك علاّمة التراجم مولانا الميرزا عبدالله أفندي وكانت وفاته في النباطيّة من قرى جبل عامل و بها دفن .

وما عن بعض المؤلّفين من دفنه بالبصرة لم أقف على مستنده .

آثاره العلمية

١ ـ الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس و الرّوح ، رتّبه على مقصدين الأوّل في مباحث النفس ، و الثاني في مباحث الروح ، وقد أورد مولانا العلاّمة المجلسيّ تمام هذا الكتاب في المجلّد الرابع عشر من موسوعته « بحار الأنوار » الّذي منّ على أهل الفضل و التشيّع بتأليفه .

٢ ـ كتاب الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ، ها هو المؤلّف الشريف الّذي بين يديك .

٣ ـ كتاب مختصر مختلف الشيعة لآية الله العلاّمة الحلّيّ .

٤ ـ مختصر صحاح اللّغة للعلاّمة محمّد بن إسماعيل الجوهريّ اللغويّ الشهير .

٥ ـ زبدة البيان في تلخيص مجمع البيان في التفسير ، لأمين الاسلام الطبرسيّ .

٦ ـ اللّمعة ، رسالة في المنطق ، جيّدة في بابها ، نسبها إليه العلاّمة صاحب الروضات و أنّه رآها بخطّه الشريف وتاريخ تأليفها ٨٣٨ .

٧ ـ نجد الفلاح ، نسبه إليه العلاّمة الكفعميّ في تعاليقه على كتابي نفسه : البلد الأمين و المصباح .

٨ ـ منخل الفلاح ، نسبه إليه الكفعميّ في تعاليقه عليهما .

٩ ـ المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى ، جيّدة الفوائد ، ينقل عنه الكفعميّ في تعاليقه عليهما ، وقد رآه صاحب الروضات .

١٠ ـ رسالة الاكرام و الانعام في علم الكلام ، نسبت إليه في هامش النسخة المخطوطة من أمل الآمل .

١١ ـ رسالة في الامامة حسنة جدًّا ، و ممّا يغتبط بها .

١٢ ـ كتاب منتخب بصائر الدرجات .

١٣ ـ كتاب الكلمات النافعات في تفسير الباقيات الصالحات ، و هو توضيح للرسالة الّتي ألّفها شيخنا العلاّمة السعيد الشهيد الأوّل في تفسير الكلمات ، رآه صاحب الروضات بخطّه .

١٤ ـ ذخيرة الايمان ، اُرجوزة في علم الكلام ، نظمها سنة ٨٣٤ أوّلها :

الحمد لله على تمامه ✡ والشكر لله على إنعامه

و قال في آخرها :

و هذه اُرجوزة الضعيف ✡ عليّ اللاّجي إلى اللّطيف

والرسل والأئمة الأنجاب ✡ ليشفعوا في موضع الحساب

سمّيتها ذخيرة الايمان ✡ هديّة منّي إلى الإخوان

١٥ ـ كتاب فاتح الكنوز المحرزة ، في ضمن الاُرجوزة ، وهو شرح على الاُرجوزة الّتي مرّ ذكرها .

١٦ ـ الرسالة اليونسيّة في شرح المقالة التكليفيّة لشيخنا العلاّمة الشهيد السعيد .

١٧ ـ و ديوان شعره ، أكثره في مناقب الأئمّة و مراثيهم ، إلى غير ذلك ممّا جادت به يراعته ، و سمح قلمه .

التعريف بكتاب الصراط المستقيم

و لعمري إنّه الكتاب العجيب في موضوعه ، **قال** العلاّمة صاحب الروضات : لم أر بعد كتاب الشافي لسيّدنا المرتضى علم الهدى مثله ، بل راجح عليه لوجوه شتّى .

وقال مولانا الآية العلاّمة السيّد محسن الحسينيّ الأمين في كتابه : « أعيان الشيعة » ج ٤٢ ص ٣١ مالفظه : وجدنا منه نسخة في كربلاء مخطوطة وهو في إثبات الواجب و صفاته و النبوّة و الامامة ، يدلّ على فضل مؤلّفه ، و ختمه بأبيات من نظمه ، قال إنّه سمحت بها فكرتي عند تمامه و تاريخ فراغه منه سنة ٨٥٤ و كانت

تاريخ كتابة تلك النسخة سنة ١٠٥٩ وكان على ظهر الكتاب بعد ذكر اسم المؤلّف هذه الأبيات :

هذا الكتاب مبشّر برشاد من ✡ يسلك طرائقه بغير خلاف
و كأنّه المبعوث أحمد إذ أتى ✡ في آخر الأديان بالانصاف
و كأنّه من بين كتب الشيعة المتقدمين كسورة الأعراف
ينبيك عن حال الرجال وماروووا ✡ بعبارة تغني وقول شاف
سهل الطرائق عذبة ألفاظه ✡ و كأنّها ممزوجة بسلاف
فاذا قرأت اُصوله و فروعه ✡ روّاك من عذب فرات صافي
فهو الصراط المستقيم ومنهج الدين القويم لسالكيه كافي
تأليف من شهدت له آراؤه ✡ بكماله في سائر الأوصاف
للشيخ زين الدين قطب زمانه ✡ ربّ المكارم عبد آل مناف
فلقد أنار منار شيعة حيدر ✡ و أباد من هو للنصوص منافي
فجزاءه من أحمد و وصيّه ✡ أهل السماحة معدن الأشراف

الخ . . .

أقول : و كفى في جلالة الكتاب و اعتباره أنّ مولانا العلّامة المجلسيّ عدّه من مآخذ كتاب البحار و مداركه ، و اعتمد عليه كلّ الاعتماد .

وحيث إنّ الناشر المحترم ، مستعجل في نشر الكتاب و بثّه ، فلنكتف بهذه الأسطر .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكثّر بين الكتبيّين و تجرة الأسفار أمثاله و أن يبارك له في متجره و مكسبه ، و أرجو من فضله سبحانه أن يوفّقنا للعلم و العمل الصالح و أن يجنّبنا عمّا لا يرضاه آمين آمين .

حرّره الداعي لاخوانه في الدين شهاب الدين الحسينيّ المرعشيّ النجفيّ أقال الله عثرته يوم تتبّع العثرات في سويعات آخرها أصيل يوم الاثنين لأربع عشر مضين من شهر رمضان المبارك ١٣٨٤ ببلدة قم المشرّفة حرم الأئمة عليهم السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أحمد حمداً لايضاهي على وجوب وجوده ، وإيّاه أشكر شكراً لايتناهى على إفاضة خيره وجوده، الّذى من أتمّه الاغتراف من مناهل (١) عدله ، ومن أهمّه الاعتراف بصدق رسله ، ومن أجمله الإيمان بخلافة أوصيائه ، ومن أكمله عرفان ما اختصّهم به من صفات أنبيائه، ومن أعمّه اعتقاد ما أنزل فيهم من الآيات المحكمات ، ومن أشمّه نصوص نبيّه عليهم في الرّوايات المشهورات، والإغراق فيما جاء من الله ورسوله في قيام خاتمهم، والإشراق بما أظهر الأيّام من فضائح ظالمهم، والمجادلة لنصرة دينهم الّذى هو الحقّ اليقين ، والمحاولة لردّ شبهات المنافقين ، والتسرّع الى تخطئة أئمّة الضلال، والتشرّع في تصحيح شرائع خير الآل . فله الفضل الأشمل بما خلّصنا من العلائق الدنيئة الجسمانية، ومنه الطّول الأكمل بما نجّانا من العوائق الرديئة الظلمانيّة ، وبما أرسل على أرواحنا من شوارق أنواره، وبما أسجل على نفوسنا من بوارق آثاره إنّه الكريم المفضال ذو العزّ والجلال .

أما بعد فلمّا كان كمال الايمان بمعرفة أئمة الأزمان بمنطوق شريف القرآن، وجب صرف الهمّة إليها في كل أوان ، لوجوب الاستمرار على الإيمان في كلّ آن وقد صنف علماؤنا رضوان الله عليهم في ذلك كتباً مقرّرة ، وألّف فضلاؤنا في الردّ على مخالفيهم أقوالاً محرّرة ، وأجالوا في الحقائق والدقائق خواطرهم ، وأخالوا عن العلائق والعوائق نواظرهم ، ونصبوا في ذلك رايات المعقول والمسموع ، وأوضحوا

---

١ - جمع المنهل - بالفتح - موضع الشرب في الطريق.

آيات المستنبط المطبوع ، غير حائدين (١) عن رواية الصدق المبين ، وغير مائلين عن رعاية الحق اليقين، فيستضيء المتعرف بأنوار مصنفاتهم ويرتدي المتحرف بأسرار بيناتهم ، فأحببت أن أضع في ذلك كتاباً متوسطاً بين الخفيف والثقيل ، وأجمع من كتب الفريقين ما يغني عن التطويل ، وإن كان فيما وضعوا كفاية فهذا زيادة في الحسنى، وفيما صنعوا هداية فهو تأكيد للمعنى . وكيف لا تصرف العناية إلى قوم هم الأحبار الأشم والأبحار الأخضم أحد السببين اللذين من اعتلق بهما فاز قداحه، وثاني الثقلين اللذين من تعلق بهما اسفر من جميل السرى (٢) صباحه ، ولايتهم نجاة في الأولى والعقبى ، مودتهم واجبة «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» فما من شرف تمتد إليه الأبصار ، ولا من طرف يرتفع لديه اقتباس الأقدار ، ولا باب تعظم فيه الأخطار ، ولا لباب تقتحم به الآثار إلا وقد جازته قادات الأطهار ، وحازته سادات الأبرار ،مع سعي المعاندين في إطفاء نورهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ، وبغي الجاحدين تطريدهم وتشتيت قبورهم ويريد الله أن يظهر حجته ومزبوره،فهل قدم عليهم إلا من سمل (٣) عين الايمان ، وهل تقدمهم إلا من شمل قلبه على الطغيان ، وقد ضاعت مدائحهم ومنائحهم في كتاب رب العالمين ، وجاءت لأعدائهم قبائحهم وفضائحهم ظاهرة للناظرين ، فوضعت هذا الكتاب وسميته :

الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم

مهدياً إليه كل ذي عقل سليم. مسلكاً فيه كل ذي طبع قويم . وسأجمع فيه أن شاء الله من الأدلة العقلية والنقلية وأضع فيه من البراهين القطعية الجلية والآيات التي لا تحتمل شيئاً من التأويل، والروايات المغنية عن الفحص والتطويل، والأشعار المنشئة من كل

---

١ ـ حادعنه - من باب نصر ـ : مال واعرض . ٢ ـ السير بالليل .

٣ ـ سمل عينه ـ من باب نصر ـ قلعها .

خبير نحرير، الكافية لكل ذى خبر وتحرير، ملحقاً بها ماسنح لفهمي الضعيف وسمح به فكرى النحيف، راجياً بوضعه الوصول إلى مراتب المؤمنين، مؤمّلا بجمعه الحصول على سعادة المخلصين، فمن تمسّك بثراه طاب نشره ومن تمسّك بعراه آب بشره. ولا أضمّنه ماتمجّه (١) الأسماع، ولا أودع فيه غالبا إلاّ ماشاع وذاع، بل أمرى لسامعه إخلاف رواية الخلف عن السلف، وأعرى له وجوه الأدلّة عن شائن السخف والكلف، وأقرّر فيه براهين بحكمة الأسباب، وأعتمد فيه على الكتاب المبين الناطق بالصواب، راجياً أن يعمّ أهل الوفاق نفعه، مؤمّلا أن يغمّ ذوى النفاق جمعه، راغباً إلى الله في النفع به في الدنيا والآخرة، راعياً ان يبقى لي عملا صالحا عند الكون في الحافرة، إنّه الوليّ الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل. وأسأل الناظر فيه إذا اتّهمني أن يراجع المصنّفات الّتي كتبت منها، ويطالع المؤلّفات الّتي نقلت عنها وأن لايسارع إليّ بالعيب حتّى يعلم تخرّصي على الغيب، فان ذلك الاتّصاف بالانصاف والميل عن الاعتساف والاعتاف، فانّي نقلت ذلك بالمعنى ولعلّ بعض ما أضفت إليه لم يجده فيه من عثر عليه فليراجع ذلك من نسخة اخرى فانّ ذلك بطلب اليقين أحرى. قال الحميدىّ في الجمع بين الصحيحين: من المتّفق عليه من حديث ابن مسعود في قوله تعالى: (٢) «ولقد رآه نزلة اخرى» قال راى جبرائيل. قال الحميدى: «وليس ذلك في مارويناه من النسخ» فجعل ذلك من المتفق على صحته عند مسلم والبخارى ولم يره فيهما. وزاد الحميدى أنّ البخارى أخرج حديثاً ولم يخرجه صاحب الاطراف، وقال «أخرج مسلم زيادة في حديث أبي مسعود الدّمشقي وليس ذلك فيما عندنا من كتاب مسلم» فيعتذر (١) لهما ويعيّرهما بأن يكون عندهم نسخة ناقصة ثمّ يخرجوا غيرها تامة فتختلف النسخ.

---

١ - مجه السمع - من باب نصر -: استكرهه.
٢ - سورة ٠٠ الاية ٠
٣ - في الاصل: ؟؟ مذرلهما.

مقدمة

في ذكر أشياء من الكتب التي عثرت عليها وأضفت ما نقلته إليها :

١ ـ كتاب الكشّاف للزمخشري
٢ ـ منهاج المحدثين للنواوي
٣ ـ بغية الطالبين للكنجي الشافعي
٤ ـ الملل والنّحل للشهرستاني
٥ ـ الاستيفاء للشيخ الطوسي
٦ ـ تلخيص الشافي للطوسي
٧ ـ المفصح للطوسي
٨ ـ الفرق للنوبختي
٩ ـ المسترشد للطبري
١٠ ـ مجمع البيان للطبرسي
١١ ـ تهذيب الأحكام للطوسي
١٢ ـ الاحتجاج للطبرسي
١٣ ـ مصالت القواضب للمازندراني
١٤ ـ كتاب القاضي النعماني
١٥ ـ بسائر الألسن للكيدري
١٦ ـ عقد الدرر لابي بدر يوسف بن يحيى السّلمي
١٧ ـ نهج البلاغة للشريف الموسوي
١٨ ـ شرحه لابن ميثم البحراني
١٩ ـ اللوامع للمقداد السيوري
٢٠ ـ كتاب الشيخ حسن الصَّيرفي
٢١ ـ كتاب سُليم بن قيس الهلالي
٢٢ ـ الإرشاد للمفيد
٢٣ ـ العلوم والمحاسن للمفيد
٢٤ ـ كشف الالتباس ليحيى بن سعيد
٢٥ ـ الطرائف لعبد المحمود(١)
٢٦ ـ الطرف لابن طاوس
٢٧ ـ نقض الرسالة العثمانية لابن طاوس
٢٨ ـ الاستيعاب ليوسف بن عبد البرّ
٢٩ ـ الخصائص لابن البطريق

١ ـ هو السيد ابن طاوس رحمه الله.

٣٠ ـ تقدير الأحكام للمفيد
٣١ ـ مطالب السؤل لابن طلحة
٣٢ ـ الكرّ والفر جواب مسائل ابن مقاتل
٣٣ ـ خصائص يوم الغدير
٣٤ ـ عيون أخبار الرضا لابن بابويه
٣٥ ـ كشف معايب المتصوفة
٣٦ ـ الغرر والدُّرر لأبي القاسم
٣٧ ـ المسائل البغداديّة لأبي القاسم
٣٨ ـ المسائل الفاخريّة للمرتضى
٣٩ ـ مراصد العرفان لابن قرطة
٤٠ ـ ذخر البشر ليحيى بن طيّء
٤١ ـ استقصاء النظر لابن مطهّر
٤٢ ـ نهج الحق لابن مطهّر
٤٣ ـ الالفين لابن مطهّر
٤٤ ـ منهاج الكرامة لابن مطهّر
٤٥ ـ كشف اليقين لابن مطهّر
٤٦ ـ الرسالة السعديّة لابن مطهّر
٤٧ ـ مقتضب الآثار لمحمّد بن عبد الله بن عباس
٤٨ ـ الخرائج للراوندي
٤٩ ـ الماء و الخضرة و الوجه الحسن لعبّاس بن أحمد
٥٠ ـ المعالم للرازى
٥١ ـ افعل لاتفعل لمؤمن الطاق
٥٢ ـ نهج الايمان لابن جبر

وقد ذكر في ديباجته أنّه جمعه بعد الوقوف على الف كتاب او مايقاربها وكتابنا هذا يشتمل ان شاء الله تعالى عليه وعلى غيره ، والمشتمل على المشتمل على شيء مشتمل على ذلك الشيء ، فانّي سأجتلب دررها من أصدافها لأحلّي بها اخواني المؤمنين وأحتلب درّها من اخلافها لاغذّي بها طالبي النجاة يوم الدين، وماتوفيقي الا بالله الرب المبين عليه أتوكل وبه أستعين .

مقدمة

في ذكر الكتب التى لم اتصفحها ولاعثرت عليها ولكن وجدت في ما نظرته اشياء مضافة اليها فحكيتها عنها :

١ ـ صحيح البخارى
٢ ـ صحيح مسلم
٣ ـ صحيح النسائى
٤ ـ صحيح الترمذىّ
٥ ـ موطّأ مالك
٦ ـ سير أبي داود
٧ ـ الجمع بين الصحيحين للحميدى
٨ ـ الجمع بين الصحاح الستة لزرين العبدى
٩ ـ الغدير لابن جرير
١٠ ـ المناقب لابن شاهين
١١ ـ الفضائل لابن شيبة
١٢ ـ العلويّة للجاحظ
١٣ ـ المنقبة للاصفهانى
١٤ ـ نزول القرآن للرمّانى
١٥ ـ الجعفريات للموفّق المكّى
١٦ ـ الأربعين لابن مردويه
١٧ ـ ردّ الشمس لابن مردويه
١٨ ـ العمدة لابن البطريق
١٩ ـ نزول القرآن في شأن علي للشيرازى
٢٠ ـ الأربعين للمؤذن
٢١ ـ المسند لابن حنبل
٢٢ ـ الخصائص للنظنزىّ
٢٣ ـ المناقب لابن المغازلي
٢٤ ـ المراتب للبتّى
٢٥ ـ الدرجات للبصرى
٢٦ ـ الحدائق للخطيب
٢٧ ـ التفسير للثعلبى
٢٨ ـ الأربعين للرازى
٢٩ ـ التفسير لابن المرتضى
٣٠ ـ التفسير للقاضى
٣١ ـ المعالم للفراء
٣٢ ـ المعتمد لابي يعلى
٣٣ ـ الشافي في بشائر المصطفى
٣٤ ـ شرح الطوالع للغنوى
٣٥ ـ البلغة لمحمد بن علي
٣٦ ـ الناسخ والمنسوخ لهبة الله البغدادى
٣٧ ـ إحياء العلوم للغزالي

٣٨- المستضيء للغزالى
٣٩ - المصابيح للغزالي
٤٠ - التفسير للسّدّى
٤١ - الرسالة للمرتضى
٤٢ - الواحدة لابن جمهور
٤٣ - الحلية لابى نعيم
٤٤ - الفصول لابي فورك
٤٥ - التاريخ للبلاذرى
٤٦ - الآل لابن ماجيلويه
٤٧ - التفسير للإمام العسكرى عليه السلام
٤٨ - الملتحمة لابن عقبة
٤٩ - فضائل العشرة لأبي السعادات
٥٠ - الشافي للمرتضى
٥١ - التبيان للطوسي
٥٢ - أسباب النزول للواحدى
٥٣ - الفائق للزمخشرى
٥٤ - المفردات للراغب
٥٥ - الأمالى للنيشابورى
٥٦ - الفضائل للسمعاني
٥٧ - الفردوس للديلمي
٥٨ - الأمالى لابن بابويه
٥٩ - الكشف والبيان للثّعلبى
٦٠ - الأمالى لابن شاذان
٦١ - التفسير لعطاء السجستانى
٦٢ - اصول الحديث لابن البيّع
٦٣ - معجم الأوسط لسليمان بن احمد
٦٤ - النّتف للبيهقيّ
٦٥ - التّنوير للفتّال
٦٦ - العقد لابن عبد ربّه
٦٧ - الشريعة للجرميّ
٦٨ - التفسير للثّمالى
٦٩ - التفسير لوكيع
٧٠ - التحقيق للجزرى
٧١ - الأمالى لابن منيع
٧٢ - نزهة الأبصار لابن مهدى
٧٣ - التفسير لابن المجاهد
٧٤ - الفضائل للعكبرى
٧٥ - ربيع المذكور لابن ثعلبى
٧٦ - غرر الأمالي للطوسي
٧٧ - شرف النبيّ للخركوشي
٧٨ - الفتيا للنّظّام
٧٩ - شواهد التّنزيل للحسكانيّ
٨٠ - التفسير للقطّان
٨١ - التوحيد لابن بابويه

٨٢ ـ المحاضرات للراغب
٨٣ ـ التفسير لأبي القاسم ابن حبيب
٨٤ ـ الجامع للموصلي
٨٥ ـ الكافي للكليني
٨٦ ـ جواهر الكلام للبيهقى
٨٧ ـ الدّلالات للبسطامي
٧٨ ـ نعوت المهدى للحافظ
٨٩ ـ الفتن لأبي نعيم
٩٠ ـ الكفاية لعلي بن محمّد الجزار
٩١ ـ تحصيل النجاة لفخر الدين بن مطهّر
٩٢ - شرح السنة للفرّاء
٩٣ ـ كتاب عبدالله بن بشّار رضيع الحسين عليه السلام
٩٤ ـ التاريخ للنشنوى
٩٥ ـ محاسن الجوابات للدّينورى
٩٦ ـ الغيبة للنعمانى
٩٧ ـ كتاب الحضرمي
٩٨ ـ كتاب الكمال للعلوى
٩٩ ـ الواحدة للشيخ القمي
١٠٠ ـ الصحاح للجوهرى
١٠١ ـ الموازرة لأبي قاسم بن سعيد
١٠٢ ـ قبة العجلان له
١٠٣ ـ الفحص والبيان له
١٠٤ ـ شرح الشاطبيّة للحاوى
١٠٥ ـ شرح الرايات للنوخى
١٠٦ ـ الاعتقاد للاسرى
١٠٧ ـ دلايل النبوّة للبيهقى
١٠٨ ـ الاوائل للعبدى
١٠٩ ـ البرهان للمازندراني
١١٠ ـ الزواجر للعسكرى
١١١ ـ الآيات المنتزعة
١١٢ ـ المخفى في مناقب المهدى
١١٣ ـ معجزات النبوّة لابن ذهبان
١١٤ ـ روضة الواعظين لمحمّد بن علي
١١٥ ـ فضائل الكوفة لعمر بن حمزة
١١٦ ـ الدّلالات للصيرفي
١١٧ ـ التاريخ للطبرى
١١٨ ـ المجروحين لمحمّد بن حيّان
١١٩ ـ سرقات الشعر لمحمد بن عمران
١٢٠ ـ المجمل لأحمد بن فارس
١٢١ ـ أعلام النبوّة للماوردى
١١٢ ـ التنزيل لابي القاسم ابن حبيب
١٢٣ ـ التفسير للكرائسي
١١٤ ـ الاقتصان للطوسى

١٢٥ - الولاية للطبرى
١٢٦ - غاية السؤل للدينورى الحنبلى
١٢٧ - الفريضة لعيسى بن المستفاد
١٢٨ - خصائص الائمة للسيد المرتضى الموسوى
١٢٩ - الرعاية لأهل الدراية للفرغاني
١٣٠ - نهاية الطلب للحنبلى
١٣١ - المسند للشافعى
١٣٢ - اقتحام العوام للغزالي
١٣٣ - عيون السنن للهمداني
١٣٤ - نقوش الخواتيم للحافظ
١٢٧ - الأقضية للحسن بن يزيد
١٣٦ - أبواب التنزيل للقاضى
١٣٧ - الأسماء لسليمان بن مقاتل
١٣٨ - المفتقد للسكساكى
١٣٩ - المقني لابن قدامة
١٤٠ - الاختلاف للطحاوى
١٤١ - الترغيب للإصفهاني
١٤٢ - اعتقاد الحنابلة للهروى
١٤٣ - منحل الجدل للغزالي
١٤٤ - العلل لابن بابويه
١٤٥ - المثالب للكلبي

١٤٦ - النساء للجاحظ
١٤٧ - الملاحم لأحمد بن جعفر
١٤٨ - الزينة لابي حاتم
١٤٩ - لطائف المعارف لعبدالله بن طاهر
١٥٠ - منهاج البراعة لابن الراوندى
١٥١ - المواعظ للكرامى
١٥٢ - البدع لأبي القاسم الكوفي
١٥٣ - الجامع الصغير للمعزلي
١٥٤ - المشكلات لابن قتيبة
١٥٥ - الزهرة للبستى
١٥٦ - الوسيط للواحدى
١٥٧ - المكاتبات للحميرى
١٥٨ - الدرجات لسعد بن عبدالله القمى
١٥٩ - بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار
١٦٠ - مناقب أهل البيت للطبرى
١٦١ - المتون لابن مردويه
١٦٢ - أدب الكاتب للعبدى
١٦٣ - الإنصاف للجاحظ
١٦٤ - المنابذة للموفق المكى
١٦٥ - التفسير للشيرازى
١٦٦ - الفضائل للزعفرانى

١٦٨ ـ التفسير للمعلّى

١٦٨ ـ المعرفة لابن مندوع

١٦٩ ـ معاني القرآن للفرّاء

١٧٠ ـ مسند العشرة

١٧١ ـ اللؤلؤيّات

١٧٢ ـ أنفاس الجواهر

١٧٣ ـ التوراة

١٧٤ ـ الإنجيل

١٧٥ ـ كتاب حيقوق

١٧٦ ـ كتاب شعيا

١٧٧ ـ كتاب حزقيل

١٧٨ ـ الحجّة لأبي عليّ الفارسي

١٧٩ ـ مشكل القرآن للأنباري

١٨٠ ـ الدلائل لعبدالله بن جعفر

١٨١ ـ الإرشاد للجويني

١٨٢ ـ الشقيقة للجوهري

١٨٣ ـ صفوة التاريخ للجرجاني

١٨٤ ـ الإملاء لابن ميمون

١٨٥ ـ المجالس لابن مهدي

١٨٦ ـ الرجال لسبط الجوزي

١٨٧ ـ فرائد الأفراد للدارقطني

١٨٨ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم

١٨٩ ـ الخيل لنضر بن شميل

الأمالي لشعبة

١٩٠ ـ الكامل للمفيد

١٩١ ـ الأركان للمفيد

١٩٢ ـ الوسيلة

١٩٣ ـ فتوح الشام

١٩٤ ـ الإبانة [illegible]

١٩٥ ـ كيمياء السعادة

١٩٦ ـ شرف المصطفى

١٩٧ ـ تاريخ بغداد

١٩٨ ـ الشفاء والجلاء

١٩٩ ـ مشكاة الانوار

٢٠٠ ـ الملاحم

٢٠١ ـ تجاريب الامم لابن مسكويه

٢٠٢ ـ الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني

٢٠٣ ـ الإحن والمحن

٢٠٤ ـ حديقة الحدق

٢٠٥ ـ كتاب الأطراف

٢٠٦ ـ الأوراق للصّولي

٢٠٧ ـ كشف الحيرة

٢٠٨ ـ الدّر النظيم

٢٠٩ ـ النزهة للشريف المرتضى

٢١٠ ـ المستنير للطبرى
٢١١ ـ غور الحكم
٢١٢ ـ الأمالي للزجّاجى
٢١٣ ـ محاسن الأزهار لحميد
٢١٤ ـ أخبار المهديّ للهمداني
٢١٥ ـ التنزيل على تاريخ الخطيب لابن النجّار
٢١٦ ـ تاريخ أهل البيت لابن الخشّاب الحنبلى
٢١٧ ـ تاريخ أهل البيت لنضر بن عليّ الحمصى
٢١٨ ـ غريب الحديث للدينورى
٢١٩ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي القيسى
٢٢٠ ـ الياقوت لأبي عمر الزاهد
٢٢١ ـ مواليد أهل البيت
٢٢٢ ـ الغيبة للطوسي
٢٢٣ ـ عيون الاخبار لابن قتيبة
٢٢٤ ـ مفاتيح الغيب للرازى
٢٢٥ ـ السند لابن سليمان
٢٢٦ ـ كتاب الحسن للبصرى
٢٢٧ ـ الإيضاح للحسين بن على
٢٢٨ ـ شرح المصابيح للعاقولي
٢٢٩ ـ التذكرة لابن حمدون
٢٣٠ ـ التاريخ للجهضمى
٢٣١ ـ جامع الاصول لابن الأثير

فائدة

صنّف الحسين بن جبر كتاباً سمّاه «نخب المناقب لآل أبى طالب» اختصره من كتاب الشيخ محمّد بن شهرآشوب، قال: سمعت بعض الأصحاب يقول: وزنت من كتاب ابن شهرآشوب جزءاً فكان تسعة أرطال. قال ابن جبر في خطبة نخب المناقب: فكّرت في كثرة ماجمع وأنّه ربما يؤدّى عظم حجمه إلى العجز عن نقله، بل ربما أدّى إلى ترك النظر فيه والتصفّح لجميعه لاسيّما مع سقوط الاهتمام في طلب العلم، فأومىء إلى ذكر الرجال وأُدخلُ الروايات بعضها في بعض فمن أراد الإسناد والرجال فعليه بكتاب ابن شهرآشوب المذكور فإنّه قد وضعها في ذلك المسطور، والموجب لتركها خوف

السأمة من جملتها ، ولأنّ الطاعن في الخبر يمكنه الطعن في رجاله ، إلاّ ما اتّفق عليه الفريقان واختصّ به المخالف من العرفان ، أو تلقّته الأُمّة بالقبول، فانّ الطاعن لا يمكنه مع الإنصاف أن يحول عنه ولا يزول ، إلاّ أن يعاند الحقّ وينكر الصدق ولا غرو لمن ميّلته الدنيا إلى زخاريفها أن يجحد ما دلت عليه الأخبار ومعارفها ،ولذلك أنكر كثير من علماء الجمهور بعد عرفانهم كثيراً من الامور ، فقد ورد في خبر الغدير وأسانيد الطوامير ، قال ابن شهر آشوب :قال جدّي سمعت الجويني يقول شاهدت مجلّداً ببغداد في رواة هذا الخبر مكتوب عليه المجلدة الثامنة والعشرون ويتلوها التاسعة العشرون) وغير ذلك من الطرق الموضوعة فيه والكتب المبنيّة عليه،فلمّا لم يمكنهم الطعن في متنه مالوا لأجل دنياهم إلى تأويله،وأرضوا ملوك الظلمة عن تحصيله ، فلذلك أسقط الله شأنهم وسقط عليهم ما شانهم .

لولا التنافس في الدنيا لما قرئت ... كتب الخلاف ولا المعنى ولا العهد
موتى الخواطر يفنون الدُّجى سهراً ... يمارسون قياساً ليس يطرّد
يحلّلون بزعم منهم عقداً ... وبالّذى حلّلوه زادة العقد
نعوذ بالله من قوم إذا غضبوا ... فاه الضلال وإن حاققتهم حقدوا

فائدة

سأل معتزلي الشيخ المفيد عن المقلّدين من الشيعه ، إن كانوا كفّاراً لم يدخلوا الجنّة إلاّ علماؤهم وهم قليلون جدّاً ، وإن لم يكونو كفّاراً ذهبت فائدة ما يبحثون فيه عن الإمامة ، فأجاب بأنّ منهم جماعة كالبوادى والعوامّ لم يكلّفوا النظر الدقيق ولهم على علمهم أعواض يعاقبون على معاصيهم عقاباً منقطعاً أمّا من له قوة الاستدلال فمخلّد في النار لتقصيره ونمنع قلّة علمائنا فإنّ المعرفة قريبة يوصل إليها بأدنى فكر .

✿✱✿

مقدمة

في ترتيب ابواب هذا الكتاب

وقدرتّبت خطبته على مايتضمّنه كلّ باب فمن اعتبر الفقرات الموضوعة فيها عثر منها عليها، واصطلحت على ذكر الاسناد وإن كان بعضها غير مسند، ثقة منّي لاعتضاده بدليل عقلي او خبر سمعي فلا يعزب عنك ذاك مسيء به الظنّ .

الباب الاول

في اثبات الواجب وصفاته ويتبعه فصلان :

١ ـ في أنّه تعالى يفعل لغرض هو مصلحة خلقه.

٢ ـ استناد إفعالهم إلى اختيارهم لا بالجائه .

الباب الثاني

في إبطال الجبر المنافي لعدله ورحمته ، وفيه فصول مناسبة تأتي إن شاء الله تعالى في نسقه .

الباب الثالث

في إثبات النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته وفيه فصول ستّة .

١ ـ في إثباته .

٢ ـ في عصمته .

٣ ـ في شيء من معجزاته.

٤ ـ في ما نصّ الله تعالى عليه في سالف كتبه.

٥ - في الرد على الطعن في الإرسال وخصوصاً في نبوّته.
٦ - في ختمه رسالة ربّه .

الباب الرابع

في إثبات الوصيّ وصفاته وفيه فصول :

١ - في طريق إثباته .
٢ - في تكميل شيء منه .
٣ - في ردّ شبهة من أوجبه على الأُمّة .
٤ - في إبطال الاختيار .
٥ - في إبطال الاختيار .
٦ - في إبطال الاختيار .
٧ - في إبطال الاختيار .
٨ - في ابطال الاختيار .
٩ - في ابطال الاختيار .
١٠ - في ابطال الاختيار .

الباب الخامس

فيما صدر عنه من الكرامات الموجبة لاستحقاقه لها و فيه فصول :

١ - في كراماته .
٢ - في مساواته عند الله لجماعة من أنبيائه .
٣ - فيما نقل من معاجزه .

الباب السادس

في شرائطه وفيه فصول :

١ - منها في اثبات عصمته من المعقول ويتلوها أقطاب في إثباتها(١) من المنقول.

٢ - في رد الاعتراضات عليها .

الباب السابع

في شيء من فضائله وفيه فصول :

١- في اشياء متفرقة .

٢- في جواب من ردّ نسبة العلوم إليه .

٣- في جواب من ردّ فضيلته باعتقاد الغلاة فيه

٤ - في جواب من ردّ فضيلته بالمصاهرة

٥ - في المبيت على الفراش لفدائه النّبي

٦ - في تكسير الأصنام.

٧ - في آية النجوى .

٨ - في سورة هل أتى.

٩ - في آية إذهاب الرجس .

١٠ - في أنّ مودّة أهل البيت أجر الرسالة.

١١ - في حديث الطائر المشويّ

١٢ - في أنّ حبّه حسنة .

١٣ - في قول النّبي لولا أن تقول فيك طوائف من امّتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت كذا .

١- في الاصل: اثنائها

١٤ - في ردّ الشمس له
١٥ - في المضيّ إلى سلمان الفارسي لتجهيزه
١٦ - في مخاطبة النبي في معراجه بلغته.
١٧ - فيما نقل عن مالك في تفضيله على اولي العزم حتّى رمي بالغلو فيه .
١٨ - في إحاطته بفضائل أُولي الألباب .
١٩ - في حصوله على أكمل أنواع الفضائل الخمسة .
٢٠ - في سدّ الأبواب دون بابه إلى مسجد رسول الله .
٢١ - في سبق إسلامه .
٢٢ - في كونه هو البئر المعطّلة والحسنة وأبو الأئمّة.
٢٣ - في كتبه على جبهة الملك: أيّد الله محمداً بعليّ.
٢٤ - في إعطائه مفاتيح الدارين في القيامة .

الباب الثامن

في ماجاء فيه بتعيينه من كلام ربّه وفيه آيات متكثرة تتلوها عليك قريباً ان شاء الله تعالى .

الباب التاسع

في ماجاء في النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله بصريح قوله ودلالة فعله منه خبر الغدير ، والمنزلة ، والدار ، والراية ، وبراءة ، والاقضاء به ، ومدينة العلم ، والاخوّة ، وقوله : من ظلم علياً مقعدي هذا فكأنّما جحد نبوّتي ، ويتبع ذلك فصول :

١ - في الوصية.
٢ - في ردّ من انكرها.

٣ ـ في نص النبيين على الوصيين .
٤ ـ في كونه خليفة الله .
٥ ـ في عدم قبول العمل إلا بولايته .
٦ ـ في تسميته أمير المؤمنين .
٧ ـ في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له : أنت مني وأنا منك.
٨ ـ في خصف النعل .
٩ ـ في قوله تعالى: وتعيها أذن واعية .
١٠ ـ في كونه خير البرية .
١١ ـ في كونه الشاهد والنور والهدى والجنب والحجة ومثال الكعبة وعنده أم الكتاب .
١٢ ـ في ذكر الدرجات .
١٣ ـ في ذكر الشهادات .
١٤ ـ في كونه آية النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الباب العاشر

فيما جاء من النصوص المتظافرة على أولاده وفيه أقطاب :
١ ـ فى العدد المجرد عن مجموع الأسماء إلا نادراً .
٢ ـ في العدد المصاحب للأسماء والترتيب.
٣ ـ في نص كل واحد على من بعده .
٤ ـ في ذكر شيء من معاجزهم .

القطب الاول فى العدد المجرد عن الاسماء وفيه فصول :
١ ـ في قول النبي : الأئمة اثنا عشر .
٢ ـ في ضرب أمثالهم بالشهور والنقباء والبروج وما يتبع ذلك .
٣ ـ في نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عددهم .

٤ ـ في نصّ النّبي صلى الله عليه وآله على عددهم أيضاً.

٥ ـ في ذكرهم بمدينة في مفازة الأندلس.

القطب الثاني في العدد المصاحب للأسماء وفيه فصول:

١ ـ في إطلاع الله تعالى إلى الأرض واختياره إيّاهم ومايتبع ذلك.

٢ ـ في أمره صلى الله عليه وآله بالتمسّك بالشمس، ثمّ القمر، ثمّ الفرقدين، ثمّ النجوم ومايتبع ذلك.

٣ ـ النصّ عليهم من النّبي صلى الله عليه وآله في خبر نعثل ومايلحقه.

٤ ـ الكتاب المستخرج من تحت الكعبة.

٥ ـ حديث جبرائيل عن ربّه بولايته ومايتبع ذلك ممّا يناسبه.

٦ ـ قول سلمان للنبي صلى الله عليه وآله لكلّ نبيّ وصيّ ونحو ذلك ممّا يقاربه.

القطب الثالث في نصّ كلّ واحد على من بعده ويلحقه فصل فيما ظهر عن كلّ واحد منهم من العلوم.

القطب الرابع فيما يظهر عنهم من المعاجز.

الباب الحادي عشر

ماجاء في خاتمهم وتملكه وشيء من علاماته ومعجزاته ودلائل خروجه ويتبع ذلك فصل في تعيين الأئمّة والردّ على الفرق الخارجة عن الإماميّة الاثنى عشريّة.

الباب الثاني عشر

الطعن فيمن تقدّمه بظلمه وعدوانه وماأحدث كلّ واحد في زمانه من طغيانه وفيه امور تأتى انشاء الله تعالى.

الباب الثالث عشر

المجادلة لنصرة دينه وفيه فصول وأبحاث ومناظرات.

الباب الرابع عشر

ردّ الشبهات الواردة من مخالفيه وفيه فصول :

منها في الآيات ومنها في الروايات ويلحقه كلام في وقعة الجمل ونحوها .

الباب الخامس عشر

في تخطئة كلّ واحد من الأئمّة الاربعة في كثير من أحكامه وفيه فصول :

١ ـ فيما أجمعوا عليه .

٢ ـ فيما اختلفوا فيه .

٣ ـ فيما اضيف إليهم من المخازى .

٤ ـ في البخارى .

٥ ـ فيما أنكرمسلم والبخارى من الأحاديث .

الباب السادس عشر

في الطعن في رواة أحاديثهم منهم و فيه فصول .

الباب السابع عشر

في ردّ الاعتراضات على شيء من شرائع أتباعه ﷺ وفيه امور وبها نختم الكتاب .

الباب الاول

في اثبات الواجب وصفاته

انّما ابتدأنا بهذا الباب - وإن كان الغرض الأهمّ من هذا الكتاب هو الامامة - لأنّه المطلب الأعلى والقاعدة الاولى، فكان صرف الهمّة اليه أوّلا أولى، فيستدلّ على وجوده تعالى بحدوث غيره المستفاد من تغييره، وبأنّ الممكن لايستقلّ بايجاد شيء وحده وإنّما يفعل أعراضاً فيما أحدثه غيره، أمّا الجوهر فلا يقع بقدرته لانحصارها في تولّده ومباشرته، فالتولّد إمّا بالاعتماد، ويعلم ضرورة عدم تجدّد الجوهريّة و المباشرة يلزمها التداخل ان كانت في محلّ قدرته، وإن كانت في مايجاوره فالبعيد يوثره غيره، فلابدّ للجواهر والأعراض المخصوصة من موجد غيره، فلزم القول بوجوده ووجوبه المستلزم لاستحالة عدمه.

ولابدّ من قدرته للزوم قدم العالم أو حدوثه تعالى عند فرض إيجابه وعمومها لاستواء ذاته لتجرّده و اشتراك ماعداه في علّة احتياجه.

ولابدّ من علمه لامتناع نقصه وإحكام خلقه، ومن إرادته و كراهته لاختلاف أفعاله ولأمره ونهيه، ومن سمعه وبصره لعموم علمه المستفاد من الترجيح بلامرجّح عند عدمه والقرآن المجيد دلّ على كلامه وإدراكه.

ولابد من مخالفته لغيره لذاته، لما عرفت من وجوبه وحدوث غيره. فليس بجسم لوحدته وتركيبه، ولاعرض لغنائه وحلوله، ولا جوهر ولا متحيّز ولا في جهة لافتقارها وغنائه، ولامتّحد لامتناع أنفعاله، ولايرى لامتناع الاحاطة به و لزوم الجهة الممتنعة عليه. وفي حديثين من الجمع بين الصحيحين أنهم يرونه يوم القيامة بالعين، فنعوذ بالله من هذا المين!

ولابدّ من وحدته لفساد العالم عند فرض كثرته، ولنصّه في كتابه على ذلك.

ولابدّ من عدم زيادة الثبوتيّات خارجاً من صفاته لامتناع افتقاره إلى مغاير لذاته ، ولانّها إن كانت قديمة بطل اختصاصه بوجوبه ، وان كانت حادثة من خارج افتقر إلى غيره ، ومن ذاته في ذاته جاء الدور أو التسلسل . وحلول الحوادث به ولا في ذاته فالعقل قاض للوصف بامتناع تجرّده وحلوله في غير المتصف به .

ولابدّ من اعتقاد عدله وحكمته المستندة إلى غنائه المستند إلى وجوبه ، فعلمه بقبح القبيح ولغنائه عنه يصرفه عن فعله ، لأنّ فوقه حاكماً يأمره بتركه كما توهّمه من عدم كثيراً من رشده . وقد تمدّح تعالى في كتابه باوصاف وأسماء تدل على عدله ونهاية رأفته وهي كثيرة تظهر لمن تتبّعها وجعلها غاية مطالعاته وقد ذمّ الله من لم يعتبر ما تدلّ عليه الآيات بل اكتفى بإنزالها ، فقال تعالى : « افلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (١) وليحسن أن يقال هنا شعراً :

يا امّة كفرت وفي أفواهها الـ قرآن فيه صلاحها ورشادها
هلاّ تفكّرت الرواة لما أتى(٢) مما يزيل عن القلوب فسادها

وهذا الباب مبنيّ على إثبات الحسن والقبح العقليّين وهو حقّ ، للعلم الضروري بحسن الإحسان والمدح عليه ، وقبح الكفران والذمّ عليه من غير نظر إلى شريعة كما حكم بهما البراهمة والملاحدة ولم يقولوا بشريعة ، وأيضاً لولا كونهما عقليّين لجاز التعاكس بأن يوجد في الطوائف من يعتقد حسن الكفران وقبح الإحسان ، ولمّا علمنا بطلان ذلك علمنا أنّهما عقليّان ، ولانّهما لو لم يثبتا إلاّ شرعاً لم يثبتا عقلا ولا شرعاً ، لأنّا متى لم نحكم من عقولنا بقبح الكذب جاز وقوعه من الله تعالى بإخراج المعجز على يد المتنبّي ، فلم نميّزه عن النّبي ! ولم نجزم بصحّة شريعة ولا بصدق رسول ، فإذا استفدنا قبح الكذب من قوله الموقوف على صدقه ، الموقوف على المعجز ، الموقوف على قبح إعطائه الكذاب ، الموقوف على استفادة قبح الكذب منه ، لزم الدور ، فالأشاعرة يلزمهم إبطال دينهم حيث أنكروا مقتضى عقولهم .

١- محمد : ٢٤ . (٢) تفكرت الغواة خل .

فصل

الله تعالى يفعل لغرض ومصلحة يعودان إلى خلقه لا إليه ، لامتناع احتياجه للزوم العبث لو خلا عن غرضه وهو قبيح عقلا فلا يقع منه كما مضى في تقريره والأشاعرة نفت غرضه تعالى وهم عن الصراط لناكبون ، حيث أعرضوا عن قوله تعالى : «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون » (١) وقد بيّن الله تعالى الغرض من بعث المرسلين بأنّه لنفي حجّة الناس عن ربّ العالمين ولو اضيف العبث إلى أحد من هؤلاء لتفصّى عنه وتبرأ منه ، ولمّا حكم عقله بقبحه نفاه عن فعله ، فكيف عمي إذ نسب ربّه إلى مثله شعرا :

أيحسن أن يبني قصوراً مشيّدة　　بأحسن أوضاع وأكمل هيئة
ويهدم عمداً لا لمعنى وإنّه　　ايقبح هذا في العقول السليمة

تذنيب : يريد الله تعالى الطاعات و يكره المعاصي لما علمت من حكمته ولأمره ونهيه المستلزمين لإرادته وكراهته ولو لم يكره الرب المعاصي لما حكم على الكافر بانه عاص .

فصل

قضت الضرورة باستناد بعض الأفعال إلينا لوقوعه بدواعينا، ولولا ذلك لقبح أمرنا ونهينا فانتفت عنا طاعاتنا ومعاصينا إذا انتفى عنّا تأثيرها . وسيأتي ذلك في بابه مستوفى إن شاء الله ، والقضاء والقدر اللّذان يستند الخصم بهما إلى المحال وحمله التأويل الفاسد على الانصراف عن الهدى إلى الضلال فلهما محامل تطابق اللغة العربية موجبة لتنزيه بارئ البريّة يتعيّن الحمل عليها لقضاء الفعل بها والتجاء الضرورة إليها .

---

١ - المؤمنون : ١١٦ .

الباب الثانى

فى ابطال الجبر المنافى لعدله ورحمته

هذا الباب قد طوّل علماؤنا البحث فيه وأتوا من الاحتجاج عقلاو نقلا بمالا مزيد عليه ، ونحن نذكر شيئاً ممّا وضعوه فيه لما علمت من الاحتجاج في تثبيت الامامة اليه فنقول :

الله تعالى أمر ونهى ولو لاقدرة العبد على متعلقهما كان ذلك سفهاً ، ووعد على الفعل والترك بالثواب الجزيل ولو لاقدرة العبد لما كان ذلك أولى به من العذاب الوبيل، ولخلت الفائدة عن صحائف الأعمال و الإشهاد فيها إذا كانت الأفعال المنسوبة إلى العبد لاقدرة له عليها، ولو لاقدرة العبد على الطاعة والعصيان لجاز من العدل الحكيم معاقبة أهل الإيمان وإثابة ذوى الكفران ، ولوجاز ذلك خرج الحكيم العدل إلى الظلم عن حكمته وعدله وبطل ماتمدّح به من إثبات رحمته ، ولكان الطائع ناقص التدبير قليل التصوير حيث تعجّل بمشقّة التكليف ، إذ جوّز أن يعاقب وإن أطاع وهذا هو الاعتقاد السخيف . ولو لم يكن للعبد قدرة لكان وعده تعالى ووعيده راجعين إلى نفسه وكذا بعثه الانبياء إنّما هو إلى نفسه ، والمحاربة الواقعة من الكفار لنبيّه وذويه صادرة عنه لاعن مكذبيه ، ولكان تكذيب الكافر لرسالته إنّما هو من ربّه فكأنّه أرسله ثم كذّبه فيعود الكذب على نفسه بأن يقول : أنت أرسلتنى ثم كذّبتنى فأنت الكاذب عليّ. ويدلّ على إضافة الفعل إلى العبد آيات كثيرة . وقد صنف الشيخ يحيى بن سعيد رحمه الله كتاباً سمّاه « الفحص والبيان عن أسرار القرآن » وآخر سمّاه « قبّة العجلان » وآخر سمّاه « الموازنة » قابل فيه آيات العدل بآيات الجبر فوجد آيات العدل تزيد عنها بسبعين آية

قال : « ومن المعلوم أنّ الأدلّة اذا تعارضت تساقطت وكان الحكم للفاضل »

واقول : لو لم يوجد في القرآن مايدلّ على فعل العبد ولا آية لكان في صريح العقول عن ذلك كفاية ، ويجب تأويل مخالفها لأنّ الله تعالى أنزل القرآن حجّة لنبيّه ، ولو انتفى فعل العبد أوحتمه الرّب لكان محجوجاً به ، بأن يقول الكافر: « كتابك شاهد لي بعدم قدرتي فاللوم لازم لك ومنتف عنّي» ونحن نورد طرفاً من الآيات الّتى تمسّك الخصم بها ونشير إلى شيء من تأويلها .

منها « ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (١) »

قالوا : المراد بالحسنة الخصب ، وبالسيئة الجدب ولهذا قال « أصابك » ولوأراد الفعل قال « أصبت » لانك تصيب الحسنة ، أمّا الخصب و الجدب فانّه يصيبك لاتصيبه .

قلنا : سلّمنا أنّ المراد الخصب والجدب ولكن لايضرّنا وقد قال مقاتل : ماأصابك من المكروه فمن نفسك لأنك ولّيت وجنيت . وعلى قولنا : فماأصابك من سيّئة فمنك لأنّك السبب فيها . وقد قال الله (٢) « ماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ولو كان الكلّ منه تعالى لم يصحّ أن يقول « من نفسك » ولبطلت القسمة المذكورة . وقد ذكر أبو العالية وأبو القاسم وهما من أئمّة المفسّرين أنّ المراد بالحسنة الطاعة وقعت بتوفيق الله وترغيبه وبالسيّئة المعصية وقعت بخذلانه للعبد على وجه العقوبة له.

قولهم : لوأرادالطاعة والمعصية لقال: « أصبت ».

قلنا : ماأصابك قد أصبته ، قال السخاوىّ في شرح الشاطبيّة في تفسير : « فتلقّى آدم من ربّه كلمات » (٣) ماتلقيته فقد تلقّاك ، ومن الافعال مايستوى فيه الاضافه فتقول : نالنى كذا ونلت كذا ، قال شاعر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخطا ... أصبت جميلا أو أصابك جاهل

١ ـ النساء : ٧٨ .
٢ ـ الشورى : ٣٠ .
٣ ـ البقرة : ٣٧ .

ومنه « لاينال عهدي الظالمين » . « وبلغني الكبر » (١).

قالوا : قال في الآية الاخرى : « قل كلٌّ من عند الله » (٢) فقد فسَّر تلك بهذه .

قلنا : معارضة بقوله : « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » (٣) مع أنّ تأويل مخالف العقل أولى من العكس على أنّه لابدّ من العدول عن الظاهر لدفع التناقض عن الآيتين إذ في إحداهما « من الله ، ومن نفسك » وفي الاخرى « الكلّ من الله » فكأنّه قال : الكل من الله والبعض ليس من الله !

قالوا : إذا حملنا الآيتين على أنّ الكلّ من عند الله لم يتناقضا .

قلنا : لايجوز الحمل اقتراحاً ولم يفسّر البعض بالكلّ لامجازاً ، ولاضرورة تلجئ إليه عن الحقيقة ويزول التناقض بما ذكر من تغاير الموضوع . قال ابن المرتضى ، من شيوخهم : لمّا نزل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قال اليهود والمنافقون : مازلنا نعرف النقص في ثمارنا مذيوم قدم هذا الرجل علينا ، فنزل : إن تصبهم حسنة - يعني رخصاً - يقولوا هذه من عند الله لنا و إن تصبهم سيّئة - يعني غلاء - يقولوا هذه بشؤم محمد فينا ، وإنّما أتى الله بها عقيبها لئلاّ يظنّ ضعيف العقل اتّحاد معناهما ، وقد قال الله تعالى : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها » (٤) فقد سمّى الرخاء والشّدة حسنة وسيّئة .

قالوا : الكلام من أوله إلى آخره خطاب للنّبى صلى الله عليه وآله وسلم وجواز السيّئة عليه ينافي العصمة فيه .

قلنا : قال ابن المرتضى : الخطاب له والمراد غيره ، وقال ابن العبّاس : نزل القرآن بإياك أعني واسمعي ياجارة .

---

١ - البقرة : ١٢٤ . آل عمران : ٤٠ .
٢ - آل عمران : ٧٧ .
٣ - » : ٧٨ .
٤ - » : ١٢٠ .

ومن آيات العدل « ولايرضى لعباده الكفر ، ولايأمر بالفحشاء ، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، انّ علينا للهدى ، انّا هديناه السبيل ، ومكروا ومكرالله ، لئلا يكون للناس على الله حجّة بعدالرسل » (١) ولفظ «على» يدل على الاستحقاق و بالجملة فلايكاد اكثر القرآن المجيد يخلو من ذكر اختيار العبد ، فالمخالف تمسّك بما نهى الله عنه فقال : « فأمّا الّذين في قلوبهم مرض فيتّبعون ماتشابه منه » (٢) ثم نقول لهم : ماتريدون أنتم من الكفّار ؟ فان قالوا الكفر كفاهم ذلك النكر . وإن قالوا : الايمان ، قلنا : أيّما أفضل ماأردتم من الايمان أو ماأراد الله من الكفران ؟ فان قالوا : ماأراد الله ، لزم كون الكفر خيراً من الايمان. وإن قالوا ماأردنا لزم كونهم أولى بالخير من ربّنا . ثم نقول : أيجب على العباد اتّباع مرادالله أومرادكم؟ فان قالوا مرادالله، لزمهم وجوب الكفر على العباد ، وان قالوا مرادنا دون مرادالله كفاهم بذلك خزياً وقبحاً .

وسنورد لك بعض ماتمسّكوا به لتقف منه على بطلانه .

منه قوله تعالى : « وقضى ربّك أن لاتعبدوا إلاّ إيّاه » (٣).

قلنا : أمر واجب لأنّه ألزم ، وإلاّ لاتنفت قدرته حيث لم يقع ماألزمه .

ومنه « إلاّ امرأته قدّرناها من الغابرين » (٤) .

قلنا : كتبناها لاألزمناها .

ومنه « وقدّر فيها أقواتها ، وقدرنا فيها السير » (٥) .

قلنا : علّمها وعلّم ماعليها من ثواب وعقاب .

---

١ ـ الزمر : ٧ . الاعراف : ٢٧ . البقره : ٢٦٨ . الليل : ١٢.
الدهر : ٣ . آل عمران : ٥٤ . البقرة : ١٥٠.
٢ ـ التوبة : ١٢٦ .
٣ ـ اسرى : ٣٣ .
٤ ـ النمل : ٥٧ .
٥ ـ حم السجدة : ١٠ . سبأ : ١٨ .

ومنه «كتب في قلوبهم الإيمان» (١)

قلنا : علامة يعرفون بها .

ومنه «ومن يضلل الله فما له من هاد» ونظائرها . (٢)

قلنا : الضلال يكون في الدنيا بمنع الألطاف جزاء على الكفران ويكون في الآخرة بالأخذ عن طريق الجنّة والاهتداء يقابلهما، وقد يضاف الضلال إليه لوقوعه عند تكليفه كما اضيف الرجس إلى السورة والنفور الى الرسول(٣) وقد يقال «أضلّ الله الإنسان» إذا وجده ضالا ، يقال أجدبتُ المنزل و أقفرتُ الدار ، إذا وجدتهما كذلك . قال عمرو بن معدى كرب : «قاتلنا بني سُليم فما أجبنّاهم ، وسألناهم فما أبخلناهم ، وهاجيناهم فما أفحمناهم» (٤) وقد نسب الله إضلال الدين إلى غيره : «فأضلّهم السامرى ، وأضلّ فرعون قومه ، ويريد الشيطان أن يضلّهم» (٥) وأضاف إلى نفسه ضلال المستحق : : «ويضل الله الظالمين ، وما يضلّ به إلاّ الفاسقين» (٦) ولو جاز منه الإضلال عن الدين لم يخصّ به الظالمين .

ومنه «ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله» (٧) فنهى عن الشيء وهو يعمّ الطاعة والمعصية إلاّ مع التعليق بمشيئته، ولو كان لايريد المعصية لكان من قال «لأعصينّك غداً إن شاء الله» كاذباً حانثاً ، إذا لم يفعل ، لانّ الله قد شاء ذلك فلم يؤثر الاستثناء في المشيئة، ولمّا لم يكن حانثاً بالاجماع كان الله مريداً للعصيان.

قلنا : قال المرتضى رحمه الله : الاستثناء يكون للإيقاف كالداخل في العقود وللتسهيل مثل «لأقضينّك غداً إن شاء الله» أى إن لطف، وهذا ليس على حقيقة الاستثناء فلا حجّة لهم فيه كما ذكروه .

---

١ - المجادلة : ٢٢ .

٢ - الرعد : ٣٥ .

٣ - في قوله: «فزادتهم (السورة) رجساً الى رجسهم» وقوله: «فلما جاءهم نذير مازادهم الانفورا»

٤ - اى ماوجدناهم جبناء، بخلاء مفحمين .

٥ - طه : ٨٥. طه : ٧٩. النساء : ٥٩ .

٦ - ابراهيم : ٢٧. البقرة : ٢٦ .

٧ - الكهف : ٢٤.

ومنه « فألهمها فجورها وتقواها » (١) .

قلنا : اى بينه

ومنه « وماتشاؤن إلاّ أن يشاء الله » (٢) .

قلنا : لم نشأ شيئاً إلاّ وقد شاءه لأنّه الآمر به ، إذ لولامشيئة الله لتخلّف بها مشيئتنا فلم نشأ شاء بعدم مشيئتنا

إن قيـل مشيئتنا من فعلنـا عندكم ؟.

قلت من خلقه تعالى .

فان قلت : كيف يكون من خلقه ؟.

قلنا : المراد خلقنا أحياء تقدر على المشيئة وذلك سبب مشيئتنا .

ومنه « ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها ، ولو شاء ربّك لآمن من في الارض كلّهم » (٣) .

قلنا : على سبيل الاجبار لأنّ بعضهم سأل الرسول أن يقهر المجاورين لهم على الإيمان ليتّقوا ربّهم ، فنزلت الآية وفي آخرها « أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين » .

ومنه « وماكان لنفس أن تؤمن إلاّ باذن الله » (٤).

قلنا : المراد بعلمه .

ومنه « إنّ الّذين كفروا زيّنّا لهم أعمالهم » (٥).

قلنا : زيّن لهم أعمالهم الحسنة بالترغيب فيه فأبوا عنها فخلا بينهم وبين قبيحها ، أو منعهم ألطافه فيها .

ومنه « ولو شاء الله ما أشركوا » (٦) .

---

١ ـ الشمس : ٨.
٢ ـ الدهر : ٣٠.
٣ ـ الم السجدة: ١٣ . يونس: ٩٩ .
٤ ـ يونس : ١٠٠ .
٥ ـ النمل : ٤.
٦ ـ الانعام : ١٠٧.

قلنا : على سبيل الجبر كما مرّ .

ومنه : « إن هي إلاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء » (١).

قلنا : الفتنة هي الاختبار والامتحان ومنه سمّي الصانع « فتّان » وقدجاءت الفتنة على معان هذا أليقها لتنزيه الربّ عن العدوان .

ومنه « ولو شاء ربك لجعل الناس امّة واحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربّك ولذلك خلقهم » (٢).

قلنا : المشيئة بالجبر كماسلف ، والضمير في « لذلك » للرحمة لاللاختلاف .

قالوا : « ذلك » ضمير المذكر لايصلح للرحمة المؤنّثة .

قلنا : ردّ الله ضمير التذكير إلى التأنيث في قوله « هذا رحمة من ربّي، إنّ رحمة الله قريب من المحسنين » (٣) وقد اشتهر ذلك في أشعار البلغاء .

ومنه « ولاتجعل في قلوبنا غلاّ » (٤).

قلنا : الجعل بمعنى التخلية مثل قول أحدنا لغيره : « وجعلتني ذليلا » إذخلا بينه وبين مايذلّه . وبمعنى التسمية « وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الــرحمن إناثاً » (٥) .

ومنه « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » (٦).

قلنا : وجدناه غافلا أو أغفلناه فلم نكتب فيه علامة الايمان .

ومنه « إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالا. وجعلنا على قلوبهم أكنّة » (٧).

---

١ - الاعراف : ١٥٤.
٢ - هود : ١١٩.
٣ - الاعراف : ٥٥ .
٤ - الحشر : ١٠ .
٥ - الزخرف : ١٩ .
٦ - الكهف : ٢٨.
٧ - يس: ٨ والانعام : ٢٥ .

قلنا : لمّا أبوا الرشد والانتفاع شبّهوا بذلك وصحة نسبته إليه تعالى من حيث امتناعهم عند تكليفه كما نسب الرجس والنفور إلى السورة والنذير . قال شاعر:

كيف الرشاد وقدصرنا إلى نفر   لهم عن الرشد أغلال وأقياد

ومنه « إنّ الله يحول بين المرء وقلبه » (١).

قلنا : بالجنون أو الموت : والفائدة الحثّ على الطاعات قبل الفوت وسأل هشام بن سالم عن عليّ عليه السلام عن الآية فقال عليه السلام : يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ .

ومنه « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » (٢).

قلنا : المرض هنا الشكّ ، أى زادهم الله شكّاً بمنع ألطافه ومثله « ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم » (٣) وقيل معناهما الدعاء عليهم . ومثله « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » (٤) .

ومنه « والله خلقكم وما تعملون » (٥).

قلنا : خلق أصنامهم الّتى يعملون فيها مثل « تلقف ما يأفكون » (٦) يعنى العصيّ المأفوك فيها . على أنّه يجوز كونه خالق أفعالنا على وجه التقدير .

ومنه « خلق كلّ شيء » إى بقدر (٧)

قالوا : لولا أنّ المراد العموم ذهبت المدحة، لأنّ العباد عندكم يخلقون بعض شيء .

---

١ ـ الانفال : ٢٤.
٢ ـ البقرة: ١٠
٣ ـ التوبة : ١٢٥.
٤ ـ الصف : ٥.
٥ ـ الصافات : ٩٦.
٦ ـ الاعراف : ١١٩.
٧ ـ الانعام : ١٠١.

قلنا : واى مدحة في خلق الظلم والكفر والعناد، على انه سبحانه مختص بخلق الأسباب دون العباد. وايضاً إذا قلنا خلقهم وخلق عبادتهم الاصنام لم يبق لقوله تعالى « أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) معنى ، إذ لامعنى للإنكار إلا عدم جعلها أصناماً تعبد. فإن قالوا : « جعلنا » ليس بإنكار بل استعلام. قلنا هو محال من الخبير العلام.

ومنه « خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام » (٢).

قلنا : فكان يلزم إيجاد أفعالهم في ستة أيام والمعلوم خلافه.

ومنه « ويبلوكم بالشر والخير فتنة . وبَلَوْناهم بالحسنات والسيئات ». (٣)

قلنا : المراد الرخاء ومقابله كماسلف.

ومنه « إن الإنسان خلق هلوعاً » (٤).

قلنا : مطبوع على الضعف عن تحمل المشاق.

ومنه « وإذا أردنا أن نهلك قريه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » (٥).

قلنا : أمرهم بالطاعات ففسقوا مثل « أمرته فعصا ، ودعوته فأبى » أو يكون المعنى أنا إذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها. ولايكون: «امرنا مترفيها من صلة القرية . إن قالوا فلم يبق لإذا جواب قلنا: هو من الاكتفاء قال الهذلي :

حتى اذا سلّوهم في قنابله — سلاً كماتطرد الجمالة الشردا

فلم يأت بجواب « إذا » لأن البيت آخر الشعر ، وقيل التقدير: إذاأمرناهم ففسقوا أردناهلاكهم ، والتقديم والتأخير في كلام العرب كثيرهذا.

---

١ ـ الزخرف : ٤٥ .
٢ ـ الفرقان : ٥٩ .
٣ ـ الانبياء : ٣٥ .
٤ ـ المعارج : ١٩.
٥ ـ الاسراء : ١٦.

وقد ورد جملة مقنعة من الأحاديث تنفي نسبة أفعالنا إليه تعالى كما اعتقده الأخابيث .

روى عبد الله بن شدّاد أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « اللّهم رضاً بقضائك وبارك لي في قدرك » والنّبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يرضى بالكفر والظلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سيكون في آخر هذه الامّة قوم يعملون بالمعاصي ثمّ يقولون هي من الله قضاءاً وقدراً ، فإذا لقيتموهم فأعلموهم أنّي بريء منهم » ونحوه عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وزاد فيه : « الرادّ عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

وقال له رجل: متى يرحم الله العباد ومتى يعذّبهم ؟ فقال: « يرحمهم اذا عملوا المعاصى فقالوا هى منا ويعذبهم اذا قالوا هى من الله قضاءاً وقدراً » .

وقد نقل ابن حنبل وجميع الحشويّة ومعظم العامّة أنّ عمر بن الخطاب أتي بسارق فقال له : ماحملك عليه ؟ فقال : قضـاء الله وقدره . فضربه ثلاثين سوطاً ثمّ قطعه ، وقال له : « قطعتك بسرقتك وضربتك السياط بكذبك على الله » .

ولو لم يكن إلاّ الخبر المتلقى من الأُمّة بالقبول لكفى وهو مارواه شدّاد بن أوس قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من قال حين يصبح أو يمسى : « اللّهم أنت ربّي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت يارقيب أعوذ بك من شرّ ماصنعت وأقر لك بالنعمة وعلى نفسي بالذنب فاغفر لى إنّه لايغفر الذنوب إلاّ أنت » .

قالوا : الله قادر على المنع من المعصية ولم يفعل فهو مريد لها .

قلنا : منه يؤدّى إلى الالجاء المنافي للتكليف بالانزجار عنها .

قالوا : الظلم تصرّف في مال الغير والله مالك الكلّ فلم يقبح منه تعذيب بغير موجب .

قلنا : نمنع انحصار الظلم في ذلك فإنّ من قتل عبده لالحدث فعله ذمّه كلّ عاقل وظلمه .

قالوا : جايز للمالك أن يشقى أحد عبديه في المعاش ابتداء و يريح الآخر ولا يكون بذلك ظالماً قلنا : لا قياس ، لأنّ كلامنافي قتله بغير سيّئة و الانعام على الآخر بغير حسنة .

قالوا : لو أذن السلطان لرعيّته بقتل واحد فقتله واحد منهم فله قتله ولا يكون ظالماً . قلنا : هذا مكابرة ، فانّ المأمور بقتله إن كان لا لسبب يوجب ظلمه [فظلم] و إلّا ظلم قاتله .

قالوا : لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، قلنا : كيف يسأل عمّا يفعل ولا يفعل إلّا على وفق الحكمة ، بخلاف عباده . و يؤيّده « لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل [1] » و لو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً [2] » و أيضاً و هم يسألون عمّا يفعل أو عمّا يفعلون فليعتبرها الضالّون .

قالوا : لو فعل السلطان فعلاً لم يعارض فيه وإن أنكرته الرعيّة فكيف يعارض الربّ فتنكر الخلق عليه . قلنا : لم يعارض السلطان لما يعلم من ظلمه أمّا الربّ فنعم لما وصفه لنفسه من عدله ، و ذكر أنّه لولا الارسال إليهم لسألوه عن فعله .

قالوا: الأغلب في الكون وقوع المعاصي وهي من الشيطان ، و الطاعات نادرة فالأقلّ من الرحمن ؟ بل الحقّ أنّ الكل من الملك الديّان . قلنا : ذلك ليس على وجه غلبة الضعيف ، بل لأنّ الله تعالى لو ألجأهم إلى تركها لنافى التكليف و قد نطق بوسوسة الشيطان الكتاب المبين في قوله «لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين . لأحتنكنّ ذرّيّته إلّا قليلاً ، ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً [3] » .

قالوا : خلق الله إبليس و هو يعلم أنّه يعصيه فقد أراد معاصيه قلنا : خلقه للعبادة العائد عليه نفعها فأباها ، و في إيجاده تمييز الخبيث من الطيّب باتّباعه و امتناعه ولولاه لما فضل بعض البشر على الملائكة بمخالفته فظهرت الحكمة في خلقته .

---

(١) البقره : ١٥٠ .

(٢) طه : ١٣٤ .

(٣) الحجر : ٣٩ و ٤٠ ، الاسراء : ٦٢ ، يس : ٦٩ .

قالوا : الطاعة بموافقة الأمر والمعصية بمخالفته لا بموافقة الإرادة و مخالفتها قال الله تعالى « أفعصيت أمري[١] » و لم يقل إرادتي « لا يعصون الله ما أمرهم[٢] » و لم يقل فيما أراد منهم فلا لوم على معاقبة العاصي و إن وافقت المعصية إرادته .

قلنا : الأمر و الإرادة متلازمان و المخالف فيه مكابر ، وقد قال تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر[٣] » و لو كان مريداً له كان راضياً به لاتّحادهما ضرورة ، فإذا تلازم الأمر و الإرادة لم يبق فرق بين ذكرها في العصيان و ذكره و سؤال التعيين ساقط عند المحصّلين وقد قال الله تعالى : «ولا يريد بكم العسر[٤] » و أيّ عسر أكبر من القهر على المعصية و رفع التمكين منها ثمّ يعاقبه عليها ؟ ولو أمر الله بما لا يريد لكان عابثاً ، تعالى عن ذلك .

قالوا : أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يرده لعلمه أوّلاً بعدم وقوعه .

قلنا : قد ذهب أكثر المحقّقين إلى وقوعه وأنّ الله تعالى كان يوصل الأعضاء بعد قطعها وذهب جماعة إلى أنّه أُمر بمقدّمات الذّبح لا بالذّبح فأضجعه و غلب على ظنّه أنّه سيؤمر بالذّبح .

قالوا : قد وقع من الله أنواع الآلام بغير المستحقّ كالأطفال والأولياء وغير ذلك من الموت و مصائب الدنيا و لم ينسب إليه ظلم في شيء منه فكيف ينسب إليه الظلم فيما يريده وهو يكتسب لغيره ؟ .

قلنا: الآلام المذكورة علم فيها مصلحة واختباراً وضمّن في مقابلتها عوضاً يختاروه عليها فخرجت بهذين عن كونها ظلماً وعبثاً بخلاف الصادرة منّا فبطل قياس المنافق لعدم الجامع و حصول الفارق .

---

(١) طه : ٩٣ .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) الزمر : ٧ .

(٤) البقرة : ١٨٥ .

﴿ الفصل الثاني ﴾

من أقوى ما يقال لهم : بعث الأنبياء لتأتي بما أراده الله منها أولا ؟ فإن قالوا بما أراد ؟ قلنا : أرادوا إيمان الكافر فيكون الله تعالى مريداً لإيمان الكافر و هو خلاف قولكم ، و إن قالوا : بعثوا ليأتوا بما لا يريد ، قلنا : هذا كفر و إلّا لكان مسيلمة الكذّاب أتى بموافق إرادة الله تعالى و خالفها النبيّ الصادق ويقال لهم إذا جوّزتم أن يفعل الله ما هو قبيح في الشاهد ولا يقبح منه لزمكم جواز أن يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه ولا يقبح منه و قد التزمه العطويّ و قال إنّه ليس بأعظم من القبائح غيره .

و الأشاعرة قالوا إنّما لم يقل الكذب لأنّه صادق لذاته ، و لو كان الكلام فعلاً لما قبح منه ذلك قلنا : قد ألزمناكم أن لا يكون صادقاً فبيّنوا الآن أنّه صادق لذاته على أنّ الكلام المسموع فعل عندكم ، فما يؤمنكم أن يكون كذباً [١] و أنّ الكلام النفسانيّ أخبر بخلاف ما أخبر المسموع بأن يكون فيه : النار دار الأبرار والجنّة دار الكفّار . إلزام آخر يقال لهم إذا صحّ أن يفعل الظلم صحّ أن يأمر به و كلّما تجيبون في المنع من الأمر به قائم في المنع من فعله .

قالوا : أمر بالصلاة وغيرها ولا يفعل . قلنا : هذا عكس إلزامنا لأنّا قلنا إذا صحّ أن يفعل صحّ أن يأمر و أنتم قلتم إذا صحّ أن يأمر صحّ أن يفعل . إلزام آخر إذا صحّ أن يفعل القبائح ولا يقبح منه صحّ أن ينصب الأدلّة على الباطل ولا يقبح منه إذ ليس بأعظم من الإضلال عن الدين وخلق تكذيب النبيّين وتجويز ذلك يرفع الثقة بحقّيّة مذهب المسلمين لجواز أن يخرج المعاجز على يد الكاذبين ويمنع منها النبيّين الصادقين و ناهيك بذلك فساداً في الدين .

إلزام آخر ، إذا جاز أن يخلق التكذيب والكفر في الضلّال جاز بالأولى أن يبعث الأنبياء يدعون إلى الضلال فيمتنع القطع بدعوى الأنبياء إلى الحقّ و ذلك من أعظم المحال حيث لم يبق لأحد مجال عن سبيل الوبال.

(١) صادقاً .

تذنيب : هذه الالزامات و نحوها يلزمهم أن لا يمكنهم الانفصال عنها ولا يستنكفون منها لأنّهم لا يتصوّرون قبحاً فيها لوصدرت منه ، سبحانه وتعالى عنها .

﴿ الفصل الثالث ﴾

✿(في الزامات اخر)✿

يقال لهم : تحبّون أن تحمدوا على الطاعات فلا بدّ من بلى ، فيقال :دخلتم في توبيخ قوله «يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا[(١)]» ويقال لهم : إذا خلق الله الكفر في الكافر و أمره بالإيمان فقد أمره بتغيير ما خلق فكيف يعاقبه على أنّه لم يغيّر ما خلق فيه .

إلزام آخر : نفى الله تعالى الظلم عن نفسه في مواضع من كتابه و عندكم كلّ واقع من القبائح من فعله فلا معنى للنفي عن نفسه ، و بأيّ شيء يجيب الرسول إذا قال له الكافر : أيّ فايدة في إرسالك .

إلزام آخر : الاجماع على جواز طلب المعونة من الله ولا معنى لها حينئذ وإلّا لاحتاج الله تعالى في فعله إليها .

إلزام آخر : الاجماع على جواز طلب المعونة من الله و لا معنى لها حينئذ و إلّا لاحتاج الله تعالى في فعله إليها .

إلزام آخر : أصحاب مسيلمة صدّقوه في النبوّة و تصديقهم من فعله تعالى فهو صادق إذ لا فرق بين تصديقه إيّاه و إنطاق الأحجار و نحوها له و إذا جاز أن يخلق الكذب في خلقه جاز أن يكون قول محمّد صلّى الله عليه وآله « لا نبيّ بعدي » من جملته إذلا ترجيح له على دعوي مسيلمة و قد صدّقنا الله على حدّ واحد .

إلزام آخر : إذا شرب الصائم بيده أثم و إذا وجر في حلقه لم يأثم فما الفارق بينهما و ما معنى قول النبيّ صلّى الله عليه وآله ؟« رفع [القلم] عن اُمّتي [في] الخطاء و النسيان و ما استكرهوا عليه » ولا يتصوّر الإكراه إذاكان فاعل الكلّ الله تعالى .

---

(١) آل عمران : ١٨٥ .

إلزام آخر : أجمع على وجوب التوبة و كيف يتوب الإنسان عمّا لم يفعل و الندم حينئذ كالندم على السواد و القصر و تشويه الخلقة .

إلزام آخر : أنكروا فعل السيّئات في قوله تعالى « ما كنّا نعمل من سوء[1] » فإذا كانوا صادقين كذب قوله تعالى «بلى» .

إلزام آخر : شهادة الجوارح على فعل العباد إن كانت صادقة فالمطلوب و إلّا فكيف يحتجّ تعالى بشهادة كاذبة .

﴿ الفصل الرابع ﴾

اتّفق أهل القبلة على إثبات القضاء و القدر في فعل العبد بمعنى العلم والكتابة له وعلى نفي القدر بمعنى الأمر به أمّا القدر فيه بمعنى أنّ الله خلقه فأثبته الجبريّون و نفاه العدليّون و قد أجمع على أنّه تعالى يقضي بالحقّ و نطق القرآن به و على أنّ الكفر باطل ، فلو قضاه تناقضا[أ]وكان الباطل حقّاً وإذا كان الجبريّ يقول بأنّ الله لم يقض الكفر بمعنى الأمر به لزم أن لا يقضيه بمعنى خلقه إذ كان خلقه أبلغ في القبح من الأمر به ، وقد اتّفق على نفي رضا الله بالكفر و جاء القرآن به وعلى وجوب الرضا بالقضاء فيجب أن لا يرضى العبد بما لم يرض الله به ، و أجزل الله ثواب أبي العباس الضبّي حيث قال في ذلك شعراً :

لعنت المشبّهة و المجبرة لعاين تترى حدثها مره[2]
فميمنة النار مثوى لها نعم و لها القلب و الميسرة
ولله إخواننا القائلون مقالة حقّ بها المغفرة
فهم وحّدوه و هم عدّلوه بآيات فطرته النيّرة

---

(١) النحل : ٢٨ .

(٢) كذا .

﴿ الفصل الخامس ﴾

اتّفق الناس على أنّ القدر اسم ذمّ لتشبيههم بالمجوس فتداريته العدليّة و الجبريّة كلّ فرقة تلقيه على الأخرى ، فقلنا من يثبت القدر في فعل العبد بمعنى الخلق له أحقّ بالقدريّ لأنّ الاسم إنّما يشتقّ من الشيء لمثبت ذلك الشيء كما أنّ الثنويّ من أثبت ثانياً و المجسّم من أثبت جسماً ، ولو اشتقّ اسم الشيء لنافيه لكان الموحّد ثنويّ و المنزّه مجسّمي (١) .

إن قالوا : بل أنتم القدريّة لأنّكم تثبتون قدرة للعبد . قلنا : فأنتم تثبتون قدرة الربّ على فعل العبد و أكثر كم يثبت قدرة العبد و يزعم أنّها موجبة للفعل و الخبر ورد بفتح القاف و المثبت للقدرة قدري - بالضمّ - فليس هو المراد ، وأيضاً فانّ المجبّر يكثر ذكر القدر في كلّ قضيّة و من أكثر من شيء عرف به . و أيضاً فانّ النبيّ ﷺ ذمّهم فالجبريّة أحقّ بالذمّ لنسبتهم أنواع القبائح إليه تعالى و نهى عن مجالستهم فالمفسدة في مجالس الجبريّة حيث يسهّلون المعاصي بقولهم : ماقدّره الله كان ومالم يقدّره فلا ، ويؤيسون من رحمة الله إذ يجوّزون التعذيب من غير ذنب ، و يقولون : خلق الله للجنّة قوماً لاتضرّهم المعصية و للنار قوماً لاتنفعهم الحسنة و الطاعة ! و سمّاهم النبيّ ﷺ شهود الشياطين و خصماء الرحمن إذ جواب إبليس «مامنعك أن تسجد» : «ربّ بما أغويتني» فاذا قال الله :« من شهودك بذلك ؟» جاء بالجبريّة .

وحكى الحاكم : أنّ جبريّاً سمع قارئاً يقرأ : « ما منعك أن تسجد؟ » قال : هو والله منعه ، و لو كنت حاضراً لقلت ذلك . و حكى أيضاً : أنّه كان بالبصرة نصرانيّ كتب « إنّي كفرت بمحمّد بقضاء الله عليه و منعه الإيمان به » وأتى بالكتاب المجبّرة فكتبوا خطوطهم بذلك ليشهدوا به في القيامة .وشبّههم النبيّ ﷺ بالمجوسيّ و المجبّرة كذلك ، لأنّ المجوس يقولون بإلهين : القادر منهما على الخير لا يقدر

(١) كذا في الاصل والقياس لكان الموحد ثنوياً و المنزه مجسمياً .

على الشرّ و بالعكس ، و المجبّرة تقول : « الكافر لا يقدر على الإيمان ، والمؤمن بالعكس » و علّقت المجوس المدح و الذمّ بما لا يعقل ، و هو الطبع ، و المجبّرة علّقوهما بمالا يعقل وهو الكسب والمجوس ينكحون المحارم و يقولون «أرادها منّا» و كذا الجبريّة .

و قد روي في الفائق أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : لعنت القدريةوالمرجئة على لسان سبعين نبياً ، قيل : و من القدرية ؟ قال : قوم يزعمون أنّ الله قدّر المعاصي عليهم و عذّبهم عليها .

و روى أبو الحسن عن محمّد بن عليّ المكّي أنّ فارسيّاً قدم على النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : « أخبرني بأعجب مارأيت » قال: رأيت قوماً ينكحون محارمهم و يقولون هي بقضاء الله و قدره ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله أما إنّه سيكون في هذه الأُمّة قوم يقولون بمثل مقالتهم ، فأُولئك مجوس أُمّتي ، وقيل لثمامة : تقدر أن تؤخّر ماقدّم الله أو تقدّم ماأخّر الله ، فقال : هذا على ضربين إن أردت أن أُصيّر رأس الحمار ذنبه فلا ، وإن أردت أن أُقدّم معاوية على عليّ عليه السلام وقد أخّره الله تعالى فنعم .

وذكر ابن مسكويه في كتابه تجاريب الأُمم : أنّ الله تعالى بعث محمّداً و العرب حينئذ قدريّة مجبّرة ، يحملون ذنوبهم على الله مصداق ذلك قوله تعالى « وإذافعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها (١) » و قوله عنهم : « ولو شاء الله ما أشركنا (٢) » .

و العجب أنّ المجبّر يعمل في أمر دنياه بالأحزم في طلب رزقه و الحرص على أمواله ، فاذا نهي عن ذلك بأنّ ماقدّر الله فلا بدّ من وصوله فلا تتعب ، أنف من ذلك و أنكره ، ولقد كان أمر دينه أولى بالاحتياط منه .

إن قالوا : بل أنتم المجوس ، لأنّكم تنسبون الشرور إلى الشيطان وتنفونها عن الرحمن وهذا هو مذهب المجوس . قلنا : الشرور التي نسبها المجوس إلى الشيطان هي

(١) الاعراف : ٢٧ .
(٢) الانعام : ١٤٨ .

الأمراض والمصايب والصّور المستقبحة ، وهذه نحن ننسبها إلى الرحمن لا إلى الشّيطان وأمّا الشرور الّتي هي الإغواء والوسوسة فلم تختصّ المجوس بنسبتها إلى الشيطان، بل يقول بها ساير الكتابيّين ، [بل] و قد علم من الله ورسوله و السّلف نسبة ذلك إلى الشيطان ، قال أبوبكر في مسئلة : « هذا مارآه أبوبكر فان يكن صواباً فمن الله و إن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان » ومثله عن عمرو بن مسعود و غيرهما ممّا لاينكره إلّا جائر ، لأنّه من المتشاهر ، و سيأتي تكميل ذلك في باب المجادلة فمن أراده قصده . شعراً :

امنع المجبر الّذي ☆ بقضاء السّوء قدرضي
وإذا قال لم فعلت ☆ قل له هكذا قضي

﴿ الباب الثالث ﴾

✿ (في اثبات النبي وصفاته) ✿

وفيه فصول :

﴿الفصل الاول﴾

نفت الأشاعرة وجوب البعثة بناءاً على إنكار الوجوب العقليّ وأوجبها الأوايل من حيث العقل العملي، ومشايخ المعتزلة لم تعمّم وجوبها واتّفقت المعتزلة في الجملة والاماميّة مطلقاً على وجوبها ، و الحقّ امتناع الخلوّ منها لاشتمالها على اللّطف للإنسان ، و هو واجب على الله في كلّ آن فانّ المواظبة على السمعيّات مقرّبة من العقليّات : « إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر[1] » و مشتملة على اللّطف في السمعيّات أيضاً فانّ العلم بدوام الثواب و العقاب الداعي إلى مايوجبها مستفاد من النبيّ كما هومذهب المرجئة ، و أمّا المعتزلة القائلون بأنّ العلم بدوامهما عقليّ فنقول فيه إنّه لايسقط لطيفة النبيّ ، لأنّ العلم بتفاصيلهما سمعيّ ، وذلك من أكبر الدّواعي و الصوارف .

(١) العنكبوت : ٤٥ .

إن قيل : لاتكون السمعيّات إلطافاً في العقليات إلّا إذا علم المكلّف كونها إلطافاًوداعية وذلك منتف . قلنا :لانسلّم وجوب علمهبكونهاإلطافاً وداعية ، إذيجوز أن يعلمالله أنّ مجرّد التكليف بها موجب للانقياد إلى تلك ، على أنّ العقليّات قديتباعد زمانها كقضاء الدّين ، وردّ الودايع ، والقيام بجزاء الصنايع ، فتقع الغفلة عنالله فلا بدّ من مذكّر وهوالسمعيّ .

إن قلت : لوكانت السمعيّات لطفاً لتقدّمت على العقليّات ، لوجوب تقدّم اللّطف ، ولو تقدّمت لزمت الدّور فإنّ السمعيّات إنّما تثبت بعد العلم بثبوت الخالق وما يتوقّف عليه الإرسال من صفاته . قلنا المتقدّم هو العلم بالعقليّات ، و السمعيّات لطف في العمل بها ، على أنّا نمنع تقدّم العقليّات في الخارج على السمعيّات ، و إنّما تقدّمت في الذهن عليها، فإنّ العقل لانغماره في الشّهوات قد لا يتنبّه لتلك المعارفولايهتديلوجوهها ، ومع الرسول بها وإيجابهايتنبّه لها و يقرب من تحصيل طرقها فيكون النبيّ لطفاً فيها، وأيضاً فالقدرة على البعثة والداعي إليها حاصلان فتجب لاشتمالها على المصالح و الصارف منتف لانتفاء وجوه المفاسد ، و أيضاًفاجتماع النوع ضروريٌّ وهو مجبول علىالتغالب ، فيقع التجاذب ، فيقعالقتل فيقعالعدمالمناقض لمراد الخالقمنالوجود فيجب ردّهإلىقانون مقبول هوالشرع والآتي به النبيّ المميّز عنه بالمعجزة ، فوجب النبيّ وله وجه يتلقّى به الوحي الإلهيّ وآخر يخاطب به النوع الإنسانيّ ، وليس لرعيّته هذان الوجهان .

إن قلت : لم لايكون لكلّ فردٍ ماللنبيّ ، فيستغني عنه قلت : الإرسالأعظم في تجليلالمرسل ممّاذكرت ، إذ في عادةالملوك إرسال الرسل والحجّاب والاحتجاب عن الرعيّة ، ليعظم في أعينهم ، و لذا أوصى المعلّم الأوّل ، ارسطاطاليس ، الملك الاسكندر ، بأن لايظهر على الرعيّة إلّا نادراً ، فجرى الربّ الحكيم على ذلك في إرساله لازدياد تعظيمه .

إن قلت : هذا يوجب خفض منزلته عند رسوله. قلت: للرسول نفس قدسيّة لا يتخيّل سقوطه عنده .

إن قلت : فلوجعل نفوسهم كذلك ،كانوا كذلك ، قلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » و بهذا يسقط ماقيل إنّ اختصاصه بالرسالة ، إمّا لأمر فيتسلسل ، أولا لأمر ، فترجيح بغير مرجّح . قلنا : ذاك من العناية والمختار يرجّح بلامرجّح .

« الفصل الثاني »

محمّد رسول الله ﷺ لثبوت دعواه ومعجزاته بالتواتر المفيد للعلم لبلوغ مخبريه إلى حدّ تشهد العقول بصدقه و تحيل العادة الاجتماع لافترائه ، و إلاّ علم بمكانه و زمانه خصوصاً مع توفّر دواعي الكفّار على نقله، وخصوصاً القرآن العزيز ، فانّه تحدّاهم بمعارضته في قوله : «فأتوا بسورة من مثله (١) » فلو قدروا عليه مع كونهم ذوي فصاحة وبلاغة ، لم يعدلوا عنه إلى محاربته ، وفيها بذل أنفسهم ، والهبوط عن رياساتهم ، إذالعاقل لايعدل عن الأخفّ الأسهل وفيه الحجّة ، إلى الأشقّ الأثقل مع عدم الفائدة .

و قد نقل الامام الطبرسيّ في احتجاجه أنّ ابن أبي العوجا ، و أبو شاكر الديصانيّ ، و ابن المقفّع ، و عبد الملك البصريّ اجتمعوا عند البيت ، يهزؤن بالحاجّ ويطعنون بالقرآن ، وعيّنوا لكلّ واحد منهم ربعاً من القرآن أن ينقضه ، ويجتمعون في القابل وقد نقضوه كلّه ، فلمّا اجتمعوا في القابل ، قال ابن أبي العوجا: أمّا أنا فمنذ افترقنا، فمفتكر في قوله تعالى : «فلمّا استيئسوا منه خلصوا نجيّاً (٢)» فلم أقدر أضمّ إليها من فصاحتها مثلها فشغلتني عمّا سواه ، و قال عبد الملك : و أمّا أنا فمفتكر في قوله تعالى : « إنّ الّذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » (٣) . و قال أبو شاكر : و أمّا أنافمفتكر في قوله تعالى : « لوكان

(١) البقرة : ٢٣ .
(٢) يوسف : ٨٠ .
(٣) الحج : ٧٣ .

فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا [١] » و قال ابن المقفّع و كان أفصح أهل عصره : إنّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر ، و إنّي مفتكر في قوله تعالى :« وقيل يا أرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي » الآية [٢] لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الإتيان بمثلها ، قال هشام : فبينماهم كذلك إذ مرّ بهم الصادق عليه السلام فقرأ : « قل لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا [٣] » .

وقد حكى أبو عبيدة أنّ أعرابيّاً سمع «فاصدع بماتؤمر [٤] » فسجد ، وسمع آخر «فلمّا استيئسوا منه خلصوا نجيّاً » فقال: أشهد أن لامخلوق يقدر على مثل هذا وسمع الأصمعيّ جارية تستغفر ، فقال لها : ، ممّ ولم يجر عليك قلم ،فقالت شعراً :

أستغفر الله لذنبي كلّه   قتلت إنساناً بغير حلّه [٥]

مثل غزال ناعم في دلّه   فانتصف اللّيل ولم اُملّه [٦]

فقال لها : ماأفصحك ياجارية ؟ فقالت : أفصاحة بعدقوله تعالى : « و أوحينا إلى اُمّ موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك و جاعلوه من المرسلين [٧] » فجمع تعالى في آية أمرين و نهيين و خبرين و بشارتين .

ولمّا أرادالنابغة الاسلام ، حين سمع صوت قارىء يقرء القرآن وعلم بفصاحته قال أبوجهل له : يحرّم عليك الأطيبين .

و أخبر الله تعالى عن الوليد بن المغيرة بذلك ، في قوله : « فكّر و قدّر »إلى آخر الآية [٨]» .

---

(١) الانبياء : ٢٢ .   (٢) هود : ٤٤ .

(٣) الاسراء : ٨٨ .   (٤) الحجر : ٩٤ .

(٥) كذا فى النسختين و الظاهر : قبلت .

(٦) ولم أصله ، خ .   (٧) القصص : ٧ .

(٨) المدثر : ١٨ .

وقد نقل في وجه إعجازه وجوه اُخر كالصرفة وغيرهما ، فمن وفّق لها وقف عليها ، و اعلم أنّ تواتر القرآن عينيٌّ ، وغيره معنويٌّ ، مثل أخباره ﷺ بالمغيبات و انشقاق القمر ، و تسبيح الحصا ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وغيرها من المعجزات المشهورة ، فانّ كلّ فرد منها و إن نقل بالآحاد إلاّ أنّها اشتركت في معنى واحد هو خرق العادة ، و سيأتي في ذلك فصل مفرد إنشاء الله تعالى .

وأيضاً فالأنبياء السالفون أخبروا به ، ففي التوراة فار قليطا . وفي الانجيل المنحنا ، و في خرايج الراونديّ : في الانجيل فارقليطا وايمشحا وهو محمّد ﷺ .

وقال الشهرستانيّ في الملل والنحل :أجمع أهل الكتاب على أنّ التوراة بشّرت بواحد و اختلافهم في تعيينه ، أوفي الزيادة عليه ، و قد ثبت إعجاز القرآن و فيه : « الّذين يتّبعون الرسول النبيّ الاُمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية و الانجيل[1] » وقال عيسى عليه السلام : « ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد[2] » .

﴿ الفصل الثالث ﴾

✿ (في رد الاعتراضات على نبوة محمد صلى الله عليه و آله) ✿

١ ـ لا نسلّم حصول العدد المعتبر في التواتر ، إذ كلّ عدد يمكن تواطيه على الكذب . قلنا : العلم الحاصل بذلك ضروريٌّ فلا يقدح فيه ما شككتم به .

٢ ـ لا يحصل العلم بتواتر الخبر ، إلّا بعد العلم بالخبر ، و أنتم بنيتم العلم به على كونه متواتراً فيدور ، قلنا بالمعنى الّذي عقلتم حصول المجموعيّة ، فاعقلوا مثله في حصول العلم ،على أنّه طعن في الضروريّ .

٣ ـ لا نسلّم استواء الطرفين و الواسطة المعتبرة في الكثرة فلا تواتر ، قلنا : كلّ طبقة مع كثرتها نقلت عمّن تقدّمها مع كثرتها كثرة من تقدّمها فحصل القطع بصدقها ، على أنّ تكثّر الطبقات لو حدث بعد عدمه لعلم زمان حدوثه ، كما في

---

(١) الاعراف : ١٥٦ .

(٢) الصف : ٦ .

المذاهب المنتحلة ، خصوصاً مع توفّر داعية الكفّار إلى نقله .

٤ ـ أصل التواتر الحسّ و هو قد يغلط كما غلط في صلب المسيح ، قلنا : تغليط الحسّ تشكيك في العلم الضروريّ فلا يسمع .

٥ ـ يجوز ظهور القرآن على رجل غير محمّد ، فأخذه منه و ادّعاه لنفسه . قلنا : فيه ما هو مختصّ به مثل « و إذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه[١] و يوم حنين [٢] إذ تصعدون ولا تلوون [٣] عفى الله عنك لم أذنت لهم [٤] إذ أخرجه الّذين كفروا[٥] » و إنّ الله صرف العرب عن معارضته ، فلو كان باطلاً أو كان مغصوباً ، لزم أن يفعل الله ضدّ ذلك ، لئلّا يلزم المفسدة .

٦ ـ يجوز أن يكون آيات التحدّي من عنده فإنّه لم يحفظ القرآن في عهد النبيّ ﷺ إلّا قليل ، و كانوا يعدّون من حفظ البقرة و الأنعام فقيهاً . قلنا : علم بالضرورة تواتر القرآن بجملته و تفاصيله ، و كان التشديد في حفظه أتمّ ، حتّى نازعوا في أسماء السور و التعشيرات ، و إنّما اشتغل الأكثر عن حفظه بالتفكّر في معانيه و أحكامه ، و لو زيد فيه أو نقص لعلمه كلّ عاقل و إن لم يحفظه ، لمخالفة فصاحته و أسلوبه .

٧ ـ أنكر ابن مسعود مع جلالته كون المعوّذتين و الفاتحة منه ، قلنا : لا يقدح مقالته في تواتره لوحدته ، ولأنّه لم ينكر نزولها ، بل أنكر كونهما متلوّتين .

٨ ـ حصول الاختلاف في القرآن والآيات المتعارضات ، مثل التنزيه والتشبيه و الجبر والاختيار وإضافة النسيان إلى الله وسلبه عنه و سؤاله عن الذنب وسلبه عنه وغير ذلك ، و هذا كلّه يدلّ على عدم تواتره ، لا في لفظه ولا في معناه . قلنا : القرآن

---

(١) التحريم : ٣ .
(٢) التوبة : ٢٦ .
(٣) آل عمران : ١٥٣ .
(٤) التوبة : ٤٤ .
(٥) التوبة : ٤١ .

آيات منزّلة لقوله ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف » والآيات التي ظاهرها التعارض ، متأوّلة بما لا يخرجها عن الألفة ، على أنّه لو سلّم الاختلاف ، لم يدل على كونه من عند غير الله ، لأنّه لا نتيجة لاستثناء عين التالي ، كما بيّن في المنطق .

إلاّ أن يقال استثناء عين التالي المساوي للمقدّم يستلزم عين المقدّم ، مثل : إن كان هذا إنساناً فهو ناطق ، قلنا : لا مساواة هنا لأنّ الاختلاف أعمّ من كونه من عند الله ، أو من عند غيره ، ولا دلالة لعامّ .

قالوا : فيه اختلاف أيضاً في قوله : « الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري[1] » و ليست الأعين في محلّ الذكر . قلنا : المراد أعين القلوب ولهذا يوصف بالعمى : « إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور[2] » فانّ عماها هو الّذي يؤثّر في الدّين المانع من الاهتداء و اليقين .

قالوا : كيف قال « أم عندهم الغيب فهم يكتبون[3] » و قد كانوا لا يكتبون بل هم أمّيّون . قلنا : الكتب الحكم مثل : « و كتبنا عليهم أنّ النفس بالنفس[4] » .
قال الجعدي: و ماذا بحكم الله إذ هو يكتب .

قالوا : فالتناقض في قوله في يونس : « فنبذناه بالعراء و هو مليم[5] » و في قوله : « لولا أن تداركه رحمة من ربّه لنبذ بالعراء[6] » قلنا : المثبت النبذ مع السقم و المنفيّ النبذ مع الذمّ فلا تناقض .

٩ ـ آيات التحدّي لم تصل إلى الكلّ ، لتباعد البلاد ، ولا يلزم من عجز بعض عجز كلّ . قلنا : لا شكّ في وصولها إلى كلّ من يدّعي الفصاحة ، لأنّه عربيّ و جزيرة العرب محصورة ، ولا عبرة بغيرها لعدم عربيّتها .

---

(١) الكهف : ١٠١ .
(٢) الحج : ٤٦ .
(٣) الطور : ٤١ .
(٤) المائدة : ٤٨ .
(٥) الصافات : ١٤٥ .
(٦) القلم : ٤٩ .

١٠ ـ يجوز [كون] عدول العرب إلى الحرب عن المعارضة ، لكونهم رأوا أنّه أحسم للمادّة . قلنا : يعلم كلّ عاقل أنّ أحداً لا يختار قتل الرجال وركوب الأهوال ، على السهل من الكلام ، و فيه فضيلة على سائر الأنام ، و بهذا يجاب عمّا قيل: إنّما تركوا معارضته لقلّة اهتمامهم به ، و لهذا نسبوه إلى الجنون ، و نسبوا الكلام إلى السحر ، و نهوا عن استماعه لئلّا يأخذ بقلوبهم .

١١ ـ فاجأهم بالخوف فاشتغلوا بالحرب عنها ، قلنا استمرّ ثلاثة عشر سنة ينذرهم بغير حرب و يأتيهم بالآيات و يطلب منهم المعارضات .

١٢ ـ يجوز كونهم اعتقدوا خطبهم و أشعارهم أفصح من بلاغته فقلّت رغبتهم في معارضته . قلنا : كلّ من نظر فيه وفيها علم غلبته لها ، ولمّا سمع ابن الزّبعرى قوله تعالى : « إنّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم (١) » قال : لأخصمنّ محمّداً فجاء إليه ، وقال : إنّ الملائكة و المسيح عُبدوا ! فقال ﷺ : أوما علمت أنّ « ما » لم يكن لمن يعقل (٢) فالمراد الأصنام و نحوها فانقطع .

١٣ ـ القرآن ليس بحادث ، فلا يكون خارقاً للعادة ، فلا يكون معجزاً . قلنا : هذا يرد على الأشاعرة ، وأمّا القائلون بحدوثه فلا ، على أنّ لهم أن يقولوا : يكفي ظهوره عليه دون غيره و إن كان قديماً .

١٤ ـ البلاغة في الناس متفاوتة ، فلعلّ محمّداً ﷺ أبلغ من غيره ، فأتى به و لم يتهيّأ مثله لغيره ، قلنا: جرت العادة من الحكيم في خلقه بأن لا يمنحهم من البلاغة ما يتفاوتون فيه كثيراً ، فلمّا زادت بلاغة القرآن عليهم جدّاً و عجزوا عنه و عن ما يقاربه ، علم أنّه ليس منه عليه السلام ، فلهذا آمن فصحاؤهم مثل : قيس و كعب و مدحه الأعشى ، بقصيدة أوّلها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتّ كما بات السليم مسهداً
نبيّ يرى مالا ترون و ذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

(١) الانبياء : ٩٨ .
(٢) لمن لا يعقل ، خ .

فلم يزالوا به حتّى عدلوه عنه ، وآمن به لبيد وترك الشعر تعظيماً للقرآن وقيل : له ما فعلت بقصيدتك : « عفت الديار محلّها ومقامها ؟ » فقال لهم : أبدلني الله بها البقرة و آل عمران .

١٥ ـ يجوز كون ترك المعارضة للجهل بطريقتها لا للعجز عنها . قلنا : بل طريقها كان معروفاً عندهم مسلّم كمالهم ، وهم دهاة العرب وذكاتها ، وقد عارض امرء القيس عقله للعجز عنها . إن قيل: أخطأوا طريقها كما أخطأوه في عبادة الأصنام ، قلنا: طريق عبادتها الدلالة الّتي لم يجز(١) الخطأ فيها ، وطريق المعارضة الضرورة فيمتنع الخطاء فيها .

قيل : وفي القرآن أقاصيص ولم يكونوا من أهلها قلنا : وفيه غيرها فلم لم يأتوا بمثلها و قد كان عندهم الكتابيّون و كانوا أهل قصص ، فلم لا تعلّموها و قد طلبوا أخبار رستم و اسفنديار ، و حاولوا أن يعارضوا بها .

إن قيل : منعهم الحياء والورع . قلنا : كيف ذلك وقد أظهروا عداوته و شتمه و قذفه و هجوه .

إن قيل : فلعلّهم لم يتفكّروا فيعلموا أنّ المعارضة أنجع وأنفع ، قلنا : لا ، فإنّ ذلك مركوز في بداهة العقول .

١٦ ـ يجوز ترك المعارضة مع الداعي إليها ، لأنّه غير ملجأ ، قلنا : لابدّ من وقوعها قطعاً لتوفّر الدواعي إلى فعلها ، لما فيها من تخفيف التكليف ، بل عدمه بالكلّيّة ، حتّى قيل إنّهم تيقّنوه ، فلمّا استثقلوا التكليف جحدوه .

١٧ ـ يجوز وقوع المعارضة و لم تنقل ، قلنا فالنبيّ لم يمنع أحداً منها مع توفّر الدواعي إليها .

١٨ ـ القارىء آتٍ بالمثل فهو معارض . قلنا: لا ، فإنّ من أنشد قصيدة لغيره لا يسمّى معارضاً له و من ثمّ جعل أبو الهذيل الحكاية نفس المحكيّ ، لئلّا يكون معارضاً ونبطله أنّ المحكيّ معدوم فلا يعاد .

---

(١) يجوز الخطاء ، خ .

١٩ - الإخبار بالغيب يقع من المنجّم و المرتاض ، قلنا: إنّما يحكون مايقع غالباً بالعادة ، أو بالأُمور الكلّيّة ، و لوكان مدّعي النبوّة منهم وجب على الله إبطال مقالته منعاً للاستفساد .

٢٠ - باقي المعجزات أُمور عظيمة ، لو وقعت لتواترت و إلّا فلم لا تكون المعارضة وقعت و ما تواترت ، قلنا : اكتفي بالقرآن عن تواتر غيره .

٢١ - المعجز يلزم منه السفسطة لأنّ فيه انقلاب البحر دماً معجزةً لنبيّ . قلنا : لاسفسطة لأنّ و قوعه نادر .

٢٢ - يجوز صدور المعجز من غير الله ، إمّا لمزاج خاصّ ، أولاطّلاع صاحبه على بعض الخواصّ ، أو يحصل من الأفلاك ، فإنّها عند بعضهم أحياء ناطقة ، أو من الكواكب ، أومن الجنّ ، أو من الملائكة . قلنا : عند الأشاعرة لا فاعل إلّا الله و عند المعتزلة يجب عليه منع اُولئك من التمكين لإبطال الإفساد ، فالإخلال به قبيح . و بهذا يندفع جواز خلق المعجز ، لا للتصديق ، بل هو لطفٌ لمكلّف آخر أو إجابةٌ لدعوة إنسان آخر ، أو معجزةٌ لنبيّ آخر، أوابتلاء لتحصيل الثواب ، كما في إنزال المتشابهات ، أو ابتداء عادة ، أو تكرير عادة متطاولة ، أو إرهاص . قلنا : نعلم قطعاً انتفاء جميع هذه التوهّمات لما يتعلّق بتخصيص محمّد ﷺ به و ماله فيه من الحالات .

٢٣ - يجوز كون فاعل هذا المعجز شيطاناً لقدرة الجنّ على ما يعجز الإنس . قلنا : يجب على الله منعه لما فيه من الفساد ، على أنّه لو كان من الشيطان لفعل لكلّ كذّاب ، و لأنّ الشيطان لا يريد عبادة الرحمن ، لما يترتّب على النبوّات من طاعة الملك الديّان ، وفي خلق المعجز إرادة ذلك فيتنافيان .

٢٤ - يلزم من نبوّة محمّد البداء ، و هو على الله محال ، قلنا : للبداء معنيان : بداء ندامة و هذا على الله تعالى محال ، لأنّ فيه ظهور حال الشيء بعد خفائه ، و بداء خلق ، ويعتبر بحسب المصالح ، و هذا من الله جايز واقع ، و قد أورد ابن بابويه

في الدّر النضيد ، أخباراً جمّة عن الصادقين عليهما السلام ، بالحثّ على اعتقاد البداء بهذا المعنى .

قالوا : القبيح لا يؤمر به ، و الحسن لا ينسخ لقبح نسخه .

قلنا : قد نسخت الشرايع قبل موسى و في شرع موسى أيضاً كما ذكرتم واردفيه . قالوا : إن بيّن موسى دوام شرعه امتنع نسخه لامتناع كذبه ، وإن بيّن عدمه وجب نقله و لم ينقل ، و إن لم يبيّن أحدهما ، عمل به مرّة لا أزيد وهومحال . قلنا : بيّن انقطاعه ، و لم ينقل لعدم تواتركم بواقعة بخت نصّر ، حيث أفناكم على أنّ في تواتركم البشارة بعيسى و محمّد ، فإنّ فيها : « إنّ قدرة الله قد أقبلت من طور سيناء ، و هو جبل موسى ، و أشرقت من طور ساعير ، و هو مقام عيسى ، و أطلعت من جبل فاران و هو جبل مكّة » و قد جاء في التورية أنّ إبراهيم أسكن ولده إسماعيل ببريّة فاران ، و سيأتي بقيّة الكلام في ذلك مرتّباً إنشاء الله تعالى .

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى عصمة الانبياء)

و هو لطف يفعله الله تعالى بهم ، لا يختارون معه فعل المعصية و ترك الطاعة مع قدرتهم ، و اتّفق الإماميّة على اتّصافهم بها عن كلّ نقيصة من أوّل عمرهم و الفضيليّة من الخوارج جوّزوا ذنوبهم ، و اعتقدوا أنّ كلّ ذنب كفر فجوّزوا كفرهم و قال بعض الفضيليّة بجواز أن يبعث نبيّ مع أنّه سيكفر ، و منع بعضهم ذلك ، و لكن قال : بجواز بعث من كان كافراً قبل البعث ، و هو منقول عن ابن فورك ، و لكن قال إنّه لم يقع ، و قال بعض الحشويّة بوقوعه و ذهب أكثر أهل السنّة إلى جواز الكبيرة عليهم قبل البعثة ، و جوّز من عدى الإماميّة الصغيرة مطلقاً ، ثمّ اختلفوا ، فقال بعضهم سهواً و خطاءً لا عمداً و قال بعضهم مطلقاً .

و أمّا تحريف الأحكام ، و الخيانة فيها ، و إفتاء الرعيّة ، فالجمهور منهم

على عدم جواز ذلك مطلقاً عليهم ، و بعضهم أجازه سهواً منهم ، و ربّما استندوا في ذلك إلى ظواهر آيات تدلّ على ذلك ، و هي أوهام كاذبة قد علم جوابها من التنزيهات وغيرها . والدّليل على العصمة مطلقاً أنّ عدمها في وقت مّا يناقض المقصود من بعثهم ، و هو امتثال أمرهم الّذي لا يتمّ إلاّ بالوثوق بقولهم المسبّب عن العلم بعدم صدور الذنب عنهم ، ولو جوّزوا معصيتهم ، جوّزوا تزيّدهم ونقصهم في مأموراتهم ولو صدر الذنب عنهم لهبطوا عن منازل العوامّ ، لعلوّ قدرهم ولردّت شهادتهم لآية : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا[1] » و ذلك يناقض قوله تعالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا[2] » و لأنّ معصيتهم تقتضي وجوب أذاهم ، ونبوّتهم تقتضي تحريمه فلا يجتمعان ، فمتى ثبتت المعصية انتفت النبوّة و بالعكس ، و لأنّه لا يجب اتّباعهم إلاّ بعد العلم بصدقهم ، و مع تجويز عصيانهم لا نعلم بصدقهم ، بل في ذلك التنفّر عنهم .

إن قيل : إنّ أكثر الناس لم يتنفّر عنهم مع اعتقادهم عدم عصمتهم ، قلنا : الذنب إذا حصل منهم لا يوجب ترك قولهم بالكلّيّة ، فإنّ العصمة لمّا كانت مقرّبة غير موجبة للاتّباع ، كان عدمها غير موجب للامتناع . فقبول المجوّزين لعدم عصمتهم لا يقدح في أنّ عصيانهم مفسدة ، و حينئذ ، فالعصمة واجبة .

إن قيل: فالصغاير منهم لا توجب التنفّر عنهم لوقوعها مكفّرة ، قلنا هذا بناءً على التحابط ، و هو باطل ، و لأنّ الصغاير لا يميّزها أكثر الناس من الكبائر فينفّروا بسببها مطلقاً ، ولا يعرف الأكثر تكفير الصغاير فلا يزول التنفّر ، فلا يحصل النفع بالتنذير على كلّ تقدير ، فقبّح الله قوماً أضافوا إلى نبيّهم ماتتنفّر منه عقولهم ، و يبرؤن منه لو نسب إليهم ، فنسبوه إلى عدم الغيرة و الأنفة ، حيث روى مسلم والبخاريّ ، أنّ عائشة وضعت خدّها على خدّه وتفرّجت على السودان

---

(١) الحجرات : ٦ .

(٢) الحشر : ٧ .

و هم يلعبون في مسجده [بأمره] و سيأتي ذلك في باب الطعن في رواة أحاديثهم ، قال النيلي :

مهلهل المسكين لا عقل له ✡ روى بجهل خبراً لو ركله
و هو لعمري خبر ما أبطله ✡ تبّاً لمن يرويه ما أجهله
قال أبو الأسود يلهو بها ✡ يوماً و قد ثارت له قسطله
و أقبل الطهر على كتفه ✡ زوجته عايشة المفضلة
و قال للناس : تنحّوا الكي ✡ تنظر ما الله لنا خوّله
إنكان هذا سنّة فيكموا ✡ فحقّقوا عن هذه المسئلة
و احتملوا أزواجكم مثله ✡ و فرّجوها إن أتت منهلة
لعلّه كان لها عاشقاً ✡ يغتنم الفرصة في العيطلة

و في مسند أحمد بن حنبل أنّه خرج في سفر فسابق عائشة فسبقته تارة و سبقها أُخرى ، و في الباب الثالث من كتاب النكاح من إحياء العلوم للغزالي ، روي أنّه كان يسابقها في العدو ، فيحسن من مقام النبوّة أن يعدو معها برجله كالأطفال و الجهّال ، و كيف ينقل هذا على وجه التصديق به ، و فيه تسخيف عقل نبيّه ، و سيأتي في الباب الخامس عشر ما أضافوه إلى نبيّهم في صحاح أخبارهم .

﴿ الفصل الخامس ﴾

✡ (في طرف من معاجزه صلى الله عليه و آله) ✡

١ ـ تبعه سراقة بن مالك إلى المدينة ليظفر به ، فلمّا قرب منه غاصت قوائم فرسه في أرض صلبة ، فعلم أنّ ذلك أمر سماويّ فناداه : ادع إلى ربّك و ذمّة الله عليّ أن أدفع عنك فدعاله فخلص جواده .

٢ ـ أخذ أبو جهل صخرة ليرمي بها رسول الله ﷺ فلصقت بكفّه ، فسأله الدعاء له ، فدعا فطلقت فطرح الصخرة .

٣ ـ أخبر أهل مكّة بقدوم عيرهم و يقدمه جمل أورق ، فكان ، و هذا من الله إذ لو كان من غيره لم يدر لعلّه يتأخّر أو يتقدّم غيره .

٤ ـ مسح على شاة أُمّ معبدٍ فدرّت و لم تكن درّت قبل ذلك بسنة .

٥ ـ دعا شجرةً يابسةً فجاءت فأومأ إليها فأورقت .

٦ ـ شكا عسكره في تبوك فناء زادهم فأخذ فضلة من تمر ، و وضع يده فيها فأكلوا منها و ملؤا أوعيتهم بها ، وشكوا إليه العطش ، فوضع يده في ركوة فشرب الجميع منها .

٧ ـ سأله قوم من عبد قيس علامة في غنمهم ، فغمز بأصبعه في أصل آذانها فابيضّت و بقي ذلك إلى اليوم ، معروف في نسلها .

٨ ـ أتاه رجل من جهينة تقطّع من الجذام ، فبصق في ماء كان في قدح فمسح به فبرأ .

٩ ـ جاء رجل من بني سليم و في كمّه ضبّ ، وقال لا أُؤمن بك حتّى يؤمن هذا الضبّ ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله فآمن الرجل .

١٠ ـ قدم أعرابيّ على ناقة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال بعض إنّها سرقة فنطقت برسالته و قالت : ما ملكني سواه .

١١ ـ لمّا فتح النبيّ خيبر ، كان في سهمه حمار أسود فكلّم النبيّ و كلّمه فقال خرج من نسل جدّي ستّون حماراً لم يركبها إلاّ نبيّ ، أنا آخرهم و أنت آخر الأنبياء ، فسمّاه اليعفور ، فلمّا قبض النبيّ ، أتى إلى بئر لابن أبي التيهان فتردّى فيها و كانت قبره .

١٢ ـ اغتمّ النبيّ من الكافرين ، فأمره جبرائيل أن يدعو شجرة فجاءته من بعيد ، فقال النبيّ : حسبي .

١٣ ـ أمر أعرابيّاً بالإسلام ، فقال : هل من شاهد ؟ فنطقت شجرة برسالته فأسلم الأعرابيّ .

١٤ ـ أخذ كفّاً من حصى ، فسبّح في يده ، فصبّه في يد عليّ فسبّح في يده .

١٥ ـ دعا العمّه العبّاس وأولاده بالستر من النّار. فقالت حيطان البيت آمين .

١٦ ـ لمّا ضمّ النبيّ ﷺ عليّاً وولديه وفاطمة تحت الكساء ، أتاهم جبرائيل بطبق ، فيه رمّان و عنب ، فسبّح العنب والرمّان عند أكل كلّ واحد منهم .

١٧ ـ قطع أبو جهل يد معاذ بن عفرة ، فبصق عليها النبيّ ﷺ فألصقها فعادت .

١٨ ـ لمّا قصد فتح خيبر ، اعترضه نهر عميق ، فعبّر الجيش على الماء و لم تبتلّ أرجلهم .

١٩ ـ دعا للفضل بن العبّاس أن يذهب الله جبنه و شحّه و نومه ، فذهبوا .

٢٠ ـ لمّا أُسر عمّه العبّاس طلب منه فداء ، فقال : لا مال لي ، قال : فالّذي أودعته لزوجتك قبل أن تخرج تقسمه في أولادك ؟ فقال : ما علم به غيري و غيرها أعلم أنّك رسول الله .

٢١ ـ أخبر عليه السلام أنّ ملك السحاب سلّم عليه ، فاستسقاه ، فأخبر أصحابه أنّهم يسقون يوم كذا فكان كذلك .

٢٢ ـ بعث كسرى فيروز الديلمي ، يأتيه بالنبيّ ، فقال إنّ ربيّ أمرني أن آتيه بك ، فقال عليه السلام : إنّ ربّي أخبرني أنّ ربّك قتل البارحة ، فكان كذلك .

٢٣ ـ قال عن زيد بن صوحان : يسبق منه عضوٌ إلى الجنّة ، فقطعت يده بنهاوند ، في سبيل الله .

٢٤ ـ و طيء أعرابيّ ناقة له و أتى إلى النبيّ ليخبره بحملها ، فقال لعليّ أخبره ، فمسح على جرانها ، فنطقت أنّه واقعها في موضع كذا ، فأسلم الأعرابيّ .

٢٥ ـ ندرت عين أبي قتادة في أُحد ، فردّها النبيّ ﷺ فكانت لا تعرف من الأُخرى لحسنها وضوئها .

٢٦ ـ سأله قوم من اليهود أن يجيىء إليه الجبل ، فتباعد عنه ، فجاءه مسرعاً .

٢٧ ـ أخبر الثقفيّ بأنّه أراد أن يسئله عن فضل وضوئه و صلاته ، فقال: نعم جئت لذلك .

٢٨ ـ أخبر الأنصاري أنّه أراد أن يسئله عن حجّته و عمرته ، فقال : نعم جئت لذلك .

٢٩ ـ شكا زيد بن حارثة ، قلّة ماء بئرهم في الصيف ، ففرك حصاة ، و قال ألقها فيها ، ففعل فكثر ماؤها .

٣٠ ـ شكا المسلمون إليه في غزوة فناء الماء ، فأتي بفضل ماء ، فوضع أصابعه فيه ففار حتّى ارتوى منه ثلاثون ألفاً من الناس ، و اثنا عشر ألف جمل ، واثنا عشر ألف فرس ، فهذه نبذة يسيرة من دلايله عليه السلام ، أخذناها من خرايج الراوندي وغيره و تركنا أشياء منها خوف الإطالة بها ، وقد ذكر الزمخشري في كتابه أنّه عليه السلام : اُوتي نحو ثلاثة آلاف آية .

إن قيل : لم لايكون ما أخبر به من صناعة الزرق ، فانّ الشعراني منهم كان حاضر الجواب معروف بكثرة الإصابة ، حتّى قال المنجّمون : إنّ مولده و نجمه اقتضى ذلك ، و هو باطل ، و إلّا لسرى إلى كلّ عالم و صانع بأن يكون نجمه اقتضى علمه .

قلنا : الإخبار بالغائبات المستقبلة بخلاف الزرق ، فانّه للاُمور الموجودة الغائبة .

﴿ الفصل السادس ﴾

✿ (يذكر فيه شيء من البشارة به في الكتب الماضية) ✿

ففي السفر الأوّل من التورية : نزل الملك على إبراهيم و بشّره باسماعيل أنّه يلد اثني عشر عظيماً ، إن قيل ليس في هذا ذكر النبوّة فجاز كونه ملكاً ، قلنا : لا يبشّر الله تعالى خليله بملوك الكفر في ولده .

وفيها : أقبل الله من سينا و تجلّى من ساعير و ظهر بفاران . و في كتاب حيقوق : [أنّه] سيّد يجيء من اليمن ، ومقدّس من جبل فاران ، يغطّي السماء بهاؤه ، و يملأ الأرض نوراً .

و في كتاب حزقيل : إنّي مويّد بني قيدار بملائكة . وقيدار جدُّ العرب و قد أيّد الله نبيّه بالملائكة في بدر و غيرها ، و قال دانيال : ستنزع في قسيّك اغراقاً و ترتوي السهام بأمرك يا محمّد .

و في كتاب شعيا : يظهر في الأُمم عبدٌ لي لايسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، و يسمع الآذان الصمُّ ، هو نور الله الّذي لا يطفى ، حتّى تثبت في الأرض حجّتي .

و في مزمور آخر : إنَّ الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، و الاكليل مثل الرياسة و الامامة ، و محمود هو محمّد .

و في الانجيل قال المسيح للحواريّين : أنا ذاهب و سيأتيكم الفارقليط ، روح الحقّ الّذي لايتكلّم من قبل نفسه ، إنّما يقول كما يقال له من ربّه ، وفي حكاية يوحنّا عن المسيح : الفارقليط لايجيئكم مالم أذهب ، يسوسكم بالحقّ ويخبركم بالغيوب .

و في حكاية اُخرى : إنّي سائل ربّي أن يبعث لكم فارقليطا آخر يكون معكم إلى الأبد . و في موضع آخر : يشهد لي كما شهدت له .

و في الانجيل : قال عيسى : إنَّ الاليا متوقّع على أذيالي ، و روي أنّه كان أحمد متوقّع ، فغيّروه إلى اليا ، و كأنَّ اليا هو عليٌّ ، قيل وإنّما ذكره لأنّه قدّام النبيِّ ﷺ في كلِّ حرب و اسم محمّد بالسريانيّة مشفح و الشفح الحمد ، فاذا كان الشفح الحمد فمشفح محمّد .

وفي التورية : أحمد عبدي المختار مولده مكّة وهجرته طابة .

و ممّا أوحى الله إلى آدم : من ولدك إبراهيم ، اُجري على يده عمارة بيتي تعمره الأُمم ، حتّى ينتهي إلى نبيّ من ولدك يقال له محمّد خاتم النبيّين ، أجعله من سكّانه و ولاته .

قال الراونديُّ في خرائجه : إنّ الله حفظ اسم محمّد ﷺ لم يسمِّ به أحداً قبله صيانة ليعرف به ، كما فعل في إبراهيم عليه السلام و غيره ، و هذا لايناقض ما قيل: إنّ رجالاً في الجاهلية سمّيت محمّدا ، فعن سراقة بن خثعم قال : قدمنا الشام فأشرف

علينا راهب و قال : من أين ؟ قلنا من مضر ، قال : سيبعث فيكم رجل اسمه محمّد فرجعنا فولد لكلّ منّا غلام فسمّاه محمّداً .

و روي أنّ تبّع بن حسّان قتل من يهود يثرب جماعة ، فقال له شيخ منهم أتى عليه مائتان وخمسون سنة : إنّك لاتقدر على خراب هذه القرية ، قال : و لم ؟ قال : لأنّه يخرج من هذه البنية ـ يعني البيت الحرام ـ نبيّ من ولد إسماعيل فكفّ عن القتل ، فمضى إلى مكّة و كسى البيت و أطعم الناس .

✡ (تذنيب) ✡

يفرق بين المعجزة و الحيلة ، أنّ المعجزة غايتها الدعاء إلى الله سبحانه و تزداد ظهوراً مع الأزمان ، و الحيلة تفتقر إلى الآلات و يطلّع على أنّه لا حقيقة لها مع الأزمان ، والمعجزة لايمكن معارضتها ، بخلاف الحيلة ، و الحيلة لها معلّم و مرشد بخلاف المعجزة ، والمعجزة تظهر على من يعرف بالصلاح والسداد ، والحيلة على من يعرف بالمزاح و الفساد ، و المعجزة دالّة على صدق الصادق و الربّ قادر عليها فتجب في حكمته ، فلو ادّعى النبوّة من ليس بصادق وجب أن يمنعه من المعجزة و من الحيلة المشبهة بها ، بل ربّما يظهر المعجزة على العكس ، كما في مسيلمة .

و قد ذكر ابن زكريّا الطبيب اُموراً في مقابلة المعجزات ، كصبّ زرادشت الصفر المذاب على صدره .

قلنا : إنّما وضع أوّلاً على صدره طلاءً معروفاً بطلاء الجلق وهو دواء يمنع من إحراق النار.

قال : للأشياء طبائع و خواصّ كحجر المغناطيس و باغض الخلّ ، إذا اُلقي في إناء الخلّ لم ينزل إليه ، و الزمرّد يسيل عين الأفعى ، فلا يمكن الحكم على ما يدّعونه معجزاً ، إلّا بعد الإحاطة بجميع جواهر العالم و عرفان قوى الخلق كلّهم ، و ذلك موقوف على جوب البلدان و طول الأزمان .

قلنا : في المعاجز ما لا يمكن فعله بحيلة ولا طبيعة ولا قوّة كإحياء الموتى و

الإخبار بالمغيبات وبما تكن الصدور ، ثمّ نقول : إذا فرضنا سارت الجبال و كدرت النجوم و نشرت الأموات ، يلزم أن لا يعرف أنّ ذلك من الخالق تعالى ، إلاّ بعد ما ذكره وهو معلوم البطلان ، فظهر أنّه يجب النظر في الأمر الخارق للعادة ، و إن لم [نكن] نسر في البلاد ونعرف أحوال العباد ، وما عارض به لا يلتفت إليه ، و قد ذكر أبو إسحاق أنّ واحداً وضع الزمرّد الفائق فوق رأس قصبة و قرّبه من عين الأفعى فلم تسل .

﴿ الفصل السابع ﴾

✿ (في مقالات المنكرين للنبوات الطاعنين على المعجزات) ✿

قالوا : في القرآن : « و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً[1] » وقد قتل يحيى ونشر زكريّا وقتل الكافرون كثيراً من الأبرار وذلك خارج في الاشتهار إلى حدّ يمتنع فيه الإنكار .

قلنا : السبيل المنفيّ هو السبيل بالحجّة لا بالغلبة ، و يحيى و غيره كانت لهم الحجّة و ذلك معنى « ليظهره على الدّين كلّه [2] » .

قالوا : قوله « إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله[3] و قد تزوّج فقراء فلم يزدادوا إلّا فقراً . قلنا : الغنى من الفقر إلى النكاح أو خرج مخرج الأغلب .

قالوا : « والله يعصمك من الناس [4] » و قد كسرت رباعيّته و شجّ رأسه .

قلنا : المراد العصمة من القتل .

قالوا : « ادعوني أستجب لكم »[5] و قد مضت الدهور و لم يستجب . قلنا :

---

(١) النساء : ١٤٠ .

(٢) البراءة : ٣٤ . و الفتح : ٢٨ . والصف : ٩ .

(٣) النور: ٣٢ .

(٤) المائدة : ٧٠ .

(٥) المؤمن : ٦٠ .

تقديره أستجب إن رأيت مصلحة ، أو معناه اُعبدوني آجركم أو فيه إطلاق العامّ و أرادة الخاصّ .

قالوا : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[١] » فكيف يرجع في إثبات نبوّته إلى أهل الكتاب و هم عنده يكتمون الحقّ و يذهبون عمداً عن الصواب . قلنا : أراد الله دلالتهم على صدقه باقرار عدوّه و ذلك أنّ الجاهلية كانت تميل إلى أهل الكتاب ، و تعدلها على أنفسها ، و في التورية و الانجيل صفات محمّد ﷺ من أنصف منهم شهد له بها .

قالوا: تدّعون لمحمد علم الغيب وقد أخبر بأشياء و ظهر الأمر بخلافها ، فقال : إذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده ، وقد وجدنا قياصر بعده متعدّدة . قلنا : لما مزّق كتابه ، قال : مزّق الله مملكته ، فكان ذلك ، و كتب إلى قيصر آخر و لم يمزّقه فدعى بثبات مملكته فكان ، فنحمل قوله : فلاقيصر بعده ، أي على صفة ممزّق الكتاب .

قالوا :قال ﷺ : شهرا عيد لا ينقصان وقد وجدنا فيها النقصان . قلنا : قال ذلك لسنة بعينها ، فكان كما قال ، أولا ينقصان[٢] معاً وإن نقص أحدهما أولا ينقص أجر من صامهما .

قالوا : قال : لا ينقص مال من صدقة ، و وجدنا النقص مع الصدقة . قلنا : المراد البركة أو لا ينقص ثوابه .

قالوا : اشتهر حسن يوسف ، فكيف قال في إخوته : «فعرفهم وهم لهم منكرون[٣]» و كيف ينكر من يتفرّد بهذا الجمال . قلنا : لا يبعد جهلهم به لتغييره إلى الكهولة والملوكيّة و يحتمل أن يكون ينكرون بمعنى يزيلون الإنكار ، مثل : « إنّ الساعة

---

(١) النحل : ٤٣ . و الانبياء : ٧ .

(٢) و ذيله كما فى ابى داود : رمضان و ذوالحجة . راجع سننه ج ١ ص ٥٤٢ و لفظ البخارى ج ١ ص ٣٢٧ : شهران لاينقصان شهرا عيد رمضان وذوالحجة .

(٣) يوسف : ٥٨ .

آتية أكاد أُخفيها (١) » أي أُزيل خفائها .

قالوا : تواتر في النصارى قتل عيسى و صلبه وفي كتابكم : « و ما قتلوه و ما صلبوه (٢) » قلنا : أخبار النصارى ترجع إلى أربعة ، فلا تواتر لهم ولا عصمة فيهم على أنّه يجوز أن يخبروا عن الشبيه كما قال تعالى : « و لكن شبّه لهم » .

قالوا : قال : في نسائكم أربع نبيّات و في كتابكم : « و ما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم (٣) » قلنا النبيُّ غير الرسول و أيضاً فالرسول يطلق على جبرائيل و على الغراب ، لقوله تعالى : « فبعث الله غراباً يبحث في الأرض (٤) » و قد قيل هنا إنّ الأربعة : سارة و أُخت موسى و مريم و آسية ، بعثوا الولادة فاطمة عليها السلام .

قالوا : « قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً (٥) » و قد كان فرعون قبل هامان بزمان .

قلنا : لا ينكر أن يسمّى إنسان آخر في زمان فرعون بهامان .

قالوا : في كتابكم « و ما علّمناه الشعر (٦) » و في كتابكم وزن الشعر ، فهو شعر ، فمن ذلك : « و جفان كالجواب و قدور راسيات (٧) » و منه « فيخزيهم و ينصركم عليهم ، و يشف صدور قوم مؤمنين (٨) » وزنه من الشعر :

أبي حيّيت عنّا ماردينا ✩ تحيّينا و إن كرمت علينا

قلنا : بل كان النبيُّ يعاف قول الشعر ، ليخلص قلبه و لسانه للقرآن ، و يصون الوحي عن شبهة الشعر ، قال أبو عبيدة : هو كلام وافق وزنه وزن الشعر ولا يلزم كونه شعراً لعدم القصد إليه و لأنّه يقرنه بأمثاله و قليل من الكلام إلاّ و يوزن بوزن الشعر .

قالوا : قال يوم حنين : أنا النبيُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطّلب . وقال : غير

---

(١) طه : ١٥ . (٢) النساء : ١٥٦ .
(٣) الانبياء : ٧. (٤) المائدة : ٣٤ .
(٥) المؤمن : ٣٦ . (٦) يس : ٦٩ .
(٧) السبأ : ١٣ . (٨) البراءة : ١٥ .

الا له قطّ لا ندينا ولو عبدنا غيره شقينا ، و قال لمّا دميت أصبعه : هل أنت إلّا أصبع دميت و في سبيل الله ما لقيت . قلنا : سلف ما يصلح جواباً عنه .

قالوا : ويجوز كون ما ظهر على يده سحراً . قلنا : السحر يعارض و المعجزة لا تعارض ، و لو فتح باب السحر لجاز أن يقال في كلّ عالم بل في كلّ صانع : أنّه ساحر . على أنّ السحر علم يتمكّن به من إحداث مالايقدر عليه مثله ، و قد كان علماً ثمّ انقطع لمّا أحرق المسلمون كتب الأكاسرة المصنّفة فيه من الفلاسفة .

✿ (تذنيب) ✿

قالت الفلاسفة : النبوّة جعلت لتقرير الشريعة الّتي هي سياسة الدنيا و من ثمّ كلّ من لازم الشرعيّات تهذّبت أخلاقه و حسنت أفعاله و تقدّس في نفسه و أقبل بفكره على زهده و رمسه ، و نظر بعين بصيرته فعرف الربّ و ما يفاض عنه بعنايته ، فالشرعيّات ألطاف في العقليّات . و هذا خيال منهم لأنّ أهل كلّ دين يحدث ذلك في عبّادهم و أكابرهم من الصابيّة والرّهبان و الأحبار وعبّادالأوثان فانّهم يجدون أنفسهم خائفة مستحية من أوثانهم أن يقدموا على رذائل الأفعال و قبايح الأقوال ، فالقائلون من الفلاسفة بالنبوّات ، رجعوا بها إلى هذا الباب ، وقد عرفت مافيه من الذهاب عن الصواب ، لأنّا حينئذ لانعرف النبيّ المختار ،من الرّهبان و الأحبار ، ونحكم بصحّة الأديان المتناقضة ، و هذه مقالة داحضة .

﴿ الفصل الثامن ﴾

محمّد رسول الله خاتم الأنبياء لقوله تعالى « ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله و خاتم النبيّين[(١)] » . ولقوله صلى الله عليه وآله بعد ثبوت صدقه لعليّ عليه السلام : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدى » و بالجملة فذلك معلوم بالضرورة من دينه عليه السلام .

---

(١) الاحزاب : ٤٠ .

و قالت الخرميّة : بعده أنبياء لقوله تعالى : « يا بني آدم إمّا يأتينّكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتّقى و أصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون (١) » و هذا لفظ مستقبل . قلنا : قد أتى المستقبل بمعنى الماضي : « يريد الله أن يخفّف عنكم (٢) . إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا (٣) يريدون أن يبدّلوا كلام الله (٤) » على أنّ في الآية إضماراً أي يأتكم نبأ رسل كانوا من قبلكم وكانوا يقصّون دلالاتي وقد اُنزلت عليكم ، فمن عمل بها فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، و يؤيّد ذلك ، الآية الّتي بعدها « و الّذين كذّبوا بآياتنا و استكبروا عنها اُولئك أصحاب النار » ولو سلّم كونها للاستقبال حقيقة ، فقد خصّها النبيّ بقوله : لا نبيّ بعدي و تخصيص الكتاب بقوله جايز .

قالوا : فآية « و خاتم النبيّين » يدلّ على أنّ بعده أنبياء لأنّ الخاتم في المعتاد هو في الوسط كختم الكتاب في وسطه . قلنا : خاتم بكسر التاء هو الآخر ، مثل : ختامه مسك ، وهذا خاتم هذا الأمر ، وعلى قراءة عاصم بفتح التاء فمعناه الّذي جمع الجميع مفرّغ من أمره ، فأجرى خاتم بالفتح مجرى المصدر .

قالوا : قوله تعالى : « أرسلنا رسلنا تترى (٥) » أي لا تنقطع قلنا أرسلنا لفظ ماض فيجب حمل تترى على معنى الماضي و إلّا خرب النظم و لو كان تترى معناه لا تنقطع لزم إنكار المعاد ، إذ فيه تنقطع الرسل إجماعاً ، و أيضاً فقد نقلت أعلام النبيّ و فيها لا نبيّ بعدي ، فإن صدّقوا بها بطل ما قالوه ، و إن طعنوا في نقلها لزمهم الطعن في كلّ من نقل معجزة لنبيّ ، و إن قالوا : لو كان الخبر صحيحاً لعرفناه . قلنا : لم تنظروا فيه إذ بهذا ينفصل عن اليهود والنصارى لمّا قالوا : لو كانت معاجز محمّد صحيحة لعرفناها .

---

(١) الاعراف : ٣٤ .
(٢) النساء : ٢٧ .
(٣) الاحزاب : ٣٣ .
(٤) الفتح : ١٥.
(٥) المؤمنون : ٤٤ .

﴿ الباب الرابع ﴾

✿ (في اثبات الوصي و صفاته) ✿

و فيه فصول :

﴿ الفصل الاول ﴾

✿ (في طريق اثباته) ✿

اختلف الناس في الإمامة ، فأوجبها عقلاً - مطلقاً - على الله الإماميّة و الشيعة و أوجبها أكثر المعتزلة عقلاً علينا ، و أوجبها الزيديّة و الأشعريّة و الجاحظ و الكعبيّ و أبو الحسن البصريّ علينا سمعاً ولم يوجبها بعض الخوارج أصلاً و بعضهم و الأصمّ وأتباعه أوجبوها إذا لم يتناصف الناس وعكس ذلك هشام وأتباعه فأوجبها إذا تناصف الناس .

لنا على الوجوب مطلقاً على الله كون الإمام لطفاً، فيجب عليه لامتناع نقض الغرض إذا علم أنّ المكلّف لا يقرب من ذلك إلاّ به .

بيان اللطفيّة أنّ فيه ردّ المطامع ، و القيام بحقّ الضائع ، و لهذا تسارعوا إلى طلب الرئيس في السقيفة قبل تجهيز النبيّ ، و اشتغل به عليّ لعلمه أنّه خليفة النبيّ و تبادر الناس إلى نصبه في كلّ صقع . ولأنّه حافظ الشرع فهو معصوم ولا يعرف المعصوم إلاّ الله وهو من الألطاف في العقليّات المتقدّمة على السمعيّات ، فلو وجب سمعاً لزم الدّور . ولأنّ الوجوب سمعاً إمّا على النبيّ ، فلا يخلّ به لعصمته أو على الأمّة فلا علم لها بتعيينه أو مشترك بينهما و يلزم التناقض فانّه إذا اختار وجب اتّباعه وإذا لم تختر الأمّة معه لم يجب اتّباعه ولأنّ الأمّة قد لا يقع اختيارها فيتعلّق الواجب و هو قول النبي ﷺ و نصب الإمام بالحاير .

قالوا : الإمامة تثير الفتن في كلّ زمان ، كما في عليّ و ولديه ، فكيف تجب من الله أوعليه ؟ قلنا : جاز كون الفساد بتركها أكثر منها إذ لولاها جاز أن يستولي شوكة الكافرين ، على تبديل مذهب المسلمين ، فبتلك المنازعة خمدت نار الظلمة واجتمع المسلمون على كلمة .

إن قالوا : إذا كان تصرّفه في الأمّة بردّها ـ بالمحاربة ـ إلى طاعته ، يستلزم كفرها ، لزم كون الإمامة مفسدة ، فتخرج بذلك عن وجوبها .

قلنا : قال المرتضى إذا علم الله المصلحة فيها وجب أن يفرضها و يوجب طاعة الأمّة لها و قد فعل ، فخالفه الأمّة بترك نصرتها بل منعت وصدّت عنها ، فاللّوم عليها إذا لم تفعل ما يوجب تمكين الإمام من مصلحتها وليس له بالمحاربة أن يلجئها لأدائه إلى إبطال تكليفها و يجوز أن يغلب في ظنّه عدم طاعتها بمحاربتها ، بل قد يزداد نفورها ، ولأنّ المفسدة المفروضة غير لازمة للإمامة و إلّا لم توجد إمامة ولا نبوّة ، وأيضاً فالتمكين واجب عليه تعالى لإزاحة العلّة و نصب الإمام جزء منه ، إذ الداعي بوجوده إلى فعل الطاعات أوفر ، و الصّارف إلى ترك المعصيات أزجر وجزء الواجب واجب فالإمامة واجبة .

قالوا : جاز اشتمالها على قبيح لا تعلمونه قلنا : القبائح محصورة لتكليفنا باجتنابها فنكلّف مالا نطيق أو لم نعقلها .

إن قالوا : يجوز أن يعرّفنا الله أقسام الحسن ويقول القبيح ما عداها ويكلّفنا بتركه و إن لم نعلم تفصيل مجمله . قلنا : يلزم المطلوب لأنّ حصر أحد الجهتين يستلزم حصر الأخرى ، و لمّا نصب الله الأنبياء و الخلفاء انتفى القبيح بغير خفاء و لأنّ الطّوايف المحاربة للإمام كان فيهم رؤساء ، فلو كان الفساد في الرؤساء لم ينصبوا لأنفسهم رؤساء .

قالوا : مع الإمام يلتجيء المكلّف إلى الطاعة والإلجاء مفسدة لعدم الثواب فيه . قلنا : نمنع الإلجاء على أنّه وارد في النبوّة .

قالوا : شرطتم لطفيّته بتمكينه فمع عدم تمكينه يسارع المكلّف إلى معصية ربّه

قلنا لم نشرط ذلك بل نصبه لطف وتمكينه آخر على أنّ المكلّف يكون خائفاً مترقّباً ظهوره دائماً .

قالوا يكفي ترقّب وجوده بعد عدمه ، كما يكفي ترقّب ظهوره بعد غيبته فلا قاطع الآن بوجوده . قلنا : قضت الضرورة بعدم استواء الخوف مع غيبته بالخوف مع عدمه وإن جزم بوجوده عند مصلحته .

إذا عرفت هذا ، فاعلم أنّه قد اختلف الناس بعد النبيّ المختار ، فقالت طائفة شاذّة - يقال لها المحمديّة - أنّه لم يمت .

و قالت الفرقة المحقّة : الإمامة ثبتت بالنصّ ، لا الدعوى ولا الميراث ولا الاختيار ، و قالت الزيديّة أو بالخروج و الدعوى ، و يلزمهم الدّور إذ لا يجوز الخروج قبل الإمامة ، فلو كانت إنّما ثبتت به دار. إلاّ أن يقال : الخروج كاشف عن سبق الاستحقاق قلنا : فبطلت الشرطيّة لوجوب تقدّم الشرط .

وقال الجمهور من أهل المذاهب الأربعة وبعض المعتزلة والزيديّة والصالحيّة والبتريّة والسلميّة[1] و أصحاب الحديث أو بالاختيار ويلزمهم جواز أن تختار الأمّة نبيّاً كما يجوز أن تختار إماماً و لم يقل به أحد ، و سيأتي البحث في تكميله إنشاء الله و لأنّ المنصوب منهم إن اختار نفسه معهم فقد زكّاها فدخل في نهي الله « فلا تزكّوا أنفسكم [2] » و إن لم يختر نفسه ولم يرض بها لم تجتمع الأمّة عليه و كان غيره أولى لعدم الرضا به .

و قالت الراونديّة أو بالميراث و قد ذكر صاحب نهج الإيمان أنّ هذه المقالة أحدثها الجاحظ ، سنة عشر و مائة من الهجرة ، ليتقرّب بها إلى المأمون ، حيث جعلها للعبّاس بكونه عمّ النبيّ ﷺ و عمل فيها كتاباً ووضع فيها حججاً على أنّا لو قلنا بالميراث ، فعليّ أولى منه ، لكونه ابن عمّ النبيّ لأبويه و العبّاس عمّه لأبيه فذو السببين أولى بآيات أولي الأرحام المعتبر فيها بالأقرب فالأقرب و قد أجمعت

(١) السلمانية ، خ ل .

(٢) النجم : ٣٤ .

الفرقة المعتبر صحّة إجماعها بدخول المعصوم فيها على اختصاص الارث بابن العمّ للأبوين ، دون العمّ للأب ، و أيضاً فآية أولي الأرحام تتضمّن ذكر المهاجرين ولم يكن العبّاس من المهاجرين ، فليس له ميراث .

وأسند ابن جبر في نخبه إلى زيد بن عليّ في قوله تعالى : « و اُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض [1] » قال ذلك عليٌّ بن أبي طالب ، كان مهاجراً و ذارحم ، وعن جابر بن يزيد أثبت الله بهذه الآية ولاية عليّ ابن أبي طالب فحاز ميراث النبيّ و سلاحه ومتاعه و بغلته و كتابه وجميع ماترك بعده ولم يرث الشيخان من ذلك شيئاً .

و أسند ابن حنبل ، إلى زيد بن آدمي ، قوله : « أنت أخي و وارثي » و أسند إلى زيد بن أبي أوفى نحوه وأسند ابن المغازلي إلى أبي بريدة « لكلّ نبيّ وارث و إنّ وصيّي و وارثي عليٌّ بن أبي طالب » و حديث : لا نورّث ، خبر واحد مردود لمخالفته الكتاب ، في قوله : « و ورث سليمان داود [2] » و نحوه و السنّة المتواترة من الأحاديث السالفة و غيرها .

و في حديث زيد بن آدمي أنّ ميراث عليّ من النبيّ الكتاب والسنّة لا يضرّنا بل فيه النصرة لنا لأنّه إذا كان عليٌّ ورث الكتاب الّذي هو أكبر معاجز النبيّ و ورث السنّة الّتي فيها أحكام شريعة النبيّ ، فقد ورّثه الله علوم النبيّ ﷺ فكان أحقّ بالاقتداء بدليل : « هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون [3] » .

تذليب :

قال الجاحظ : لم تعرف الشيعة الاحتجاج بالقرابة إلاّ من قول الكميت :

يقولون لم يورث ولولا تراثه ☆ لقد تركت فيها نكيل وأرحب

إلى قوله :

فإن هي لم تصلح لقوم سواهم ☆ فإنّ ذوي القربى أحقّ وأوجب

(١) الاحزاب : ٧ .

(٢) النمل : ١٦ .

(٣) الزمر : ٩ .

قلنا : و يلك كيف ذلك ، و قد ردّ عليٌّ يوم السقيفة حجّة الشيخين ، حين تقدّم أبوبكر على الأنصار بالقرابة ، فقال عليٌّ : نحن أحقّ برسول الله لأنّا أقرب قريش كلّها ، و قد نظم عليٌّ عليه السلام هذا المعنى ، فقال :

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم ☆ فغيرك أولى بالنبيّ و أقرب
وإن كنت بالشّورى ملكت أمورهم ☆ فكيف بهذا و المشيرون غيّب

فواعجبا ، من أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة و القرابة (١)

وقد قال سلمان له ، لمّارقى المنبر : إلى من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلم وفي القوم أعلم منك و أقرب برسول الله ؟ .

وذكر ابن عبد ربّه في الجزء الأوّل من كتاب العقد ، أنّ أروى بنت الحارث ابن عبد المطّلب قالت لمعاوية : لقد كفّرت النعمة ، و أسأت لابن عمّك الصحبة و تسمّيت بغير اسمك و أخذت غير حقّك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة لك في الاسلام بعدأن كفرتم برسول الله صلّى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود وصعّر منكم الخدود فردّ الحقّ إلى أهله ، فأصبحتم تحتجّون على الناس بقرابتكم من رسول الله و نحن أقرب إليه منكم و أولى بهذا الأمر فيكم ، فكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون و كان عليٌّ بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنّة و غايتكم النار .

فيقبح من الجاحظ نسبة الشيعة إلى جهل ما تعرفه نساؤهم .

و قال الملك الصالح في ذلك :

أخذتم عن القربى خلافة أحمد ☆ و صيّرتموها بعده في الأجانب
و أين على التحقيق تيم بن مرّة ☆ لواخترتم الانصاف من آل طالب

و روي أنّ الرضا عليه السلام بات ساهراً متفكّراً في قول ابن أبي العوجاء :

أنّى يكون و ليس ذاك بكائن ☆ للمشركين دعايم الاسلام
لبني البنات نصيبهم من جدّهم ☆ و العمّ متروك بغير سهام

---

(١) نهج البلاغة الرقم ١٩٠ من الحكم و المواعظ .

ما للطليق و للتراث و إنّما ☆ سجد الطليق مخافة الصمصام
قد كان أخبرك القران بفضله ☆ فمضى القضاء به من الحكّام
إنّ ابن فاطمة المفوّه باسمه ☆ حاز الوراثة عن بني الأعمام

و قال عمرو بن حريث :

لو لم يكن لك في الامامة مهلة ☆ إلاّ سوابقك الّتي لا تعدل
كنت المقدّم قبلهم و أحقّهم ☆ إذ لا يفوتك منهم متمهّل
فلك المكارم و الوراثة حزتها ☆ و مناقب لك جمّة لا تجهل
أمّا ابن حرب فالامارة همّه ☆ لا المنجيات ولا الكتاب المنزل

وقال المرزكيّ :

أيا لائمي في حبّ أولاد فاطم ☆ فهل لرسول الله غيرهم عقب
هم أهل ميراث النبوّة و الهدى ☆ وقاعدة الدين الحنيفيّ و القطب
أبوهم وصيّ المصطفى و ابن عمّه ☆ و وارث علم الله و البطل الندب

﴿ الفصل الثاني ﴾

☆ (في تكميل شيء مما سبق في هذا الباب) ☆

قالوا : لطفيّة الامام لا تتعيّن إلاّ عند امتناع البدل . قلنا : التجاء الخلق في الأزمان والأصقاع إليه ، دليل [على] عدم البدل .

قالوا : فقد قام غيره مقامه في حقّ الامامة و هو العصمة عندكم . قلنا : قد علمنا عدم عصمة الأمّة و أيضاً ، فبدله لا يتصوّر إلّا عند عدمه وقد بيّنّا وجوبه في كلّ وقت و أيضاً لزم من عدم الامام ، هدم الصوامع والبيع و الصلوات ، كماقال تعالى : « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع و صلوات »(١) . الآية ، فلو كان له بدل ، لم تلزم هذه المفاسد ، و أيضاً ففي أمره تعالى بطاعة أولي

---

(١) الحج : ٤٠ .

الأمر دليل على عدم البدل ، لعطفه على طاعة الله ورسوله وليس لهما بدل ، ولإجماع الصدر الأوّل على امتناع خلوّ الزمان من خليفة ، فدلّ على عدم البدل .

قالوا : قد يكون في نصبه مفسدة يعلمها الله دوننا فلا ينصبه ويجب نصبه علينا لأنّ وجه الوجوب كاف في حقّنا . قلنا : لو علم الله فيها مفسدة لما أوجبها علينا و لنهانا عن نصب الإمام و طاعته مع أنّ القرب من الطاعة و البعد من المعصية المعلوم حصوله عند الامام ممّا يطابق غرض الحكيم وعكسها ينقضه ، فلو كان ما يطابق غرضه مفسدة خرج عن الحكمة ، و أيضاً فالمفسدة بالإمام لاترجع إلى الحكيم ، لوجوبه و غنائه ، فترجع إلى عبيده و نحن قد بيّنّا أنّ فيه المصلحة العامّة لعبيده ، فيلزم كون المصلحة عين المفسدة و هو محال .

قالوا : مع وجود الإمام ، يخاف العبد فيفعل ويترك ، للخوف لاللوجه ، و ذلك مفسدة قلنا : أمّا المطيع فلطفه تقريبه إليها ، وأمّا العاصي ، فلطفه ترك المعصية و ليس القبيح ترك المعصية لالكونها معصية ، وإنّما القبيح اعتقادتركها ، لالكونها معصية ، ووجه اللّطف حصول الاستعداد بالتكرير الموجب لفعل الطاعة وترك المعصية للوجه على أنّه معارض بنصب النبيّ .

قالوا : الثواب على الطاعة عند فقد الإمام أشدّ من وجوده فهو مفسدة قلنا : وجوده ليس ملجئاً إليها ، فإنّ كثيراً لايعلم الإمام حالهم ، و ما ذكرتم سار أيضاً في النبيّ و في كلّ لطف .

قالوا : جاز أن يكون في بعض الأزمان من يستنكف عن الإمام فهو مفسدة لبعض الأنام . قلنا : ذلك نادر [فيه] غير عامّ بل الأكثر على قبول نصب الإمام مع أنّه معارض بالنبيّ .

قالوا : لطفيّة الإمام ، ليست في أفعال الجوارح ، و الشرعيّات منها الشرع كاف فيها ، على أنّه لايجب الشرع في كلّ زمان فلا يجب اللّطف فيه ، و العقليّات إن فعلت لكونها مصلحة دنيويّة كما في ترك الظلم ، إذفيه قيام النظام فحينئذ لطف الإمام في مصالح الدنيا و هو غير واجب اتّفاقاً و إن فعلت لوجوهها المرادة لله فلا

اطّلاع للإمام على قلوب عباد الله ، فعلم من ذلك أنّ لطفيّته ليست في أفعال القلوب أيضاً ، فانتفت لطفيّته مطلقاً .

قلنا : بل لطفيّته عامّة و الشرع غير كاف في الشرعيّات إذ أكثرها غير كائن في صدر الإسلام و بعد موت النبيّ ولا نسلّم جواز الخلوّ من الشرايع و الأحكام و إلّا ، لاختلّ النظام ، و في ترك الظلم مصلحة دنيويّة و دينيّة ، فانّه من التكاليف السمعيّة والعقليّة وأمّا لطفه في العقليّات ، فانّ الملازمة بوجوده على فعل الشرعيّات يؤثّر استعداداً تامّاً في قصد وقوعها لوجوهها ، لا لغيرها « إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر [1] » .

الفصل الثالث

نذكر فيه شبهة من أوجب نصب الامام على الأمّة عقلاً لا على الله ولا سمعاً و هي خمسة :

١ ـ العقل لا يحكم في التحسين و التقبيح بشيء ، فلا يجب على الله شيء . قلنا : قد بيّنّا حكمه فيهما كيف و صدق الأنبياء عليهم السلام مبنيّ عليهما ، فلا تتمّ شريعة إلّا بهما .

٢ ـ لطفيّة الإمام مربوطة بتمكينه فإذا علم الله عدمه سقط وجوبه . قلنا : لا بل نصبه لطف ، و حال كفّ يده لا يؤمن المكلّف كلّ لحظة من تمكّنه . إن قيل : تصرّفه إن كان شرطا في لطفيّته وجب على الله تمكينه ، و إن لم يكن شرطاً سقطت لطفيّته قلنا تمكينه إنّما هو بخلقه وقبوله وقد فعلاه [2] ونصرة الرعيّة له ولم تفعله وليس تمكينه بخلق الأنصار له ليقهر الرعيّة على اتّباعه ، لمنافاة الإلجاء التكليف ولو جاز أن يقهر الامام الرعيّة على طاعته جاز الإلجاء و القهر في جميع التكاليف و هو محال .

---

(١) العنكبوت : ٤٥ . (٢) كذا .

٣ ـ القول بالعصمة ممتنع و غير المعصوم ليس بلطف . قلنا : لابدّ من عصمة الامام لئلاّ يلزم احتياجه إلى إمام كسائر الأنام وسنبيّن وجودها في الآيات الكرام ، على أنّا نمنع نفي اللّطف عمّن ليس بمعصوم .

٤ ـ لو وجبت عصمة الامام ، لوجبت عصمة نوّابه ، لاحتياج العباد إليهم لتباعد البلاد . قلنا : يكفي في كلّ زمان وجود معصوم .

قالوا : و يستحيل هنا وجود شيئين يقوم كلٌّ منهما مقام الآخر ، دفعة .

قلنا : نوّابه تراجعه [فيها و] فيما يشتبه على أنّه معارض بنوّاب النبيّ صلّى الله عليه وآله .

٥ ـ يمكن تصوّر خلوّ كلّ زمان من التكاليف الشرعيّة ، فيمكن خلوّه من الامام التابع لها في اللّطفيّة . قلنا : إنّا بيّنّا وجوبه على تقدير التكليف على أنّه لايلزم من صحّة تصوّر خلوّ الزمان وقوع ذلك الخلوّ ، بل الواقع عدمه على أنّ دفع الخوف و قيام النظام إنّما يكون بالامام فهذه الشبهة ، ليس لها شبهة ثبوت إذ هي أوهى من بيت العنكبوت .

﴿ الفصل الرابع ﴾

✿ (في ابطال الاختيار) ✿

قالوا : إذا عقد خمس عدول علماً ، أو واحد منهم ، و رضي باقيهم لرجل هو أهل الامامة و لم يكن في الوقت إمام ولاعهد لامام صار المعقود له إماماً ، لأنّ عمر عقد لأبي بكر في السقيفة ، و رضي أبو عبيدة ابن الجرّاح و سالم مولى حذيفة و بشر بن سعيد و اُسيد بن حضير و في الشورى عقد عبد الرحمن لعثمان و رضي عليّ وسعد و طلحة و الزبير و بهذا قال القاضي عبد الجبّار و أكثر المجوّزين للاختيار شرطوا الاجتماع و أجاز الجوينيّ في إرشاده عقدها برجل واحد .

قلنا : لو جاز للأمّة اختيار الامام ، جاز لها اختيار النبيّ ، لاتّحادهما في اللّطف و المصلحة للأنام . ولوجاز ذلك ، جاز لها اختيار الشرايع والأحكام لأنّها فرع على الأنبياء . و إذا جاز اختيار الأصل جاز الفرع بالأولى ، و لأنّ الاختيار

محدث ، فهو بدعة لقوله عليه السلام : « إياكم و محدثات الأمور فإنها بدعة ، و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار (١) » و لأن الله تعالى قال : « و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة (٢) » و قد أسند الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر - إلى أنس قول النبي صلى الله عليه وآله عند هذه الآية : « إن الله تعالى اختارني و أهل بيتي على الخلق فجعلني الرسول و جعل علياً الوصي ، ماكان لهم الخيرة » أي ما جعل[ت] للعباد أن يختاروا . و مثله أسند ابن جبر في نخبه إلى أنس أيضاً ، و قال سبحانه : « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة (٣) » .

إن قالوا ما قضى الله في الإمامة أمراً . قلنا : مر نقلنا نحن وأنتم في ذلك نصوص القرآن و أحاديث النبي .

إن قالوا : في الآية إضمار «لا» بعد أن أي أن لا يكون لهم الخيرة ، كما أضمرت في قوله : « يبين الله لكم أن تضلوا (٤) » . قلنا : الأصل عدم الإضمار على أن الإضلال لما كان قبيحاً لا يصدر منه تعالى ، وجب إضمار لا ، أما منع العباد من الاختيار ، فليس قبيحاً فلا ضرورة إلى إضمار لا ، و قد قيل : يبين الله لكم وجه الضلالة لتجتنبوها ، و حينئذ لا إضمار ، و لأنه إذا قضى الله سبحانه أمراً ، لم يحتج إلى الاختيار ، ولو احتيج إليه ، لزم توقف أمر الله و رسوله عليه و لأن صحة الاختيار إن لم تتوقف على قضاء الله كانت بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، و إن توقفت لزم الدور ، إذ لا يصح الاختيار إلا بقضاء الله ، ولا يكفي قضاء الله إلا بانضمام الاختيار إليه .

و ذكر ابن جرير الطبري أن بني كلاب ، قالوا للنبي : نبايعك على أن

---

(١) مشكاة المصابيح ص ٢٧ ، من حديث جابر .

(٢) القصص : ٦٨ .

(٣) الاحزاب : ٣٦ .

(٤) النساء : ١٧٥ .

يكون الأمر لنا بعدك فقال ﷺ الأمر لله إن شاء كان فيكم ، أو في غيركم . وروى الماوردي في أعلام النبوة أن عامر بن الطفيل ، قال للنبي ﷺ مالي إن أسلمت؟ فقال ﷺ : ما للمسلمين ، قال : ألا تجعلني الوالي بعدك ؟ قال : ليس ذلك لك ولا لقومك .

فدل هذان الحديثان (١) و تانك الآيتان بتفسيرهم على المنع من الاختيار و قد قال سبحانه و تعالى : «تؤتي الملك من تشاء ، و يؤتي الحكمة من يشاء ، والله يزكي من يشاء ، أهم يقسمون رحمة ربك ، نرفع درجات من نشاء(٢)» و في الاختيار تقديم بين يدي الله و رسوله ، فهو دخول في نهي كتابه (٣).

إن قالوا : الاختيار من قضاء الله سبحانه لنفي أفعال العباد ، قلنا : نمنع ذلك و قد بيناه في باب إبطال الإجبار ، على أن نفي الاختيار في الآية مشروط بقضاء الله و رسوله ، ولو انتفى فعل العباد ، لزم العبث في الاشتراط .

إن قالوا : في الآية الجمع بين قضاء الله ورسوله ، وعندنا أن الرسول لم يقض لأنه لم يوص ، فإلينا الاختيار ، لأنه لم يوجد مجموع الشرط . قلنا : ليس هنا قضاءان لأن قضاء الله هو قضاء رسوله لعموم «و ما ينطق عن الهوى (٤)» .

إن قالوا: نمنع الاتحاد ، لأن الله قضى بأشياء ولم يقض بها النبي و الآية دلت على أن قضاء النبي قضاء الله دون العكس . قلنا : بل هما متحدان هنا لأن الإمامة إن قضى بها دون النبي لزمه أن يصل إلى الأمة لا على يد النبي ، وهو محال ولإن سلم كونه غيره ، جاز كون الواو في الآية بمعنى أو ، مثل : «مثنى و ثلاث و رباع (٥)» . و كيف يتم لكم أن للرسول قضاء و قد نفيتم أفعال العباد و قد قال

(١) هذا على أن الحديثين ، خ .
(٢) آل عمران : ٢٦. البقرة :٢٦٩. النساء : ٤٨ . الزخرف :٣٢ . الانعام : ٨٣ .
(٣) حيث يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله . الحجرات:١.
(٤) النجم : ٥ .
(٥) النساء : ٤ .

تعالى لنبيّه : « ليس لك من الأمر شيء[١] » فكيف يكون للرعيّة الجاهلة من الأمر شيء : « قل إنّ الأمر كلّه لله »[٢] و الامامة من أعظم الأمور و أهمّها . فالى الله فعلها لعدم علم الخلق بمحلّها ، ولو جازلهم نصب الامام الّذي هو سبب في الأحكام جازلهم وضع الأحكام الصادرة من الامام لأنّ علّة السبب علّة المسبّب ولو كان لهم وضع الأحكام لم يكن الأمر كلّه لله ، و قد اختار آدم أكل الشجرة فعصى و غوى ، و اختار موسى قومه فجاء على الأفسد اختياره ، و نبيّنا شاور الصحابة في الأسرى فاختاروا الفداء وصوّبه النبيّ فقال الله « ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى[٣] » فاذا كانت سادات الأنبياء مع علوّ قدرهم و الموادّ المتّصلة من الله إليهم وقعت المفسدة في اختيارهم ، فما ظنّك برعيّتهم .

وأيضاً فانّ إمام الأنام من نصبه الامام ، فلو نصبته الرعيّة كانت إماماً للامام ولوصحّ ذلك لزم خرق الاجماع المنعقد على اتّحاد الامام ، ولزم الدور لأنّه يكون ماموراً منهم و آمراً لهم .

إن قلت : لا دور ، لأنّ أمرهم له بأن يقوم فيهم و أمره لهم بما فرض الله عليهم . قلت : قد ذهب جماعة من الأصوليّين ، إلى أنّ الأمر بالأمر أمر ، فيعلم أنّ من أمر الامام بالقيام ، و من جملة قيامه أمر الآمر بالمفروضات ، لزم منه كون الآمر بنصبه آمراً لنفسه ضمناً .

قالوا : يدلّ على جواز الاختيار ، قوله عليه السلام : « إن ولّيتم أبابكر ، وجدتموه قويّاً في دين الله ضعيفاً في بدنه ، و إن ولّيتم عمر ، وجدتموه قويّاً في دين الله قويّاً في بدنه ، و إن ولّيتم عليّاً ، وجدتموه هادياً مهديّاً » . قلنا : إذا سلّمنا صحّة الخبر ، فلايدلّ على صحّة الاختيار ، والقوّة في الدين لاتوجبه مع أنّ غيرهما أقوى

---

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

(٣) الانفال : ٦٧ .

فيه منهما على أنّ ذكره لهداية عليّ توجب اختصاصه، لكماله في نفسه فهو مكمّل لغيره، وإنّما عرّض بذلك لعلمه بنفورهم عن عليّ، لحقدهم وأهويتهم، و لما غزى بسيفه قتل أقاربهم، و إهباط منازلهم.

قال الشاعر:

إنّ الامامة ربّ العرش ينصبها ✡ مثل النبوّة لم تنقص ولم تزد
والله يختار من يرضى ؤ ليس لنا ✡ نحن اختيار كما قد قال فاقتصد

و قال البشنويّ:

أنكرتموا حقّ الوصيّ جهالة ✡ و نصبتموا للأمر غير معلّم
عوّجتم بالجهل غير معوّج ✡ و أقمتم بالغيّ غير مقوّم
صيّرتم بعد الثلاثة رابعاً ✡ من كان خامس خمسة كالأنجم

و قال السوراويّ:

إن رمت تشرب من رحيق الكوثر ✡ فاخلص يقينك في ولاية حيدر
و ابرأ فما عند الوليّ[(١)] إلّا البرا ✡ من شيخ تيم ذي عصابة حبتر
ودع الصهاكيّ الزنيم و نعثلاً ✡ أعني ابن عفّان الغويّ المفتر
هم غيّروا سبل الرشاد و بدّلوا ✡ سنن الهداية بالشنيع المنكر
جحدوا عليّاً حقّه و تقدّموا ✡ ظلماً عليه و لم يكن بمؤخّر
يا من يقدّم حبتراً بضلاله ✡ لم لا تقدّم يوم بدر و خيبر
في أيّ يوم قدّموا لملمّة ✡ فيقدّمون لذاك فوق المنبر
تالله لا أرضى أقايس منهم ✡ ألفاً بشسع نعيلة من قنبر
من يعبد الأصنام ليس بجائز[(٢)] ✡ منه يقايس من له بمكسّر
يا آل طه حبّكم لي جنّة ✡ يوم المعاد من الجحيم المسعر

---

(١) و ابرء فما عقد الولا الاالبرا ✡ من شيخ تيم و من عصابة حبتر. خ.

(٢) بواجب خ ل.

و قال المعرّيّ :

و هي الدنيا تراها أبداً ✿ زمراً واردة إثر زمر
يا أبا السبطين لا تحفل بها(١) ✿ أعتيق سار فيها أم زفر

﴿ الفصل الخامس ﴾

المختار للإمامة إن وجبت عصمته فلا طريق للمختارين إليها ، لا نّها من البواطن ، و حسن الظواهر لا يدلّ عليها ، لما علمنا من النفاق في مواطن . و إن لم تجب ، جاز اختلافهم في أفراد الناس ، بحسب اختلاف الأمارات الداعية إلى التعيين و ربما طال الزمان ليقع الاتّفاق على الأصلح ، بل ربما لا يقع الاتّفاق أبداً ، ولا يخفى ما في ذلك التعطيل من الفساد و إن عمل ببعض ووجب على الآخر اتّباعه لزم الرجوع إلى التقليد ، عن الاجتهاد .

إن قالوا : لاحاجة إلى اتّفاق الكلّ ، بل يكفي الخمسة كما سلف . قلنا : جاز اختلاف الخمسة ، و لهذا أمر عمر بقتل أهل الشورى بعد ثلاثة إذا لم يتّفقوا: على أنّه لا حجّة في الاقتصار على الخمسة دون مافوقها و تحتها ، بل ما فوقها أولى لكون الظنّ باصابته أقوى .

إن قالوا : لم لا يجوز أن يجعل الله الاختيار إلى الأمّة لعلمه أنّها لا تختار إلّا الأصلح . قلنا : من أين علمنا أنّ الله تعالى علم ذلك . لابدّ له من دليل ، فلا يجب علينا اتّباعه حتّى نعلم أنّ الله تعالى علم ذلك .

إن قالوا : جعل الاختيار كاف في دليل ذلك العلم . قلنا : و أين دليل أنّ الله جعل الاختيار ، بل الكتاب و السنّة على نفي الاختيار كما تلوناه من غير إنكار ، و أيضاً من يختار الإمام إمّا أن يكون أفضل منه فكيف يصحّ [منه] أن يجعل المفضول إماماً على نفسه ويحكّمه في أمره ، والإنسان ليس له أن يستخلف على نفسه كما أنّه

---

(١) لا تجهل بها ، خ .

ليس له أن يحكم لنفسه . أو يكون مفضولا ، فكيف يقبل حكمه بالإمامة على من هو أفضل منه و أيضاً فإذا جاز أن يكون الإمام مفضولاً عن غيره في العلم وغيره بدرجة جاز كونه مفضولاً بدرجتين لعدم الأولويّة ، و بثلاث ، و هكذا إلى أن ينتهي إلى جواز أن يستفتي عن رعيّته في وقايع دينه و عبادته وقد لا يجد في ذلك الوقت مسدّداً فيستمرّ تعطيل الحكومات و العبادات دهراً مديداً .

و قد أضاف الله الاختيار إلى نفسه و جعله مقصوراً على الأفضلين في قوله تعالى : « و لقد اخترناهم على علم على العالمين(١) » و ليس اختيار الرسول والإمام خارجاً من هذا المقام ، لأنّه بأمر الملك العلاّم بسرائر الأنام .

و أيضاً فمختار الإمام (٢) لا يملك أمر كلّ الأمّة ، فكيف يملّكه لغيره . و أيضاً جاز لكلّ فرقة من المسلمين أن يختاروا منهم إماماً لكونه يشرفهم ، و إن لم يجز اختلافهم ، فمن يتّفقون عليه يلزم منه بطلان اعتقاد من خالفه ، و في ذلك كلّه [يلزم] تكثير الأئمّة الموجب للفساد ، الموجب لإبطال الاختيار ، و كيف جاز للحكيم مع شدّة رحمته إسناد أمر الإمامة إلى خليقته مع علمه بعدم اتّفاقهم و تنازعهم . و قد أمر الله تعالى بالقتال ، حتّى لا تكون فتنة ، و في تفويض الأمر إليهم إثارة الفتنة .

إن قيل إنّما العبرة بمدينة الرسول ﷺ فمتى عقدوها لشخص وجب اتّباعه على سائر الأنام . قلنا : أهل المدينة ليسوا كلّ الأمّة ، ولا كلّ المؤمنين ، ولا كلّ العلماء . و قول النبيّ : « إنّ المدينة لتنفي خبثها كما تنفي الكير خبث الحديد (٣)» لا ينفعها ذلك لإحداث عثمان ما أحدث فيها وقتله بإجماع أكثرها و اشتهار الغلول وأنواع الفسوق منها ، وإن أريد جميع أهلها بحيث يدخل المعصوم فيها ، كان الاعتماد على قوله لا عليهم ، و إذا لم ينحصر محلّ الاختيار في مصر من الأمصار مع تباعد أهل

(١) الدخان : ٣٢ .

(٢) يعنى الذى يختار الامام .

(٣) مشكاة المصابيح ص ٢٣٩ و الحديث متفق عليه .

الاختيار في الأطراف و الأقطار ، أمكن بل وجب بحسب العادات ، نصب كلّ قوم إماماً غير الآخر لعدم العلم بفعل الآخر .

و ما أصدق ما قيل :

تخالف الناس حتّى لا وفاق لهم ✿ إلّا على شجب والخلق في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ✿ و قال بعضهم تشركه في العطب

إن قيل: فالنصّ حصل منه الاختلاف الموجب للفساد . قلنا : الاختلاف بعدمه أشيع فالنصّ عليه أنفع ، لعموم الضلال بعدمه و اهتدى قوم بقدمه ، ولا يلزم من مخالفة بعض بطلان نصّ ، فإنّ ترك العمل بالواجب لا يبطل الواجب .

قال أبو الحسين : لم لا يكون تفويض الاختيار إلى الأمّة تغليظاً للمحنة و تعريضاً لزيادة المثوبة ، و قد كان عدم إنزال المتشابهات أقرب إلى ترك الهرج و الفساد في الاعتقادات ، فلم يفعل لأجل تشديد التكليفات . قلنا : ذلك معارض بنصّ الله على أنبيائه ، فإنّ مخالفة الكفّار فيهم ، لا يمنع من إرسالهم .

﴿ الفصل السادس ﴾

الأمّة بعد النبيّ إمّا أن تحتاج إلى الإمام ، فيجب في حكمة الله نصبه ، وقد فعل كما وجب فيها نصب النبيّ ، أولا تحتاج فالاختيار عبث وتصرّف بغير أمر مالك الأمر و أيضاً فالإمامة إن لم تكن من الدين ، فليس لأحد أن يُدخل في الدين ما ليس منه ، و إن كانت منه ، فإن كان الله سكت عنها ، كان مخلّاً بالواجب ، و هو قبيح و نقص ، و إن فعلها بطل الاختيار ، و قد فعلها يوم نصب النبيّ عليّاً علماً فأنزل سبحانه : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي [1] » فإن بقي بعد ذلك شيء من الدين ، كان الله تعالى كاذباً ، تعالى الله عن ذلك ، و إن لم يبق لزم المطلوب .

---

(١) المائدة : : ٦ .

و أيضاً ، فالمختار المحبوب قد يكون شريراً و المعزول المكروه قد يكون خيّراً لعدم اطّلاع الأمّة على البواطن . قال الله تعالى : « و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم ، و عسى أن تحبّوا شيئاً و هو شرّ لكم والله يعلم و أنتم لا تعلمون » « إن يتّبعون إلّا الظنّ و إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً (١) » على أنّ الأمّة اجتمعت على قول أبي بكر على المنبر : « ولّيتكم و لست بخيركم فإن استقمت فاتّبعوني و إن اعوججت فقوّموني » . وروى الطبرسيّ في احتجاجه قوله : «إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسدّدوني » و من احتاج إلى الرعيّة فهو إلى الإمام أحوج ، و انعقد الإجماع على أنّ الإمام لا يحتاج إلى إمام آخر ، و إلّا لزم الدور أو التسلسل .

قالوا : إنّما قال ذلك لأجل المشورة ، وقد قال الله تعالى لنبيّه : « وشاورهم في الأمر (٢) » قلنا : مشورة النبيّ ، لم تكن لأجل احتياجه إلى رعيّته ، لأنّه كامل ، و بالوحي مؤيّد وإنّما المراد بها استمالة قلوبهم ، ولهذا قال تعالى: « فإذا عزمت فتوكّل على الله » ولم يقل فإذا أشاروا فافعل ، و لأنّ في المشورة إظهار نفاق المنافقين لأجل التحرّز منهم كما قال تعالى : « و لتعرفنّهم في لحن القول(٣)» . و قد قال تعالى « يحلفون بالله إنّهم لمنكم و ماهم منكم (٤) » و نحوها كثير .

وأيضاًفقوله : لست بخيركم . إن كان صدقاً ، فالخير أولى منه ، وإن كان كذباً لم تصلح الامامة لكاذب لعدم الوثوق به .

إن قالوا : قال ذلك تخشّعاً و كراهةً لمدح نفسه . قلنا : النبيّ أولى منه بذلك ، و لم يقل : أُرسلت إليكم و لست بخيركم ، بل قال أنا سيّد ولد آدم .

إن قيل : فعليّ عليه السلام في نهج البلاغة تمنّع بعد قتل عثمان من الإمامة لمّا أتوا إليه فيها ، و ذلك مثل قول أبي بكر : أقيلوني . قلنا : تمنّعه لعلمه بعدم

(١) البقرة : ٢١٦ . و النجم : ٢٨ .
(٢) آل عمران : ١٥٩ .
(٣) القتال : ٣٠ .
(٤) براءة : ٥٧ .

استقامتهم للّوعة (١) الّتي في صدور أكثرهم ، و قد علمت ما حدث من الرعيّة و قتالهم ، بخلاف أبي بكر ، فإنّه لعدم قتله فيهم ، أقبلوا عليه بقلوبهم ، وطمعوا منه في الرخص لميل طبائعهم ، و علمهم أنّ عليّاً عليه السلام يحملهم على الجادّة الوعرة ، و لأنّ المسؤول عن أمر إذا تمنّع منه [كان] مجرياً لسائله على تكرير سؤاله ، و ما أحقّ ما قيل من الأشعار في بطلان الاختيار :

إذا كان لا يعرف الفاضلين ✿ إلاّ شبيههم في الفضيلة
فمن أين للأمّة الاختيار ✿ لولا عقولهم المستحيلة
فإن كان إجماعهم حجّة ✿ فلم ناقض الشيخ فيها دليله
و عاد إلى النصّ يوصي به ✿ و من قبلُ خالف فيه رسوله
و قام الخليفة من بعده ✿ يسنّ الضلال و يهدي سبيله
و يزعم بيعته فلتةً ✿ و يصدق لا صدّق الله قيله
و يجعلها بعد في ستّة ✿ معلّقة بشروط طويلة
و ما كان أعرفه بالإمام ✿ ولكنّ تضليله عنه حيله

تذنيب :

إن قالوا : قد يعلم الفاضل من ليس بفاضل ، فإنّ المرجوح يعلم فضل أبي حنيفة في الفقه ، و سيبويه في النحو ، على نفسه . قلنا : أمّا على نفسه فنعم و أمّا أنّه يعلم أفضليّته على غيره ، فلا .

﴿ الفصل السابع ﴾

نصب القاضي لا يصحّ بالاختيار اتّفاقاً وأولى أن لا تصحّ الامامة العظمى به التزاماً ، ولو جازت الإمامة بالبيعة ، جازت القضاء بالأولى ، و لأنّ الإمام ، خليفة الله و خليفة رسوله ، فكيف لم يثبت إلاّ ببيعة الخلق له و يترك النصّ له و أيضاً لا يجوز الاختيار قبل النظر في الكتاب الّذي هو« تبياناً لكلّ شيء (٢)» فينزعونه منه .

(١) للوغر خ ، و اللوعة حرقة الحزن و الهوى و الوغر الحقد و الضغن .
(٢) النحل : ٩ .

و لمّا وجدنا الأمّة، اختلفت على قولين مختلفين مشهورين: فقالت فرقة: الإمام عليّ بنصّ النبيّ وقالت الأخرى: الإمام أبو بكر باختيار الأمّة. و اجتمعت الفرقتان على عدم جواز إهمال الخليفة من الخليقة. قلنا: فهل لله خيرة اصطفاها على خلقه، قالتا نعم، لقوله تعالى: «و ربّك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة [1]». قلنا: فمن خيرته فأجمعتا على المتّقين، لآية: «إنّ أكرمكم عندالله أتقيكم [2]». قلنا: فهل له من المتّقين خيرة فأجمعتا على المجاهدين لآية: «و فضّل الله المجاهدين» [3] قلنا: فهل من المجاهدين خيرة؟ فأجمعتا على السابقين لآية: «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح [4]». قلنا: فهل له خيرة من السابقين فأجمعتا على أكثرهم نكاية في أعداء دين الله، لآية: «من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره [5]» قلنا: فمن كان أكثر جهاداً، أبو بكر، أم عليّ، فأجمعتا على عليّ. قلنا: فقدعلمنا من الكتاب و الإجماع أنّ عليّاً أفضل، فهو أحقّ، فتفضيل أبو بكر بعد ذلك من المحال، لأنّه من أحكام الخيال، لأنّ العقل و التخييل يتّفقان على مقدّمات الدليل، فلمّا تظهر النتيجة ينكص الخيال عنها و يستقرّ العقل عليها.

و هنا اتّفق الفريقان على المقدّمات فلمّا وصلا إلى تفضيل عليّ، رجع المبطلون إلى خيالهم الموجب لضلالهم و استمرّ المحقّون على قضاء عقولهم المخلص من وبالهم.

و أيضاً قلنا للفريقين: من المتّقون؟ فأجمعا على أنّهم الخاشعون قلنا: فمن الخاشعون؟ فأجمعا على أنّهم العالمون لآية «إنّما يخشى الله من عباده العلماء [6]» قلنا فمن العالمون؟ فأجمعا على من كان أحكم بالعدل لآية «يحكم به ذوا عدل [7]» قلنا فمن أحكم بالعدل، فأجمعا على أنّه الأهدى إلى الحقّ لآية «أفمن يهدي

---

(١) القصص: ٦٨.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) النساء: ٩٤.
(٤) الحديد: ١٠.
(٥) الزلزال: ٧.
(٦) فاطر: ٢٨.
(٧) المائدة: ٩٨.

إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع (١) » قلنا : فعليٌّ هو أحقّ أن يتّبع لأنّه أهدى إلى الحقّ لقول النبيِّ : « أقضاكم عليٌّ » و لرجوع المشايخ عند الخطاء و الإشكال إلى أحكام عليّ فهو أعلم فهو أخشى فهو أتقى ، فإذا دلّ الكتاب الّذي جعله الله تبياناً لكلّ شيء ، عليه ، حرّم العدول عنه إلى غيره وتحتّم المصير إليه .

و أيضاً فالّذين كانت الصحابة تأخذ عنهم أبواب شرايعهم خمسة : عليٌّ و ابن عبّاس وعمر وابن مسعود و زيد بن ثابت . قلنا : فإذا اجتمعوا فمن يؤمّهم ، فأجمعوا على أقرئهم لقول النبيِّ ﷺ : « يؤمّكم أقرأكم » قلنا : فمن هو ؟ فأجمعوا على أنّ الأربعة كانوا أقرأ للكتاب من عمر . قلنا : فهم أولى بالتقدّم من عمر .

قلنا : فأيّ الأربعة أولى ، فأجمعوا على القرشيِّ ، لقوله ﷺ « الأئمّة من قريش» . قلنا : فعليٌّ من قريش و ابن عبّاس و ليس الآخران من قريش .

قلنا : فمن أولاهما ، فأجمعوا على الأكبر سنّاً والأقدم هجرة للحديث في ذلك .

قلنا : أفمن هو ؟ فأجمعوا على عليّ . قلنا : فسقط الأربعة ، و في هذا كفاية لانفراد عليّ بالولاية إذ لا يعدل عن الكتاب و السنّة وإجماع الأمّة إلاّ من عاند الله و رسوله أو كان قاصر الهمّة .

تنبيه : الثلاثة ظالمون ، لأنّهم كانوا كافرين ، فلا يصحّ اختيارهم لإمامة المسلمين بدليل « لا ينال عهدي الظالمين (٢) » قالوا : الإسلام اللاّحق محى أحكام الكفر السابق . قلنا : التنفير الواجب سلبه عن الإمام حاصل فيهم بعد الإسلام ، و لهذا قال عليٌّ عليه السلام في نهج بلاغته مع طهارته وعصمته : لو كان الاختيار إلى الناس لاختار كلّ واحد منهم نفسه ولو كان الاختيار لإبراهيم عليه السلام لجعلها في الظالمين ، حتّى منعه الله ذلك فقال : « لا ينال عهدي الظالمين » و كلّ من عبد وثناً أو جبتاً أو طاغوتاً أو يغوث أو يعوق أو نسراً أو شمساً أو قمراً أو حجراً أو شجراً أو قد انهزم في جهاد من سبيل الله ، أو كذب أو همز أو لمز أو ظلم فلا إمامة له ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى

(١) يونس : ٣٥ .
(٢) البقرة : ١٢٤ .

الكتاب ، فلا تكن في مرية من لقائه ، و جعلناه هدىً لبني إسرائيل ، و جعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا [1] » فالله جعلهم أئمّة ؟ أم هم جعلوا أنفسهم ؟ أم الناس جعلوهم ؟ .

تذنيب : إن قيل : لا يلزم من منع اختيار نفسه منع اختياره لغيره ، كما في وليّ المرءة فانّ له اختيار غيره لها دون اختيار نفسه لها . قلنا : المرءة لنقصها احتاجت إلى الوليّ في الكفؤ لها لضعفها ، بخلاف أهل الحلّ و العقد لكمالهم ، و لأنّ وليّ المرءة الاختياريّ له أن يزوّجها من نفسه ، إذا لم يكن محرماً لها .

تكميل : أسند الشيخ أبو جعفر القمي ، إلى الرضا عليه السلام ، هل يعرفون قدر الإمامة ؟ الامامة أجلّ قدراً و أعظم شأناً و أعلى مكاناً و أوسع جانباً و أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ، إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم بعد النبوّة و الخلّة ، و جعلت له مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها و شاد بها ذكره ، فقال : « إنّي جاعلك للنّاس إماماً [2] » . فقال الخليل سروراً بها : ومن ذرّيّتي ؟ قال : « لاينال عهدي الظالمين » فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، و صارت في الصّفوة .

ثمّ أكرمه الله بأن جعلها في ذرّيّته و أهل الصّفوة و الطهارة فقال : « ووهبنا له إسحق و يعقوب نافلةً و كلاًّ جعلنا صالحين و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين [3] » فدلّ صريحاً كلام هذين الإمامين على عدم صلاح الإمامة لأهل الكفر و المين .

(١) الم السجدة : ٢٣ و ٢٤ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) الانبياء : ٧٣ .

﴿ الفصل الثامن ﴾

لمّا قلنا : لو جاز للأمّة اختيار الإمام جاز لها اختيار النبيّ ﷺ قالوا : الفرق بينهما أنّ النبيّ تتلقّى منه مصالح الشرع ، فلابدّ في ثبوت نبوّته من طريق يؤمن من الخطاء و التبديل فيه و الإمام كالقضاة و الأمراء في الأقطار ، فجاز ثباته بالاختيار . قلنا : و الإمام يراد مع ذلك لصيانة الشرع عن التبديل لعصمته و يجب الانقياد إلى طاعته ، فلابدّ من طريق يوثق به لتثبت إمامته .

إن قيل : لم لا يكون ظنّ الصلاح كافياً كما في قبول الشهادات و غيرها من الفروع الشرعيّات ؟ قلنا : قد نهى الله عن اتّباع الظنّ في مواضع العلم ، و مسئلة الإمامة علميّة و يعمّ بها بلوى الرعيّة والعامّ إذا خصّ بدليل لا يخرج عن دلالته في أصله و هنا أبحاث :

✿ (البحث الاول) ✿

لو جاز نصب الإمام بالاختيار ، جاز عزله بالاختيار ، والتالي باطل فالمقدّم مثله .

إن قيل : لم لا يجوز التولية دون العزل ، كوليّ المرءة يملك تزويجها ولا يملك فسخ نكاحها ؟ . قلنا : خصّ الله تعالى إزالة النكاح بالزّوج ، وتخصيص الأمّة بالاختيار يستلزم تخصيصها بالعزل .

إن قالوا : جاز أن يجعل العزل لنفسه دونها .

قلنا : إنّ الله تعالى لم ينصب من يجوز منه سبب وقوع العزل ، فلا تقع من الله لمن ولّاه .

✿ (البحث الثاني) ✿

لمّا قلنا : ليس للإنسان أن يستخلف على نفسه ، كما ليس له أن يحكم لنفسه قالوا : إذا اجتهد الإنسان في الحادثة و عمل بها لم يكن حاكماً لنفسه ، بل لله و لرسوله بشرط اجتهاده فكذلك الأمر في اختياره إماماً لنفسه . قلنا : حكم الله في

الحادثة قد أمر الله المكلّف بإجابته بواسطة نظره في أدلّته ، ولم يجعل حكم الحادثة منوطاً باختياره و أنتم جعلتم النصب و العزل منوطاً باختياره فافترقا .

✿ (البحث الثالث) ✿

لو وجب على الرعيّة نصب الإمام ، فإن جاز إخلالها به لزم الفساد ، و إن لم يجز ، فإمّا لأمر صدّها عن الإخلال به فيلزم التسلسل في وجه حصول ذلك الأمر . أولا لأمر ، فترجيح بغير مرجّح . أمّا على رأينا ، فاذا أخلّت به لم يخلّ الواجب تعالى به ، لأنّه لطف واجب ، والله تعالى لايخلّ بالواجب فاندفع التسلسل .

✿ (البحث الرابع) ✿

البلاد المتباعدة ، إن لزم الرعيّة نصب الإمام لبعضها ترجيح بلا مرجّح وطلب كلّ بلد كون الإمام منهم فيقع الهرج ، و إن لزم أهل كلّ بلد نصب إمام وقعت المنازعة بسبب تكثير الأئمّة حيث يطلب كلّ واحد الرياسة العامّة .

✿ (البحث الخامس) ✿

الخطاب في قوله تعالى « السارق و السارقة ، فاقطعوا » « الزانية و الزاني فاجلدو [(١)] » أوغيرهما ، لايتعلّق بالأمّة بالإجماع على أنّ الحدود ليست لغير الإمام أو نايبه كما نقله الخوارزمي فيتعلّق بالأئمّة فنصبهم من الله لتوجّه الخطاب إليهم فلو كان من الرعية لتوقّف الخطاب عليهم .

إن قيل : الأمر بالحدّ مطلق و هو يقتضي وجوب مقدّماته الّتي منها نصب الإمام ، فيجب على الرعيّة لتوقّف الواجب عليه قلنا : الآيات دلّت بذاتها على الحدّ ، فلا يحمل على نصب الإمام الموصل إلى قيام الحدّ ، لأنّه إضمار ، والأصل نفيه و أيضاً فانه لا يصحّ أن يجب قيام الحدّ على الإمام و تجب مقدّمته وهي نصب الإمام على الرعيّة إذ لايكون الشيء واجباً على شخص ومقدّمته على آخر واستدلّ البصري بـ« اقطعوا» و « اجلدوا » على وجوب نصب الإمام ، على الرعيّة لتناول الأمر للمباشرة و التسبيب و المباشرة لكلّ فرد من الرعيّة غير ممكنة ، ولو أمكنت

---

(١) المائدة : ٤١ . النور : ٢ .

فليس لها الاستيفاء بالإجماع ، فتعيّن التسبيب و هو نصب الإمام و تكون النسبة إلى الرعيّة صادقة كما يصدق في قولنا قطع الإمام السارق و الحدّاد هوالمباشر .

قلنا : يفهم عرفاً أنّ الإمام قاطع إذا أمر ولا يفهم أنّ الرعيّة قطعت إذا نصبت إماماً فأمر بالقطع و أيضاً فانّ تسمية السبب قاطعاً مجاز و كلّما بعد بعد الحمل عليه لأنّ السبب البعيد لا يكاد أن يكون إلاّ من الأسباب الاتّفاقيّة ولا شكّ أنّ سببيّة الرعيّة أبعد من سببيّة الإمام ، لتوسّط الإمام بين الرعيّة والحدّاد عندهم .

✿(البحث السادس)✿

بدأ الله بالخليفة قبل الخليقة بقوله : « إنّي جاعل في الأرض خليفة [1] » و الحكيم يبدأ بالأهمّ ، فالخليفة أهمّ من الخليقة ، فلابدّ من كونه أكمل وأشرف في قوّتيه العلميّة و العمليّة ، و ليس كذلك إلّا المعصوم ، فيجب . و هذا يبطل الاختيار لأنّه إنّما سمّي خليفة لأنّه يحكم ، فهو خليفة الله و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و السدّي ، وشاهده : « يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ [2] » .

﴿ الفصل التاسع ﴾

و فيه أبحاث :

١ ـ قالوا : لو كان المحال يدخل في الاختيار لما صحّت إمامة الثلاثة بالاختيار فلمّا صحّت في هذه الأحوال خرج الاختيار إلى حدّ الجايز من حدّ المحال .

قلنا : و متى سلّمنا أنّ الإمامة الّتي من الله هي الّتي حصلت للثلاثة و نحن لم نحل بالاختيار وجود الرياسة مطلقاً ، فإنّ رياسة الظلمة ربّما وقعت به ، إنّما أحلنا به

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) ص : ٢٦ .

وجود الرياسة الدينيّة .

قالوا : فاختارت الأُمّة عليّاً و الحسن و صحّ . قلنا : إمامتهما حاصلة من الله و رسوله و إنّما احتاجا إلى الاختيار لتلزم الحجّة به من يراه من الشاكّين على أنّا نقول دعوى مسيلمة و طليحة و الحلاّج و معاوية و يزيد و بني مروان و غيرهم وقعت فخرجت عن حدّ المحال ، فصحّت ولم يذهب إليه رشيد .

إن قالوا : فمن سلّم كونهم أنبياء في الحقيقة و أئمّة على الطريقة . قلنا : و من سلّم أنّ الثلاثة كانوا أئمّة في الحقيقة .

٢ ـ قال الأصمّ و هو أحد رؤساء الناصبيّة : لا شكّ أنّ في زمان الثلاثة قد كان من يعتقد إمامتهم على حال ، و إن كان هناك من يعتقد إمامة عليّ و بعد الثلاثة وقع الاختلاف في إمامته فقيل : هو إمام في ذلك الوقت وقيل : لا إمام في ذلك الوقت فالاجماع الحاصل في أيّام الثلاثة دليل إمامتهم ، لأنّه إن كان واقعاً عليهم ، فهو قولنا و إن كان على عليّ فهو محال . لأنّه هو الّذي اختلف فيه في الماضي و في وقته ، و محال كون المختلف فيه هو المتّفق عليه .

قلنا له : ذلك مغالطة ، لأنّ المؤمنين قائلون بإمامته في الأحوال كلّها ، فلا يتحقّق الاجماع المدّعى على عدمها و هل يصحّ من عاقل علم الاختلاف بالضرورة دعوى الاجماع ، و ما كنت أظنّ أنّ هذا يذهب على الأصمّ (١) مع رياسته في قومه حتّى أبان الله تعالى عن جهله و ضلاله .

على أنّا نقول له : اجتمعت الأُمّة في حياة النبيّ على الصلاة و الزكاة وغيرهما من العبادات ، ثمّ اختلف فيها ، فعلى ما أصّل من كون المتّفق عليه غير المختلف فيه يلزم أن تكون عبادات اليوم غير الّتي كانت في عهد النبيّ ﷺ . لأنّ المتّفق عليه غير المختلف فيه على ما قال .

٣ ـ إنّا نقلب الاستدلال على الأصمّ ، فنقول : أجمعت الأُمّة في هذا الزمان على أنّه قد كان إماماً موجوداً لامحالة في أيّام الثلاثة والجماعة المتّفقة مختلفة الآن

(١) ذهب عليه كذا : أى نسيه و خفى عليه .

فالشّيعة تأبى إمامة الثلاثة و تقول بإمامة عليّ دونها ، فلم لايكون الإمام في عصر الثلاثة غيرهم و أنّه لا إمامة دينيّة لهم ، إذ لا يصحّ عنده أن يكون المتّفق عليه هو المختلف فيه وفي ذلك أنّ الإجماع إنّما حصل على إمامة غيرهم ، وفيه بطلان إمامتهم لوجوب اتّحاد الإمام المعلوم ذلك من دين النبيّ ﷺ .

فإن قيل : هذا يلزمكم في إمامة عليّ لاختلاف الاُمّة فيه كما اختلفت في الثلاثة . قلنا : لا ، فإنّ إمامة عليّ تثبت بغير ذلك و إنّما أردنا إسقاط كلامك على ما أصّلت و اعتمدت فلا يلزمنا ما ألزمناك على أنّه يلزمك إبطال إمامة عليّ أيضاً كما لزمك إبطال إمامة الثلاثة ، بدلالة الاختلاف في أعيانهم بعد الاجتماع في الجملة على وجوب إمام ، فيجب التزامك أنّ الاجماع إنّما حصل في إمامة من لم يقع الاختلاف في إمامته ، فيخرج من هذا الكلام ، أنّ المتّفق على إمامته غير معروف بعينه .

٤ ــ نقول للأصمّ لو اجتمعت أنت ومجبّر في بيت لاثالث لكما ، فإنّ الاُمّة تجتمع على أنّ في البيت ضالّ . فيقال لو خرجت أنت و ترك المجبّر وقع اختلاف الاُمّة فتقول المجبّرة ليس في البيت أحد من أهل الضلال ، وتقول المعدّلة بل الضلال باق ، فالإجماع كان موجوداً قبل خروجك ، معدوماً بعده ، فيلزمك أن تكون من أهل الضلال لأنّ الإجماع أوّلاً كان إمّا على ضلالك أو ضلال المجبّر ، ولو كان إنّما هو على ضلال المجبّر ، لكان المجمع عليه هو المختلف فيه ، و ذلك عندك محال ، و إن كان الإجماع إنّما هو على ضلالك فهو ما ألزمناك به ، وإن كان ذلك لا يوجب عليك الضلال ، فما ذكرته من إمامة القوم واضح الاضمحلال .

إن قال : إنّي أقدر على خروج المجبّر قبلي ، فيقع الاختلاف فيّ و يحصل الضلال بالإجماع على خصمي . قلنا : أفلا تعلم في هذا أنّ دليلك السابق في الاُمّة فاسد لا يجوز الاعتماد عليه ، لأنّه يشهد بصحّة شيء تارة وبفساده اُخرى . فإنّه لو لم يدلّ على ضلاله لو خرج قبل المجبّر لم يدلّ على ضلال المجبّر لو خرج قبله .

تذنيب : روي أنّ الأوّل كتب إلى مسيلمة الكذّاب يوبّخه على فعله ، فأجابه:

اجتمع الناس عليّ ، كما اجتمعوا عليك ، و اختاروني كما اختاروك ، فأجبت كما أجبت ، فاخلع نفسك بالعراق أخلع نفسي بالحجاز .

تكميل : دخل رجل شاميّ على الصادق عليه السلام ، محاجاً ، فقال عليه السلام لهشام بن الحكم: كلّمه ، فقال : يا شاميّ ربّك أنظر لخلقه أم خلقه أنظر لأنفسهم؟ قال : بل هو أنظر لهم قال فما نظره لهم ؟ قال : أقام لهم الحجّة و أراح عنهم العلّة قال : فما الحجّة ؟ قال : الرسول صلى الله عليه وآله . قال : فبعده ؟ قال: كتابه و سنّته قال : فأزالا عنّا الاختلاف اليوم ؟ قال : لا . قال الشاميّ : و إلّا فمن ؟ قال هذا الجالس - يعني الصادق عليه السلام - الّذي يخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أبيه وجدّه . قال : فكيف أعلم ذلك ؟ قال : سله ، فابتدأه الإمام عليه السلام و أخبره بيوم خروجه من الشام و ما حدث له في طريقه فصدّقه فأقرّ بوصيّته .

﴿ الفصل العاشر ﴾

قالوا : لو نصّ على عليّ ، لما اختلف فيه ، كما لم يختلف في النصّ على القبلة . قلنا : ولو لا نصّه لما اختلف فيه كما لا يختلف في عدم النصّ على سلمان .

قالوا : من لم ينصّ النبيّ عليه ضربان : ضرب اختلف فيه كعليّ ، و ضرب أُجمع فيه كسلمان . قلنا : بل من نصّ عليه ضربان : ضرب أُجمع فيه كالقبلة ، وضرب اختلف فيه كعليّ .

قالوا : لا يصحّ النصّ عليه إلّا بالإجماع و اتّفاق أهل المذاهب . قلنا : فلا تصحّ النبوّة إلّا باتّفاق أهل المذاهب .

قالوا : ثبتت بالمعجزات ، فتأوّلها(١) الناس بالسحر . قلنا : و الإمامة ثبتت بالنصّ ، فتأوّلوها (٢) بالقرابة .

---

(١) فتناولها ، خ .

(٢) فتناولوها ، خ .

قالوا : لو نصّ عليه بالأمر لقام به . قلنا : ولو نصّ موسى على هارون لقام به .

قالوا : لو نصّ عليه مع علمه بالعجز عنه سفه . قلنا :[ولو] نصّ الله على أنبيائه مع علمه بعجزهم سفه .

قالوا : لو نصّ الأمر فيه لقاتل عليه . قلنا : ولو نصّ الله على سجود إبليس لآدم لقاتله عليه .

قالوا : ترك النصّ لعلمه بعصيان الأمّة لئلاّ ترتدّ . قلنا : فالله أشفق منه ، و قد أرسل أنبياء مع علمه قطعاً بعصيان الخلق لها .

قالوا : ارتدّت الأمّة بمخالفة الإمام ، فلو كان منصوصاً عليه ، وجب أن يجاهدها و إلّا ارتدّ معها . قلنا : سكت هارون عن جهاد المرتدّين فيلزم ارتداده .

قالوا : أقرّ عليّ لأبي بكر بالخلافة . قلنا : أقرّ يوسف لاخوته بالعبوديّة .

قالوا : في النصّ محاباة وهي مستحيلة على الرسول لتضمّنها الغشّ لغيره . قلنا : حابا يعقوب ليوسف و حابا الله لأنبيائه .

قالوا : إطاعة عليّ لأبي بكر دليل على عدم النصّ ، إذ لا يطيع الظالم إلّا ظالم . قلنا : أطاع دانيال ، بخت نصّر . و يوسف ، العزيز : وموسى ، فرعون . ولا يطيع الكافر إلّا كافر .

قال : زوّج عمر ابنته ولا يزوّج الظالم إلّا ظالم . قلنا : عرض لوط بناته على المفسدين . و زوّج النبيّ ابنته من العاص ، ولا يزوّج الكافر إلّا كافر .

قالوا : أخذ عطاء أبي بكر ولا يأخذ عطاء الظالم إلّا ظالم . قلنا : أخذ دانيال عطاء بخت نصّر ولا يأخذ عطاء الكافر إلّا كافر .

قالوا : لم يبايع عليّ ثمّ بايع فأحدهما خطأ . قلنا : لم يدّعي النبوّة نبيّنا ﷺ ثمّ ادّعى ولم يقاتل ثمّ قاتل ، فأحدهما خطأ .

قالوا : لو جاز كتمان النصّ على بعض الأمّة جاز على كلّها ، و لمّا لم يجز على كلّها ، لم يجز على بعضها . قلنا : لو جازت بغضة عليّ على بعض الأمّة ، جازت على كلّها ولمّا لم تجز على كلّها ، لم تجز على بعضها ، فلم تبغضه الخوارج والنواصب ؟

قالوا : إمامته لم تثبت إلاّ بالمقرّين بهاوهم خصم . قلنا : فالنبوّة لم تثبت إلّا بالمقرّين بهاوهم خصم .

قالوا : فالصحابة نُصّار الدين ، فكيف يكتمون النصّ مع كمالهم و شهادة النبيّ فيهم قلنا : فقد فرّوا من الزحف و باؤا بغضب من الرحمن ، كما نطق به القرآن ، و انهزم عثمان بأُحد ثلاثة أيّام .

قالوا : امتنع جماعة مع عليّ عن البيعة فلا معنى لعجزهم عن أهل[1] البيعة . قلنا : سجدت الملائكة و امتنع إبليس ولا معنى لعجزهم عن إلزامه بالسّجود .

قالوا : ترْكُ عليّ النكير و الوعظ و انتهازحقّه دليل عدم حقّه . قلنا : ترك آدم الوعظ و نحوه دليل عدم حقّه في سجود إبليس .

قالوا : عندكم أنّ النبيّ عرّفه أنّه يبقى بعد الثلاثة ، فلا معنى للتقيّة مع الأمن في ترك القتال . قلنا : و قد أعلم الله نبيّه أنّه يبقى ويبلّغ رسالته ، فلامعنى له مع الأمن لترك القتال .

قالوا : أيجوز أن نجمع على إنكار فرض حتّى يلزمنا الكفر ؟ قلنا : أيجوز أن نجمع على اختراع فرض حتّى يلزمنا الكفر .

قالوا : أيجوز أن نجمع على إنكار فرض مع تباعد أوطاننا ؟قلنا : أيجوز أن نجمع على اختراع فرض مع تباعد أوطاننا ؟

قالوا : من أين ألزمتمونا صحّة ما تفرّدتم به دوننا ؟ قلنا : و من أين ألزمتم اليهود بصحّة ماتفرّدتم به دونهم ؟

قالوا : أيلزمنا أن ندين بما لا نعرف ولا نقله إلينا أسلافنا لدعواكم أنّكم عرفتموه . قلنا: أيلزمنا ترك التديّن بماعرفناه ، ونقله إلينا أسلافنا لأنّكم لم تعرفوه .

قالوا : إن أثبتتم إمامة عليّ بقولكم فلاحجّة فيه علينا لكم ، ولا سبيل إلى إثباتها بقولنا و قولكم . قلنا : إن أثبتتم نبوّة محمّد بقولكم فلا حجّة على اليهود لكم ولا سبيل إلى إثباتها بقولهم و قولكم .

(١) أخذ البيعة . ظ .

قالوا : إن عرفتم إمامة عليّ بنقل بعضكم ، فعرّفونا كم العدد المفيد للعلم و إن عرفتم بنقل جميعكم فلا تثبت إمامته حتّى نلقى جميعكم . قلنا : إن عرفتم نبوّة محمّد ﷺ ببعضكم فعرّفونا كم العدد المفيد للعلم ؟ و إن عرفتم بنقل جميعكم ، لم تثبت نبوّته حتّى نلقى الجميع .

قالوا : رجعتم في معرفة نصّه إلى مثبتيه ولو رجعتم إلى منكريه ، لعرفتم عدمه . قلنا : رجعتم في معرفة النبيّ إلى مثبتيه ، ولو رجعتم إلى منكريه لعرفتم عدمه .

قالوا : حكّم عليّ أبا موسى في دين الله و قد خفي عليه حقيقة أمره . قلنا : حكّم النبيّ سعداً في بني قريضة ، فقد خفي عليه حقيقة أمره .

قالوا : حكّم النبيّ سعداً و رضي به و بحكمه و حكّم عليّ أبا موسى الأشعريّ ولم يرض بحكمه . قلنا: وحكّم النبيّ المشايخ في دعوى الأعرابيّ بثمن الناقة ولم يرض بحكمهم .

قالوا : إذا كان الإمام عندكم يعلم كلّ علم رسول الله ، إن جاز له أن يدعو : « اللّهمّ زدني علماً » فقد طلب الأفضليّة و الزيادة على الرسول ، و إن لم يجز له حرّمتم عليه الدعاء بزيادة العلم . قلنا : إذا جاز أن يعلم الأُمّة كلّ علم الرسول إن جاز للأُمّة الدعاء جوّزتم طلبها الأفضليّة على الرسول ، و إن لم يجز حرّمتم عليها الدعاء بزيادة العلم .

قالوا : إذا جاز أن يكلنا الله إلى أنفسنا في معرفة العدول جاز في معرفة الإمام . قلنا : فيجوز على هذا ، أن يكلنا إلى معرفة الحدود و الرسول عليه السلام .

قالوا : و لم لا يكون الله جعل للخاصّة أن تولّي على العامّة إماماً ؟ قلنا : ولم لا يكون الله جعل للخاصّة أن تولّي على العامّة نبيّاً ؟

قالوا : ما أنكرتم أن يسمّى المنصوب من الناس خليفة الرسول ، فإنّ الله تعالى جعل قوماً من بعد قوم نوح خلفاء ولم يستخلفهم قوم نوح . قلنا : ذلك معناه الوجود بعدهم ، ولو كان هذا هو المراد بخليفة النبيّ ، كانت اليهود و النصارى و

غيرهم خلفاء النبي.

قالوا : لم لا يجوز أن يولّى المفضول على الناس لكراهة الفاضل من بعض الناس ؟ قلنا : ولم لايجوز عزل المنصوب لكراهة من بعض الناس على أنّه معارض بالنبي .

و هذا القدر بل بعضه كاف في هذا الباب ، و عليك باستخراج مايرد لك من الجواب . فإنّ النقض آت على جميعه من قريب و بعيد ، يسلّمه من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد .

﴿ الباب الخامس ﴾

✿ (فيما صدر عنه من الكرامات الموجبة لاستحقاقه الامامة) ✿

و فيه فصول :

✿ (الفصل الاول) ✿

[من] ادّعى الإمامة و ظهر المعجز على يده ، فهو نصّ من الله على إمامته وهي أُمور كثيرة نذكر منها في هذا المختصر نبذة يسيرة ، منها ماأسنده ابن جبر ، في كتاب نخب المناقب ، لآل أبي طالب ، إلى جابر . إلى الخدريّ ، إلى ابن عباس أنّ خالداً لمّا رجع في عسكره من قتال أهل الردّة رأى عليّاً في أرض له و قد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد فقال له : ويك أو كنت فاعلاً يعني لمّا أمره أبو بكر بقتله بعد الصلاة فقال : أجل فنكسه عن فرسه و فتل حديد رحى الحارث كالأديم بيده و ألقاها في عنقه و أصحابه كأنّهم نظروا إلى ملك الموت و بقي أيّاماً في عنقه والناس في المدينة يضحكون عليه ممّا في عنقه فلمّا حضر جاء به أبو بكر إلى عليّ يستشفع في فكّه عنه فقال عليه السلام : لمّا رأى تكاثف الجنود أراد أن يضع منّي فوضعت منه فنهض الجماعة و أقسموا عليه فجعل يفتل منه شبراً شبراً و يرمي به و في رواية أنّ خالداً أحدث في ثيابه و صاح صيحةً منكرة ممّا نزل به . قال بعضهم :

يا خالداً اذكر صنيعة حيدر ✿ لمّا بعثت إليه كي تدعوه
و أردت إظهار الشجاعة عند من ✿ أبدى الشجاعة جدّه و أبوه
فرجعت بالطوق الحديد مطوّقاً ✿ هذا و أنت على الرجال تتيه
فلإن جحدت فسل لأصحاب النبيّ ✿ قطب الرحى في خلق من فتلوه

و روى جماعة عن خالد بن الوليد قال : رأيت عليّاً يصلح حلقات درعه بيده فقلت : هذا كان لداود ! فقال عليه السلام بنا ألان الله الحديد لداود فكيف لنا و ستأتي

حكايته في المسجد إن شاء الله .

و روى أيضاً في نخبه أنّ حصن ذات السلاسل علّقوا على حيطانه غراير قطن أوتبن حتّى لا يعمل فيه حجر المنجنيق فرمى عليٌّ نفسه بالمنجنيق و الترس تحت قدميه و نزل على الحايط و ضرب على السلاسل ضربةً واحدةً فقطعها و سقطت الغراير ، و من هذا و نحوه قالت الغلاة فيه : إنّه الخالق المعبود و إنّه هو أرسل محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة و ادّعوا أنّ له خطبة سمّاها خطبة الكشف قال فيها : « أناشققت أنهارها ، و أينعت أثمارها ، و أظلمت ليلها ، و أضأت نهارها ، و أنا نبّأت النبيّين و أرسلت المرسلين » .

و هذا مكذوب عليه لمنافاته ما اشتهر عنه من الخشوع لله تعالى و عظم الثناء لديه ولو سلّم فهو قابل للتأويل بالانكار أي إن كان كما تقولون من إلهيّتي فأنا فعلت كذا و كذا لكنّي مافعلت فلست باله ، ويمكن حمله على السببيّة لما اشتهر في الحديث : لولاهم لماخلق الله خلقه فكأنّه عليه السلام فاعل ذلك بالسبب وقد جاء عنهم عليهم السلام : قولوا في فضلنا ما شئتم بعد أن تثبتونا عبيداً مربوبين .

و أسند في نخبه أيضاً إلى جابر : صلّينا خلف عليّ الصبح فالتفت وقال:أعظم الله اُجوركم في أخيكم سلمان فتكلّم الناس في ذلك فمضى إليه و قال : يا قنبر عدّ عشراً فا ذانحن على باب سلمان فكشف عنه فتبسّم سلمان له فقال عليه السلام : إذالقيت رسول الله فقل مامرّ على أخيك من قومك ثمّ جهّزه .

و أسند إلى الجارود أنّ أسداً أقبل من البرّ إلى الكناسة فقام بين يدي عليّ عليه السلام فوضع يده بين عينيه وقال : ارجع باذن الله لاندخل دار هجرتي و بلّغ ذلك السباع عنّي .

و روى ابن وهبان و الفتّال في كتابيهما عن جورية بن صخر أنّه خرج مع عليّ نحو بابل فرأى الأسد باركاً في الطريق فمكث ليرجع فقال عليه السلام إنّما هو كلب الله ثمّ تلا : « و ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها » الآية فأقبل الأسد إليه مسلّماً عليه .

وروى محمّد بن وهبان في معجزات النبوّة عن البراء بن عازب أنّه مرّ في السماء على رأس أمير المؤمنين خيط من الوزّ فصرصر و صاح فقال عليه السلام : قد سلّم علينا فتغامز المنافقون بينهم فقال : يا قنبر قل لهم : أجبن أمير المؤمنين و أنزلن . قال : فنزلن إلى صحن المسجد فخاطبها بلغة لا نعرفها فلوّت أعناقها إليه وصرصرت فقال : لهن انطقن فانطقن بالسلام عليه .

و في كتاب ابن شهر آشوب قال الباقر قال عليّ عليه السلام لجويرية بن مسهر : يعرض لك الأسد في طريقك فسلّم عليه و قل له إنّي أعطيتك الأمان منه فلقيه فأبلغه ما قال عليّ عليه السلام فولّى وهمهم خمساً فلمّا رجع جويرية قال له أمير المؤمنين إنّه ردّ السلام و عقد بيده خمساً .

و روى الجدليّ عن الرضا عليه السلام قال : قال الحسين عليه السلام : كنت مع أبي فهرول إليه ذئب و جعل يلطع قدميه بلسانه و يتمسّح به فقال له : انطق باذن الله فانطق بالسلام إليه بامرة المؤمنين .

قال ابن زريك :

إمام له غاض الفرات و قد طغى ☆ و خاطبه ذئب بأرض فلات

و أنشأ في ذلك حيص بيص و النانستي و البياضيّ و غيرهم فلم ينكر عليهم .

و روي حملة الآثار عن صعصعة بن صوحان في روضة الواعظين و عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ في الدلالات أنّ ثعباناً رقى إلى المنبر إلى عليّ في الكوفة فقصده الناس فنهاهم عنه فالتقم عليه السلام أذنه محرّكاً شفتيه و الثعبان كالمصغي إليه ثمّ ذهب فكأنّ الأرض ابتلعته فتحيّر الناس فيه فسألوه فقال : هو حاكم الجنّ التبس عليه مسئلة فأفهمته إيّاها . وقد أنشأ في ذلك العونيّ و دعبل و ابن حجّاج و ابن عضد الدولة و غيرهم فلم ينكر عليهم .

و في فضائل الكوفة لعمر بن حمزة قال : قام رجل من حضرة عليّ للوضوء فعرض له أفعى ليلتقمه فهرب منه إلى عليّ عليه السلام فأخبره فأخذ سيفه و أدخله في ثقب الأفعى و قال : إن كنت معجزةً مثل عصى موسى فأخرجه فخرج فسارّه ساعة ثمّ

قال للأعرابي: لمّا قمت من بين يديّ أراك ظننت أنّي رابع أربعة قال نعم ثمّ بعد ذلك لطم على رأسه و أسلم .

و في الامتحان عن عمّار و جابر قال : كنت مع عليّ في بريّة فضحك وقال: أحسنت [يا] أيّها الطير قال : قلت : أترى طيراً قال عليه السلام أتحبّ أن تراه وتسمع كلامه ؟ قلت : نعم فدعا خفيّاً فهوى الطير على يده فمسح ظهره و قال : انطق فسلّم عليه بامرة المؤمنين فردّ عليه السلام و قال من أين مطعمك ومشربك في هذه البريّة الّتي لا نبات فيها ولا ماء ؟ قال : إذا جعت ذكرت ولايتكم فأشبع وإذا عطشت تبرّأت من أعدائكم فأروى .

و في العلل عن القزوينيّ عن الأعمش أنّ عليّاً عليه السلام وقف على الفرات و نادى ياهناش ياهناش فأطلع الجرّيّ رأسه فقال : من أنت ؟ قال من بني إسرائيل عرضت عليّ ولايتك فلم أقبلها فمسخت جرّيّاً .

و في حديث سعد الخفّاف أنّه ناداه يا جرّيّ فلبّاه فقال : من أنا قال : إمام المؤمنين قال : فمن أنت ؟ قال ممّن جحد ولايتك فمسخ جرّيّاً .

و في المعجزات و الروضة و دلائل ابن عقدة و الحارث و السبيعيّ قال: رأينا شيخاً باكياً قائلاً أشرفت على المائة وما رأيت العدل إلّا ساعة فسئل عن ذلك فقال: توجّهت إلى الكوفة ففقدت مالي عند القبّة المسبّحة فدخلت على عليّ فأخبرني بذلك و خرج معي ثمّ صلّى و دعى و قرأ : « يرسل عليكما شواظ من نار و نحاس فلا تنتصران » ثمّ قال ما هذا العبث ؟ والله ما على هذا بايعتموني و عاهدتموني ؟ فرأيت مالي يخرج من القبّة فأسلمت وأقررت له بالولاية و لمّا قدمت الآن وجدته مقتولاً . قال الورّاق :

علیّ دعا جنّاً بكوفان ليلة ✿ وقد سرقوا مال اليهودي عدهم
على نقض عهد أو تردّوا متاعه ✿ فردّوا عليه ماله لم يقسّم

و في حديث عمّار أرسل النبيّ عليّاً إلى عمّان يقاتل الجلنديّ فكان بينهما حرب عظيم فقال لغلامه المعروف بالكنديّ إن أتيت بصاحب العمامة السوداء والبغلة

الشهباء أسيراً أوعفيراً فابنتي الّتي لم أنعم لأولاد الملوك بها أزوّجكها فركب الكنديّ فيلاً أبيض و حمل بالعسكر و فيه ثلاثين فيلاً على المسلمين فنزل عليٌّ عن البغلة فكشف رأسه فأشرقت الفلاة منه و دنا من الفيلة و كلّمها بما لا نفهمه فانقلب منها تسعة و عشرون تقاتل المشركين حتّى أدخلتهم باب عمّان ثمّ رجعت قائلةً يا عليُّ كنّا نعرف محمّداً و نؤمن به و بربّه كلّنا إلاّ الفيل الأبيض فزعق الامام عليه السلام فيه فوقف فضربه فرمى برأسه و أخذ الكنديُّ من ظهره فأخبر جبرائيل النبيَّ بذلك فصعد السور وقال: هبه لي فخلّى سبيل الكنديِّ فقال ما حملك على إطلاقي فقال : انظر ، فكشف الله عن بصره فرأى النبيَّ على سور المدينة في صحابته و بينهما أربعين يوماً فأسلم وقتل[عليٌّ] الجلنديَّ وجماعة من عسكره فأسلم الباقون وسلّم الحصن للكنديِّ و زوّجه ابنت الجلنديِّ و في كلمة ابن حمّاد حديث الملك :

و لقد غدى يوماً إلى الهادي إذا ✿ بالباب معترضاً شجاع أقرع
فسعى إلى مولاي يلحس ثوبه ✿ كالمستجير به يلوذ و يضرع
حتّى إذا بصر النبيُّ بصوته ✿ ورأى الشجاع له يذلُّ و يخضع
و الطهر يأوي(١) للشجاع بكمّه ✿ و يذوده بالرفق عنه و يدفع
ناداه رفقاً يا عليُّ فانّه ✿ ملك له من ذي المعارج موضع
أخطا فاُهبط من علوِّ مقامه ✿ فأتى بجاهك خاشعاً يتشفّع
فادع الا له له ليغفر ذنبه ✿ فاشفع فانّك شافع و مشفّع
فدعا عليٌّ و النبيُّ و أخلصا ✿ فغدا الشجاع يصيح وهومجعجع
لله من عبدين ليس لربّنا ✿ عبدان أوجه منهما أو أطوع

و في الأغانيِّ قال المدائنيُّ: قال الحميريُّ: من جاء بفضيلة لعليٍّ لم أقل فيها شعراً فله فرس فجعلوا يحدّثونه و ينشدهم فيه فروى رجل أنَّ عليّاً نزع خفّه فانساب فيه حيّة أفعى فلمّا عاد ليلبسه انقضَّ عقاب غرابيٌّ فحلّق به ثمَّ رماه فخرج الأفعى منه فأعطاه الحميريُّ ما وعد وأنشأ عند ذلك شعراً :

---

(١) يرمى . خ .

ألا يا قوم للعجب العجاب ☆ لخفِّ أبي الحسين وللحبابِ
عدوٌّ من عداة الجنِّ عبد ☆ بعيد في المرادة من صواب
كريه اللّون أسود ذو بصيص ☆ حديد الناب أزرق ذو لعاب
أتا خفّاً له فانساب فيه ☆ لينهش رجله منه بناب
فقضَّ من السماء له عقاب ☆ من العقبان أو شبه العقاب
فطار به و حلّق ثمَّ أهوى ☆ به للأرض من دون السحاب
فصكَّ بخفّه فانساب منه ☆ و ولّى هارباً خوف الحصاب
ودوفع عن أبي حسن عليٍّ ☆ نقيع سمامه بعد انتياب

إن قيل : بذل السيّد الحميريُّ رحمه الله فرسه لمن يأتي بفضيلة لعليٍّ ليس فيها شعر له يدلُّ على حصرها وهو خلاف دعوا كم من بُعدها عن الاحصاء لكثرتها قلنا: لا يلزم من اعتقاده حصرها مطابقته لها و ناهيك بما خرج عن شعره من العقاب و الحيّة و ما أنشأ فيها .

نكتة : فاذا انحصرت في عليٍّ مزايا[1] النبوَّة و ليس له نبوَّة فهي دالّة على الامامة إذ يمتنع من الله أن يضع العلامة و يخصَّ بالكرامة من ليس له زعامة .

إن قيل : ما ذكرتم من الأحاديث و نحوها أخبار آحاد أو انفردتم بنقلها فلا حجّة لكم فيها . قلنا : لا، بل كلُّ طائفة من المسلمين روت شيئاً منها فاشتركت آحادها في التواتر المعنويِّ اللاّزم عن مجموعها فأعجوبة ردِّ الشمس أصحاب الشافعيِّ روتها وروت غيرها و روى غيرهم غيرها و من تتبّع كتب القوم وجد ذلك فيها فكيف يمكن معانديهم إنكارها و في كتب أئمّتهم إظهارها و بهذا يندفع ما لعلّه يتوهّم من كونها صدرت عن داع واحد ، على أنَّ للكفّار اللّئام أن يعارضوا بمثله في معاجز النبيِّ عليه السلام .

---

(١) مرايا ، خ .

﴿ الفصل الثانى ﴾

✡ (فى مساواة أمير المؤمنين لجماعة من النبيين) ✡

١ ـ قال الله تعالى « و علّم آدم الأسماء كلّها » . و « إنّي جاعل في الأرض خليفة [١] » و قال النبيّ « أنا مدينة العلم و عليّ بابها » . « من ناصب عليّاً على الخلافة بعدي فهو كافر » كما رواه ابن المغازليّ الشافعيّ و غيره .

٢ ـ إدريس أطعم بعد وفاته من الجنّة و درس الكتب و هو أوّل من وضع الخطّ و عليّ عليه السلام أطعم منها في حياته و قد سلف و عنده أمّ الكتاب و هو أوّل من وضع علم النحو .

٣ ـ نوح نجى من ركب في سفينته و قد مثّل بها النبيّ أهل بيته فنجا من تمسّك بعليّ وذرّيّته .

شعر

أيّها المؤمن الّذي طاب فرعاً ✡ و زكامنه أصله و تمسّك
طب بدين النبيّ نفساً و إن خفـــت من النار في غداة تمسّك
فاستجر من لظاً لظا بعليّ ✡ و بنيه و بالبتول تمسّك

٤ ـ إبراهيم « و هديناه إلى صراط مستقيم [٢] » و عليّ الصراط المستقيم « رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت [٣] » و في عليّ « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت [٤] » « و إبراهيم الّذي وفّى [٥] » و في عليّ « يوفون بالنذر [٦] » إبراهيم كسر الأصنام و أكبرها « افلون » و كسرها عليّ و أكبرها هبل .

٥ ـ إسماعيل استسلم لذبح والد رفيق ، و استسلم عليّ للكفّار في المبيت و ليس فيهم شفيق .

---

(١) البقرة : ٣١ و ٣٠ .
(٢) الانعام : ٨٧. وفيه : و هديناهم .
(٣) هود : ٧٣ .
(٤) الاحزاب : ٣٣ .
(٥) النجم : ٣٧ .
(٦) الدهر : ٧ .

٦ ـ يعقوب سأل الذئب هل أكل ولده يوسف فقال : لحوم الأنبياء علينا حرام ، وتكلّم الذئب و الثعبان والأسد لعليّ .

٧ ـ يوسف « ربّ قد آتيتني من الملك [١] » و نزل في عليّ و أهله « و إذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً [٢] » و لمّا بان لاخوته فضله حسدوه و أظهروا نصحه و في الباطن عادوه ، وقريش سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين وفي الباطن مقتوه و قيل ليوسف « أيّها الصدّيق [٣] » و عليّ الصدّيق الأكبر و في يوسف « و لمّا بلغ أشدّه آتيناه حكماً و علماً [٤] » و عليّ أوتي الأخوّة و الخلافة و العلم صغيراً ، و في يوسف « ألا ترون أنّي أوفِ الكيل [٥] » و في عليّ « و يطعمون الطعام على حبّه » . « يوفون بالنذر [٦] » .

٨ ـ موسى أحيا الله بدعائه قوماً في قوله تعالى : « ثمّ بعثنا كم من بعد موتكم [٧] » وأحيى لعليّ أهل الكهف ، وروي أنّه أحيى سام بن نوح وأحيى له جمجمة الجلندي ملك الحبشة صاحب الفيل الّذي قصد به البيت و لها مشهد معروف ببابل . و عدوّ موسى رماه الله بالبرص و أنس حيث كتم الشهادة رماه الله بالبرص و نزل جبرائيل بعصى موسى ، و نزل بذي الفقار لعليّ . و علا موسى الطور و علا عليّ النبيّ وألقى الله على موسى محبّة منه و أوجب محبّة عليّ على الخلق حتّى أنّ محبّته حسنة لا يضرّ معها سيّئة و أكرم موسى بالشبّرين وعليّ بالحسنين و جرّ موسى الحجر عن بئر مدين وكان لا يجرّه إلاّ أربعون ودحى عليّ الصخرة عن عين « مراجوما » عند الدير و قد عجز عنها مائة .

٩ ـ هارون أوّل من آمن بموسى و قال له : « اخلفني في قومي [٨] » وعلي أوّل من آمن بالنبيّ و قال له : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » .

---

(١) يوسف : ١٠١ .
(٢) الدهر : ٢٠ .
(٣) يوسف : ٤٦ .
(٤) يوسف : ٢٢ .
(٥) يوسف : ٥٩ .
(٦) الدهر : ٨ و ٦ .
(٧) البقرة : ٥٦ .
(٨) الاعراف : ١٤١ .

١٠ ــ يوشع ردّت له الشمس و ردّت لعليّ مراراً و سيأتي قريباً و قد أسند ابن جبر في نخبه و عليّ بن مجاهد في تاريخه إلى النبيّ قوله لعليّ عند وفاته « أنت منّي بمنزلة يوشع من موسى » .

١١ ــ أيّوب « إنّا وجدناه صابراً (١) » و في عليّ « و الصابرين في البأساء و الضرّاء و حين البأس (٢) » .

١٢ ــ جرجيس صبر في المحن و عذّب بأنواع العذاب و عليّ صبر في الفتن و عذّب بأنواع الحروب .

١٣ ــ يونس « التقمه الحوت و هو مليم (٣) » و عبدالله في موضع لم يعبده بشر و عليّ سلّمت عليه الحيتان و جعله الله إمام الانس و الجانّ و ولد في الكعبة دون كلّ إنسان .

١٤ ــ زكريّا كان لبني إسرائيل واعظاً و لمريم كافلاً و عليّ كان للأمّة مفتياً و لفاطمة كافلاً .

١٥ ــ يحيى « وآتيناه الحكم صبيّاً » و عليّ أوتي الحكم والوزارة صبيّاً .

١٦ ــ داود «إنّا جعلناك خليفة في الأرض(٤)» «وقتل داود جالوت(٥)» وكانت له سلسلة الحكومة و آتاه الحكمة و فصل الخطاب و عليّ رابع الخلفاء آدم وداود و هارون . و قتل عمراً و مرحباً و قال النبيّ « أقضاكم عليّ » و قال الله فيه « ومن عنده علم الكتاب (٦) » .

١٧ ــ سليمان طلب الملك فأعطي خاتم الملك و عليّ تصدّق بالخاتم فنزلت فيه آية الولاية و قال : ياصفراء و يا بيضاء غرّي غيري . حملت الريح بساطه وردّت الشمس له و حملت عليّاً على بساط النبيّ و ردّت الشمس له .

١٨ ــ صالح سمّاه الله صالحاً و أخرج له ناقة و سمّى عليّاً صالح المؤمنين و

---

(١) ص : ٤٤ .
(٢) البقرة : ١٧٦ .
(٣) الصافات : ١٤٢ .
(٤) ص : ٢٦ .
(٥) البقرة : ٢٥١ .
(٦) الرعد : ٤٣ .

أخرج له ثمانين ناقة .

١٩ ـ عيسى نزلت المائدة عليه و نزلت على عليّ بنقل أهل المذاهب الأربعة فيه وقال في عيسى « و يعلّمه الله الكتاب [1] » و في عليّ « و من عنده علم الكتاب » و في عيسى : « و أُحيي الموتى باذن الله[2] » وعليّ أحيى سام وأهل الكهف والجمجمة باذن الله واختلف في عيسى فاليعقوبية : هوالله والنسطوريّة : هوابن الله والاسرائيليّة : هو ثالث ثلاثة لله و اليهود هو كذّاب على الله و المحقّون هو عبدالله و اختلف في عليّ فالمسلمون : هو عبدالله . والغلاة : هو الله والخوارج : كافر بالله والمخالفون أنّه رابع افتراء على الله و المؤمنون المحقّون أنّه المقدّم من الله و لأجل ذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه أشبه الخلق بعيسى .

٢٠ ـ محمّد خاتم النبيّين و سيّدهم و عليّ خاتم الأوصياء و سيّدهم . ركب النبيّ البراق و ركب عليّ كتف النبيّ . علامة الرسالة في كتف النبيّ علامة الشجاعة في ساعدي عليّ .

تذنيب

١ـ الاسكندر سدّ الله به على يأجوج ومأجوج وكان يعرف لغات الخلق وعليّ سدّ الله به كيد الشياطين عن الشيعة و كان يعرف لغات الملائكة و الجنّ و البهائم و جميع الخلق .

٢ ـ لقمان آتاه الله الحكمة و جعل النبيّ عليّاً باب دار الحكمة فاستفاضت منه الحكمة .

تذنيب آخر

أسند ابن جبر إلى ابن عبّاس قول النبيّ صلى الله عليه وآله « من أراد أن ينظر إلى آدم في حلمه و إلى نوح في فهمه و إلى موسى في مناجاته و إلى عيسى في سمته و إلى محمّد في تمامه فلينظر إلى هذا الرجل » فتطاولت الأعناق و إذاهم بعليّ عليه السلام .

و أسند ابن بطّة في الابانة إلى ابن عبّاس وروى نحوه أنس أيضاً وقد ذكرناه

---

(١) آل عمران : ٤٨ . (٢) آل عمران : ٤٩ .

في موضع آخر في كتابنا استيناساً و تيمّناً .

و في كتاب العقد عن المغربيّ أنّ فلاناً أراد قتل هرمزان فاستسقا فجيء بقدح من ماء فارتعدت يده به فقيل له في ذلك فقال : خفت أن تقتلني قبل شربه . فقال : لك الأمان حتّى تشربه فرمى به فكسّره فقال : ما كنت لأشربه أبداً وقد آمنتني حتّى أشربه فقال : قاتلك الله أخذت أماناً منّا ولم نشعر .

وفي رواياتنا : شكى ذلك إلى علي عليه السلام فدعا فصار القدح صحيحاً مملوءاً ماءً فأسلم الهرمزان من المعجز .

﴿ الفصل الثالث ﴾

نذكر فيه طرفاً ممّا نقل من معاجزه ، مضافاً إلى ما سلف من دلائله ، و هذا باب واسع قد بلغ من الاشتهار ، إلى حدّ يمتنع مقابلته بالانكار . لا يتهيّأ لمحبّه سبره ، ولا لمبغضه ستره ، من طلب شيئاً [من ذلك] طالبه من مظانّه و فيه كتب اختصّت به . مثل الدلائل لعبدالله بن جعفر الحميريّ والخرايج لسعيد بن هبة الله الراونديّ و الواحدة لأبي جمهور العميّ والدرجات لسعدبن عبدالله وبصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار ، و غير ذلك .

إن قيل : فقد ظهر عن حسين بن منصور الحلاّج و غيره من المشايخ اُمور خارقة للعادة فلا دلالة في ذلك على الامامة . قلنا : إن صحّ ذلك فهو من الحيل المشهورة لهم وقد وقفت على كشف أسرارهم و التمويه على أتباعهم والله سبحانه أجلّ من أن يخرق العادة للكذّابين و قد علم أنّ الحلاّج دعا أصحابه إلى أنّه المغني(١) و في هذا تجسيم الربّ تعالى، والأنبياء والأئمّة دعوا إلى التوحيد و العدل و غيرهما فبينهما فرقان .

إن قيل : فيما تدّعونه لعليّ ردّ الشمس ، ولو كان لعلمه غيركم . قلنا ادّعى المسلمون للنبيّ شقّ القمر ولو كان لعلمه غيرهم .

إن قيل : لو ظهر المعجز لهم لم يبق فرق بين الأنبياء و بينهم ، فلا يفرق(٢)

---

(١) المعنى . خ . (٢) فلا يعرف . خ .

النبيّ من الامام . قلنا : الفرق الدّعوى فإنّ الامام لا يدّعي النبوّة و قد ظهرت كرامات مريم من غير نبوّة ومجيء آصف بعرش بلقيس من غير نبوّة و دارت رحا فاطمة و هي نائمة من غير نبوّة و قالت لبعلها إنّي أسمع أخباراً و أقاصيص فأملتها عليه فجمع كتاباً منها يتضمّن ما يكون من الحوادث وسمّاه مصحف فاطمة من غير نبوّة و هذا الطرف نقلته من الخرايج و الجرايح مختصراً لألفاظه و آتياً من ذلك بما يكفي في إثبات تواتره و هو أمور :

الأوّل : قال له أصحابه : إنّ موسى و عيسى كانا يريان المعجزات فلو أريتنا شيئاً لنطمئنّ إليه فأراهم عليه السلام جنّات من جانب وسعيراً من جانب و قال أكثرهم : سحر و ثبت اثنان فأراهم حصى مسجد الكوفة ياقوتاً فكفر أحدهما و بقي الآخر قيل و هو ميثم التمّار و قيل عمرو بن الحمق .

الثاني : اختصم خارجيّ وامرأة إليه فعلى صوته فقال له عليه السلام : اخسأ ، فإذا رأسه رأس كلب فقيل له ما يمنعك عن معاوية إذاً ؟ فقال : بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . و نحو ذلك روى الأصبغ بن نباته في رجل آخر و نحوه أيضاً فعل بخارجيّ فدمعت عيناه فرقّ له فدعا الله تعالى فعاد إلى الانسانيّة وتراجعت ثيابه من الهوى و قد كانت طارت عنه .

الثالث : أحيا رجلاً من بني مخزوم صديقاً له فقام و هو يقول : « وينه وينه نبيالا » يعني لبّيك لبّيك سيّدنا فقال له عليه السلام : ألست عربيّاً قال : بلى، ولكنّي متّ على ولاية فلان و فلان فانقلب لساني إلى لسان أهل النار .

الرابع : قال لرجل قد حمل جرّيّاً : قد حمل هذا إسرائيليّاً، فقال الرجل متى صار الجرّيّ إسرائيليّاً فقال عليه السلام إنّ الرجل يموت في اليوم الخامس فمات فيه ودفن فيه فرفس عليه السلام قبره برجله فقام قائلاً : الرادّ على عليّ كالرادّ على الله و رسوله . فقال : عد في قبرك فعاد فانطبق عليه .

الخامس : تكلّم في أذن مغنّ خيّاط خفيّاً فحفظ لوقته القرآن و كذلك فعل برجل يقال له زاذان .

السادس: تظلّم إليه رجل فكتب بظلامته فهاج الناس وقالوا طعن على الشيخين : فوقف رجل فتبرّأ منهما ومن الثالث فقال عليه السلام : بقرت العلم في غير إبّانه لتبقرن بطنك كما بقرته فشقّ بطنه وحشي حجارةً وصلب .

السابع : أنا يهوديٌّ أبابكر ثمّ عمر و سألهما عن أموال أبيه و قدمات و لم يعلمه بها فاُوجع ضرباً فأتى عليّاً عليه السلام فسلّم عليه بإمرة المؤمنين فقيل : لم لم تسلّم عليهما مثله ؟ فقال :والله ما سمّيته حتّى وجدته في كتب آبائي في التوراة ثمّ سأله عن كنوز أبيه فقال :خذ ألواحاً وصر بها إلى وادي برهوت بحضرموت فاذا وصلت [وكان عند الغروب] وجدت عند القبور غرابين فاهتف باسم أبيك وقل : أنا رسول وصيّ محمّد فاسئلهوا كتب مايخبرك ، ففعل فوجد كما قال ، فأخبره بموضع المال فرجع فنبشه وأوقر منه عيراً و أتى به عليّاً و أسلم و أقرّ له بالوصيّة و الإمرة و الاُخوّة .

الثامن : خرج يوماً فرأى على الباب أكمه و مقعداً و مكفوفاً و أبرص . فقالوا : جئناك لما بنا فرجع عليه السلام وفتح حقّاً و أخرج رقّاً أبيض فيه كتاب أبيض فقرأه عليهم فقاموا من غير علّة .

التاسع : قدم رجل الكوفة فأفشا فيها أنّ معاوية قد مات وأنّه كان ممّن دفنه فكذّب به عليّ عليه السلام و قال : لن يموت حتّى يهلك هذه الاُمّة و يملك و يفعل ويفعل . فقال قوم : لم قاتلته و أنت تعلم ذلك ؟ فقال عليه السلام للحجّة .

العاشر : قال بذيغار و هو جالس للبيعة : يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون ، قال ابن عباس فعدّوهم فنقصوا رجلاً فاسترجعت و قلت ما حمله على ماقال ؟ فتكمّلوا باُويس القرنيّ .

الحادي عشر : لمّا بلغه صنع بسر ابن أرطاة باليمن دعى عليه بسلب عقله فخولط فيه و اتّخذ له سيفاً من خشب يلعب به حتّى مات .

الثاني عشر : دعى على الغيزار و كان يرفع أخباره إلى معاوية و سأله عن ذلك فأنكر فقال : إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك فما دارت الجمعة حتّى عمي .

الثالث عشر : لمّا أنكر أنس الشهادة له بغدير خمّ دعى عليه بالبرص فأبرص

و قال ابن عمر : أشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه .

الرابع عشر : أسلم راهب شيخ وحدّث أنّه رأى طيراً تقيّأ ربع إنسان ثمّ ذهب و جاء فتقيّأ ربعاً آخر و هكذا إلى الآخر فلمّا أكمله جاء فأخذ ربعاً وهكذا فلمّا خلص أتا بربع و هكذا فلمّا كمل سألته من أنت ؟ فقال ابن ملجم . قلت : فما عملت ؟ قال : قتلت عليّاً فوكّل بي هذا الطير يقتلني ، ثمّ جاء الطير فأخذ ربعه فسألت من عليّ ؟ فقيل لي : ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله .

الخامس عشر : دعى لشجرة كمثّرى يابسة فاخضرّت وحملت لوقتها وأكلوا منها و على رمّانة فاخضرّت وحملت و أكل محبّوه منها وأرادها مبغضوه فلم ينالوها .

السادس عشر : لمّا رجع من صفّين كلّم الفرات فاضطربت و سمع الناس صوتها بالشهادتين و الاقرار له بالخلافة وفي رواية عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنّه ضربها بقضيب فانفجرت و سلّمت عليه حيتانها و أقرّت له بأنّه الحجّة .

السابع عشر : شكوا إليه في صفّين نفاد زادهم والعلف لدوابّهم فقال عليه السلام : غداً يأتيكم فصعد عليه السلام في الغد على تلّ فدعا فأقبلت الجمال قطاراً قطاراً فيها جميع ما يحتاجون إليه حتّى الخيط و المخيط و انصرفوا ولم يدر أحد أهم من الجنّ أم من الأنس ؟ .

الثامن عشر : قال ابن عباس : لمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة قال لعليّ : كلّم الشمس فسلّم عليها فردّت عليه بالأخوّة والوصيّة وأبلغته من الله التحيّة وبشّرته عنه له و لمحبّيه بأعلى منزلة من الله .

التاسع عشر : رأى الحسن البصريّ يتوضّى فقال له : أسبغ وضوءك يا كفتى فقال : كان بالأمس رجال يسبغون الوضوء فقال عليه السلام : إنّك لحزين عليهم من ذلك ؟ قال : نعم . قال : فأطال الله حزنك . قال أيّوب السجستانيّ ما رأيت الحسن إلّا حزيناً فقلنا له في ذلك فقال : عملت فيّ دعوة الرجل الصالح . و كفتى بالنبطيّة شيطان سمّته أمّه بذلك في صغره فلم يعرفه أحد به حتّى دعاه به عليّ عليه السلام .

العشرون : كانت أمّ فروة تعيب على أبي بكر فقتلها عمر و دفنت ، فدعا لها

عليه السلام فعاشت وولدت لزوجها غلامين و ماتت بعد علي عليه السلام بستة أشهر .

الحادي و العشرون : حمّ النبيّ صلى الله عليه وآله فوضع عليّ يمناه على صدره و قال : اخرجي إنّه عبدالله و رسوله فخرجت في الحال فبشّره النبيّ بطاعة الأوجاع له .

الثاني والعشرون : دخل على الصادق عليه السلام رجل من الصين فقال له : تعرفوننا بالصين ؟ قال : نعم . قال عليه السلام بم ؟ قال : عندنا وردة نجد مكتوباً على وردها أوّل النهار « لاإله إلاّ الله محمد رسول الله » و في آخره « لاإله إلاّ الله عليّ خليفة رسول الله» .

الثالث و العشرون : قال الباقر عليه السلام : للامام عشر دلائل : يولد مختوناً و ناطقاً بالشهادتين ، و مكتوب على عضده الأيمن : « و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً » ولا يتمطّى ، ولا يتثاءب ، ولا يحتلم ، ولا ظلّ له ، و رائحة نجوه كالمسك وتستره الأرض ، و يختم الحجر ، و يستجاب دعوته .

الرابع و العشرون : قال له رجل : لا نرى لكم من الدنيا شيئاً فقبض عليه السلام كفّاً من حصى مسجد الكوفة فاذا هو جواهر ثمّ رمى به فعاد حصا .

الخامس و العشرون : قال الأصبغ بن نباته : كان إذا وقف بحضرة عليّ شخص ، يقول : استعدّ لنفسك فانّك تمرض يوم كذا فيكون كما قال .

السادس و العشرون : بعثت عايشة إليه رجلاً شديد العداوة بكتاب و أوصته أن لا يأكل عنده شيئاً فلمّا قدم دعى إلى الأكل فأبى فقال عليه السلام قالت لك لاتأكل فانّ فيه السحر قال : نعم . فرجع إلى محبّته وأصيب بصفّين فقالت : ما نبعث إليه أحداً إلاّ أفسده علينا .

السابع والعشرون : قام إليه رجل وقال : إنّي أحبّك قال : صدقت ، فدسّت الخوارج إليه رجلاً فقال : إنّي أحبّك فقال عليه السلام كذبت ، ولا تحبّني قطّ و كأنّي بك و قد قتلت على ضلالك ، و وطئت دوابّ العراق وجهك ، فلم يعرفك قومك ، فقتل بالنهروان كما قال عليه السلام .

الثامن و العشرون : مرّ عليه السلام بجبل في طريقه إلى صفّين فخرج من الجبل هامة بيضاء و لحية و وجه كذلك فسلّمت عليه بإمرة المؤمنين فقال : وعليك السلام

يا شمعون ، فسأله عنه عمّار ومالك و أبو أيّوب الأنصاريّ و قيس بن سعد وعمرو بن الحمق و عبادة بن الصامت فقال : هو وصيّ عيسى عليه السلام .

التاسع و العشرون : اصطاد عمرو بن حريث ضبّاً فبايعه في البريّة بالخلافة فخطب عليه السلام و ذكر ذلك و قال : إنّه سيبعث و إمامه ضبّ قال ابن نباته فرأينا عمراً ينتفض جبناً و نفاقاً .

التذنيب : إن قيل : لم لا تكون هذه لسبب[1] اختصّ بذلك من تقريب جسم أو مقارنة شيء أو حدوث أمر ، قلنا : لو كان ذلك بسبب لاشتهر كما اشتهر حجر المقناطيس بجذب الحديد ولو كان كذلك لم نثق بشيء أصلاً إذ يجوز حينئذ أن تكون حياة الميّت إنّما هي بقرب جسم منه أو نحوه و الضرورة تردّ ذلك .

قدم إليه حكيم يونانيّ و قال له : بوجهك صفار و عندي دواؤه و أمّا رقّة ساقيك فلاحيلة لي فيها و الرأي عندي أن ترفق بهما فقال عليه السلام هل تعرف شيئاً يزيد في صفاري فدفع إليه حبّاً و قال : حبّة منه تقتل رجلاً فشرب منه عليه السلام مثقالين فارتعد الرجل و قال سيقتلوني به فاحمرّ وجه الامام عليه السلام بذلك و حمل اُسطوانة بسقفها و غرفتين كانتا عليها فأسلم اليونانيّ و أقرّ بوصيّته و قال :

إذاما الكرامات اعتلى قدر ربّها ☆ و حلّ بها أعلى ذرى شرفاته
فانّ عليّاً ذا المناقب و النهى ☆ كراماته العليا أقلّ صفاته

---

(١) لم لا يجوز أن تكون هذه لاجل سبب . خ .

﴿ الباب السادس ﴾

✿ (في شرايطه) ✿

وفيه مقدّمة وفصول منها[خمس] في إثبات عصمته من المعقول ويتلوها أقطاب في إثباتها من المنقول و باقيها في ردّ الاعتراضات عليها .

مقدمة

لا شكّ في كون الامامة لطفاً للعلم الضروريّ بفساد الأنام بفقد الإمام و التجاء الناس إليه في ساير الأيّام فسقط قول بعض الخوارج بسقوطه أصلاً و قول بعضهم و الأصمّ و أتباعه إذا تناصف الناس وقول هشام وأتباعه إذا لم يتناصف الناس .

قلنا:لايحصل التناصف إلى الأبد بدون الامام لأحد ، و قد ازدوج في وجوبها العقل و السمع و اصطحب الرأي و الشرع و هذا شيء اعتمله [1] الخبراء و نظمه الشعراء قال حكيم العرب الأفوه الأوديّ :

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم ✿ ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
إذا تولّت سراة الناس آخرهم ✿ نمى على ذاك أمر الناس فازدادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ماصلحت ✿ فإن تولّت فبالأشرار تنقاد

و قد أسلفنا في باب إثبات الوصيّ حجج المخالفين وأجبنا عنها بأوضح البراهين و العصمة شرط فيها لما يأتي ، و اللّطف واجب على الله من حيث الحكمة ، و منعه الأشاعرة [لأنّهم] قالوا : إنّ الامامة لطف دنياويّ و هو غير واجب على الله تعالى. قلنا : إذا رفعت العصمة عن الأمّة علم بالبديهة ميلها إلى ترك مشاقّ التكليف ، و إلى الراحة و التخفيف ، ومع الامام يذهب ذلك الإحجام .

وقد جاء القرآن بوجود الإمام في كلّ زمان « يوم ندعوا كلّ أناس بامامهم» . « إنّي جاعلك [للناس إماماً » . « إنّا جعلناك [2]] في الأرض خليفة » . « و إن

(١) اعتمده . خ .
(٢) ما بين العلامتين ساقط من النسختين أضفناه بالقرينة .

من أُمّة إلاّ خلافيها نذير » . « و يوم نبعث من كلّ أُمّة شهيداً » . « فكيف إذاجئنا من كلّ أُمّة بشهيد (١) » و رتّب الله تعالى في كتابه طاعة أُولي الأمر على طاعة الرسول ﷺ المرتّبة على طاعته تعالى ، و قد قال النبيّ ﷺ « من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة » فكيف يختصّ لطف الإمام بالأُمورالدنياويّة لولا الأهوية المردية ، فظهر وجوب الإمامة و العصمة ، و هذا مذهب الاماميّة و الاسماعيليّة .

قالت الأشاعرة : فعلى هذا تثبت إمامة المشايخ لحصول اللّطف بهم في زمانهم باستظهارالإسلام في أيّامهم فانّ عليّاً نقص الاسلام في خلافته ، والحسن كان اللّطف في ترك إمامته واشتهر الفساد في طلب الحسين وخروجه و الباقون منهزمون مختفيون إلى من تعتقدونه مهديّاً لم ينتفع به دنيا ولاديناً ؟ فعلى تقرير كم : العصمة للمشايخ دونهم . قلنا : لانسلّم عدم نقص الاسلام في زمانهم لأنّكم نقلتم ارتداد سبع فرق في زمان أبي بكر هم: قوم عتبة ، وغطفان ، وبنوسليم ، وبنو يربوع ، وبعض تميم وبني كندة وبنو بكر بن وايل ، وفي زمان عمر ارتدّت غسّان قوم جبلة كما نقله شارح الطوالع عن الزمخشريّ و غيره و في زمان عثمان حصل من الفساد مالا يخفى على إنسان و أيضاً فالارتداد يدلّ على عصيان الأُمّة لا على أنّ الامام عديم العصمة و إلاّ لزم أن يكون النبيّ عديم العصمة لارتداد كثير من المسلمين في عهد سيّد المرسلين .

إن قالوا : هذا ينقلب عليكم لأنّ الارتداد إذا لم يدلّ على عدم العصمة لم يدلّ على عدم عصمة الثلاثة . قلنا: إنّما ذكرنا ذلك إلزاماً لكم حيث قلتم حصل النظام في زمان الثلاثة ، على أنّه يمتنع من كلّ أحد دعوى عصمة الثلاثة .

وقولهم كان اللّطف في ترك إمامة الحسن وعدم خروج الحسين ، قلنا : إنّما كان من عصيان الأُمّة وهلاّ قالوا : كان اللّطف في ترك السقيفة و ترك الشورى لإمامة عثمان الّذي أظهر الأحداث وآوى الأخباث . و أيضاً فلو لزم من عصيان الأُمّة عند قيام الأئمّة عدم الإمامة لزم مثله في النبوّة فانّ العصيان كان عند بعثهم . بل يلزم

---

(١) أسرى : ٧١. البقرة : ١٢٤. ص : ٢٦. فاطر ٢٤. النحل ٧٤ . النساء : ٤٠ .

امتناع التكليف إذا كان سبباً لعصيان الخلق ، و انهزام الأئمّة واختفاؤهم لا يدلُّ على عدم إمامتهم لتواتر النصوص من الطريقين فيهم .

على أنّ ذلك معارض باختفاء الأنبياء من قبلهم ، و قتلهم و هزيمة جدّهم . وخوف المهديّ من الظالمين ، يمنعه من الاشتهار كما ألجأ الخوف جدّه إلى الاستتار ، و قد كان ظاهراً لأوليائه ، فلمّا اشتدّ الأمر استتر عنهم كأعدائه ، و ليس الستر سبباً لنفي ولادته و لطفيّته ، كما في عيسى المجمع على حياته ، وقد قيل : إنّه المهديّ و الصحيح أنّه وزيره ومن خاصّته .

و قد ظهر على تقديرنا أنّه لا عصمة للمشايخ ، كيف ذلك ؟ و قد علم منهم الأيام عبادة الأصنام ، وأئمّتنا بحمدالله لم ينقل أحد من مبغضيهم عنهم نوعاً من العصيان على مرور الأزمان ، بل نقلوا فضائلهم و تعبّداتهم و أنشأ الخاصّ و العامُّ المدايح و المحامد فيهم قال ابن حنبل شعراً :

قوماً نجوماً في السماء زواهر ✡ في برج ثاني عشر ظلُّ قرانها
و منازل القمر المنير عليهم ✡ سعد السعود و عز هم دبرانها
شرفت بوطئهم البلاد وإن علوا ✡ قلل المنابر شرّفت عيدانها
سل عنهم اللّيل البهيم وإنّهم ✡ في كلّ ظلمة حندس رهبانها

﴿ الفصل الاول ﴾

✡ (في وجوب عصمة الامام في قضية العقول و يتلوها) ✡

✡ (اقطاب من دلايل المنقول) ✡

الموجب للعصمة جواز الخطأ على الأمّة فلو جاز خطأ الامام فان لم يحتج إلى إمام فترجّح بلا مرجّح وإن احتاج فإمّا إلى نفسه أو إلى من يعود إليه وهو الدور أو لا يعود و هو التسلسل وقد انعقد الاجماع على أنّ الامام لا يحتاج إلى إمام فبالأولى أن لا يحتاج في أمور الامامة إلى الرعيّة فبطلت إمامة من قال : « إذا تعوّجت فقوّموني » إذ من يحتاج إلي الرعيّة فهو إلى الامام أحوج ، ولأنّه حافظ

الشرع ، فلولا العصمة لجاز الغلط و التبديل المؤدّيان إلى التضليل ، و الكتاب لا يحيط بالأحكام ، إذلاتعيّن فيه لكثير منها كعدد الركعات ، و مقادير الزكوات .

و لأنّ الكتاب في نفسه لابدّ له من حافظ موثوق به ، و بهذا يندفع ما قد تهوّل به من قول أمير المؤمنين في نهج البلاغة « لم يخل الله خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّة لازمة أومحجّة قائمة» فانّ ظاهر الترديد الّذي فيه منع الخلوّ يقتضي الاكتفاء بالكتاب قلنا : في الكتاب ، الآيات المتشابهات ، و المجملات ، و أوامر خفيّات خبط المفسرون فيها ، فاتّباع بعضهم لا ترجيح فيه و الكلّ غير ممكن لتضادّ القول و تنافيه ، فلابدّ من معصوم يتعيّن الرجوع إليه ، و التعويل في ذلك عليه ، و منع الخلوّ ليس فيه منع الجمع ، بل قد يجب الجمع ، فانّ الانسان لا يخلو من الكون و اللّون مع لزوم الجمع فيهما فكذا هنا .

اعترض القاضي بأنّ القرآن غنيّ عن التأويل إذ بيّنه النبيّ ، فلاحاجة إلى الامام ، أجاب المرتضى بأنّ ذلك مكابرة فانّ اختلاف العلماء فيه لاخفاء فيه ، ولو قدّر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بيّنه فلا بدّ من الامام لينقل بيانه ، إذ الأمّة غير مأمونة على ذلك .

اعترض القاضي بأنّ الامام لمّا لم يمكن مشافهته للكلّ علم أنّه لابدّ من ناقل إمّا متواتر أو غيره و كلاهما لازم بعد موت النبيّ . أجاب المرتضى بأنّ الامام حيّ مراع لبيانه عن التبديل ، و كذا الامام الآخر بعده ، بخلاف ما بعد الرسول و هو ظاهر معقول ، ولا السنّة . بخروج كثير من الأحكام عن الروايات ولا القياس لبناء الشرع على جمع الممكنات ، وقدأبطله الرازيّ من أربعين وجهاً ، و الاستحسان و الرأي أيضاً لم يحفظاه إذ فيهما أنواع الضلالات ، ولامجموع الأمّة لجواز الخطأ على آحادها فجازعلى جميعها، لأنّه يصدق بالضرورة الحسّيّة سلب العصمة من بعض الرعيّة ، فيكذب نقيضه وهو إثبات العصمة لكلّ الرعيّة ،إذنقيض السالبة الجزئيّة الموجبة الكلّيّة .

قالوا : ينقض هذا قول النبيّ صلى الله عليه وآله « لاتجتمع أمّتي على ضلال »قلنا : هذا

الخبر إن نقله بعض الأمّة فلاحجة في نقله و إن نقله كلّهم لزم إثبات الشيء بنفسه إذ لا يعلم حينئذ صحة إجماعهم إلّا من إجماعهم ، ولو سلّم صدوره عن النبي فالوجه فيه أنّ الامام المعصوم من جملة الأمّة ، فلهذا لاتجتمع على ضلال ، لأنّه إن دخل في أقوالهم فالحقّ في قوله ، فلهذا قال النبيّ ﷺ عليّ يدور مع الحقّ والحقّ معه ، و إن خرج فلاإجماع .

والعين في تجتمع إن جزمت فلفظ لا ناهية ، فيجوز الاجتماع ، إذ ليس كلّ منهيّ عنه في حيّز الامتناع ، و إن ضمّت العين ، لم يتعيّن اللّفظ لكونها نافية إذ يجوز ورود الخبر و معناه النهي ، مثل « و من دخله كان آمناً (١) » أي آمنوه ومثل قول النبيّ ﷺ « لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين » فانّه خبر يراد به النهي ، إذ قد يلدغ المؤمن من جحر مراراً .

قالوا : لا نافية دخلت على نكرة و هي لفظ ضلال ، فتعمّ . قلنا : لا ، فانّ النكرة لابدّ أن تلي حرف النفي مثل : لا رجل في الدار ، و هنا توسّطت لفظة « تجتمع » و لفظة « الأمّة » فيتعيّن كون لا للنهي لاللنفي .

إن قالوا : تقديره لا ضلال على اُمّتي ، قلنا لا حاجة إلى تغيير اللّفظ مع إمكان الحمل على النفي ، ومع ذلك فاذا كانت لانافية داخلة على نكرة وهي للعموم لزم أن يقال بصدق سلب الضلال عن كلّ الاُمّة ، فيكذب نقيضه و هو ثبوت الضلال على بعض الأمّة ، لكن كذب هذا النقيض باطل اتّفاقاً ، فصدق ذلك باطل التزاماً و مع ذلك كلّه فأكثر الأحكام لم تجتمع عليها الأمّة فيجب المعصوم ليحفظها و يتلافى ما يحدث فيها و سيأتي في ذلك دلالات في باب ردّ الشبهات .

و لأنّه إن جازت المعصية عليه ، فاذا وقعت منه فلا بدّ لحدّها من يستوفيه لعدم سقوط النهي عن المنكر ، و المستوفي له ليس إلّا الامام باجماع الأمّة ، فيحتاج إلى آخر و ذلك إمّا معصوم فالمطلوب ، أوغيره فيتسلسل . وفي هذا نظر إذهومبنيّ

(١) آل عمران : ٩٧ .

على وقوع المعصية ، و الكلام في جوازها و ليس كلّ جايز واقع فجاز أن لا يقع فلا يلزم المحذور المذكور إلّا أن يقال : إنّ من خالط الناس و اطّلع على بواطنهم وجدهم لا ينفكّون عن فعل قبيح ، و لهذا إنّ الأئمّة المنصوبين من قبل الرعيّة وقعت منهم الخطيئات ، وسنذكر ذلك في باب مفرد من أراده راجعه .

و لأنّ فرض وقوع المعصية منه ، يوجب كونه ظالماً ، فلا إمامة له من أحكم الحاكمين ، لقوله تعالى « لا ينال عهدي الظالمين[1] » وغير المعصوم بالفعل يصدر منه ذنب بالضرورة ، و كلّ من يصدر منه ذنب ظالم ، فكلّ غير معصوم بالفعل ظالم ، و كلّ ظالم ليس بإمام للآية .

و في هذا نظر إذ إمكان وقوع المعصية لا يستلزم الظلم ، فلا يستلزم عدم الامامة و إنّما المستلزم له وقوعها لا إمكانه ، وقد تقرّر في المنطق اشتراط فعليّة الصغرى في الشكل الأوّل على الأقوى لأنها لو كانت ممكنة لم يندرج الأصغر في الأوسط المحكوم عليه بالأكبر ، لأنّ حصول الأوسط للأصغر بالامكان ، لا يوجب حصول الأكبر للأصغر ، لجواز أن لا يخرج الامكان إلى الفعل ، إذ ليس كلّ منكر واقع إلّا أن نقول : إنّا استقرينا أحوال الناس في هذه المادّة ، فوجدنا الامكان لا ينفكّ عن الوقوع فجزمنا بصيرورتها فعليّة ، أو نقول : الثلاثة عصوا إجماعاً حال كفرهم فظالمون ، فلا ينالهم عهد الإمامة .

إن قيل : الاسلام يجبّه فينالهم العهد . قلنا : ولد إبراهيم كان مسلماً ومنعه الله بكفره السابق ، و قد ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع عصمته في نهج بلاغته أنّ من عبد غير الله أو كذب أو همز أو فرّ من زحف أو ظلم فلا إمامة له ، و هذا الكلام يشمل السابق و اللاحق ثمّ تلا قوله تعالى « وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا[2] » وقد أسند الشيخ أبو جعفر القمي إلى الرضا عليه السلام أنّ آية « لا ينال

(١) البقرة : ١٢٤.

(٢) الم السجدة : ٢٤ .

عهدي الظالمين » أبطلت إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وجعلها الله في أهل الصفوة و الطهارة ، فقال :«ووهبنا له إسحق و يعقوب نافلة و كلاًّ جعلنا صالحين و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا » (١) الآية و قد استوفينا كلام هذين السيّدين في باب إبطال الاختيار فليراجع منه .

تنبيه (٢) : إن قالوا : معصوم اسم مفعول ، فيكون مجبوراً على ترك العصيان في كلّ آن ، ولا فخر في ذلك على إنسان ، قلنا : العصمة الملجئة من الله إنّما هي من الغلط و النسيان و أمّا العصمة الّتي لا يقع منها عصيان فهي لطف يفعله الله ، لا يوجب الإجبار ، بل يجامع الاختيار ، والانسان يعلم أنّه يترك ذنوباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك ، إمّا للطف من نفسه بزيادة عقله و علمه و مداومته على الفكر في اُمور معاده ، وملازمته على الطاعات بخلاف غيره ، و إمّا من الله تفضّلاً لا يوجب مشاركة غيره فيه ، لكونه زايداً على القدر الواجب عليه ، فلهذا لا يقال: لو رزق الله تعالى أحداً ذلك لساواه في العصمة ، و يكون اختصاص المعصوم بهذا لعلمه تعالى بقبول المحلّ له دون غيره ، و في هذا نظر لأنّه يوجب أن لا يجعل الله للكافر لطفاً لعلمه بعدم قبوله إلّا أن يقال : الكلام في اللّطف المتفضّل به ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، أو نقول لا يلزم من وضعه في المحلّ القابل عدم وضعه في غير القابل ليحتجّ به على محلّه ، فلا يلزم العبث في فعله .

إن قيل : فالمعصوم إن لم تنازعه نفسه إلى المعصية فلا مشقّة في تركها ، فأحدنا أعظم أجراً منه ، و إن نازعته لم يؤمن أن يكون طاهرا باطناً . قلنا : بل الشهوة الطبيعيّة موجودة فيه ، و المراد من الطهارة الباطنة عدم إرادة المعصية لا عدم شهوتها و بينهما فرقان ، على أنّه لو دلّت صيغة « معصوم » على المفعول ، لم يكن الله تعالى موجوداً لأنّها صيغة مفعول ، وهو على الله تعالى محال ، وقد جاء مفعول بمعنى فاعل

---

(١) الانبياء : ٧٣ .

(٢) تذنيب ، خ .

في قوله « حجاباً مستوراً » و « رجلاً مسحوراً » (١) على ما قيل .

قالوا : إذا كان احتياج الناس إلى المعصوم لأجل خطاءهم يلزم أن يكون فيهم من ليس بامام ولا مأموم كالامام اللاّحق مع أبيه السابق فانّه حينئذ ليس بامام ولا مأموم ، لأنّه معصوم . قلنا : نحن لم نقل : إنّ الامام لا يحتاج إلى إمام آخر يعلّمه و ينتهي إلى النبيّ الكفيل ، إلى جبرائيل ، إلى الربّ الجليل ، و إنّما قلنا : لا يحتاج إلى إمام آخر يزجره عن قبيح أو يأمره بواجب ، لولاهما لأقدم و أحجم ، إذ ذلك محال على الإمام ، و كذلك كان حال عليّ مع النبيّ ﷺ و كذا حال كلّ إمام .

إن قيل : فلم لا يجوز انقطاع التسلسل بالقرآن العظيم أو النبيّ ﷺ ولا حاجة إلى الإمام؟ قلنا : لو كان هذان مساعدين لبعض الأمّة كانا مساعدين لكلاهما لجواز الخطاء عليهما (٢) فلا إمام وقد علمت وجوب نصبه عقلاً ونقلاً كالنبيّ ﷺ .

إن قيل : لم لا يجوز أن يكون مجموع الأمّة لطفاً له و هو لطف لآحادها ولا دور لاختلاف جهته . قلنا : لو كان مجموعها لطفاً له لكان لكلّ فرد لطفاً ، وحينئذ لا حاجة إلى الإمام وفيه نظر إذ المجموع يخالف الأفراد ، ولهذا وقع الفرق بين متواتر الأخبار و آحادها ، أو نقول : مجموع الأمّة ليس بمعصوم ، فلا يكون لطفاً لنصب معصوم ، والأصوب أنّ الأمّة لا يمكن اجتماعها على نصبه ، وبعضها غير كاف فيه ولو أمكن ، فعن مشقّة و طول زمان ، فيخلو ذلك من المعصوم و قد بيّنّا وجوب نصبه على العموم .

إن قيل : يكفي خمسة منهم كما في بيعة الأوّل . قلنا : يجوز اختلاف الخمسة و لهذا أمر عمر بقتل أهل الشورى ، على أنّه يجوز اتّفاق كلّ خمسة على شخص فيقع التعدّد المستلزم للفساد ، و لأنّه خرق الاجماع بلا نزاع .

---

(١) أسرى : ٤٥ و ٤٧ .

(٢) كذا . لكلها لجواز الخطأ عليها . ظ .

﴿ الفصل الثانى ﴾

لو جاز منه معصية لانحطّ عن درجة أقلّ العامّة ، فلا يصلح للإمامة ، بيانه أنّ الصغيرة من الكبير كبيرة « قل هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون[1] » .

إن قيل : فاذا جازت عصمة واحد فلم لاتجوز عصمة الكلّ فانّه إذا كان الغرض من خلقهم إثابتهم ، كان الموجب لذلك خلق العصمة فيهم [ماذا بعصمة واحد] . قلنا : إنّما خصّ الله واحداً بالعصمة لأجل استحقاقه لها بكسبه أسبابها ، و باقي الرعيّة ليس ذلك فيهم ، فلم تكن العصمة لهم . إن قيل : إن خلق الله الأنفس متساوية استحال اختصاص أحدها بما يوجب العصمة ، لأنّه ترجيح بلا مرجّح و إن خلقها مختلفة كما في خبر الطين عاد اللّوم عليه ، حيث عرّض البعض للعصيان بخلقه من الأصل الخبيث . قلنا : خلقها متساوية ولايلزم تساوي أفعالها لجواز ترجيح المختار بلا مرجّح ، ولو لزم من تساويها تساوي أفعالها لزم اتّحادها فكانت جميع النفوس تفعل فعلاً واحداً في جميع الأوقات ، إذا كانت الأفعال مستندة إلى طبيعتها لا إلى اختيارها بل النفس الواحدة تفعل الطاعة و المعصية مع الجزم بعدم الاختلاف فيها ، و خبر الطين آحاد لا يعتمد عليه في المسائل العلميّة ، ولو كان الخلق من الخبيث يمنع الطاعة لم يؤمن كافر أبداً ، و من الطيب يمنع المعصية ، لم يفسق مؤمن أبداً وهنا أبحاث :

١ ـ إذا وجب نصب الامام على الله فكلّ من علم أنّه لا يصلح ولايراعي ما لأجله احتاجت الرعيّة إليه يقبح نصبه ، فيجب المعصوم المعلوم لله دون غيره إن قيل : لم لايكون خوفه من العزل يمنعه من المعصية ؟ قلنا: علم بالعادات عجز الرعيّة عن عزل آحاد الولاة فضلاً عمّن عمّت ولايته الخاصّ و الأوقات ، و لهذا لم يمنع عثمان خوف العزل عن الأحداث والبدع ، ولم يمنع يزيد الملعون من أنواع الفجور

---

(١) الزمر : ٩ .

كضرب الطبول، و شرب الخمور، و قتل أولاد البتول، و نهب مدينة الرسول، و لأنّ الرعيّة تشارك غير المعصوم في المعصية فلا ينهاه فلا تعزله، و لهذا لمّا سبّ عليٌّ على المنابر لم تعزل الرعيّة الآمر به، مع علم كلّ واحد منهم بقبحه حتّى رفعه عمر بن عبد العزيز.

٢ - الإمام المعصوم معناه إمّا نفوذ حكمه على كلّ من عداه، أو عدم نفوذ حكم كلّ من عداه عليه، أو هما معاً، و الكلّ منقوض بنائبه البعيد، فانّه لا ينفذ حكم أحدٍ عليه لبعد الامام عنه، ولا يحكم هو على كلّ من عداه لخروج الامام والقطر الآخر منه، مع أنّه لاعصمة له. قلنا: يمنعه خوف عزل الامام له في مستقبل الأوقات، على أنّا نمنع الحصر إذ الامامة لها الحكم العامّ فلها العصمة دون النايب و غيره من الأنام.

إن قيل: فخوف العزل من الإمام يتصوّر في النايب القريب دون البعيد، لعدم الاطّلاع عليه. قلنا: إذا لم يمكن الإمام تدارك خطاه و ظلمه، لا يلزم منه إبطال عصمته إذ لا يلزم عصمة الامام عرفانه كلّما يحدث في الأنام، ولا اقتداره على إزالة كلّما يخالف من الأحكام، على أنّه معارض بالنبيّ ﷺ.

٣ - لو لم يكن الامام معصوماً، فان كان عاميّاً لم يجب على المجتهد ولا على عاميّ آخر طاعته لقبح الأمر من الله بطاعة العاميّ حيث قال تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم[1]» وإن كان مجتهداً لم يجب على مجتهد آخر اتّباعه و يتخيّر العاميّ في اتّباع المنصوب و غيره، فلا فايدة في نصبه.

إن قيل: ذلك منقوض بالقاضي المنصوب فانّه لا يجوز للمجتهد ولا للعاميّ العدول عن حكمه، قلنا: كلامنا ليس في فصل الدعاوي. على أنّ القاضي إن نصب نفسه فلا ترجيح له على غيره، و إن نصبه غير المعصوم، فلا ترجيح لناصبه على غيره و إن نصبه المعصوم ثبت المطلوب.

---

(١) النساء: ٨٤.

﴿ الفصل الثالث ﴾

و فيه وجوه :

١ - لو جاز الخطأ على الإمام لزم إفحامه ، لأنّ الرعيّة لا تتّبعه إلّا في ما علمت صوابه ، و هو الحافظ للشرع ، فلا يعلم صوابه إلّا منه فيدور .

٢ - كلّ من حكم بإمامته علم منه تقريب الطاعة ضرورة . ولاشيء من غير المعصوم يعلم منه ذلك ضرورة : فلا شيء ممّن يعلم إمامته بغير معصوم ضرورة . فلزم : « كلّ من علمت إمامته معصوم » إذ السالبة المعدولة تستلزم الموجبة المحصّلة مع تحقّق الموضوع .

٣ - غير المعصوم لا يمكن العلم بإمامته ، لجواز معصيته ، و كلّ من لا يمكن العلم بإمامته لا يقع التكليف باتّباعه لعدم إطاقته .

٤ - غير المعصوم إن كفى [في] تقريب نفسه من طاعة ربّه ، لم يحتج إلى إمام مطلقاً ، فاستغنت عنه(١) الرعيّة مع ذلك الفرض إذاً . وإن لم يكف في تقريب نفسه كيف يصلح لتقريب غيره .

٥ - الامام يجب أن يخشى منه بالضرورة للأمر بطاعة أُولي الأمر ، و لقوله تعالى : « فليحذر الّذين يخالفون عن أمره » (٢) ولاشيء من غير المعصوم يجب أن يخشى منه لأنّه ظالم ، و كلّ ظالم لا يخشى لقوله تعالى : « إنّ الّذين ظلموا منهم فلا تخشوهم(٣) » فالناتج : لا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة .

إن قيل : قولكم « لا شيء من غير المعصوم يجب أن يخشى » ليست ضروريّة واختلاطها مع غير الضروريّة في الشكل الثاني لا ينتج ضروريّة قلنا : بل هي الضرورية وبيانها ظاهر على أنّه قد ظهر في المنطق إنتاج الضرورية فيه مع غير [ها] ضرورية .

إن قيل : قولكم غير المعصوم ظالم . إلى آخره ممكنة ، إذ لا يجب الظلم بل يجوز

---

(١) يعني عن الامام . (٢) البقرة : ١٥٠ .
(٣) النور : ٦٣ .

و الممكنة لا تنتج في الشكل الأوّل . قلنا : قد ظهر في المنطق إنتاجها ، قال الشيخ جمال الدين في كتاب الألفين : قد برهنّا في المنطق على خطاء المتأخّرين فيها .

٦ ـ امتثال أمر الإمام واجب من باب التقوى ، وليس امتثال غير المعصوم من باب التقوى ، لجواز أمره بالخطاء عمداً أو خطأ ويصدق عليه اسم ظالم بمعصية واحدة و نقيض الظالم ليس بظالم ، واللّيس بظالم هو المنفي[1] فهي سالبة كلّية إذ لو كانت جزئيّة لم يكن قولنا ظالم جزئيّة ، وقد عرفت أنّها جزئيّة ، ومتى كانت سالبة كلّيّة صدقت على من لم يعص أبداً ، وهو المعصوم ، فوجب وجوده لقوله : « إنّ الله يحبّ المتّقين[2] » فعلم حصول المقتضي و الصارف منفيّ ، فيجب الفعل ولله المنّة .

٧ ـ انتفاء الامام المعصوم يلزمه كون الحجّة للرعيّة على الله ، و هو محال لقوله تعالى « لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل[3] » و الامام مساو للرسول في تنفيذ الأحكام ، والتقريب من طاعة الملك العلاّم ، فنفيه مساو لنفيه ، و لازم أحد المتساويين لازم للآخر ، فانتفاء الامام المعصوم في عصرنا محال ، فوجب وجوده في كلّ عصر لكذب السالبة الجزئيّة .

بل نقول : إذا امتنع الخلوّ من النبيّ الّذي هو لطف خاصّ ، امتنع بالأولى الخلوّ من الامام الّذي هو لطف عامّ ، و الّذي يوضح هذا المراد قوله تعالى « إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد[4] » .

٨ ـ غير المعصوم لا يستحقّ النصرة لظلمه : « ما للظالمين من أنصار[5] » أي من استحقاق أنصار ، و الامام يستحقّ النصرة للأمر بطاعة أولي الأمر .

٩ ـ جاء في القرآن : النفوس ثلاث : الأمّارة : و هي الشريرة « إنّ النفس

---

(١) هو المتقى . خ .
(٢) براءة : ٥ و ٨ .
(٣) النساء : ١٦٤ .
(٤) الرعد : ٨ .
(٥) البقرة : ٢٧٠ .

لأمّارة بالسوء [١] » . و اللّوّامة : وهي الّتي تخلط « عملاً صالحاً وآخر سيّئاً [٢] » « ولا أقسم بالنفس اللّوّامة [٣] » و المطمئنّة : وهي الخيّرة محضاً ، « يا أيّتها النفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة [٤] » و نفس الإمام من هذا القسم خاصّة لمنعه النفسين الأخيرتين عن مقتضياتهما ، إذ لو كانت من إحداهما لم تحملها على خلاف شهواتها ، إذ مثل الشيء لا يكون علّة لزواله فتبطل فائدته في بعض الأزمان مع فرض الاحتياج إليه في كلّ أوان .

١٠ ــ الامام يهديه الله لأنّ أمره بطاعته دليل هدايته ، و غير المعصوم لا يهديه الله لظلمه « والله لا يهدي القوم الظالمين [٥] » فالامام ليس غير معصوم .

إن قيل : عندكم أنّ الله يريد الهداية العامّة للكلّ ، فتكذب كبراكم قلنا: إنّما نفينا الهداية الّتي هي اللّطف الزايد عن القدر الواجب ، فلا نسلّم أنّها عامّة .

إن قيل: شرط إنتاج الثاني دوام إحدى مقدّمتيه أو كون الكبرى من القضايا الستّ المنعكسة سلباً، وهماهنا مطلقتان ، فانتفى الشرط ، قلنا : بل الصغرى ضروريّة فحصل الشرط . وأيضاً غير المعصوم ظالم ، و الظالم له بئس المثوى لقوله تعالى : « و بئس مثوى الظالمين [٦] » فغير المعصوم له بئس المثوى ، ولا شيء من الإمام له بئس المثوى فلا شيء من غير المعصوم بإمام و الاعتراض و الجواب كما سلف .

١١ ــ القوّة العقليّة ليست غالبة للقوّة الشهويّة دائماً ، ولا في كلّ الناس و إلّا لم يحتج إلى إمام دائماً ، لتحقّق السبب الصارف ، بل القوّة الشهويّة غالبة إمّا بالقوّة أو بالفعل و الثاني إمّا دائم أو في الجملة ، فصدقت مانعة خلوّ في غير المعصوم ، و هي تستلزم وجوب عصمة الإمام إذ نقيض الممكنة إنّما هو الضروريّة .

١٢ ــ الإمام لطف كما سلف في ترك المخالفات ، و انتظام أمر المخلوقات

---

(١) يوسف : ٥٣ .
(٢) براءة : ١٠٣ .
(٣) القيامة : ٢.
(٤) الفجر: ٢٧ .
(٥) الجمعة : ٥ .
(٦) آل عمران : ١٥١ .

و حفظ الأوامر الشرعيّات ، و إيضاح المجملات ، و الكشف عن المتشابهات ، فهو ملجأ الرعيّة في ذلك دون ذوي العقول الناقصات .

اعترض قاضي القضاة بأنّ المكلّفين إن علموا بالضرورة كون الامام حجّة وجب الاشتراك فيها ، ولا شكّ أنّ بعضهم لايعلمه ، فان يؤثّر هذا البعض فيه ، لزم تجويز أن يعلموا ساير أمور الدين بالضرورة ، ولا يقدح البعض فيه ، فيستغني من الامام . وإن علموه بالاستدلال فلا شكّ أنّ بعضهم لا يقوم بما كلّف من الاستدلال عليه ، فيحتاج إلى إمام آخر يكون لطفاً لهم في فعل الاستدلال ، والكلام فيه كالأوّل و يتسلسل و حينئذ لابدّ أن يقال : يمكنهم معرفة الحجّة بغير حجّة ، فجاز مثل ذلك في ساير ما كلّفوه .

أجاب المرتضى بأنّا لم نثبت الحاجة إلى الامام ليعلّمنا ما نجهله فقطّ ، بل الحاجة إليه مع ذلك في تعليم الواجب و مجانبة القبيح ، فانّ العلم به و إن كان ضروريّاً ، إلاّ أنّ فعله متوقّع منّا عند فقد الامام ، والعلم بجهته لايمنع من وقوعه فانّ أكثر القبايح والمظالم تقع من العالم بها ، و كون الامام لطفاً في ارتفاع الظلم لا يلزم منه أن يكون لطفاً في كلّ تكليف حتّى في معرفة نفسه .

و أجاب أيضاً بأنّ معرفة الله و ثوابه و عقابه لطف في التكليفات ، و ليست لطفاً في نفسها للزوم الدّور ، فاذا جاز الاستغناء عنها في نفسها وهي من جملة التكاليف جاز الاستغناء عنها في غيرها و هو محال .

إن قيل : المعرفة بالله و ثوابه و إن لم تكن لطفاً في نفسها ، فالظنّ بوجوبها يقوم مقامها ، فلم ينفكّ المكلّف من لطف تكليفه بها . قلنا : و ما يمنع من كون اللّطف في معرفة الامام ظنّ وجوبها ، ولايجب أن يكون هذا الظنّ طريقاً إلى سائر التكاليف ، فلا يستغنى عن الامام .

١٣ ــ جواز خطاء الأمّة علّة الحاجة إلى الامام ، ولو لا كونه علّتها لم يكن عدمه علّة لعدمها ، فكان يجوز مع عدمه ثبوتها إذ لا علّيّة فينفكّ أحدهما عن الآخر و يلزم منه ثبوت حاجة الأنبياء مع عدم جواز الخطاء عليهم ، فعلّة حاجة الأمّة و

هو جواز الخطاء إن كانت في الإمام لزم التسلسل ، لاطّراد المعلول مع العلّة .

إن قيل : حاصلكم أنّ من ثبتت عصمته لا يحتاج إلى إمام فلم لا يكون الله علم أنّه متى نصب للمعصوم إماماً امتنع من المخالفات أويكون إلى الامتناع أقرب و متى خلا فلا .

أجاب المرتضى بماحاصله أنّه يلزم من ذلك رفع العصمة عن الإمام المفروض أوّلاً و ذاك لا يضرّنا لأنّ اللّطف الّذي هو الإمام المفروض ثانياً ليوجب عصمة الامام هو اللّطف المفروض أوّلاً لعصمة الأمّة لأنّ إمام الإمام إمام الأمّة .

على أنّ في الاعتراض تسليم حاجة الرعيّة إلى الإمام لأنّ المعصوم إذا احتاج إلى الامام فغيره أولى بالحاجة إلى الامام ، وفي الأولويّة نظر لأنّ المعترض فرض عدم عصمة الامام و أنّه يمتنع من المخالفات لإمام آخر فقوله : إذا احتاج المعصوم فغيره أولى نوع مصادرة و الأسدّ أن يقال : إذا احتاج الامام المختار للأمّة . وإن لم يكن معصوماً فالهابط عن منزلته أولى .

تذنيب : لمّا قلنا : لو لم يكن جواز الخطاء علّة الحاجة لانفكّا . قال الرازيّ : لا يلزم من عدم الانفكاك الاحتياج كاضافتي الأبوّة والبنوّة والمماسّة والأخوّة إذ لو احتاجت إحداهما إلى الأخرى لتقدّمت عليها و هو محال ، لأنّهما يوجدان معاً ولأنّه إن احتاجت إحداهما إلى الأخرى دون الأخرى ترجّح بلا مرجّح وإن دار الاحتياج بينهما لزم الدور . قلنا : لا يلزم عن وجودهما معاً عدم احتياج إحداهما [معاً] كما في العلّة الموجبة ومعلولها فانّها تقارنه زماناً وحينئذ فاحتياجه إليها دون العكس لا يكون ترجيحاً بلا مرجّح .

و في هذا نظر فانّ له أن يقول : لا يلزم من وجود متلازمين بينهما علّيّة أن لا يوجدان إلّا و بينهما علّيّة و قد ذكرنا في الاضافات عدم العلّيّة فليكن من هذا القسم الامامة و احتياج الرعيّة وقد أجابه النصير بجواب ضعّفه جمال الدين في ألفيه من أراده وقف عليه و اختار أنّ الاضافات اعتباريّات لاتحقّق لها خارجاً و إلّا لزم التسلسل ولا ترد المعارضة بها .

وله أن يقول الاحتياج والامامة من الاضافيات فترد المعارضة بها .

تذنيب آخر : لمّا قلنا : الامام لا يحتاج إلى إمام . قالوا : فعليٌّ احتاج إلى النبيّ ﷺ و كذا الحسنان إلى أبيهما عليه السلام . أجاب المرتضى بأنّا إنّما منعنا حاجة المعصوم إلى الإمام الّذي يكون لطفاًله في ترك الحرام ولايلزم منه غناؤه عن إمام يعلّمه الأحكام ، و يرشده لمصالح الأنام .

١٤ ــ الامام متبوع فيما يفعل و يأمر ، و غيرالمعصوم غيرمتبوع فيهما ،لأنّه لا يؤمن من الارتداد وغيره و الأمر به ، ولايجوز تكليف الرعيّة اتّباع من يجوزمعه هلاكها . ويستقرّ ذلك بالميزان فنقول : كلّ إمام يجب اتّباعه دايماً ولا شيء من غيرالمعصوم يجب اتّباعه في الجملة ـ فلاشيء من الامام بغيرمعصوم دائماً ، وينعكس إلى : لا شيء من غير المعصوم بامام .

اعترض القاضي بأنّ الواجب اتّباعه فيما علم من الشرع حسنه لا مطلقاً . قلنا : لو لم يجب إلاّ فيما علم منه حسنه لزم الدّور ، و لزم كونه إماماً في بعض الدّين لا كلّه و هو محال ، قال : لم لا يجوز اتّباعه فيما لا يعلم قبحه كالعبد الّذي يطيع مولاه فيما لا يعلم قبحه ؟ قلنا : المفسدة لزمت من عدم أمن المكلّف و هو حاصل فيما لا يعلم قبحه ، و العبد المأمور إن لم يتمكّن من العلم بالقبح فلا قبح عليه ، و إن تمكّن لزمه القبح قبل العلم بوجه الفعل ، و الفرض في الرعيّة تمكّنها من العلم بوجه الفعل المأمور به من الامام .

قال : يكفي حسن الظاهر كما في إمام الصلاة فانّه يتّبع مع تجويز كون صلاته قبيحة في نفس الأمر . قلنا : الصلاة لم يوجد فيها معنى الاقتداء الحقيقيّ ، ولوسلّم فهي من التكاليف المنوطة بالظنّ بخلاف الإمامة .

قال : فالنوّاب متبوعون فيما لا يعلم القبح فيه مع عدم عصمتهم فكذاالإمام قلنا : النائب عليه معصوم لا يسامحه ويخاف عاقبته ، وخطاؤه ينجبر بنظر الإمام بخلاف من لا ولاية عليه ، ولأنّ لاية النايب خاصّة لا يلزم عموم فسادها بخلاف الإمامةالعامّة .

﴿ الفصل الرابع ﴾

وفيه وجوه :

١ ـ الإمام لا يصحّ كونه مفضولاً لقبح تقديمه على الفاضل ، ولا مساوياً لامتناع الترجيح بلا مرجّح فهو أفضل ، فهو معصوم ، إذ لو عصى في حال فان عصى فيه كلّ واحد من الأمّة اجتمعت على الخطاء و إن بقي واحدٌ منها فهو أفضل من الإمام في تلك الحالة فله الاستحقاق ، و يخرج الأوّل ، فلا تستقرّ الامامة لواحد و هو باطل .

٢ ـ وقوع الخطا مع عدم الإمام ممكن ، فلو أمكن مع وجوده لزم العبث في نصبه ، فان ترجّح وقوعه مع الامام أو وجب لزمت المفسدة في نصبه ، وإن ترجّح عدمه مع الامام فان انتهى الرجحان إلى الوجوب فالمطلوب وإن لم ينته فلنفرض وقوعه في وقت و عدمه في آخر فترجّح أحدهما بأحدهما إمّا لا لمرجّح و هو محال أوله فان أمكن معه الطرف الآخر عاد الكلام و إلّا لزم الوجوب .

إن قيل : فهذا لازم في باقي الأمّة مع عدم اتّصافها بالعصمة ، فانّ الخطأ من كلّ فرد إن وجب وقوعه لزمت المفسدة في خلقه ، و إن ترجّح عدمه ولم ينته إلى الوجوب لزم ما ذكرتم ، و إن انتهى إلى الوجوب لزمت العصمة و هو المطلوب .

قلنا : الوجوب هنا بحسب المحمول و هو لا ينافي الامكان والإمام و إن كان الوجوب أيضاً في حقّه بحسب المحمول إلّا أنّ له من الألطاف الزايدة على الوجوب ما يمنع الوقوع .

٣ ـ الإمام تجب طاعته بالضرورة مادام إماماً وإلّا لزم العبث في نصبه ، حيث يجبر الله الخلق في اتّباعه ، وغير المعصوم لاتجب طاعته بالامكان حين هو إمام لجواز عصيانه ، فلا تجتمع الامامة و جواز المعصية ، لتناقض الحينيّة الممكنة و المشروطة العامّة .

٤ ـ يجب طاعة الامام وإن لم يكن معصوماً لأنّه بغير وجوب طاعته ينتقض الغرض من نصبه فيصدق : كلّما لم يكن الامام معصوماً وجبت طاعته ، و ينعكس إلى : كلّما لم تجب طاعة الامام كان الامام معصوماً . و تنعكس هذه إلى قولنا : قد يكون إذا كان الامام معصوماً لم تجب طاعته و هذا محال إذ وجوب طاعة غير المعصوم توجب طاعة المعصوم بطريق أولى فيصدق دائماً [إمّا] أن يكون الامام معصوماً أو لا تجب طاعته مانعة جمع ، و يلزمه : كلّما كان الامام معصوماً وجبت طاعته و هو نقيض قد يكون إذا كان الامام معصوماً لم تجب طاعته .

٥ ـ إجماع الأمّة حقّ و الامام سيّدها فلا ينعقد بدونه إجماع لوجوب اتّباعه عليها ، فقوله و فعله بمنزلة قولها ، فان كانت معصومة فهو أولى بالعصمة منها ، و لأنّه إمّا واجب الخطاء فحاله أسوء من حالها أو جائزه فلا رجحان له عليها ، أو ممتنعه و هو العصمة المدّعى حصولها .

٦ ـ كلّما لم تكن العصمة ثابتة في الامام ، أمكن انتفاء وجه وجوب الامام و كلّ ما أمكن نفي وجه وجوبه أمكن نفي وجوبه لكن نفي وجوبه محال . فنفي وجه وجوبه محال فنفي العصمة عنه محال .

٧ ـ الامام يقرّب من الطاعة و يبعّد من المعصية ، و غير المعصوم يمكن فيه عكس ذلك ، فلا يصدر من الحكيم ، ولا من إجماع الأمّة لأنّه ضلال .

٨ ـ غير المعصوم في اتّباعه ظنّ الضرر ، لغلبة الشهوة عليه ، فيجوز أن يدعو إلى مقتضاها ، و في ترك اتّباعه ظنّ الضرر لأنّه نصب للارشاد ، فيلزم جمع النقيضين أو الخلوّ عنهما .

٩ ـ كلّ ما كان نصب الامام واجباً ، كان عدمه أشدّ محذوراً من وجوده بالضرورة ، لأنّ فيه إخلال اللّطف ، وينعكس إلى : كلّ ما كان عدمه أشدّ محذوراً كان وجوده واجباً ، و كلّما لم يكن معصوماً كان وجوده أشدّ محذوراً من عدمه بالامكان لجواز أمره بالعصيان ، و كلّ ما كان وجوده أشدّ محذوراً كان عدمه واجباً لأنّه يكون لطفاً .

١٠ ــ لا شيء من الإمام نصبه عبث بالضرورة ، لامتناع العبث عليه تعالى ، و على الاجماع ، و غير المعصوم نصبه عبث بالامكان إذ يمكن تقريبه من المعصية ، فلا يحصل الغرض منه ، فيكون عبثاً ، فالناتج : لاشيء من الإمام بغيرمعصوم بالضرورة لأنّ اختلاط الضروريّة والممكنة في الشكل الثاني نتيجته ضروريّة لثبوت الضرورة للصغرى بالضرورة ، و سلبها عن الأُخرى بالضرورة ، و يلزم النتيجة : كلّ إمام معصوم . لاستلزام السالبة المعدولة المحمول للموجبة المحصّلة المحمول مع وجود الموضوع ، و الوجود هنا حاصل للموضوع .

١١ ــ لا شيء من الامام آمر بمعصية بالضرورة ، و كلّ غير معصوم آمر بها بالإمكان ، فلاشيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة .

١٢ ــ يمتنع جعل سبب أحد الضدّين سبباً للآخر ، و ناصب غير المعصوم جعله سببا للأمر بالطاعة و المعصية .

إن قيل : المعصية ممكنةولا يلزم من إمكانهاوقوعها . قلنا : إمكان اللاّزم لازم لإمكان الملزوم ، و في هذا نظر إذ لا يلزم من تلازم الامكانين الوقوع ، لامكان وقوع القبايح من الإله بالنظر إلى القدرة ، ويلزمه إمكان خروجه عن الحكمة ،ولم يقعا .

والأسدّ أنّ إمكان وقوع المعصية من الامام يلزمه عدم الوثوق ، فيلزمه عدم الانقياد ، فيلزم عدم الفائدة فيه .

١٣ ــ الامامة زيادة تكليف للإمام ، ففي كونه غير معصوم زيادة حاجة على الرعيّة إلى الإمام .

١٤ ــ تحصيل الاصابة في أوامر الله و نواهيه مطلوب ضروريّ ، فلوجعل غير المعصوم طريقاً إليه ، لاستنتجت الضروريّات من الممكنات في البرهان و هو محال لما ثبت في الميزان ، وبيان أنّ الاصابة في ما ذكرناه مطلوب ضروريّ أنّ الاستقراء و التمثيل ليسادليلين فيه ، ولا الخطابة لاختصاصها بالعوامّ ، ولا الجدل لأنّه لا طريق بعده ، ولا المغالطة وهو ظاهر ، فتعيّن أن يكون برهاناً و هو الامام فيكون معصوماً .

﴿ الفصل الخامس ﴾

و فيه وجوه :

١ ـ الامام إن لم يكن لطفاً لم يجب نصبه ، و هو محال . و إن كان لطفاً لنا خاصّةً أوله خاصّةً و هو أيضاً محال و إلّا لكان تكليفنا بطاعته و تكليفه بالقيام بامامتنا تكليفاً للغير للطف الغير ، فتعين كونه لنا وله ، فنحن نتمكّن من طاعته و هو يتمكّن من حملنا على التكليف بحيث لا إخلال و هو يوجب عصمته .

٢ ـ قد ظهر في علم الكلام أنّه يقبح جعل لطف شخص من أفعال الآخر و هو يضرّه لأنّه ظلم و الامام غير المعصوم تكليفه بالامامة لطف لنا و هي تضرّه لأنّ قيامه بها يمنعه من إمام آخر يكون لطفاً له ، فان كان له إمام آخر تسلسل ، و إن لم يكن خلا بعض المكلّفين عن اللّطف ، و لزم الترجيح بلا مرجّح .

٣ ـ إمّا كلّ واحد من الناس معصوم ، أولا شيء منهم بمعصوم ، وهما باطلان بالضرورة لقوله تعالى : « إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتّبعك من الغاوين (١) » فتعيّنت عصمة البعض ، فهو إمّا غير الامام و هو محال لقوله تعالى : « أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع (٢) » الآية و لأنّ الاحتياج إلى عصمة الامام أكثر لتأثيرها فيه و في غيره بخلاف عصمة غيره ، فبقي أن يكون المعصوم هو الامام وحده ، أو هو مع غيره و فيهما المطلوب من عصمته .

٤ ـ عدالة المكلّف و قيامه بالواجبات معلول لعدالة الامام كذلك ، فتجب عدالته في كلّ وقت وهي العصمة ، إن قيل : لم لا يجوز أن يكون عدالة الامام علّة معدّة فلا يجب حصولها ، قلنا : العلّة المعدّة إمّا معدّة لوجود معلولها كأجزاء الحركة وهذه لابدّ من وجودها ، أو معدّة لعدمه ، فعدالة الامام يمتنع كونها معدّة

(١) الحجر : ٤٢ .

(٢) يونس : ٣٥ .

لعدم عدالة الرعيّة ، لمنافاة عدمها اللّطف .

٥ ـ قول الامام و فعله دليل ، و كلّ دليل يمتنع معه نقيض المدلول ، و إلّا لم يكن دليلاً ، فقول الامام و فعله يمتنع نقيضه و ذلك هو العصمة .

٦ـ وجه الحاجة إلى الامام جواز خطاء الرعيّة ، فلو جازخطاؤه جاز إلزامه للمكلّف بالخطاء ، فيكون قد أكّدوجه الحاجة ، فلا يمكن نصبه لدفع الحاجة. بل ونقول في نصبه مفسدة ، لأنّ غيرالامام لايمكنه الالزام بالخطاء و الامامغيرالمعصوم يمكنه الالزام بالخطاء فيقع و يكثر ، فقد حارب معاوية عليّاً و أمر بسبّه فسبّ دهراً و أمر باخفاء فضائله بالأقطار ، و نهى الناقلين عن إيراد ما فيها من الأخبار وتظاهر ابنه يزيد الملعون المثبور ، بشرب الخمور ، وأفعال الفجور، وخراب البيت المعمور ، ونهب مدينة الرسول ، و قتل الحسين ابن البتول ، وأولاده وإشهار كريمه و كريماته في بلاده و أجناده .

تذنيب : خطأ المكلّف على غيره أشدّ في المفسدة من خطاءه على نفسه ، و الامام غير المعصوم خطاؤه على غيره ونفسه ، فتركه بغير إمام أشدّ محذوراً من ترك الرعيّة ، ولا يليق من الحكيم تعالى النظر للمرجوح و إهمال الراجح .

٧ ـ قد بيّنّا وجوب نصب الامام و وجوب اتّباعه ، و الواجب لابدّ من اختصاصه بصفة تزيد على حسنه ، لامتناع الترجيح بلا مرجّح ، و تلك الصفة هي كون أفعاله و أقواله صواباً دائماً ، و ذلك مسبّب عن العصمة .

٨ ـ عليّ أفضل من الملائكة ، لدخوله في آية الاصطفاء ، و الملائكة معصومون لقوله تعالى : « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (١) » .

إن قيل : هذه لا تفيد العموم . قلنا : يصحّ إخراج أيّ فرد كان وهو مسبار العموم ، و لقوله تعالى« بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » . « يسبّحون اللّيل و النهار لا يفترون (٢) » و لأنّهم لو كانوا عصاة لما حسن منهم

(١) التحريم : ٦ .

(٢) الانبياء : ٢٧ ، ٢٠ .

الطعن على البشر بالمعصية ، و متى كان عليّ أفضل من المعصوم فهومعصوم ، ولأنّه مساو للنبيّ بآية المباهلة ، و النبيّ أفضل من آدم و هو ظاهر ، و آدم أفضل من الملائكة بسجودهم له ، ولايحسن أمر العالي بالسجود للسافل ، و لأنّ النبيّ ﷺ قال : « علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل » و الامام أولى بذلك ، لأنّه أفضل العلماء والأنبياء أفضل من الملائكة ، و الملائكة معصومون والمساوي للأفضل أفضل ، و إذا ثبتت عصمتهم فمطلق الامام معصوم ، لعدم القائل بالفرق .

٩ ـ نصب الحدود واجب لدفع المعاصي إجماعاً . ولا يقيمها إلّا الامام اتّفاقاً فهو معصوم التزاماً ، لأنّ غيره يجوز تركها منه ، فيكون ذلك تناقضاً ، و لهذارفع عمر الحدّ عن المغيرة بن شعبة بحكم الهواء ، و كان كلّما لقيه يقول : قد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء .

١٠ ـ الرئاسة العامّة لغير المعصوم دفعها واجب ، لوجود الخوف فيها لتجويز خطائها ، ولا شيء من الامام دفع رئاسته واجب ، فلا شيء من غير المعصوم بإمام .

١١ ـ غير المعصوم مانع من ألطاف الامام بالامكان ، ولا شي من الامام بمانع من ألطاف الامام بالضرورة ، لأنّه نصب لها فلا يكون مانعاً منها ، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة ، لما بيّنا في المنطق أنّ نتيجة هذا الضرب ضروريّة و لئن سلّمنا سلب ضروريّتها فهي دائمة ، و في دوامها يتمّ المراد و يسقط الايراد .

١٢ ـ كلّ إمام مصلح بالضرورة ، ولا شيء من غير المعصوم بمصلح بالامكان فلا شيء من الإمام بغير معصوم .

١٣ ـ غير المعصوم غاو بالامكان ، ولا شيء من المعصوم بغاو بالضرورة ، لأنّه لدفع الغيّ فلا يتّصف بالغيّ فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة .

١٤ ـ عدم المعصوم يلزمه المحال ، و هو صدور الذنب المسبّب عن إضلال الله عند الخصم ، « و من يضلل الله فماله من هاد [1] » و هذا سالبة كلّية صادقة ، فلو

---

(١) الرعد : ١٣٥ .

هداه الله في وقت لصدق نقيضها و هو الموجبة الجزئيّة و هو محال ، لامتناع صدق النقيضين وحينئذ لا يهتدى بالنبيّ ولا بالامام ، فلا فائدة في البعثة .

١٥ـ لا شيء من الامام يباح الاعتداء عليه ، بالضرورة . و كلّ غير معصوم بالفعل يباح الاعتداء عليه في الجملة ، لأنّه ظالم في الجملة ، فيدخل في قوله «فلا عدوان إلّا على الظالمين [1]» ينتج : دائماً لا شيء من الامام بغيرمعصوم بالفعل .

١٦ ـ كلّ غير معصوم يركسه الله بما كسب بالامكان ، ولا شيء من الامام يركسه الله بما كسب بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة ، أو بالدوام .

١٧ ـ كلّ من ليس بمعصوم يمكن كونه ظالماً ، ولا شيء من الامام بظالم بالضرورة ، فلا شيء من غيرالمعصوم بامام بالضرورة .

﴿ الفصل السادس ﴾

و فيه أمور :

١ ـ غيرالمعصوم يمكن أن يتبرّأ منه من تبعه ، لقوله تعالى: «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا [2] » الآية ولا شيء من الامام المنصوب من الله يتبرّأ منه بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة على قول ، و بالدوام على قول و المطلق حاصل في القولين .

٢ ـ غير المعصوم يمكن أن يكون من أهل النار ، فيمكن أن يدعو إلى النار ولا شيء من الامام بالضرورة من أهل النار [ولا يدعو إلى النار] ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة أو بالدوام .

٣ ـ غير المعصوم مفسد لنفسه و لمتبّعه بالامكان ، ولا شيء من الامام كذلك بالضرورة ، فغير المعصوم ليس بامام .

---

(١) البقرة : ١٩٣ .　　(٢) البقرة : ١٦٦ .

٤ ـ غير المعصوم كاذب بالامكان فيدخل في قوله تعالى « فنجعل لعنة الله على الكاذبين [١] » ولا شيء من الامام بكاذب بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام .

٥ ـ لا شيء من غير المعصوم قوله وفعله بمجرّده حجّة بالامكان ، لعدم كونه معلوماً ، فلا يجب اتّباعه ، و كلّ إمام قوله و فعله بمجرّده حجّة بالضرورة فيجب اتّباعه ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة أو بالدوام .

٦ ـ مخالف غير المعصوم له على الله حجّة لو آخذه لأنّه معذور لعدم عصمته و جواز خطاءه ، ولا شيء من مخالف الامام كذلك ، فلا شيء من غير المعصوم بامام .

٧ ـ الامام المعصوم متّق و كلّ متّق الله معه ، لقوله تعالى : « والله مع المتّقين [٢] » فالمعصوم الله معه بالضرورة ، ولا شيء من غير المعصوم الله معه بالامكان فلا شيء من الامام بغير معصوم .

إن قيل : قد أخبر الله تعالى أنّه مع كلّ أحد بقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة [٣] » الآية . قلنا : هذه المعيّة بمعنى العلم لهم ، و الاحاطة بهم ، و المعيّة مع المتّقين بمعنى المعونة ، و زيادة الألطاف و الهداية ، وترجيح العناية ، والحثّ على المتابعة ، وإلّا لم يكن في القيد بالتقوى فايدة ، وقد ذهب جماعة من الأصوليّين إلى أنّ التخصيص بالوصف ، يقتضي التخصيص بالحكم ، فلو كانت المعيّة الأولى هي الثانية تناقضا .

إن قيل : لا تناقض لدخول المتّقين في كلّ أحد و الجزء لا يناقض الكلّ .

قلنا : كلامنا على اقتضاء التخصيص بالحكم ، و ظاهر فيه التناقض ، و أيضاً على التداخل يلزم التأكيد فيه ، و التأسيس مقدّم عليه .

انتهت هذه الفصول الموجبة للعصمة من المعقول ، و يتلوها أقطاب في شيء من المنقول ، بالنور المنزل على الرسول ، وهو الكتاب المجيد ، و الركن الشديد الوتيد

---

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) البقرة : ١٩٤ و براءة ٣٧ و ١٢٤ و لفظ الاية « و اعلموا ان الله مع المتقين » .

(٣) المجادلة : ٧ .

الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

القطب الاول

وفيه الآيات المتضمّنة للرحمة مثل : «بسم الله الرحمن الرحيم . اُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة . إنّ رحمة الله قريب من المحسنين . إنّه هو الغفور الرحيم . كتب ربّكم على نفسه الرحمة (١) » و نحو ذلك كثير ممّا فيه نسبة الرحمة إلى الله سبحانه كثير ، يستغنى بالاشاره إلى مجمله ، عن التطويل بمفصّله ، إذ لو سبرنا باقي أفرادها خرجنا عن قيد الوجيز بايرادها يجدها في الكتاب العزيز من أرادها.

و وجه الاستدلال بها أنّ الرحمة إنّما يكون ثبوتها بفعل مأمورات التكاليف وترك منهيّاتها ، وإنّما يكون ذلك بالألطاف المقرّبة إليها، المصرفة للقوى الشهويّة و الغضبيّة عنها ، ولاأهمّ في ذلك من المعصوم في كلّ زمان ، إذ منه تستفاد علوم أحكام السنّة و الكتاب لكلّ إنسان ، فترك نصبه يعود بالتعطيل على الأحكام ، العائد على نفي الرحمة عن الحكيم العلاّم ، فلا يكون لآيات الرحمة معنى معقولاً ، وهو تناقض لا يصدر إلاّ ممّن كان غبيّا جهولاً .

القطب الثاني

في الآيات المتضمّنة للتقوى : « و تزوّدوا فانّ خير الزاد التقوى . هدى للمتّقين . إنّما يتقبّل الله من المتّقين . و آتاهم تقواهم . إنّ المتّقين في جنّات و نعيم (٢) » و نحو ذلك ممّا يقرّب إليه و يعوّل في هذا المعنى عليه .

و وجه الاستدلال بهذه الآيات أنّ التقوى المحثوث عليها ، المرغّب فيها إنّما تحصل بامتثال الأوامر و إهمال الزواجر فان لم يكن للمكلّف طريق يؤدّي إلى العلم بذلك على الاطلاق ، لزم التكليف بما لا يطاق ، فان كان الطريق إلى الظنّ مؤدّياً ، فانّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً ، وغير المعصوم لا يجب التعويل

---

(١) البقرة : ١٥٧ . الاعراف : ٥٥ . يوسف : ٩٨ . الانعام ٥٤ .

(٢) البقرة : ١٩٧ . البقرة : ١ . المائدة : ٣٠ . القتال : ١٧ . الطور : ١٧ .

عليه ، لامكان نسبة المعصية إليه ، فلا يحصل الوثوق بالوصول إلى التقوى ، بل قد يجذب إلى ضدّها فتعمّ به البلوى ، فيجب وجود المعصوم ليفيد العلوم بأحكام الحيّ القيّوم .

إن قيل : آيات التقوى مهملة و هي غير عامّة ، فتصدق بمفرد ، فلا يفيد مطلوبكم . قلنا : بل الوقاية فرط الصيانة ، يقال : وقاه فاتّقى ، فلا يتمّ إلّا باجتناب الكبائر و الصغائر ، قال الله تعالى : « و أنا ربّكم فاتّقون [1] » و المراد بها فعل كلّ الطاعات ، و ترك جميع المعصيات . و قال النبيّ ﷺ «لا يبلغ العبد درجة المتّقين حتّى يدع مالا بأس به حذراً ممّا به البأس» .

القطب الثالث

في الآيات الّتي فيها طلب الهداية ، مثل : « اهدنا الصراط المستقيم [2] » و الّتي فيها نسبة الهداية إلى الربّ الكريم مثل « فهديناهم . و الله يهدي من يشاء . سيهديهم و يصلح بالهم . وهديناه النجدين . و من يهدالله فماله من مضلّ . ولكنّ الله يهدي من يشاء . هذا هدى . [هدىً] للمتّقين »[3] ونحو ذلك يستغنى بقليله عن كثيره ، و يشار بنزيره إلى غزيره .

و وجه الاستدلال أنّ الهداية جميعها غير معلومة بالعقول ، فانّ غالبها إنّما يستفاد من المنقول ، فان فوّض النقل و البيان إلى جايز الخطاء ، ولاشكّ في اختلاف المفسّرين و الرواة ، فان سمع المكلّف من الجميع ، وقع في الأمر الشنيع ، ولا ترجيح لبعض لارتفاع العصمة عن كلّ ، فالمرشد على اليقين إلى معرفة الهداية هو المعصوم عن الغواية ، فان لم يجب وجوده كلّفنا بمالاسبيل إليه ، وطلبنا الصواب ممّن لا يعوّل عليه ، و لهذا لمّا تغلّب على هذه المنزلة من جهل الفتوى ، خبط في دين الله خبط عشوى .

---

(١) المؤمنون : ٥٢ . (٢) الفاتحة : ٥ .

(٣) فصلت : ١٧ . النور: ٤٦ . القتال : ٥ . البلد : ١٠ . الزمر : ٣٧ . القصص : ٥٦ . الجاثية : ١٠ . البقرة : ١ .

القطب الرابع

في الآيات المتضمّنة للخوف و نحوه : « مثل لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ما على المحسنين من سبيل . إنّما يخشى الله من عباده العلماء . فلا تخشوهم و اخشون . مالكم لا ترجون لله وقاراً . يعذّب من يشاء . مأواهم جهنّم [١] » و غير ذلك من الآيات المشتملة على الوعيد بالمخالفة .

وجه الاستدلال أنّ خروج المكلّف عن خوف الوعيد ، و السقوط في العذاب الشديد ، إنّما يكون باختياره ما يوجب ذلك ، و هو غير عالم بما يوجبه أو يسلبه من تلقاء نفسه ، ولا ممّن يحكم في عقله بجواز معصيته ، فلا ملجأ له في زوال الهمّ الفادح ، إلّا بهداية من لايفعل ولا يأمر إلّا بصالح ، و ذلك هو الامام المعصوم الّذي لايصدق عليه اسم الظلوم .

القطب الخامس

الآيات الناطقة بما يوجب الهلاك ، مثل : « ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين . ولا تخونوا أماناتكم . ولا تفسدوا . فلا تولّوهم الأدبار . ولا تكونوا كالّذين آذوا موسى . ولاتقتلوا النفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالّتي هي أحسن . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة [٢] » إلى غير ذلك ممّا لا يخفى حقيقته ولا يعفى طريقه ، فنقول :

الكتاب و السنّة مجملان في هذه و غيرها ، فلابدّ من طريق إلى معرفة المراد يقيناً منها ، و مجتهدو الأمّة غايتهم الظنّ و التبعيض ، ولا يصلون إلّا في قليل إلى العلم القطعيّ المانع من النقيض ، فلابدّ من معصوم يجزم العبد بصوابه ، فلايخشى

---

(١) البقرة : ٦٢ . براءة : ٩٢ . فاطر: ٢٨ . البقرة : ١٥٠. نوح : ١٣ . البقرة : ٢٨٤ . آل عمران : ١٩٧ .

(٢) البقرة : ١٩٠ . « لا تخونوا الله و الرسول وتخونوا أماناتكم» : الانفال : ٢٧ . البقرة : ١١ . الانفال : ١٥ . الاحزاب : ٦٩ . الانعام : ١٥١ . البقرة : ١٨٨ . الانعام : ١٥٢ . البقرة : ١٩٥ .

باتّباعه من غضب الله و عقابه ، و النبيّ غير دائم الوجود ، فلابدّ من نايب يقوم بمقامه ، ويودّي إلى اُمّته تفاصيل أحكامه ، لئلاّ يدرس طريق نجاتهم فتكون الحجّة لهم على بارئهم ، حيث لم يستمرّ لهم منه نصب السبيل ، و ينتقض قوله « لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل »(١).

إن قلت : هذا يفهم كون الامام رسولاً . قلت : لا ، بل هو تكميل لدينه ، و نايب في رعيّته بعد حينه ، ولا خفاء أنّ الله لا يخل اُمّة من الخلفاء « و إن من اُمّة إلاّ خلا فيها نذير(٢) » .

القطب السادس

الآيات المتضمّنة للاستمرار على الحقّ اليقين : « ربّنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . لئن أشركت ليحبطنّ عملك . يا أيّها الّذين آمنوا . آمنوا بما نزّل على محمّد . اصبروا و صابروا . وافعلوا الخير . والله يحبّ الصابرين . الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . لئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم إنّ عذابي لشديد . إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا (٣) » .

فالدوام على ذلك و شبهه فيما لم تقض الضرورة به ، ولم تهتد العقول إلى كسبه ، إنّما يحصل من النبيّ ﷺ ، ومع فقده فمن الامام ، وغير المعصوم يشارك في الحاجة إلى الاستفادة ممّن جعل الربّ الحكيم عنده ، و منه الافادة ، وقد نصّ الله في كتابه المبين على اصطفاء قوم معيّنين في قوله : « إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين (٤) » . و إنّما يحسن ذلك من الحكيم مع عصمتهم من أوّل خلقهم إلى آخر عمرهم ، فان كان المراد الأنبياء و الأئمّة فالمطلوب

---

(١) النساء : ١٦٤ . (٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) آل عمران : ٨ . الزمر : ٦٥ . النساء : ١٣٥. القتال : ٢ . آل عمران : ٢٠٠ الحج : ٧٧ . آل عمران : ١٤٦ . الرعد : ٢٢ . ابراهيم : ٧ . الحجرات : ١٥ .

(٤) آل عمران : ٣٣ .

فيدخل فيه عليّ و فاطمة و باقي الأئمّة ، لأنّ الجمع المضاف للعموم ، وإن أُريد الأنبياء حصل المطلوب أيضاً ، لأنّ كلّ من قال بعصمتهم قال بعصمة الأئمّة ، و من منع عصمة الأئمّة لم يقل بعصمتهم ، فالفرق إحداث قول ثالث .

القطب السابع

الآيات الّتي فيها الحثّ على عمل الصالحات مثل : « افعلوا الخير » (١) ومن يفعل خيراً يجزبه . « ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره (٢)» و الآيات الّتي فيها الزجر عن المعصيات « من يعمل سوءً يجزبه . من كسب سيّئةً و أحاطت به خطيئته . كلّ امرء بما كسب رهين . فمن افترى على الله الكذب . اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا . حتّى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر و عصيتم ، ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا و اختلفوا (٣)» فهذه الآيات و نحوها لايوصل إلى حقائقها إلاّ بالمعصوم ، إذالكتاب والسنّة مشتملان على المجملات و المتشابهات ، وتفويض استخراج ذلك إلى الاجتهاد المختلف باختلاف الأمارات ، فيه تعطيل الأمور ، والتكليف بغير المقدور ، والخوف من عدم إصابة اليقين ، للقادة و التابعين .

وقد ذكر أنّ رجلاً دخل على فخر الدين الرازيّ في موضعه فوجده يبكي فقال له : ممّ بكاؤك ؟ فقال : مسئلة حكمت بها منذ ثلاثين سنة ، ووضعتها في مصنّفاتي و سارت بها الركبان ، و الآن ظهر لي أنّها خطأ فما يؤمنني أن يكون جميع ما صنّفته و ألّفته كذلك ، فهذا خوف هذا الامام مع سعة علمه ، و إقرار العارفين له بزيادة فهمه .

إن قيل : فما ذكرتم بطلان الاجتهاد ، و الاجماع يردّه . قلنا : اكتفي في المسائل العمليّة به تخفيفاً عند فقد المعصوم ، وقد قال الله تعالى : « ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم (٤)» لأنّ المسائل العلميّة

---

(١) الحج : ٧٧ .　　(٢) الزلزال : ٧ .

(٣) النساء : ١٢٢ .البقرة :٨١ الطور: ٢١.آل‌عمران:٩٤، ١٠٣، ١٥٢، ١٠٥ .

(٤) النساء : ٨٢ .

الّتي لا تستقلّ العقول بادراكها ، تحتاج إلى المعصوم فيها ، لينبّه عليها بمقدمات يضعها لا يهتدي غيره إليها .

إن قيل : النهي عن الافتراق لا يستلزم وجوب الاجتماع إذالنهي عن الشيء لا يستلزم الأمر بضدّه . قلنا : عند الأشاعرة أنّ متعلّق النهي فعل الضدّ فسقط السؤال ، و عند أبي هاشم متعلّقه عدم الفعل ، و المقصود هنامن عدم التفرّق اجتماع المسلمين لتحصيل فوائد الاجتماع ، و أبو هاشم لا يمنع ذلك .

إن قيل : النهي عن التفرّق لايعمّ جميع أحكام العباد ، بل مخصوص بماالمقصود منه الاجتماع ، كالاُصول والجهاد . قلنا : «لاتفرّقوا» نكرة منفيّة فتعمّ ولأنّ المراد عدم إدخال الماهيّة في الوجود ، فلو دخلت في وقت عدم الامتثال .

القطب الثامن

الآيات الدالّة على شفقة الله تعالى بخلقه ، و ذلك في آيات الرحمة و العفو و المغفرة و التوبة و النعمة ، و في أمر رسوله بنحو ذلك من التلطيف و التغافل عنهم و الارفاق بهم ، في قوله : « فاصفح الصفح الجميل . فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم (١) »
و بدون نصب الامام المعصوم من الله ورسوله لا يوجد ذلك ، إذ لايتمّ إلّا به ، فكيف يحسن من النبي صلّى الله عليه وآله مع شدّة شفقته الاخلال به .

إن قيل : هذا من باب الخطابة و المسئلة علميّة فلا تستفاد من الخطابة . قلنا : لا بل ذلك من باب مفهوم الموافقة ، فانّ الأمر باللّين و الاستغفار والتواضع هابط في اللّطفيّة عن المعصوم ، فيجب بالأولى ، و الخطاب الإلهيّ برهانيّ لأنّ إثبات الرحمة التامّة و إرادة المنافع العامّة ، علّة في نصب الامام المعصوم الّذي تفقد تلك الفايدة بفقده ، و هذا برهان لمّيّ ولأنّه تعالى أثبت أحد معلولي الرحمة وهو الأمر باللّين و الشفقة ، فيثبت المعلول الآخر و هو نصب المعصوم الّذي تفقد تلك

---

(١) الحجر : ٨٥ . آل عمران : ١٥٩ .

الفائدة بفقده ، وهذا برهان إنّيّ .

إن قيل : فاعل الحسن لحسنه لا يلزمه فعل كلّ حسن ، و الله فعل ذلك و أمر به ، فلا يلزمه فعل كلّ حسن ، فلا يلزمه نصب الامام . قلنا : بلى ، فانّه إذا فعل الحسن الّذي هو غير واجب لحسنه لزم منه أن يفعل الواجب لحكمته ، وقد بيّنّا وجوب نصب الامام والعناية به ، وإلّا لزم نقض غرضه من نفع خلقه ، إذ الامام أتمّ في تحصيل ذلك من اللّين و غيره من المأمور به .

القطب التاسع

الآيات الّتي فيها إخفاء الحقّ و كتمانه مثل : « لم تصدّون عن سبيل الله [من آمن] تبغونها عوجاً . لم تقولون على الله ما لا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لا تفعلون . لم تلبسون الحقّ بالباطل (١) » و نحوها ممّا ينجذب إلى معناها تقتضي التحرّز عن اتّباع من يجوز فيه ذلك ، و كلّ من ليس بمعصوم يجوز فيه ذلك ، و لأنّ آية « لم تلبسون الحقّ بالباطل » ناصّة على الباطل الممازج للحقّ ، فيدخل الباطل الصرف بطريق أولى ، و إذا كان النهي تعلّق بالمرتكب للباطل في بعض الأحوال ، فالمراد به الزجر عن الموجبة الجزئيّة المطلقة العامّة فيكون نقيضها و هو الدائمة الكلّية مراداً و هذه صفة العصمة و هي تحصل في الأمّة إذا أطاعت الامام في كلّ شيء و ذلك ممكن ، وهي مكلّفة به ، فالامام أولى منها بها و إلّا لشاركها في وجه حاجتها إليه ، و لأنّ الله تعالى لمّا أمر باتّباع الامام لمجرّد قوله في كلّ شيء علم أنّ سبيل الامام هو العصمة ، و إذا كان المكلّف أيضاً مأموراً بالعصمة كيف يكلّف باتّباع من ليس فيه عصمة .

القطب العاشر

الآيات المتضمّنة للاستعاذة من الشيطان مثل : «فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم من شرّ الوسواس الخنّاس »(٢) ونحو ذلك «ولا تتّبعوا خطوات الشيطان(٣)» فالمأمور

---

(١) آل عمران : ٩٩ . الصف : ٣ . آل عمران : ٧١ .

(٢) النحل : ٩٧ . الناس : ٤ . (٣) البقرة : ١٦٨ .

بالاستعاذة منه لا يكون هو المأمور باتّباعه مطلقاً و الامام مأمور باتّباعه مطلقاً فالمأمور بالاستعاذة منه لا يكون هو الامام ، و جايز الخطاء مأمور بالاستعاذة منه فجايز الخطاء لا يكون إماماً ولا يقع من الحكيم الأمر بالاستعاذة به ، ممّن يخيّل الخطأ في الأحكام الشرعيّة منه ثمّ يأمر باتّباعه ، لأنّ المأمور بالاستعاذة به منه شرّ ، و المأمور باتّباعه خير من كلّ وجه ، فلو جازخطأ الامام ولووقتاً ، لكان الخير من كلّ وجه شرّاً من بعض الوجوه ، و هو تناقض ، ومحال أيضاً من الحكيم الأمر بالاستعاذة به من شيء و هو قادر على إنقاذه منه ، ثمّ يأمره باتّباعه و يحرم الاقدام على خلافه ، و لأنّ الامام هاد دائماً فلو جاز خطأه لكان الله قد أمر باتّباع من أمر بالتعوّذ منه في وقت .

و لأنّ غير المعصوم قد يتّبع خطوات الشيطان ولاشيء من متّبعها يجب اتّباعه مادام متّبعاً لها ، فلا شيء من غيرالمعصوم بواجب الاتّباع و كلّ إمام واجب الاتّباع فلا شيء من غير المعصوم بامام و ينعكس إلى لا شيء من الامام بغير معصوم .

القطب الحادى عشر

قوله تعالى : « أفغير دين الله يبغون (١) » فكلّ من ابتغى غير دين الله في أيّ شيء كان ، فهو مذموم مستحقّ للعقاب ، ولا شيء من الامام كذلك لأنّه إنّما وجب ليعرّف المكلّف تفاصيل دين الله ، ولا يخالفه في شيء ، وإنّما ذلك المعصوم فلا شيء ممّن يتّبع غير دين الله بامام ، و تنعكس إلى لا شيء من الامام يبتغي غيردين الله . و نحو ذلك قوله « تبغونها عوجاً (٢) » و التقرير كما سلف ، و نحو ذلك قوله « و يريد الّذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً (٣) » فنقول : غير المعصوم يتّبع الشهوات ، و كلّ من يتّبع الشهوات يميل عظيماً و كلّ من يميل عظيماً لا يقتدى به ، و الامام يقتدى به ، فغير المعصوم ليس بامام .

---

(١) آل عمران : ٨٣ .
(٢) آل عمران : ٩٩ .
(٣) النساء : ٢٦ .

و أيضاً فالامام نصب لدفع المكلّف عن الشهوات والميل عن الحقّ ، ولايمكن ذلك بدون اطمئنانه ، و الاطمئنان مطلوب لقوله تعالى : « وما جعله الله إلّا ذكرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم[1] » ولا يطمئنّ إلّا إذاكان الدافع له موصوفاً بذلك ، فانّ من أمر بمعروف ولم يفعله لم يثق المكلّف به ، ولا يوصف بالميل عن الشهوات و إلى الحقّ دائماً إلّا المعصوم ، و لهذا لمّا تولّى غيره أمر الخليقة ، اتّبع الشهوات ، و مال إلى اللذّات ، و كثر ذلك في الرعيّة ، وشاع الفساد في البريّة ، ولمّا مالت علماء السوء إلى ذلك قرّرت الأتباع ما يرفع اللّوم عنهم ، من كون الله كتب ذلك عليهم ، و خلقه فيهم ، ولا حيلة لهم في دفعه ، ولا قدرة لهم على منعه ، بل جميع المناهي واقعة بطريق الإجبار ، كلّ ذلك حتّى لا يعودون عليهم بالانكار .

تذنيب : كلّ آيات الوعد و الوعيد ، و الأمر والنهي ، والحثّ على التمسّك بالدين والمنّ بالارشاد إلى طريق المؤمنين ، ومافيه ذكر الظالمين والفاسقين والمعتدين والمبدّلين ، و غير ذلك من جنسه و غير جنسه كثير مخزون في الكتاب المبين ، من أتقن ما أصّلناه منه ، قدر على استخراج ما سكتنا عنه ، و تبيّن له الاحتياج إلى المعصوم في كلّ فرد من أفراده ، وأنّه بدونه لا يصل إلى كنه مراده ، و من طلب ذلك بوجوه تفصيله فكتاب الألفين تكفّل بتحصيله ، و فيما وضعنا في هذا الكتاب من الفصول والأقطاب غنية لأولي الألباب عن الإطناب ، في القصد إلى سبيل الصواب .

﴿ الفصل السابع ﴾

قالوا : إن قلتم : إنّ عليّاً كان إماماً في عصر النبيّ خرقتم الاجماع ، و إن قلتم : لا ، جاز كون باطنه في تلك الحال على غير العصمة ، لعدم الإمامة و حينئذ لا يضرّ العصيان من غيره تقدّم إمامته . قلنا : عليّ و إن لم يكن إماماً في حياة النبيّ فانّه كان معصوماً لأجل إمامته بعده ، لئلّا يقع التنفير عنه ، كالنبيّ قبل بعثته

(١) آل عمران : ١٢٦ . الانفال : ١٠ و فيه « بشرى » مكان « ذكرى » .

و نفرق بينه و بين من شوهدت معاصيه و كفره قبل تحكيمه ، و خطائه و مخالفته بعد توليته، حتّى قال الأوّل إنّ لي شيطاناً يعتريني فاذا رأيتموني مغضباً فاجتنبوني لا أُؤثّر في أشعاركم و أبشاركم ، و تمنّى الثاني عند موته أن لم يكن شيئاً و أن يكون نسياً منسيّاً ، وأحداث الثالث لاتحصى كثرة ، و سنورد طرفاً منها في المطاعن جهرة ، بخلاف من فرض فيه ذلك ولم يعلم منه البتّة ، ولمّا نصبه الله ورسوله استدللنا بالمعلول على العلّة .

إن قالوا : لم يكن أحد بعد النبيّ معصوماً إلاّ عصمة الايمان . قلنا : هذه لا يعلم بالباطن حصولها ، و حسن الظاهر لا يدلّ عليها لوقوع النفاق في كثير من الأُمّة في حياة نبيّها و حينئذ لا وثوق ولا أمان بحصول الثلاثة باطناً على الايمان لجواز إظهاره وإبطان الكفران ، ولم قطعتم بالاطلاق على كذب من وصفهم بالنفاق .

إن قالوا : فمدائح النبيّ فيهم ترفع هذا التجويز لرواية سعيد بن عمرو بن نفيل ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عدّ العشرة المشهورة من أهل الجنّة . قلنا : إن سلّم ذلك عن الفساد ، فهو من أخبار الآحاد ، و الراوي له أحد العشرة ، فيردّ الحكم بقوله لشهادته لنفسه .

إن قالوا : لم ينكره أحد من الأُمّة فصار إجماعاً . قلنا : فالأُمّة قد اجتمعت على استحلال دم أحد العشرة ، و هو عثمان و كيف تستحلّ دم من تعتقد أنّه من أهل الجنان ، و إن لم تجتمع عليه ، فقد استحلّه جماعة كثيرة منها فكيف يدّعى في صلاحه إجماعها ، و الشيخان قد أكذبا ما روى سعيد فيهما ، بجزعهما عند موتهما حتّى قال الأوّل لابنته عائشة : هلك أبوك ، هذا رسول الله معرض عنّي فقال عمر : لا تخبروا بذلك فانّكم أهل بيت يعرف فيكم عند الموت الهذيان ، و قال عمر عند احتضاره : ليت أُمّي لم تلدني ، وسيأتي في المطاعن باسناده إلى صحاحهم .

و عثمان لم يحتجّ بخبر سعيد وقت حصره ، وقد ذكر غيره من فضائله ليدفع بها من قتله و ضرّه ، ولو كان صحيحاً عنده كان ذكره أوكد من غيره ، و هذا عليّ وطلحة و الزبير من العشرة قد استحلّ كلّ منهم دم الآخر ولم يسلّموا السعيد

في روايته ، و تخلّف سعد بن أبي وقّاص عن عليّ و بيعته في زمان إمامته و مع ذلك كلّه لو صحّ الحديث عن النبيّ كان معلّقاً بعاقبتهم ، فجاز [في ر] كونهم على ضلالهم إلى قرب حضور آجالهم آثروا توبتهم ، فكان إلى الجنّة عاقبتهم كما ادّعوا في طلحة و الزبير توبتهما بعد حربهما لامامهما .

﴿ الفصل الثامن ﴾

قالوا : ورد الخبر بندم عليّ على تحريق الغالين لمّا بلغه كلام ابن عباس في ذلك ، فان دفعتم الندم فأرونا في الكتاب و السنّة التحريق على جناية في الدنيا وقد جاء في الخبر أنّه شهد على نفسه بالخطاء في التحكيم ، وقال حين رأى اختلاف الناس عليه :

لقد عثرت عثرة لا أنجبر ✡ سوف أكيس بعدها و أستمرّ

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

وهذا كلّه ينافي العصمة ، قلنا : أدلّة العصمة لا تنكسر بهذه الشبهات و الأخبار الشاذّات المرسلات ، و خبر الواحد مع ذكر رواته و النصّ على عدالتهم لا يوجب علماً ، فما بال المرسل ؟ و كيف يكون قول ابن عبّاس سبب ندم عليّ عليه السلام و هو تلميذه وعنه أخذ الأحكام قال : ماملئت عيني منه قطّ هيبة له ، ولم نسمع له الخلاف لعليّ عليه السلام إلاّ في مال البصرة ثمّ ندم ولم يزل يبكي حتّى عمي .

ولم يرجع عليّ إلى أحد في شيء من الأحكام ، بل كانت رؤساء الصحابة ترجع عمّا حكمت إلى قوله عليه السلام وقد جاء النقل من الفريقين واستفاض بين الخصمين قول النبيّ صلى الله عليه وآله له : « أنا مدينة العلم و عليّ بابها . الحقّ يدور مع عليّ حيث دار أقضاكم عليّ » . و ضرب بيده على صدره حين بعثه إلى اليمن وقال : « اللّهمّ اهد قلبه و ثبّت لسانه قال عليّ فما شككت في قضاء بين اثنين » .

و قولهم : أرونا في الكتاب و السنّة التحريق بالنار . فانّ الله تعالى يقول

« ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا [1] » و قد آتانا أنّ علياً مدينة العلم وأمر جميع الأُمّة بأخذ علم الدين عن أمير المؤمنين ، فعلمنا بذلك أنّه لم يحرّق بالنار إلّا بعهد من الرسول إليه ، على أنّ الله قد جعل إحدى خصال عقوبة المحاربين النار في الدنيا .

و ما ذكره من ندمه على التحكيم ، فالبطلان ظاهر فيه ، و الشعر المنسوب إليه مكذوب عليه ، كيف ذلك و إنّما قتل من الخوارج أربعة آلاف حيث حكموا بضلاله في التحكيم ، أفيصحّ أن يشهد على نفسه بخطائه فيما قتل الناس لأجله .

ثمّ إنّ ذكر العثرة لا يدلّ على الخطأ و الندم ، لجواز تسمية ما أعقب العثرة عثرة مجازاً ، يجب المصير إليه لما تلوناه من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله فيه ، و قد أضاف الربّ الخبير زيادة الرجس إلى السورة و النفور إلى النذير . و أبلغ من ذلك أنّ الله تعالى سمّى الحسنة سيّئة و العدل جوراً في قوله : « و جزاء سيّئة سيّئة . ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه [2] » .

إن قالوا : إنّما سمّاهما بذلك لوقوعها في صحبة السيّئة و العدوان ، كما تقرّر في علم المعاني و البيان ، قلنا : و التحكيم وقع في صحبة العثرة من الضالّين حيث عدلوا إليه عن الحقّ اليقين ، الّذي قال الله تعالى فيه : « و كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين » . [3] على أنّا نعارض بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ، و هذا يدلّ بظاهره على ندمه على سوق الهدي ، ولم يخرجه ذلك من عصمته ، بل هو مصروف عن ظاهره ، فكذا ما نحن فيه .

قالوا : تلك صغاير جايزة على النبيّ ، و أنتم أثبتّم للإمام العصمة مطلقاً . قلنا : لم نثبتها له إلّا على حدّ ثبوتها للنبيّ و إلّا لكان أفضل من النبيّ ولا يقول ذلك سوى الضالّ الغبيّ ، على أنّا لا نجوّز الصغاير على النبيّ و إنّما قصدنا معارضتكم لنريكم أنّكم [أ] دخلتم في أشنع ممّا ألزمتم خصمكم .

و هذان الفصلان لخّصتهما من كلام الشيخ المفيد رحمه الله .

---

(١) الحشر : ٧ . (٢) الشورى : ٤٠ . البقرة : ١٩٤ . (٣) يس : ١٢ .

وقد ذكر المرتضى في شافيه أنّ عليّاً إنّما ذكر ذلك الشعر تحسّراً على كتاب كتبه إلى ابن أبي بكر ليعمل به ، فاعترضه معاوية فأخذه فأشفق أن يعمل به ، فيوهم على الضعفة أنّه من عمله فيشتدّ شبهتهم من قبله ، قال : و هذا التفسير قد روي عن عليّ عليه السلام من طرق معروفة من كتب أهل السير .

إن قيل : فلم حارب الفرق الثلاث [1] دون الأوّلين . قلنا : لوجود الناصر دون الأوّلين ، أو لجواز ظنّه أنّه لولم يحارب ارتدّ أكثر المستضعفين ، ولوحارب الأوّلين ارتدّ قوم من ضعفاء اليقين .

إن قيل : فعندكم قد ارتدّ دافعو النصّ على أمير المؤمنين ، فلا فايدة في ترك محاربة الأوّلين قلنا : خاف أن يتعاظم الكفر بوجود المحاربة فيؤدّي إلى جحد الله و توحيده و الرسول و ما جاء به .

إن قيل : فعندكم أنّ الاقرار بالله و رسوله ، لا ينفع عند جحد النصّ على خليفته ، فلازيادة بالمحاربة عمّا حصل بعدمها . قلنا : أقلّ مراتب الزيادة أنّهم إذا حاربوا الامام ، و أظهروا جحد الامامة ، وطعنوا فيها طعناً مسموعاً ، حصلت زيادة .

﴿الفصل التاسع﴾

رووا أنّ عليّاً قال : كنت إذا حدّثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحلفته بالله فان حلف صدّقته و إلاّ فلا . و إنّ أبابكر حدّثني و صدق أبو بكر ، قال النظّام : إن كان ثقة فلا معنى للاحلاف ، و إن كان غيره لم تزل تهمته بالاحلاف ، فانّ من جوّز الكذب على النبيّ يجوّز الحلف عليه ، قلنا : لم ينقل أحد أنّ عليّاً نقل عن النبيّ حرفاً بواسطة ، و هذا الخبر ضعيف لأنّه مسند إلى أسماء بن الحكم ، و هو مجهول عند أهل الرواية و روي من طريق آخر إلى سعد بن سعيد قال الزبير و يحيى بن معين و الشيباني إنّه ضعيف خبيث متروك الحديث . ولا موضع لانكار

---

(١) يعني الناكثين و القاسطين و المارقين .

النظام الا حلاف فانه في الثقة يزيد في يقينه ، و في غيره ربما أحجم للخوف من يمينه ، فانَّ كثيراً من المتهمين يرجعون عن الجحود لأجل اليمين ، ولو كان لا مدخل لليمين ، لطعن بها الكافرون على شريعة المسلمين ، بأن يقولوا : إن كان ثقة فلا معنى لها ، و إن كان غيره فاقدامه على اليمين أولى من غيرها .

و ما قاله من تصديق أبي بكر فلعلمه بصدوره عن النبيِّ ﷺ لا بمجرَّد إخبار النبيِّ . على أنّه لا يلزم من صدق أبي بكر في حديث صدقه في كلِّ حديث حتّى يلزم صدقه في قوله : « نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث » .

قالوا : قتل عليٌّ أصحاب الجمل ولم يغنم فان حلَّ أحدهما حلَّ الآخر و إلاّ حرما معاً . قلنا : قال عليه السلام : فأيّكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فقال له الراسي : أليس لنا قتل غيرها دونها ، قال : بلى ، قال : فلنا سبي غيرها دونها فقال عليه السلام : مننت عليهم كما منَّ النبيُّ ﷺ على أهل مكّة و قال لعبّاد لمّا اعترضه بذلك: إنَّ دار الهجرة حرَّمت ما فيها و إنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ، فما كان في دورهم فهو ميراث لذرّيّتهم . وقد ارتدَّ في أيّام أبي بكر علاثة فلم يتعرَّض لماله و آخر في أيّام عمر فلم يتعرَّض لماله ، هذا .

وقد شهد له النبيُّ ﷺ أنَّ الحقَّ يدور مع عليّ حيث دار . و إن لم يعلم وجه الصواب ، وجب علينا الكفُّ والتفويض إلى من علمت عصمته ، و أو من بدعاء النبيِّ خطاؤه ، و كما يرجع في آيات الجبر و التشبيه ، إلى إثبات العدل والتنزيه .

قالوا : قطع سارقاً من أشاجعه . قلنا : هو أعلم باللّغة العربيّة ، من غيره ، و لقد قال له قائل : أفلا قطعت من الرسغ ؟ قال : فعلى أيِّ شيء يتوكّأ ؟ و بأيِّ شيء يستنجي ؟ على أنَّ ذلك بنصِّ الكتاب في قوله « فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم[1] » .

قالوا : جلّد الوليد أربعين ، قلنا جلده بسعفة لها رأسان ، فكانت ثمانين أخذاً

---

(١) البقرة : ٧٩ .

من قوله تعالى : « وخذ بيدك ضغثاً [١] » .

قالوا : جهر بشتمة رجال في القنوت . قلنا : تظافرت الروايات أنّ النبيّ كان يلعن في قنوت الصبح قوماً من أعدائه بأسمائهم أربعين صباحاً فكان يقول : « اللّهمّ العن رعلاً و ذكوان ، و العن الحدثين من أسد و غطفان ، و العن أبا سفيان والعن سهيلاً ذا الأسنان » .

قالوا : أجاز شهادة الصبيان . قلنا : قد أجازها جماعة من الصحابة و التابعين فقد روى مالك بن أنس أنّ ابن الزبير كان يقضي بشهادتهم فيما بينهم من الجراح و قال مالك أيضاً : المجتمع عليه عند أهل المدينة جواز شهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح قبل تفرّقهم ولا يجوز على غيرهم ، وقال عروة : تقبل شهادة بعضهم على بعض ، و يؤخذ بأوّل قولهم ، ورواه ابن أبي الزياد عن أبيه أنّه من السنّة ، ورواه عن عمر بن عبد العزيز و كان أيضاً يجيزها مروان و ابن شهاب و ربيعة و شريح في ذلك .

قالوا : فيها مخالفة « وأشهدوا ذوي عدل [٢] » . قلنا : لا يدلّ التخصيص بالوصف على التخصيص بالحكم ، وقد قبل النبيّ شهاده خزيمة وحده ، و شهادة واحد مع اليمين ، و أمر الله بشهادة الكفّار على الوصيّة .

قالوا : سأل عبيدة السلمانيّ عليّاً عليه السلام عن بيع اُمّهات الأولاد ، فقال : كان رأيي و رأي عمر ببيعهنّ و أمّا الآن أرى أن لا يبعن . قلنا : قال الشيخ المفيد : قد أطبق الفقهاء و نقّاد الآثار على بطلانه ، ولو سلّم جاز كون كلام عليّ في زمان عمر للتقيّة و خوف الفتنة ، وقد أمضى النبيّ أحكام الكفّار عام الحديبية للمصلحة ، و ليس لهم حمل اختلاف أبي بكر و عمر على ذلك ، لأنّهم أهل الشوكة .

قالوا : نقل الجاحظ عن إبراهيم أنّ عليّاً اختلف قوله في الجدّ كأبي بكر قلنا : هذا تخرّص و بهت . إذلم يختلف من أهل الآثار في ذلك اثنان .

---

(١) ص : ٤٤ .

(٢) الطلاق : ٢.

قالوا : قال الشعبيُّ : رجع عليٌّ عن قوله في الحرام ثلاثاً ، أي قال رجل لامرأته أنت حرام . قلنا : الشعبيُّ ناصب كاذب فاسق أمّا فسقه فسنذكره في باب الطعن في رجالكم ، و أما كذبه فانّه قال : لم يشهد الجمل من الصحابة إلّا أربعة وقد أجمعت أهل الأخبار على أنَّ مع عليّ فيه ثمانية [ألف]من الأنصار ، و تسع مائة من أهل بيعة الرضوان ، وسبعون من أهل بدر ، وكان يحلف بالله أنَّ عليّاً دخل قبره ولم يحفظ القرآن . فقد ظهر في ذلك نصبه ، وشاع بانكار الإجماع كذبه .

قالوا : قال لقضاته بعد مصير الحكم إليه : اقضوا كما كنتم تقضون ، فان كان القضاء الماضي حقّاً فلا عتب على الماضين الآمرين به ، و إن كان باطلاً بطلت عصمة الآمرين به . إذ لاتقيّة حينئذ . قلنا : إنّما قال ذلك ـ و إن كان الحكم له ـ لأنَّ الأمّة قد كانت اعتادت تلك ، و اطمأنّت نفوسها إلى حقّيّتها ، ولهذا أراد أهل الشورى بيعته على سيرة الشيخين ، فلمّا أبى إلّا على كتاب الله انصرفوا عنه وعن كتاب الله إلى سيرتهما ، فقال ذلك للقضاة لاستصلاح الرعيّة وقد علّل ذلك في قوله « حتّى يكون الناس جماعة » فلمّا قتل الطوائف الثلاث وخمدت الفتنة ، غيّر بعض ما كان .

قالوا : فلم لم يغيّر الكلَّ : قلنا : ربما لم يخف من إظهار الخلاف في البعض كما يخاف في الكلِّ وربما كانت الشبهة على الأتباع في المتروك أشدُّ منها في الآخر.

قالوا : أكره الزبير و طلحة على البيعة . قلنا : لا ، بل إنّما بايع الناس بعد أن ألحّوا عليه ، وقد قال في خطبة له : فتداكَّ الناس عليَّ كتداكّ الإبل على حياضها وحتّى وطىء الحسنان وشقّت أعطافي . و في موضع آخر : ينثالون إليَّ كعرف الضبع ، و العامّة تروي أنّه قال لهما : امددا أيديكما أُبايعكما فانّني أكون لكما وزيراً خير من أن أكون لكما أميراً فأوَّل من بايعه طلحة ، و قال الأسديُّ : أوَّل يد صفقت على يد أمير المؤمنين يد شلّاء يوشك أن لايتمَّ هذا الأمر ، فكيف الإكراه مع هذه المسارعة .

قالوا : قتل عثمان : قلنا : قد علم من سمع الأخبار أنّه لم يقتل عثمان ، بل أنفذ ابنه الحسن ليسقيه الماء و هو ظمآن ، وإنّما تولّى قتله طلحة و الزبير في جماعة

من المهاجرين و الأنصار ، وقد قال لهما : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله ولم يمكن أحد منهم الردّ عليه .

قالوا : كان يحدّث بالمعاريض و يدلّس حين قال : إذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كما حدّثتكم وإذا سمعتموني أحدّث فيما بيني و بينكم فانّما أنا رجل محارب و الحرب خدعة ، و لعلّ قوله أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين و قوله في ذي الثديّة ما كذبت ولا كذّبت كان برايه للخدعة ، و لعلّ الشيء الّذي كان يراه حقّاً استجاز إسناده إلى الله و رسوله لأنّهما أمرا بكلّ حقّ .

قلنا : لا تدليس فيه و قد أفصح عن المراد منه ، و فرق بين الحديثين بأنّ ما حدّث عن الرسول فهو كما حدّث وإذا حدّث عن نفسه فله وجه تأويل وقد يضطرّ الامام إلى معاريض الكلام ويجري ذلك مجرى متشابه القرآن ، و إخباره بقتال الطوايف كان و هو متوجّه إلى قتال طلحة و الزبير فإنّ قوماً أشاروا بالكفّ عنهما فأضاف إلى النبيّ الاخبار بقتالهما ، و قال : أما والله لقد علم أصحاب محمد و هذه عايشة فاسألوها أنّ أصحاب الجمل ، و المخزج اليد ، ملعونون على لسان النبيّ الأمّيّ وقال : لا أجد إلّا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد ، فكيف يكون عن رأيه و قد استشهد عايشة بلعنه أصحابها مع كونها من أكبر أعدائه .

هب : أنّه علم حال الناكثين فكيف أخبر عن حال القاسطين والمارقين ؟ ولم يظهر منهم في حال الاخبار ما يخالف الدين .

إن قالوا : كان إخباره ترجيماً و ظنّاً فأصاب . قلنا : هذا يسقط أخبار الأنبياء بالغيوب ، لجواز كونه عن ترجيم فأصابوا ، و في هذا خروج عن الاسلام .

تذنيب : أكثر ما أوردته في هذا الفصل من الاعتراض والكلام ما حكاه المفيد في محاسنه عن الجاحظ عن النظّام ، و الجواب له رحمة الله عليه و رضوانه لديه وقد قال الجاحظ في آخر فصل حكاه عن النظّام في الفتيا : و كان إبراهيم من حفّاظ الحديث مع ذهن حديد ولسان ذرب ، يتخلّص به إلى الغامض ، ويحلّ به المنعقد و هو مع ذلك يخطيء خطأ الغمريّة ، ويخبط خبط السكران ، ويجمع بين السقطة والغفلة والحزم والاضاعة ، قال الجاحظ عقيب هذا الفصل : وقول إبراهيم لم يعمل به مسلم.

﴿ الباب السابع ﴾

✿ (في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام المنبهة على تعديله) ✿

و اعلم أنّما نذكر منها قطرة من بحار متلاطمة أمواجها ، و شذرة من قطار متلازمة أُصولها و إنتاجها ، نشت حيث ارتضعت عن حكمة ربّ الجلالة ، وفشت حين تكلّمت بهداية المخصوص بالرّسالة ، فحصر كلّ باغ الاحصاء عن حصرها ، و قصر كلّ باع الاستقصاء من قصرها ، فمن رام ذلك فقد رام مسّ الشمس ، و ردّ مافات بالأمس ، و بالجملة فهذا باب واسع لا يتأدى لموافق حصره ، ولا يتهيّأ لمنافق ستره ، وقد روى مسلم و البخاريّ حديث خروج النبيّ في مرضه إلى عزل أبي بكر عن صلاته أنّه خرج بين رجلين أحدهما الفضل و رجل آخر و كان عليّاً فلم تذكره عايشة باسمه طلباً لاعفاء رسمه .

و قال معاوية لابن عباس : كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ فكفّ لسانك ، قال أفتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا ، قال : فعن تأويله ، قال: نعم ، قال: أفنقرأه ولا نسأل ؟ قال : سل عن غير أهل بيتك ، قال : فانّه منزل علينا أفنسأل غيرنا أتنهانا أن نعبد الله فاذن تهلك الأمّة قال: اقرأوا ولا تأوّلوا ما أنزل الله فيكم فقال : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم [(١)] » ثمّ نادى : برئت الذمّة ممّن روى حديثاً في مناقب عليّ .

وقال ابن شداد الليثيّ: وددت أن أُحدّث بفضائل عليّ يوماً وأنّ عنقي ضربت فكانوا يقولون : قال رجل من قريش و يقول ابن أبي ليلى : حدّثني رجل من أصحاب النبيّ ﷺ و يقول الحسن : قال أبو زينب . و سئل ابن جبير عن حامل اللّواء فقال : إنّك لرخيّ البال .

قال ابن شهر آشوب : صاحب المصالت ؛ قيل : الزم السنّة تدخل الجنّة قال:

(١) الصف : ٨ .

و ما السنّة ؟ قال : حبّ أبي بكر و عمر و عثمان و معاوية ولعن أبي تراب ، قال هو الّذي كان يقاتل مع رسول الله ﷺ ؟ قال صار اليوم خارجيّاً ، و نهى معاوية عن تسميته فسمّى موسى بن رباح ابنه عليّاً فذبح في حجره .

و كتب معاوية إلى عمّاله لا تجيزوا شهادة شيعيّ . و قال بعض الشيعة لمالك: كم جزية ذمّي . قال : دينار ، قال : فهنا ديناران على أن أذكر الحقّ فأبى .

قال المعتمر بن سليمان : سمعت أبي يقول : كان في أيّام بني اُميّة ما أحد يذكر عليّاً بخير إلاّ قطع لسانه ، و في كتاب المبرّد كانوا يرجمون أبا الأسود الدئلي بالّليل فشكاهم إلى رؤسائهم ، فقالت العامّة : الله يرميه ، فقال : لو رماني لما أخطأني .

و اجتمعوا لقتل رجل قال عليّ خير من معاوية و قتل .

تذنيب : ذكر الراونديّ في خرائجه في خبر طويل عن الأعمش أنّه صلّى إلى جانب رجل فلمّا سجد سقطت عمامته فاذا رأسه رأس خنزير فسأله عنه فقال كنت مؤذّناً و كلّما أصبحت لعنت عليّاً ألف مرّة فلعنته يوم جمعة أربعة آلاف و نمت فرأيت القيامة و النبيّ و عليّاً و ولديه يسقون الناس فقال لي النبيّ ﷺ عليك لعنة الله أتلعن عليّاً ؟ ثمّ بصق في وجهي و قال : قم غيّر الله مابك من نعمة فانتبهت كما ترى .

وقد بذل معاوية لسمرة بن جندب أربع مائة ألف درهم على أن يجعل قوله تعالى : « و إذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها (١) » في عليّ « و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله (٢) » . في ابن ملجم ففعل ذلك ، ذكره السيّد ابن طاووس في الردّ على الجاحظ ، و قال الشعبيّ : كنت أسمع خطباء بني اُميّة يسبّون عليّاً فكأنّما يشال بضبعيه إلى السماء ، ويمدحون أسلافهم فكأنّما يكشفون على جيفة .

و قال بعض البلغاء : أصبح المختلفون مجتمعين على مدحه فيقول العدوّ

---

(١) البقرة : ٢٠٥ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

اضطراراً ما يقوله الوليّ اختياراً .

و أسند ابن مردويه في كتاب المتون إلى عائشة كان أبو بكر يديم النظر إلى عليّ فقيل له في ذلك فقال سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : النظر إلى عليّ عبادة ، و روى نحوه ابن مسعود و محمّد بن حصين و جابر و أنس و أبو هريرة عن معاذ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وروت نحوه معاذة ، عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

فقد سخّر الله خلقه لنقل فضائله و ما فيه الحجّة عليهم من دلائله ، فصنّف ابن جرير كتاب الغدير ، و ابن شاهين كتاب المناقب ، و ابن [أبي] شيبة كتاب أخباره و فضائله ، و الجاحظ كتاب العلويّة في فضايل بني هاشم على بني اُميّة ، و الاصفهانيّ كتاب منقبة المطّهرين و ما اُنزل من القرآن في أمير المؤمنين ، و أبو المحاسن الرؤيانيّ كتاب الجعفريّات و الموفّق المكّيّ كتاب الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ، و ابن مردويه كتاب ردّ الشمس في فضائل أمير المؤمنين ، والشيرازيّ نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين ، و المؤذّن كتاب الأربعين في فضائل فاطمة ، و ابن حنبل مسند أهل البيت و النطنزيّ [في] الخصائص العلويّة على سائر البريّة و ابن المغازليّ كتاب المناقب ، و البستيّ كتاب المراتب ، و البصريّ كتاب الدرجات ، و الخطيب كتاب الحدائق .

و في حديث الدوانيقيّ كم تروي في عليّ حديثاً فقال : عشرة آلاف ، قال رجل لابن عبّاس ما أكثر مناقب عليّ إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف ، فقال أولا تقول: هي إلى ثلاثين ألف أقرب .

قال المرتضى : سمعت عمر ابن شاهين وهوشيخ مقدّم في الرواية يقول : جمعت من فضائل عليّ ألف جزء ، وقال ابن حنبل ما جاء لأحد من الصحابة ما جاء لعليّ و روى المطرّزيّ عن الخوارزميّ مسنداً إلى ابن عبّاس قول النبيّ صلى الله عليه وآله : « لو أنّ الغياض أقلام ، و البحار مداد ، و الجنّ حسّاب ، و الانس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ ابن أبي طالب » .

[أباحسن لو أنّ ذا الخلق تاجروا ✡ بحبّك يا مولاي ماكان أخسروا

ولو كانت السبع السماوات كاغداً ☆ وكانت بعون الله تطوى و تنشر
وكانت جميع الانس والجنّ كتّب ☆ و كان مداد القوم سبعة أبحر
ولو كانت الأشجار جمعاً بأسرها ☆ تقصّص أقلام و تبرى و تحضر
لكلّت أياديهم و أفنى مدادهم ☆ وماحصلوا معشارمن فضل حيدر]

و أسنده ابن شهر آشوب إلى الزمني إلى اللّيث إلى مجاهد إلى ابن عبّاس و روى الخوارزميّ عن الصادق عليه السلام قول النبيّ صلى الله عليه وآله « جعل الله لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لاتحصى ، فمن ذكر له فضيلة مقرّاً بها غفر الله له [ما اكتسب] ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين ، و من كتبها لم تزل الملائكة تستغفر له مادام لكتابته رسم ، ومن استمع إليها غفر له ما اكتسب بالسماع ، و من نظر إلى كتاب في فضائله غفر الله له ما اكتسب بالنظر » وقد عرفت نقل الفريقين ، وشهادة الخصمين . قال ابن عبد البرّ : فضائله لا يحيط بها كتاب ، و نحوه قال النشويّ و الخطيب الخوارزميّ ، فهذه الشهادة خرق العادة حيث صدرت من المايل إلى الكتمان واستمرّت على مرور الأزمان .

نشرت حيلة قريش فزادته ☆ إلى صحّة القيامة قيلاً
و روى فضله المعاند حتّى ☆ زاده ما روى علوّاً و نبلاً

و قال الآخر :

شهد الأنام بفضله حتّى العدا ☆ و الفضل ما شهدت به الأعداء
فتلألأت أنواره لذوي النهى ☆ و تزحزحت عن غيّها الظلماء
يروي مناقبهم لنا أعداؤهم ☆ لا فضل إلا ما رواه حسود
و إذا رواها مبغضوهم لم يكن ☆ للعالمين على الولاة محيد

و سأذكر فصلاً مفصّلاً فيه انتساب فرق العلماء إليه ، و إحاطته ما يعتمد الحكماء و غيرهم من الفضلاء عليه .

نطقت بوحي الله فيك خصائص ☆ خير الأنام نذيرها و سفيرها
ما عصبة إلّا و أنت وليّها ☆ و كذاك مولاها و أنت أميرها

قال خطيب دمشق و ابن أبي الحديد في عليّ و هما قائلان بامامة أبي بكر :

ما أقول في رجل أقرّ له بالفضل من خصمه ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ، مع استيلاء بني أُميّة على الأرض ، و اجتهادهم في إطفاء نوره ، و لعنه على منابرهم ، و وضع معايبه ، وقتلوا مادحيه و حبسوهم عن رواية حديث يعليه ، فما زاده ذلك إلاّ سموّاً فكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه ، و كلّما كتم تضوّع نشره ، تعزّى إليه كلّ فضيلة ، و تتجاذبه كلّ طائفة ، كلّ من نزع من الفضايل بعده ، فله إقتفى ، و على مثاله احتذى ، و من كلامه اقتبس العلم الالهيّ ، و إليه انتهى .

فالمعتزلة الّذين هم أهل هذالفنّ تلامذته لانتسابهم إلى واصل تلميذ أبي هاشم بن محمّد بن الحنفيّة ، و هو تلميذ أبيه ، و الأشعريّة ينتمون إلى أبي الحسن و هو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ المعتزليّ ، فرجع علمهم إلى عليّ عليه السلام ، والاماميّة و الزيديّة انتسابهم واضح إليه .

وعلم الفقه فكلّ فقيه عيلة عليه ، وقد قرأ مالك على ربيعة ، و ربيعة على عكرمة ، وعكرمة على ابن‌عبّاس ، وهو تلميذ عليّ . وابن حنبل قرأ على الشافعيّ و الشافعيّ على محمّد بن الحسن من أتباع أبي حنيفة ، و أبو حنيفة على الصادق ، و انتهى الأمر إلى عليّ عليه السلام .

و علماء الصحابة ابن عباس وقد علمت أنّه تلميذه ، و عمر بن الخطّاب و قد عرف رجوعه إليه فيما أشكل عليه ، حتّى قال : لابقيت لمعضلة ليس لها أبوالحسن وقد روى الخاصّ و العامّ قول النبيّ صلّى الله عليه وآله له لمّا بعثه قاضياً إلى اليمن: اللّهمّ اهد قلبه و ثبّت لسانه فقال : ماشككت بعدها في‌قضاء ، و قال ارتجالاً على المنبر : صار ثمنها تسعاً و سيأتي قريباً .

و التفسير فهومأخوذ عنه وعن‌ابن عبّاس وقدقيل‌له : أين علمك من علم‌عليّ قال : كقطرة في البحر المحيط .

و علماء الطريقة ينسبونها إليه و الخرقة الّتي هي شعارهم إلى اليوم مقصورة

عليه صرّح بذلك الجنيد و الشبلي و الكرخي و البسطامي وقد قيل إنّهم ينتمون إليه في سلسلتين النوريّة هم ينتسبون إلى أبي الحسن النوري أخذه عن كميل بن زياد خادم علي عليه السلام و الجنيديّة ينسبون إلى جنيد البغدادي أخذه عن الحسن البصري تلميذ علي عليه السلام و هؤلاء ونحوهم المتّبعون لعفّته وزهده ، تفرّعت ينابيع الحكمة فيهم عن غزير علمه ، قال عزّ الدين المقدسي في تفسير كلامه : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » : الرّوح لطيفة ربّانيّة لاهوتيّة في جثّة ناسوتيّة دالّة من عشرة أوجه على وحدانيّة ربّانيّة :

١ ـ لمّا حرّكت الهيكل ودبّرته ، علمنا أنّه لابدّ للعالم من محرّك ومدبّر .

٢ ـ دلّت وحدتها على وحدته .

٣ ـ دلّ تحريكها للجسد على قدرته .

٤ ـ دل اطّلاعها على ما في الجسد على علمه .

٥ ـ دلّ استواؤها إلى أعضائه على استوائه إلى خلقه .

٦ ـ دلّ تقدّمها عليه و بقاؤها بعده على أزله .

٧ ـ دلّ عدم العلم بكيفيّتها على عدم الاحاطة به .

٨ ـ دلّ عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيّته .

٩ ـ دلّ عدم مسّها على امتناع مسّه .

١٠ ـ دلّ عدم إبصارها على استحالة رؤيته .

و قال أيضاً : صوّر الله آدم صورة مدنيّة أتقن فيها من المباني ما يدلّ على قدره الباني ، و حرّك فيها مثالث و مثاني يشير بأن ليس له ثاني ، و نصب وسطها قصر المملكة وهو القلب إذ هو بيت الربّ و جعل مدارها عليه ، و مرجعها إليه ، و وضع فيه سرير العزّ و السلطان ، و أجلس عليه ملكاً يقال له الايمان ، و بثّ في خدمته الجوارح كالغلمان ، فقال اللسان أنا الترجمان ، و العينان نحن الحارسان و الأذنان نحن الجاسوسان ، واليدان نحن العاملان ، و القدمان نحن الساعيان و قال الملكان نحن الشاهدان . و قال صاحب الديوان كما تدين تدان .

ثمّ قال الوزير الّذي هو العقل : أيّها الملك لابدّ لك من خاصّة يؤثرونك ولو كان بهم خصاصة ، فتحتاج إلى تاج هو الولاية ، وإلى معراج هو العناية ، وإلى دليل هو الهداية ، و إلى مركوب هو الصدق ، و إلى حلية هي السكينة ، و إلى صاحب هو العلم ، و إلى بوّاب هو الورع ، وإلى سيّاف هو الحقّ ، و إلى كاتب هو المراقبة و إلى سجن هو الخوف ، و إلى ميزان هو الرجاء ، و إلى سراج هو الحكم ، و إلى نديم هو الفكر ، و إلى خزانة هي اليقين ، و إلى كنز هو القناعة ، وإلى صاحب بريد هو الفراسة .

ثمّ قال أيّها الملك : انظر إلى رعيّتك بعين الرحمة ، و اقسم بكل ما تقيم به رسمه ، فقال الملك: بل انظر أنت في الرعيّة ، وأزل عنهم الشكيّة فقالت اليدان عليّ جمع الآلة ، و الأسنان أنا أطحن و أعزل النخالة ، و الريق أنا أعجن و أتولّى إلى المعدة إنزاله ، و المعدة أنا أطبخ و ما أزيد على ذلك عمالة ، و الكبد أنا آخذ الصافي و أترك الحثالة ، و القدرة أنا أفرّقه بالعدالة إلى كلّ عضو ما يطيق احتماله .

ثمّ نادى منادي الفيض : يا معشر الرعيّة ! قد أقسم الملك بالأليّة ، أنّ من عدل عن الطريق السويّة ، و كفّر نعمة العطيّة ، و أنفقها في الخطيّة ، فقد أفسد النيّة ، و نقض البنيّة ، و أولئك هم شرّ البريّة .

و اعلم أنّك لا تصل إلى منازل القربات ، حتّى تقطع ستّ عقبات :

١ ـ فطم الجوارح عن المخالفات الشرعيّة ، فتشرف على ينابيع الحكمة العقليّة .

٢ ـ فطم النفس عن المألوفات العاديّة ، فتشرف على سرائر العلوم الربّانيّة .

٣ ـ فطم القلب عن الرعونات البشريّة ، فتشرف على أعلام المناجات الملكوتيّة .

٤ ـ فطم النفس عن الكدورات الطبيعيّة ، فتشرف على أنوار المنازلات القرينية .

٥ ـ فطم الروح عن البخارات الحسيّة ، فتشرف على أقمار المشاهدات الحبيبيّة .

٦ ـ فطم العقل عن الخيالات الوهميّة ، فتهبط على رياض الحضرة القدسيّة فهنالك تغيب ممّا تشاهد من اللّطائف الانسيّة ، عن الكثائف الحسيّة .

هذا وقد سعى إلى الخليفة بأنّ الصوفيّة زنادقة رفضوا الشريعة ، فأمر بقتلهم فبدر أبو الحسن النوريّ إلى السيّاف فقال : لم بدرت ؟ قال : أحببت أن أُؤثر أصحابي بحياتي هذه اللّحظة فتعجّب و كتب إلى الخليفة فردّهم إلى القضاة فسألوا النوريّ عن أُصول الفرائض فأجاب فبعثوا إلى الخليفة : إن كانوا زنادقة فما على ظهر الأرض موحّد .

وقال شقيق لابراهيم بن أدهم : كيف تعملون ؟ قال : إن أُعطينا شكرنا ، و إن منعنا صبرنا ، قال : فأنتم ؟ قال : إذا أُعطينا آثرنا ، و إن منعنا شكرنا ، ولقي السقطيّ رجلاً جليلاً فسلّم عليه سلاماً ناقصاً فقيل له في ذلك ، فقال : روي عن النبيّ ﷺ : إذا التقى المسلمان قسم بينهما مائة رحمة تسعة و تسعون لأبشّهما فأردت أن يكون معه النصيب الأكثر ، فهذا و نحوه قطرة ممّا استنزع من علم عليّ عليه السلام وزهده و إيثاره ، وليس التصوّف المنسوب إليه مايفعله المغنّيون والرقّاصون بليالي العبادات ، في بيوت الصلوات فما أحسن ما وصف من رقصهم لاظهار نقصهم :

أيا جيل التصوّف شرّ جيل　　☆　　لقد جئتم بشيء مستحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي　　☆　　كلوا مثل البهائم وارقصوا لي

ولقد رأيت كتاباً مصنّفاً في معايبهم ، و كشف الستر عن حيلهم ، الّتي يوهمون بها على أتباعهم ، أنّهم بالقرب من ربّهم .

قالوا : ضرب بنات النجّار بالدفّ بحضرته عليه السلام لمّا قدم المدينة وغنّت :

طلع البدر علينا　　☆　　من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا　　☆　　مادعى لله داع
أنت يا مرسل حقّاً　　☆　　جئت بالأمر المطاع
جئتنا تسعى رويداً　　☆　　مرحباً يا خير ساع
يا نبيّاً من ضياه　　☆　　أشرقت كلّ البقاع

فطرب النبيّ ﷺ و وهب لهنّ عمامته ، و رقّصت الحبشة في مسجده فظلّل على عائشة لتتفرّج على ذلك ، و أنشد شخص بحضرته :

لسعت حيّة الهوى كبدي ✿ فلا طبيب لها ولا راقي
إلّا الحبيب الّذي كلفت به ✿ فانّه منيتي و ترياقي

فتمايل ﷺ و سقط رداؤه من أعلاه فتقاطعوه تبرّكاً .

قلنا : هذا كلّه من زخاريفكم الفاسدة ، وسخريّاتكم الواردة ، وقد عاب الدفّ ابن حنبل و أبو حنيفة .

قالوا : روى بريدة أنّ جارية قالت له عليه السلام بعد رجوعه من غزاة كنت نذرت إن رجعت سالماً أضرب بين يديك بالدفّ و أتغنّى ، فقال : إن كنتي نذرتي فاضربي و إلّا فلا، فضربت فدخل أبو بكر ثمّ عليّ ثمّ عثمان وهي تضرب فدخل عمر فوضعت الدّف تحت استها وقعدت ، فقال النبيّ ﷺ : إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر، أخرج ذلك الترمذيّ في صحيحه .

قلنا : لا يخفى ما فيه من القول بالباطل ، إذ لو نذرت الزنى أو غيره لأباحه لها وحاشاه أن يرضى بذلك و في قوله « و إلّا فلا » نهي صريح وهو للتحريم و كيف يصير النذر الحرام مباحاً و في قوله « إنّ الشيطان يخاف منك يا عمر » تصريح بأنّه فعل الشيطان ، و تفضيل لعمر على النبيّ و من حضره ، وقد روى العبديّ في آداب الكتّاب أنّه عليه السلام قال : « من استمع إلى قينة صبّ في أُذنيه الآنك يوم القيامة » و أخرج البخاريّ قول عمر: أمزمار الشيطان عند رسول الله ؟

و في تظليله على عائشة للمتفرّج نقص لا يرضى به الأدنى ، فضلاً عمّن لا ينطق عن الهوى ، وقد وافقوا على تحريم نظر المرأة إلى الرجال في قوله عليه السلام . أفعمياوين أنتما ، كيف و يعارض حديثهم قوله تعالى : « و ما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً و تصديةً (١) » و قوله « ما عندالله خير من اللّهو و من التجارة (٢) » والطرب المذكور جاز كونه لاقرارهنّ بنبوّته لا للدفّ بحضرته ، على أنّ الطرب مشترك بين الحزن و السرور قال شاعر :

---

(١) الانفال : ٣٥ .
(٢) الجمعة : ١١ .

و قالوا قد بكيت فقلت كلا ☆ وهل يبكي من الطرب الجليد

فيحمل طربه على كراهته .

إن قيل : فهبة العمامة تدلّ على رضاه . قلنا : لا ، إذ جازأن يكون ليُسر عن الانصراف عنه ، كما أنّ الله تعالى يحبّ قضاء حاجة الكافر كراهية منه لسماع صوته كما جاء في الحديث النبويّ .

﴿ الفصل الثاني ﴾

و لنرجع إلى النمط الأوّل من ذكر فضائله عليه السلام .

فعلم النحو أملأ على أبي الأسود جوامعه وهذا يلحق بالمعجزات لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بحصر الكلام في الثلاثة ، و الاعراب في الأربعة ، و أمّا أحواله في الحروب فبها تضرب الأمثال ، بأفواه الأولياء والأعداء من الرجال ، فانّه لمّا دعى بصفّين معاوية ليبارزه ليستريح الناس ، فيقتل أحدهما و تقصر الفتنة بينهما ، قال ابن العاص : قد أنصفك ، قال : غششتني أتأمرني بمبارزته و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق .

و انتبه يوماً فرأى ابن الزبير تحت رجليه فقال : لوشئت أن أفتك بك لفعلت قال : لقد شجعت بعدنا ؟ قال : و ما تنكر من شجاعتي ، وقد وقفت بازاء عليّ بن أبي طالب في الصفّ ؟ قال : لا جرم أنّه قتلك و أباك بيسرى يديه ، و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها .

و افتخرت اُخت عمرو بقتله أخاها فقالت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ☆ بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكنّ قاتله من لا نظير له ☆ و كان يدعى أبوه بيضة البلد

و طلب المشركون ببدر الأكفاء ، فخرج و أرداهم وكان النصر بقتلهم ، قال بعض الفضلاء فيهم :

أردى ببدر قروم المشركين وقد ✫ عتوا بضرب يقدّ الهام كالشعل
مابارزوا فارتضوا اقرناً سواه لكي ✫ يرووا به العذر عند اللّوم و العذل
كأنّما رام قتلاه الفخار به ✫ فما التقوا غيره و العمر في مهل
ما كان يبرز في حرب إلى بطل ✫ إلاّ و يبطل منه حيلة البطل
و أيّ مشهد حرب لم يروه به ✫ قطباً يدير رحا حرب بلا وجل

وفي الحديث : كانت ضرباته وتراً . قال ابن قتيبة في المعارف : ما صارع أحداً إلاّ و صرعه ، أقول : إنّ أهل الذمّة مع تكذيبهم بالنبوّة يحبّونه ، و الفلاسفة مع معاداتهم للملّة يعظّمونه ، و الفرنج و الروم تصوّر صورته في بيعها وملوك الترك و الديلم على أسيافها تضعها ، و كانت على سيف عضد الدولة و ابنه ، و على سيف أرسلان و ابنه ، كأنّهم بها يتفألون ، و للنصر بها يطلبون .

و بالجملة فكلّ شجاع ينتهي إليه ويعوّل في انتصاره عليه ، و قال الجاحظ : ليس في قتل الأقران فضيلة للرئاسة ، إذ ليس المقاتل في منزلة الرئيس و إلاّ لكان النبيّ مرؤساً لعدم قتاله . قلنا : في هذا تصغيرٌ لأمر الجهاد ، و ردّ على القرآن في قوله « و فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً (١) » ولم يكن لأبي بكر رئاسة و النبيّ حاضر مختصّ بهاغنيّ عنه و عن غيره فيها على أنّا لا نسلّم أنّ النبيّ ﷺ لم يقاتل ، وقد قاتل بأحد وغيرها وقد قالعليّ عليه السلام : كنا إذا أجم الباس (٢) اتّقينا برسول الله .

قال : الشجاع قد يترك النزال لمعان أشرف منه . قلنا : فهربه في خيبر[عنه] كان لمعان أشرف منه ! هي انكسار قلوب المؤمنين ! و نزول الغمّ بسيّد المرسلين ! حين ألبس بهزيمته جلابيب المذلّة لرايته ، و اقتفى عمر أثره في وصمته ، على أنّ ما ذكر يسري في العبادات ، فيقال : إنّ تاركها أفضل من فاعلها لمعان أخر أشرف منها ، وقد كان الرئاسة لأمير المؤمنين بصفّين و غيرها ، وقد قاتل بنفسه فيها .

(١) النساء : ٩٤ .
(٢) و فى النهج : كنا اذا احمر البأس .

و أمّا الجود فظاهر عليه وقد شهد له أعداؤه ، فقد دخل محقن الضبّيّ على معاوية وقال : جئتك من عند أبخل الناس ، فقال : ويحك لو ملك عليّ بيتاً من تبر و بيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه .

قال الشعبيّ : ما قال لسايل قطّ : لا ، وناهيك بما أتى في هل أتى حين إيثاره بالطعام ثلاثاً مع صيامه تلك الأيّام ، و نزل فيه « الّذين ينفقون أموالهم بالّليل و النهار سرّاً و علانيةً (١) » لمّا تصدّق بأربعة دراهم و المخالف يزعم أنّ أبا بكر أنفق أمواله على النبيّ الّذي هو أفضل من المسكين واليتيم و الأسير ، ولم ينزل فيه شيء يسير ، و ذلك إمّا لعدم الانفاق في نفسه ، أو لعدم الاخلاص فيه .

و أمّا الحلم فقد صفح يوم الجمل عن مروان و كان أعدى الناس عداوة له في كلّ أوان ، و عن ابن الزبير مع شتمه لعليّ جهاراً ، و كرّم عائشة بتجهيزها إلى المدينة في عشرين امرأة عليهنّ لبس الرجال فقالت في الطريق : هتك ستري برجاله فلمّا وصلت إلى المدينة ألقين العمائم و قلن : نحن نسوة ، وعفى عن أهل البصرة و الأحقاد لم تبدّد ، و موجبات المؤاخذه لم تشرّد ، وصفح عن معاوية و أصحابه حين ملك الماء بعد أن منعوه منه .

و أمّا الفصاحة فمنه تعلّم الناس الكتابة و الخطابة ، ولا يخفى ماله من مفرد الكلام و مركّبه ، حتّى اعتنى العلماء بشروحه ، و النظر في كشف أسراره ، كنهج البلاغة و غيره ، وقد أطنب الجاحظ في كتاب البيان ، في مدح عليّ في هذا الشأن .

و أمّا حسن الأخلاق ، فهو المضروب به المثل على الاطلاق ، قال ابن العاص: « إنّ به دعابة » أخذه من قول عمر لمّا عزم على استخلافه : «لله أبوك لولا دعابة فيك » قال صعصعة : كان فينا كأحدنا في لين جانب ، و شدّة تواضع ، و سهولة قياد ، و قال معاوية : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة .

و أمّا زهده فهو أحد الأبدال العظام ، فلم يشبع قطّ من طعام ، يلبس الغليظ القصير ، و يأكل جريش الشعير ، و كان من كرامته أنّ الجوع لم ينقص من قوّته

(١) البقرة : ٢٧٤ .

ولم ينقض أيده ، و ناهيك بنهج البلاغة في ذلك و غيره .

فمنه : والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً ، و أجرّ في الأغلال مصفّداً أحبّ إليّ من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أوغاصباً لشيء من الحطام ، و كيف أظلم و أجل النفس يسرع إلى البلا قفولها ، و يطول في الثرى حلولها .

و منه : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ، ما فعلت ، و إنّ دنيا كم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعليّ و نعيم يفنى ، و لذّة لا تبقى ؟

و منه : و الله إنّ دنيا كم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجذوم .

دلّ هذا و غيره على غاية زهده . مع أنّ الدنيا بأسرها في يده لما أتقن من أصول الكيميا لما يأتي ممّا نقلته عنه الفضلاء .

أما غيره فزهده في الدنيا تابع لزهدها فيه فهو منقاد قهراً إليه بخلاف من أعرض عنها بحسب اختياره ، كما تمدّح به في بعض أشعاره :

دنياً تخادعني كأنّني لست أعرف حالها ☆ مدّت إليّ يمينها فرددتها و شمالها
ورأيتها محتاجة فوهبت جملتها لها

قال الجاحظ : أبو بكر أزهد منه مات عن بعير و عبد مع كثرة الفتوح و الغنايم ، و لم يتزوّج من ذلك امرأة ولا اتّخذ منه سريّة و عليّ مات عن مزارع و نخيل و أزواج و سراري . قلنا : أمّا زهد عليّ في مطعمه و ملبسه فظاهر أنّه لم يلحقه أحد إليه ، ولا قارب ما اشتمل عليه ، ولم يخلف سوى سبع مائة درهم يشتري بها خادماً ، و ما كان له في حياته فلا خفاء أنّه صرفه في صدقاته ، و ما ذكره من كثرة نسائه ففيه تعريض بالنبيّ ﷺ حيث مات عن تسع ، وقد قال سفيان بن عيينة : تكثير النساء ليس من الدنيا فانّه لم يكن أحد من الصحابة أزهد من عليّ و كان له سبعة عشر سريّة ، و أربع نسوة .

و أمّا العبادة فكان أكثر الناس صلاةً و صياماً ، و منه تعلّموا الأوراد ليلاً حتّى بصفّين ليلة الهرير وضع له بين الصفّين نطع فصلّى عليه ، و السهام تقع بين يديه ، و تمرّ على صماخيه ، فلا يرتاع لها ، ولا ينتقل عنها ، و من تأمّل مناجاته لربّه ، و خشوعه لهيبته ، فهم أنّها خرجت عن قلب مخلص ، و لسان محقّ .

و أمّا القرآن فاتّفقوا على أنّه كان على عهد النبيّ يحفظه و قالوا ما تأخّر عن بيعة أبي بكر إلاّ لجمعه ، و القرّاء يرجعون إليه ، فانّ أبا عمرو و عاصم وغيرهما أخذوا القراءة عن أبي عبد الرحمن السلميّ و هو تلميذه عليه السلام .

و أما قوّة الرأي فكان أسدّ الناس رأياً ولقد أشار على عثمان بصلاحه لو قبل ذلك ما قتل ، و إنّما قال أعداؤه : لا رأي له . لأنّه كان مقيّداً بالشريعة دون غيره وقد قال : « لولا الدين لكنت أدهى العرب » .

و أمّا السياسة فكان خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمّه في عمل ولاّه ، وجبّه بكلامه عقيلاً أخاه ، و حرّق بالنار قوماً و صلب آخرين ، و قطع قوماً و نقض دور آخرين ، و من أكثر سياسته حرب الناكثين و القاسطين و المارقين .

و أمّا سبقه إلى الاسلام ، فلم يقل بخلافه إلاّ النادر من الأنام ، و من وقف على كتب الأحاديث و السير ، علم سبقه إلى سيّد البشر ، و سنأتي بطرف منه في مكان آخر .

قال ابن أبي الحديد : ذهب إلى سبقه الواقديّ و الطبريّ و رجّحه و نصره صاحب كتاب الاستيعاب ، ولم يخالف في ذلك إلاّ الأقلّون ، وهذا راجع إلى خطيب دمشق و ابن أبي الحديد من كلاميهما لمعناه لما عقلنا لمعناه .

﴿ الفصل الثالث ﴾

وقد عرفت به جواب أرذل النصّاب من الناس ، أنّ التفسير منسوب إلى مقاتل و ابن عبّاس ، و إلى مجاهد و الزهريّ ، و الحديث منسوب إلى أبي هريرة، إلى ابن عمر ، إلى نافع ، و الفقه منسوب إلى الأئمّة الأربعة و أتباعهم كالغزاليّ الشافعيّ فانّه صنّف في العلوم ألف كتاب و ابن الجوزيّ الحنبليّ نحوه و النحو منسوب إلى سيبويه ، إلى الأخفش ، إلى الكوفيّين ، إلى البصريّين ، و العروض منسوب إلى الخليل و الاُصولان و الطبّ وغيرها لها أهل تنسب إليهم ، ومن قوله : إنّ ذلك في أفواه الرفضة ، لم يوجد في كتاب ، لمّا رأوا ذكر أئمّة السنّة على المنابر ، أرادوا مقابلتها بما لا يخفى بطلانه على ذوي البصائر .

قلنا : قد عرف ما ذكر في أمير المؤمنين ، من أئمّة المخالفين و كتب المؤلّفين وقد ذكرت سلاطين السوء على المنابر ، و سبّ عليّ عليها أشهر للبادي و الحاضر فأيّ دليل في هذه الكلمة ، على إمامة الظلمة ، و المنسوب إليهم تلك العلوم، إنّما يفتخرون بأنّهم أتباع [أتباع] عليّ عليه السلام .

على أنّ الجوزيّ الّذي مدحه الناصب قال في كتابه : « الردّ على المتعصّب العنيد » : مقاتل كذّاب باجماع المحدّثين لايدري ما يقول ، و قال : وكيع كذّاب و قال السعدي : كان جسوراً و قال البخاريّ : كان مقاتل لا شيء البتّة و قال الساجي : كذّاب متروك . و قال الرازيّ : متروك الحديث ، و قال النسائيّ : الكاذبون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة ، و الواقديّ ببغداد ، و مقاتل بخراسان ، وابن سعيد بالشام ، و سيأتي تكميل ذلك في الباب السادس عشر .

و قال الجاحظ أيضاً نحو القول الأوّل ينسب : حفظ القرآن إلى زيد وابن زيد و غيرهما ولم يذكر عليّ فيهم و أصحاب الحروف أبيّ و ابن مسعود و غيرهما

ولم يذكر عليّ فيهم ، و أصحاب التأويل ابن عباس و الحسن و غيرهما ولم يذكر عليّ فيهم .

قلنا : قال الأهوازيّ إنّ قراءة عاصم تنتهي إلى السلميّ و هو قرأ على عليّ عليه السلام ، قال : و قراءة حمزة والكسائيّ ينتهيان إلى عليّ عليه السلام وأمّا التفسير والتأويل فأسند الشيخ المعظّم ابن عبد البرّ إلى الطفيل قوله عليه السلام على المنبر : « سلوني عن كتاب الله فما من آية إلاّ و أنا أعلم بها » و من المحال أن يقول ذلك على رؤس الأشهاد بغير علم ، وقد فسّر لابن عبّاس حروف الجمل فقال : علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المتعنجر ، و في تفسير الثعلبيّ عن ابن عطا قال : رأيت ابن سلام فقلت هذا الّذي عنده علم الكتاب ، قال : إنّما ذلك عليّ بن أبي طالب ونحوه روى أبو نعيم عن ابن الحنفيّة بطريقين .

قال والرواية منسوبة إلى ابن عمر ، إلى جابر ، إلى أبي هريرة ، إلى عائشة .
قلنا : أسند صاحب استيعاب إلى ابن عبّاس « كنا إذا أتانا الثبت عن عليّ لم نعدل به » و كيف يفضّل أبوهريرة المطعون فيه عند عمر و غيره عليه ، و ترك ذكره معه لعلوّه ، فانّ التامّ الكامل لا يذكر مع الناقص الحامل .

و الشمس لا يهبطها عايب ✿ سيّان دار أو غفول جهول
و النقص إذ ذاك على عايب ✿ قد قيّدته بالصغار الكبول

قالوا : ادّعيتم أنّ عليّاً يعلم ما في السماوات و الأرض و أنّه أعلم جبرائيل حين سأله عن نفسه وهو في الأرض وهذا يبطله قوله سبحانه : « لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلاّ الله(١) » وقوله « لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين(٢) » قلنا : جاز أن يكون علمه ببعض المغيبات باعلام النبيّ له لقوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول (٣) » ولو صحّ الاستدلال بالآية على عدم

---

(١) النمل : ٦٥ .
(٢) أسرى : ٩٥ .
(٣) الجن : ٢٦ .

نزول جبرئيل إلى الأرض ، لزم أن لا يكون نزل على النبيّ و هو خلاف إجماع الوليّ و الغويّ .

قالوا : عليّ لم يبلغ غرضاً بتحكيم عبد الرحمن في الشورى ، وتحكيم معاوية للأشعريّ ، و خروج عليّ في حرب الجمل و الخوارج ، فلو [كان] يعلم غيباً لم يفعل من ذلك شيئاً . قلنا : فالنبيّ أخبر بالغيب إجماعاً مع أنّه لم يبلغ غرضاً إذ غرضه كون الناس ملّة واحدة ، ولم يأخذ سوى جزيرة العرب ، فان دلّ ذلك على عدم الامامة دلّ هذا على عدم النبوّة ، بل وعلى عدم الالهيّة ، فانّ الله تعالى غرضه إذهاب الكفر ، و لم يحصل بالكلّية ، و الخلفاء الثلاثة لم يبلغوا كلّ غرض .

وقد أخرجوا لعمر حديث سارية وهو من علم الغيب ، والاعتذار عن التحكيم قد عرف في موضعه من طرقهم .

تذنيب : لذلك أخذنا معانيه من شرح نهج البلاغة لميثم البحرانيّ :

النفس الانسانيّة إذا فرغت من علائقها من الحواسّ الظاهرة ، رجعت بطبعها إلى جناب ربّها ، فيحصل لها من الصور هناك ما هو أليق بها من أحوالها ، ثمّ ترتسم في المخيّلة وتنحطّ إلى الحسّ المشترك ، فتصير كالمشاهدة ، هذا حالها في منامها و أمّا حال يقظتها فمتى كانت قويّة لم يكن اشتغالها بتدبير بدنها عايقاً لها عن ملاحظة مباديها ، و الاتّصال بحضرة ربّها ، فيفيض من جنابه صوراً عليها ، ثمّ ترتسم في مخيّلتها حتّى تصير كأنّه مشاهد لها .

إن قيل : إخبار عليّ بالمغيبات إنّما هو بعلم علّمه النبيّ ولو علّمه غيره لكان مثله و حينئذ لا مزيّة له ، و لهذا لمّا وصف الأتراك ، قال له بعض أصحابه : لقد أُعطيت علم الغيب . فضحك و قال : إنّما هو تعلّم من ذي علم ، و إنّما الغيب علم الساعة و ما عدّده الله بعدها ، و نحوه هو علم الغيب الّذي لا يعلمه إلّا الله، وماسواه فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ، و دعالي بأن أعيه .

قلنا أمّا القسم الأوّل فمسلّم اختصاصه بالله و أمّا المدّعى علمه ، فانّ النفس القدسيّة لها استعداد لانتقاش الأُمور الغيبيّة فتتأهّل لافاضة جود الله ، و الاختصاص

بعناية الله إمّا بواسطة الرسول و نحوه ، أو بغيرها كاعداد نفسه للقوانين الكلّيّة ، و لو كان النبيّ إنّما أعطاه صوراً جزئيّة لم يحتج إلى دعائه بفهمه ، فانّ فهمها سهل لمن له أدنى فهم ، و يؤيّده : علّمني رسول الله ﷺ ألف باب انفتح لي من كلّ باب ألف باب ، و قول النبيّ : اُعطيت جوامع الكلم و اُعطي عليّ جوامع العلم ، وفي عطف اُعطي على اُعطيت دلالة على أنّ المعطي لهما هو الله و هو المطلوب .

تذنيب آخر : قوله تعالى « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[١] » و المراد بالمؤمنين بعضهم و الامام أعلى من غيره ، فالمراد هو ، و متى كان نظره مساوياً لنظر النبيّ تعيّن كونه معصوماً كالنبيّ وصحّ اطّلاعه على أشياء بواسطة النبيّ .

إن قيل : لم لا يكون المراد بالمؤمنين مؤمني غير هذه الاُمّة ؟ قلنا : يبطله « لتكونوا شهداء على الناس[٢] » .

إن قيل : لم لا يراد بالمؤمنين الملائكة ؟ قلنا : لا يتناولهم اسم المؤمنين عرفاً و لهذا لم يسارع الفهم عند الاطلاق إليهم .

إن قيل : المراد برؤية العمل العلم بجزائه وذاك في المستقبل ، وهو لا يختصّ بالامام و يعضد ذلك سين الاستقبال . قلنا : لو اُريد الاستقبال لم يكن الربّ عالماً به في الحال و هو محال على أنّ السين جاءت لغير الاستقبال « فاستجبنا له فاستجاب له ربّه » .

﴿ الفصل الرابع ﴾

قالوا : قلتم : اعتقد الغلاة في عليّ أنّه الاله ، و ما ذلك إلّا لمعنى موجب لترجيحه يغتني الفهيم بتلويحه عن تصريحه ، و أيّ حجّة في الاعتقاد الباطل للكفرة وقد اتّخذت غطفان الغويّ إلها وهي شجرة ، و ثقيف مناة وهي صخرة ، وغير ذلك

---

(١) براءة : ١٠٦ .

(٢) البقره : ١٤٣ .

ولا معنى فيها يوجب ترجيحها ، وادعيت النبوة لمسيلمة و لسجاح وهي امرأة فأي معنى رأى فيهما أتباعهما .

قلنا : إنا لم نقل بأفضلية علي لكونه معبوداً بل : لما ظهر من أفعاله مما يبهر العقول ، ضل فيه لعدم تحقيق النظر الجهول ، كما ظهر لعيسى من إحياء الأموات ، وإبراء ذوي العاهات ، فرأوا العجز عن ذلك في القوة البشرية ، فوصفوه لذلك بالالهية ، ولم يعلموا أن الكرامات الدالة على الخلوص من الذنوب ، من أكبرها الاجابة من علام الغيوب ، وقد جاء عن النبي ﷺ إن لله عباداً أطاعوا الله فأطاعهم يقولون للشيء بأمره كن فيكون ، وقد أورد المخالف قول النبي ﷺ لعلي « لولا أن تقول طائفة فيك ما قالت في عيسى النصارى ، لقلت فيك.. » الحديث ، ولما بهر عقول النساء حسن يوسف العظيم « قلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم [1] » .

قال ابن أبي الحديد ، في مدحه للسيد المجيد :

تقيلت أفعال الربوبية التي ✩ عذرت بها من شك أنك مربوب
وقد قيل في عيسى نظيرك مثله ✩ فخسر لمن عادى علاك وتتبيب

و قصده المبالغة في المقال ، لا قبول عذر الضال ، ولا نسلم عدم المعنى في تلك الأصنام ، فان أكثر المفسرين قالوا : وضعت على صور قوم كرام من الأنام تبركاً بشرفهم فلما طالت الأوقات عبدها أولادهم جهلاً منهم ، و قيل : إنما وجهوا إلى الأصنام العبادات لأنها صور الكواكب المؤثرات فأرادوا تعظيمها لارتباط منافع العالم السفلي بها ، و استنادها إليها ، فلما تناسلت القرون نسي ذلك في التابعين و صاروا مقلدين ، و أيضاً لا يلزم من عدم وجود المعنى فيها عدم وجوده في غيرها و المجتمعون على مسيلمة وسجاح طلبوا الدنيا بهما لا لفضل رأوا فيهما ، كما جرت عوائد أتباع الظلمة لاحراز الأموال و علو الكلمة .

---

(١) يوسف : ٣١ .

﴿ الفصل الخامس ﴾

قالوا : قلتم : عليّ أفضل بالمصاهرة . قلنا : زوّج النبيّ عتبة بن أبي لهب و أبي العاص بن الربيع ، و هما كافران و زوّج عثمان ابنتين ، و تزوّج من الشيخين بالابنتين ، فالأئمّة الأربعة أصهاره . أجبنا بأنّ فاطمة أفضل من باقي بناته وزوجاته و أورد الثعلبيّ في تفسير قول ابن عمر : لعليّ ثلاثة لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النعم : تزويج فاطمة ، و إعطاء الراية ، وآية النجوى . ولم يقل ذلك في بناته وقد أخرج صاحب جامع الأصول عن النسائيّ أنّ الشيخين خطباها فاعتذر بصغرها و خطبها عليّ فزوّجه بها ، و أخرجه أيضاً عن رزين ، و ما قال من تزويج النبيّ بالكفّار يرد عليهم في تزويجه عثمان الّذي سمّوه ذا النورين ، بسبب تزويجه الابنتين .

وليس لهم أن يقولوا : عند خطبة عليّ كانت قد كبرت ، فلهذا ردّهما وأجابه لأنّا نقول : فالتعقيب في قول كتبكم « فخطبها » تمنع ذلك .

و أمّا فضل فاطمة على غيرها من بناته و غيرها ، فمشهور بأقوال النبيّ ﷺ فيها : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلاّ أربع وعدّها منهنّ وأخرج البخاريّ قوله في حقّها « سيّدة نساء العالمين ، يريبني ما رابها » و أخرج صاحب الوسيلة عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً ؟ فقال ﷺ : لمّا اُسري بي دخلت الجنّة فناولني جبرائيل تفّاحة فأكلتها فصارت نطفة ، و فاطمة منها و كلّما اشتقت إلى ريح الجنّة قبّلتها وإنّ خديجة هجرتها نساء قريش عند ولادتها لأجل تزويجي بها فتولّى أمرها حوّاء و آسية و كلثم اُخت موسى و مريم فلمّا وضعت فاطمة وقعت ساجدة نحو القبلة رافعةً أصبعها ، ناطقة بالشهادتين .

وقد روى مسلم في الجزء الرابع من صحيحه بعدّة طرق : فاطمة بضعة منّي يريبني مارابها و يؤذيني ما آذاها ، و بعض المعصوم معصوم .

وقد قالت في خطبتها المشهورة : أصبحت والله عائفة لدنياكم ، قالية لرجالكم لفظتم بعد أن عجمتم ، و سبرتم بعد أن خبرتم ، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، و قواعد النبوّة ، و مانقموا من أبي الحسن تالله إلاّ نكال سيفه ، و نكير وقعه ، و شدّة وطئه ، و تشهيره في ذات الله ، إلى أيّ لجاء أسندوا ، و بأيّ عروة تمسّكوا لبئس المولى ولبئس العشير استبدلوا الذّنابى بالقوادم ، والأعجاز بالكواهل رغماً لمعاطس قوم ، يحسبون أنّهم مصلحون ، ألا إنّهم هم المفسدون ، و لكن لا يشعرون .

و ناهيك من قولها بعد عرفان عصمتها من تقديم بعلها ، وقد أورد الثعلبيّ تزويجها في قوله « و هو الّذي خلق من الماء بشراً و جعله نسباً و صهراً [(١)] » .

ومن الوسيلة أيضاً إنّما سميّت فاطمة لأنّها فطمت محبّوها عن النار ، و منها عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله يناديى يوم القيامة أيّها الجمع نكّسوا رؤسكم ، و غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة على الصراط ، و منها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها إنّ الله يغضب لغضبك ، و يرضى لرضاك ، و منها قول النبيّ لعليّ إنّ جبرائيل يخبرني أنّ الله زوّجك بفاطمة و أشهد أربعين ألف ألف ملك ، و أوحى إلى شجرة طوبى أن تنثر الدرّ و الياقوت ، فنثرت فلقطه الحور فهو عندهنّ يتهادينه إلى يوم القيامة ، فمعاني هذه الأقوال نقلت من الوسيلة .

و في تفسير الزمخشريّ في قوله تعالى : « قالت هو من عندالله[(٢)] » إنّ فاطمة في زمن قحط أعدّت للنبيّ رغيفين و بضعة لحم فكشفت الطبق فوجدته مملوءاً خبزاً ولحماً ، قال لها: أنّى لك هذا ؟ قالت هومن عندالله إنّ الله يرزق من يشاء بغيرحساب فقال الحمدلله الّذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل ثمّ جمع بعلها و ولديها و أهل بيته و أكلوا حتّى شبعوا و الطعام كما هوفأوسعت فاطمة على جيرانها ، فهذه تشهد بأفضليّتها ، وأنتم تقيسونها بغيرها ، وقد وردت مدائح الشعراء بذلك فيها ، و

---

(١) الفرقان : ٥٤ .

(٢) آل عمران : ٣٧ .

لم يرد قليل منها في غيرها ، قال السوسيّ :

و زوّج بالطهر البتولة فاطمة ✡ و ردّ سواه كاسف البال منحصر
و خاطبها جبريل لمّا أتى بها ✡ و من شهد الأملاك يلقط مانشر
تناثر ياقوت و درّ و جوهر ✡ ومسك وكافورمن الخلد قد نثر
و قولا لهم يا خاطبيها بحسرة ✡ تزوّجت الشمس المنيرة بالقمر
و يطلع من شمس الضحى ومن الدجى ✡ كواكب قدلاحت لناأحد عشر

و قال العونيّ :

زوّجك الله يا إمامي ✡ فاطمة البرّة الزكيّة
و ردّ من رامها جميعاً ✡ بأوجه كره خزيّة
أليس قد نافقوا و إلاّ ✡ لم ردّها القوم جاهليّة

و قال سلامة :

أنا مولى من حباه ربّه ✡ بالرضا فاطمة زين العرب
لست مولا الخاطب الوغد الّذي ✡ ردّ بالخيبة لمّا أن خطب

و قال ابن عبّاس و ابن مسعود و جابر والبراء و أنس و اُمّ سلمة و السدّيّ و ابن سيرين و الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « هو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صهراً » قال : هو محمّد و عليّ و فاطمة و الحسنان « و كان ربّك قديراً[1] » القائم في آخر الزمان .

الصادق عليه السلام : أوحى الله تعالى إلى رسوله : قل لفاطمة لاتعصينّ عليّاً فانّه إن غضب غضبت لغضبه .

المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام : لولا أنّ الله خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض ، و نحوه رواه الأندلسيّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله و على هذا قال الصاحب بن عبّاد :

كفؤ البتول ولا كفؤ سواه لها ✡ و الأمر يكشفه أمر يوازيه

(١) الفرقان : ٥٤ .

و قال آخر :

ما كفوٌ بنت محمّد لولاك ما ✿ زفّت إلى بشر مدى الأحقاب

يا أصل عدّة أحمد لولاك لم ✿ يك أحمد المبعوث ذا أعقاب

و أسند المروزيّ في فضائل فاطمة و البلاذريّ في التاريخ : خطبها أبو بكر ثمّ عمر فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لكلّ منهما : أنتظر بها القضاء .

﴿ الفصل السادس ﴾

✿ (في مبيت علي عليه السلام على فراش النبي حين خرج الى الغار) ✿
✿(و في رواية الى الشعب)✿

قال المفيد : يجوز صدق الروايتين بالنوم مرّتين و هذه الفضيلة لم يأت أحد بمثلها ولم يتهيّأ لشخص إحراز فضلها ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج سرّاً عند اجتماع القبائل على قتله فأعلم عليّاً و استكتمه ، و أمره بالنوم على فراشه ، فنام و بذل نفسه دون نبيّه ، فأنزل الله تعالى فيه بين مكّة و المدينة على رسوله : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله (١) » .

قال المخالف : هي رواية مظنونة فلا يعوّل عليها ، قلنا : قد نقلها من الخاصّ و العامّ جماعة يوجب تواترها ، فمن العامّة ، الثقفيّ ، و الفلكيّ ، و الطوسيّ ، و الشيبانيّ و الحسن البصريّ ، وأبوزيد الأنصاريّ ، والسدّيّ ، ومعبد ، والعكبريّ و السمعانيّ ، و الغزاليّ في الإحياء و في كيمياء السعادة ، و ابن عقبة في ملحمته و أبو السعادات في فضائل العشرة ، وابن حنبل في مسنده ، و ابن المغازليّ في مناقبه و الخطيب الخوارزميّ ، و القاضيّ ، و الجوزيّ ، و الفرّاء ، و الزمخشريّ ، و الثعلبيّ و من الخاصّة ابن شاذان ، و الطوسيّ ، و ابن بابويه ، و الكلينيّ ، و

---

(١) البقرة : ٢٠٧ .

ابن أبي هالة ، و الصفواني ، و ابن عقدة ، و العبدلي ، و ابن فيّاض ، و أبو رافع و البرقي .

و رووا هم والثعلبي في تفسيره الحديث القدسي أنّ الله أوحى إلى جبرائيل وميكائيل : قد آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من صاحبه ، فأيّكما يؤثر أخاه؟ فكلّ منهما كره الموت ، فقال : هلاّ كنتما مثل عليّ وليّي آخيت بينه وبين محمّد نبيّي فآثره بالحيوة على نفسه ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه فهبطا فكان جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه و بخ بخ له جبرائيل و قال : من مثلك ؟ يباهي الله به ملائكته .

و في كتاب الخوارزمي نزل جبرائيل صبيحة الغار فرحاً فقال: أراك فرحاً ؟ قال : و كيف لا أفرح وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيّك وإمام أمّتك علي ابن أبي طالب ، باهى الله بعبادته البارحة ملائكته و حملة عرشه ، فقال : انظروا إلى حجّتي في أرضي بعد نبيّي وقد بذل نفسه و عفّر في التراب خدّه تواضعاً لعظمتي أشهدكم أنّه إمام خلقي و مولى بريّتي ، و ما امتحن الله خاصّة ملائكته بذلك إلاّ وقد علم من حالهم عدم صبرهم على هذه المهالك ، فكلّفهم وقد علم كراهتهم لتلك المسالك ، و أراد يعلم بني آدم أنّ الملائكة لم تقدم على فعله ، فيقرّون أنّه ليس فيهم كمثله .

و هذا المبيت لو وزن بأعمال الخلائق لرجحها ، لأنّه سبب نجاة نبيّها وأداء رسالته إليها ، و إنفاذ الأمر الالهي فيها وثبوته ، و هو ابن عشرين سنة ، مع كثرة الأعداء ، مراغماً لهم ، ينادي على الكعبة ثلاثاً بصوت عال ، و قوّة جنان ، و قلب راسخ ، و ثبات لسان ، مع قلّة الأعوان ، و كثرة الخذلان : هل من صاحب أمانة أو وصيّة أو عدة عند رسول الله؟ فأدّى الحقوق ، وجهّز العيال جهازاً ، وفيهم عائشة فله المنّة على أبيها و عليها بحفظها ، و في وصيّته بذلك سالفاً دليل استحقاقه ، و وصيّته خالفاً قال ابن جبر في نخبه : الشجاع الثابت بين أربعمائة سيف مظهر العداوة لهم حين سألوه عنه فقال : « هو في حفظ الله أو رقيب كنت عليه » و هذا ممّا يعجز عنه

ذو القدر ، لولا التأييد من خالق البشر .

قال الجاحظ : إنّما لم يهرب خوفاً من العار ، قلنا : يردّ هذا قوله تعالى: « و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله (١) » و صبره عليه السلام أعظم من صبر إسماعيل لوجود الشفقة من أبيه ، و تجويز العفو من باريه ، و تجويز كون ذلك امتحاناً ، إذ لم يعهد ذلك من أحد ، و تجويز نسخه قبل فعله ، و تجويز كون باطن الكلام بخلاف ظاهره ، و تجويز كون تفسير المنام بضدّ حقيقته ، و تجويز الاتيان بفدائه ، ولا شيء من هذه التجويزات حاصل لعليّ حال البيان .

إن قيل : بل محنة إسماعيل أعظم لعلم عليّ أنّ قريشاً إنّما طلبت النبيّ دونه بخلاف إسماعيل ، إذ كان يعلم أنّ ذلك بالوحي الالهيّ . قلنا : فتفويته غرضهم ممّا يوجب شدّة الحرج والغضب عليه ، و ذلك معروف بالعادات أنّ من فوّت عليهم حيلتهم ، حتّى فات غريمهم ، لا يلحقهم شفقة عليه ، ولا ميل مّا إليه ، فظهر أنّ ما سلف من النوم ، أقوى في الشجاعة من براز القوم ، إذ مبارزة الأبطال الكبار ، فيها رجاء السلامة بالمكر و الفرار ، ولهذا لمّا غلب ظنّ الملكين بالتلف ، لم يوثر أحدهما الآخر بالخلف .

قال الجاحظ : في الروايتان النبيّ بشّره أنّهم لا يصلون إليه ، فلا فضيلة له فيه . قلنا: تلك الزيادة لم تنعرف ، إلّا من عدوّ منحرف ، نعم في رواية ابن المغازليّ : لا يخلص إليك منهم مكروه إنشاء الله ، و هذا لا جزم فيه لتعلّقه بالمشيئة ، و ابن حنبل أعرف من ابن المغازليّ ، وقد نقل في مسنده أنّهم رموه بالحجارة ، و لئن سلّمت الزيادة ففيها ، فضيلة الوثوق بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله .

وقد رووا قوله عليه السلام أنّ الشيخين يليان الخلافة ، ومنهم من يقول إنّه نصّ عليه بالخلافة ، فان صدّق بقول النبيّ فما قعوده عن لقاء الأبطال ، و إن شكّ في النصّ فأين مقام عليّ من هذا الحال .

---

(١) البقرة : ٢٠٧ .

وقد أورد المفيد في العيون والمحاسن قول عليّ لأبيه : إنّي مقتول ، فقال:

اصبرن يا بنيّ فالصبر أحجى ✿ كلّ حيّ مصيره لشعوب
قد بذلناك و البلاء شديد ✿ لفداء النجيب وابن النجيب

فأجابه عليه السلام :

أتامرني بالصبر في نصر أحمد ✿ فوالله ما قلت الّذي قلت جازعاً
و لكنّني أحببت أن تر نصرتي ✿ و تعلم أنّي لم أزل لك طائعاً
وسعيي لوجه الله في نصر أحمد ✿ نبيّ الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

و هذا يتأتّى على رواية الخروج إلى الشعب لما ورد أنّ أبا طالب كان قدمات عند الخروج إلى المدينة كما ذكره صاحب جامع الأصول و سيأتي إن شاء الله .

قالوا : إنّما أباته لعلمه أنّ الاسلام لاينهدم بقتله ، و استصحب أبابكر لعلمه بخلافته . قلنا: قدرويتم أنّه قال صلى الله عليه وآله : الخلافة بعدي ثلاثون سنة على أعمار الأربعة فكيف يحرص عليه خاصّة دون غيره ، بل قد روي أنّه صحبه خوفاً من أن ينمّ عليه قال ابن طوطيّ :

ولمّا سرى الهادي النبيّ مهاجراً ✿ وقد مكر الأعداء والله أمكر
و صاحب في المسرى عتيقاً مخافة ✿ لئلاّ بمسراه لهم كان يخبر

و روى أبو بصير عن الصادق عليه السلام أنّه تبعه يريد أن يعلمه به قريشاً فأوحى الله إليه ذلك ، فقال له : ويلك ما زلت منذي اللّيلة مؤذياً لي ، فقال : إنّما أردت أشيعك ، و أعلم علمك ، ولا حاجة لي في أن أكون معك ، بل أحبّ أن أكون مخملاً اُكذّب عنك ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله أمرني أن آخذك ثمّ قبض عليه وكان من أشدّ الناس قبضة فأخذه كارهاً وسيأتي لذلك في باب ردّ الشبهات عند ذكر آية الغار مزيد كلام ، فليراجعه من يريد هذا المرام .

وقد افتخر عليّ في المبيت و أنشأ في هذا المقام :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ✿ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
أردت به نصر الاله تبتّلاً ✿ و أضمرته حتّى اُوسّد في القبر

و مدحه الفضلاء و الشعراء كالحميريّ والطوطيّ و دعبل الخزاعيّ و الناشي و من أحسن ما قيل فيه للسيّد المرتضى :

وقى الرسول على الفراش بنفسه ✫ لمّا أراد حمامه أقوامه
ثانيه في كلّ الأمور و حصنه ✫ في النائبات و ركنه و دعامه
لله درّ بلائه و دفاعه ✫ و اليوم يغشى الدارعين قتامه
فكما أسمّ إلى العوالي عيلة ✫ و كأنّما هو بينها ضرغامه[١]
طلبوا أذاه ففاتهم سبقاً إلى ✫ أمد يشق على الرجال مرامه

و ذكر الواقديّ و غيره أنّه لمّا أراد الخروج بعيال النبيّ صلّى الله عليه وآله قال له العبّاس : ما أراك تمضي إلّا في خفارة خزاعة ، فقال :

إنّ المنيّة شربة مورودة ✫ لا تجزعنّ و شدّ للترحيل
إنّ ابن آمنة النبيّ محمّد ✫ رجل صدوق قال عن جبريل
أرخ الذمام ولاتخف منعائق ✫ فالله يرديهم إلى التنكيل
إنّي بربّي واثق و بأحمد ✫ و سبيله متلاحقاً بسبيلي

و قال السيّد الحميريّ في مبيته عليه السلام :

و من قبل ما قدبات فوق فراشه ✫ و أدنى وساد المصطفى و توسّدا
و أخمر منه وجهه بلحافه ✫ ليدفع عنه كيد من كان أكيدا
فلمّا بدا صبح يلوح تكشّفت ✫ له قطع من حالك اللّيل أسودا
و دارت به أحراسهم يطلبونه ✫ و بالأمس ما سبّ النبيّ و أوعدا
أتواطاهراً والطيّب الطهرقدمضى ✫ إلى الغار يخشى فيه أن يتورّدا
فهمّوا به أن يقتلوه وقد سطوا ✫ بأيديهم ضرباً مقاماً و مقعداً

دعبل :

و هو المقيم على فراش محمّد ✫ حتّى وقاه مكائدا و مكيدا

---

(١) فكأنما أجم العوالى عيلة . خ .

وهو المقدّم عند حومات الوغى ✫ ما ليس ينكر طارفاً وتليدا

الناشي :

وقى النبيّ بنفس كان يبذلها ✫ دون النبيّ قرير العين محتسبا

حتّى إذا ما أتاه القوم عاجلهم ✫ بقلب ليث يعاف الرعب ماوجبا

فساءلوه عن الهادي فشاجرهم ✫ فخوّفوه فلمّا خافهم وثبا

و قال آخر :

مبيت عليّ في الفراش فضيلة ✫ كبدر له كلّ الكواكب تخضع

فرهن عليّ بالفكاك معادل ✫ و هذا سبيل واضح النهج مهيع

﴿الفصل السابع﴾

حمله النبيّ لتكسير الأصنام ، عن البيت الحرام ، و هو من الفضائل العظام حيث تشرّف قدماه بمنكب خير الأنام ، وقد رواه الفريقان مثل ابن حنبل والموصليّ و الخطيب و الخوارزميّ و الزعفرانيّ و النطنزيّ و الشيرازيّ و عمّار بن أحمد و أبي عمر والقاضي و ابن منده و البيهقيّ و ابن مردويه و الثعلبيّ و الجرجانيّ و شاذان و الحسكانيّ .

قالوا : لا فضيلة لعليّ في حمل النبيّ إذ لو وجد آلة يرمي بها غيره لم يحمله.

قلنا : لم يشكّ أحد في أنّ ذلك فضيلة لعليّ فقد ذكره شيخ المعتزلة ابن أبي الحديد في قوله :

رقيت بأسمى غارب أحدقت به ✫ ملائكة تتلو الكتاب المطهّرا

فيارتبة لو شئت أن تلمس السها ✫ بها لم يكن ما رمته متعذّرا

و يا قدماه أيّ قدس وطئتما ✫ و أيّ مقام قمتما فيه أنورا

وهذا أخذه من قول النبيّ ﷺ فيما رواه ابن المغازليّ أنّ عليّاً قال للنبيّ : أنا أحملك فقال النبيّ لو أنّ ربيعة و مضر جهدوا أن يحملوا منّي بضعة و أنا حيّ

ماقدروا ، و لكن أنا أحملك ، فاقتلعه من الأرض بيده و رفعه حتّى بان بياض إبطيه و قال : ماترى ؟ قال : أرى أنّ الله قد شرّفني بك حتّى لو أردت أن ألمس السماء للمستها ، فلمّا رمى بها صرخ النبيُّ من تحت عليّ فترك رجليه ، فسقط على الأرض فضحك قال : ممَّ تضحك ؟ قال : سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء ، قال : كيف يصيبك وإنّما حملك محمّد ، و أنزلك جبرائيل .

فهذا الحديث مجمع عليه ، يتبيّن فضيلة عليّ منه ، والمخالف يبطل ترجيحه بذلك ، و يرجّح أبابكر بإخباره بموضع قبر النبيِّ بخبر رواه ، و بإخباره بأنّه يجوز عليه الموت مع اشتهار قوله تعالى : « إنّك ميّت و إنّهم ميّتون . و كلّ نفس ذائقة الموت [١] » و أيضاً إذا ادّعيتم أنّ النبيَّ لم يقصد الفضيلة لعليٍّ بحمل عليّ لزمكم أنّه ﷺ لم يقصد الفضيلة لأبي بكر بصحبة أبي بكر ، وقد روي أنَّ الثلاثة هبطوا عن مقام النبيُّ في المنبر و عليٌّ صعد إليه فتكلّم الناس فيه فقال: سمعت النبيَّ يقول : « من قام مقامي ولم يعمل بعملي أكبّه الله في النار و أنا والله العامل بعمله و الحاكم بحكمه » .

قلت : فمن أقام الاسلام بحسامه ، و وضع رجله من النبيِّ على ختامه ، كيف ينكر عليه الصعود إلى مقامه ، قال الناشي :

و كسّر أصناماً لدى فتح مكّة ☆ فأورث حقداً كلَّ من عبد الوثن
فأبدت له عليا قريش عداوة ☆ فأصبح بعد المصطفى الطهر في محن
يعادونه أن أخفت[٢] الكفر سيفه ☆ وأضحى به الدين الحنيفيُّ قد علن

قال المخالف : روت أهل السنّة أنّ النبيَّ ليلة الهزيمة كان يحمل أبابكر في الرمل لأنّ قدم النبيِّ لا يؤثر فيه و أبو بكر يحمل النبيَّ في الصخر لأنّ قدم النبيِّ تؤثر فيه . قلنا : الحديث المجمع عليه ، فيه : « لو أنّ ربيعة و مضر جهدوا على أن يحملوا منّي بضعة و أناحيٌّ ما قدروا » ينفي ويكذّب ما قدرووا ولو فرضت

(١) الزمر : ٣٠ . آل عمران : ١٨٥ .
(٢) أخمد . خل .

صحّة هذا المحال ، لم يتفضّل بحمله للنبيّ على حال ، إذ يقال له : لو وجدالنبيُّ حماراً يركبه لماحمله كما قلتم : لو وجد النبيُّ آلة بدلاً من عليٍّ لما حمله .

قالوا : لم يطق حمل النبيّ أحدٌ كما فيالحديث . قلنا : قد قلتم : إنَّ أبابكر حمله ، فكيف تعثرون هذا العثور ؟ وقد حملته العضباء و اليعفور قال الناشي :

إمام علا من خاتم الرسل كاهلاً ✿ وقد كان عبلاً يحمل الطهر كاهله
و لكن رسول الله أعلاه عامداً ✿ على كتفيه كي يباهي فضائله
أيعجز عنه من دحى باب خيبر ✿ و يحمله أفراسه و رواحله

قالوا : حمل النبيُّ الصبيان : اُسامة والحسنين و أمامة ، ولا فضل بذلك فضلاً عن اقتضاء الامامة . قلنا : بلى ، فانَّ كلَّ واحد اشتهر به افتخاره ، ولم يسع مسلم إنكاره ، كيف و فيه حظٌّ لمنصب النبوّة و الرسالة ، و حظٌّ لمنقب الفتوّة و الجلالة و الفرق أيضاً بين حملهم و حمل عليٍّ ظاهر، لكلّ عاقل خابر ، إذ كان في حمله عليه السلام وسيلة إلى إعزاز الاسلام ، بكسر الأصنام ، و إرغام الطغام ، قال المرتضى :

و لنا من البيت المحرَّم كلّما ✿ طافت بـه في موضع أقدامه
وبجدّنا و بصنوه دحيت من البيـــــــت الحرام و زعزعت أصنامه
فهما علينا أطلعا شمس الضحى ✿ حتّى استنار حلاله و حرامه

و قال آخر :

قالوا مدحتعليَّ الطهر قلت لهم : ✿ كلٌّ امتداح جميع الأرض معناه
ما ذا أقول لمن حطّت له قدم ✿ في موضـعوضع الرحمن يمناه

﴿ الفصل الثامن ﴾

عمل بآية النجوى و بخل غيره ، قال الثعلبيُّ في تفسيره : قال ابن عمر: لعليٍّ ثلاث لوكانت لي واحدة منهنَّ كانت أحبَّ إليَّ من حمر النعم : تزويج فاطمة ، و إعطاء الراية ، و آية النجوى .

و روى ابن المغازلي أنّه عليه السلام قال : في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، و ذكر آية النجوى ، و قال بعدها : فبي خفّف الله عن هذه الأمّة .

وأورده في التفسير الثعلبيّ ،وشريك ، والليث ، والكلبيّ ، وأبو صالح والضحّاك و مقاتل ، و الزجّاج ، و مجاهد ، و قتادة ، وابن عباس ، و الترمذيّ ، و الأشهنيّ عن الأشجعيّ ، و الثوريّ ، وسالم ابن أبي حفصة ، وابن علقمة الأنباريّ ، والموصليّ و زاد أبو القاسم الكوفيّ : لو لم أعمل بها لنزل العذاب عند امتناع الكلّ منها ، و حكى القاضي في تفسيره و قال : في هذا تعظيم الرسول ، و انتفاع الفقراء ، والنهي عن الافراط في السؤال ، و التمييز بين المخلص و المنافق ، و محبّ الآخرة ومحبّ الدنيا . و ذكر قريباً منه رزين العبديّ .

وفي الكشّاف للزمخشريّ : ومن طريق الحافظ أبي نعيم : بخلوا أن يتصدّقوا وتصدّق ولم يفعل ذلك أحد غيره ، فهنا عتب الله تعالى على كلّ الأمّة لقوله تعالى : « فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم (١) » و ذلك أنّ الله لم يقيّد الصدقة بقليل ولا كثير فلا اعتذار للفقراء بعدم المقدرة ، و كان ذلك ليتميّز عليّ عليه السلام و تظهر فضيلته فيهم إذ كان الله عالماً قبل اختبارهم بفعله و امتناعهم ، فأراد بذلك إظهار شرفه بامتثال أمره ، و استحقاق إمرته .

قالوا : كان عليّ سبب نسخها و منع الأمّة عن نيل ثوابها ، إذ عملت بها . قلنا : [إذ] المراد تثبيت فضيلته ، و إن لزم منها نقص غيره ، وقد كان عند النذير زيادة النفير ، و زيادة الرجس عند إنزال السورة ، فلا تنفعهم كلمتهم العورة .

قالوا : تفتخرون بصدقة النجوى مع قلّتها فكيف يكون افتخارنا بانفاق أبي بكر مائة ألف كلّ ماله و عمر نصف ماله ؟ قلنا : صدقة النجوى كثّرها القبول كما قال عليه السلام : « لا يقلّ عمل مع التقوى و كيف يقلّ ما يتقبّل » و لو لا إعلام

---

(١) المجادلة : ١٣.

النبيّ بقبولها لم يصرّح ابن عمر بتمنّيها ، و ما يدّعونه من إنفاق أبي بكر فدعوى قام الدليل على خلافها بما ذكره البخاريّ و غيره أنّه كان خيّاطاً و أنّ بنته أسماء كانت تنقل النوى على رأسها من أرض الزبير و هي عنها ثلاث فراسخ وكان أبوه عضروطاً (١) لابن جذعان ينادي على مائدته كلّ يوم بمدّ ، لو كان ذا مال لصان أباه عن اُجرة النداء إلى طعام غيره .

إن قلت : فأيسر بعد ذلك ، قلت : الأصل عدمه ولا دليل عليه ، و دعوى الانفاق لاتجري فيه لبنائها عليه ، و قبل الهجرة كان النبيّ غنيّاً بمال خديجة ، وقد أخرج صاحب الوسيلة أنّه عليه السلام كان يجازي على الهديّة بأكثر منها ، قال: كان كلّ ذلك تنزيهاً له عن المنن ، و تشريفاً له بالعزّ و الغناء بما آتاه الله ، ولو كان الانفاق صحيحاً ، و على تقدير صحّته لو كان مخلصاً ، نزل القرآن فيه كما نزل في عليّ هل أتى و آية الخاتم و نحوها ، مع كونه هو الأقلّ و المنفق عليه و هو النبيّ هو الأجلّ .

تذنيب : اتّحاد النبيّ وعليّ عليهما السلام في دار في الجنّة يدلّ على شدّة المناسبة في الفضيلة ، و استحقاق الثواب دون غيره بيانه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن شجرة طوبى فقال : أصلها في داري في الجنّة وسئل ثانياً فقال في دار عليّ فقيل له في ذلك ، فقال: داري و دار عليّ واحدة . روي ذلك عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿ الفصل التاسع ﴾

مرض الحسنان فعادهما جدّهما و وجوه العرب ، فنذر عليّ و فاطمة صيام ثلاثة أيّام إن برئا ، فكان ذلك . فاقترض عليّ ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ و روي أنّه أخذها ليغزل له بها صوفاً ، فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً و اختبزته فأتاهم مسكين فسألهم فأعطوه ، و في اليوم الثاني يتيم فأعطوه ، و في الثالث أسير فأعطوه

(١) العضروط و العضارط : الخادم على طعام بطنه .

ولم يذوقوا الثلاثة إلّا الماء فأتى عليٌّ بالحسنين و بهما ضعف إلى النبيِّ ﷺ فبكى فنزلت سورة « هل أتى على الانسان حينٌ من الدّهر » (١) .

قال الجاحدون : السورة مكّية فكيف تتعلّق بماكان في المدينة ؟ قلنا : ذكر الرازيُّ في الأربعين ، و ابن المرتضى ، و الزمخشريُّ ، و القاضي في تفاسيرهم و الفرّاء في معالمه ، و الغنويُّ في شرح طوالعه ، و الواحديُّ ، و عليُّ بن إبراهيم ، و أبو حمزة الثماليُّ ، و أسنده أحمد الزاهد ، و الحسكانيُّ أنّها مدنيّة ، و كذا عن عكرمة ، و ابن المسيّب ، و الحسن بن أبي الحسن البصريِّ ، و نحو ذلك قال خطيب دمشق الشافعيُّ ، و أورد القضيّة بجزئيّاتها الثعلبيُّ و في آخرها : بكى النبيُّ ﷺ و قال : و اغوثاه يا الله أهل بيت محمّد يموتون جوعاً ، فهبط جبرائيل و قال : خذ ما هنّاك الله في أهل بيتك ، ثمّ أقرأه « هل أتى » .

و زاد محمّد بن عليّ صاحب الغزاليِّ في كتابه البلغة أنّه نزلت عليهم مائدة فأكلوا منها سبعة أيّام ، وعدّ أبوالقاسم الحسين بن حبيب وهو من شيوخ الناصبيّة في كتاب التنزيل ، ما نزل بالمدينة و هو تسعة و عشرون سورة و ذكر هل أتى منها ولم يذكر خلافاً فيها ، و يقرب منه ما ذكره هبة الله المفسّر البغداديُّ في الناسخ و المنسوخ ، بل ذلك قد شاع و ذاع ، و قرع جميع الأسماع ، و أنشد فيه :

أنا مولاً لفتى ✿ اُنزل فيه هل أتى

آخر (٢) :

إلام اُلام و حتّى متى ✿ اُفنّد في حبّ هذا الفتى

فهل زوّجت فاطم غيره ✿ أفي غيره اُنزلت هل أتى

---

(١) راجع الكشاف ج ٤ ص ١٦٩ اسباب النزول ص ٣٣١ تفسير الرازى ج ٣ ص ٢٤٣ ، تفسيرالقرطبى ج ١٩ الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٩ ، فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٣٣٨ . على ما فى ذيل احقاق الحق ج ٣ ص ١٥٧ .

(٢) نسبه فى ذيل الاحقاق الى الامام الشافعى .

و قال ديك الجنّ :

شرفي محبّة معشر ☆ شرفوا بسورة هل أتى

و ولاء من في فتكه ☆ سمّاه ذو العرش الفتى

ولمّا كان الله سبحانه قد علم صدق نيّاتهم وإخلاص طويّاتهم أنزل على نبيّه : « إنّما نطعمكم لوجه الله[١] » قال مجاهد و ابن جبير لم يتكلّموا بذلك بل علم الله ما في قلوبهم فأثنى به عليهم .

﴿ الفصل العاشر ﴾

نزل في عليّ و فاطمه و الحسنين « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً[٢] » . و في رواية القمّي : إنّما نزلت في عليّ و السبطين و الأئمّة من ولده ، قال أحمد بن فارس اللّغويّ صاحب المجمل ، فيه : التطهير : التنزيه عن الاثم و عن كلّ قبيح ، و أقول : فيه شاهد عدل على عصمتهم .

إن قلت : الواحد المعرّف بلام الجنس لايعمّ ، قلت : بل يعمّ في النفي لأنّه لو ثبت من الرجس فرد كانت الماهيّة فيه ، فلم يصدق الإذهاب و ليست اللام المعهد لعدم تقدّم ذكر الرجس .

قالوا : الله يريد إذهاب الرّجس عن كلّ أحد . قلنا : نمنع أنّ الرجس المستلزم إذهابه للعصمة يريد الله إذهابه عن كلّ أحد .

قالوا : « يريد » لفظ مستقبل فلا دليل على وقوعه ، قلنا : دعا النبيُّ ﷺ لهم به ، ولا يدعو إلّا بأمر ربّه ، فيكون مقبولاً فيقع، مع أنّ صيغة الاستقبال قد جاءت للماضي و الحال : « إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة . يريد الله أن يخفّف عنكم . يريدون أن يبدّلوا كلام الله[١] » .

---

(١) الدهر : ٩ .

(٢) الاحزاب :٣٣ .

(١) المائدة : ٩٤ . النساء : ٢٧ . الفتح : ١٥ .

قالوا : الإذهاب يستلزم الثبوت أوّلاً وليس من قولكم ذلك ، قلنا : لا ، لأنّ الانسان يقول لغيره : أذهب الله عنك كلّ مرض ، ولم يكن حاصلاً له كلّ مرض .

قالوا : المراد النساء لأنّ مبدء الآية و ختامها فيهن قلنا : الميم الّذي هو علامة التذكير يخرجهنّ .

قالوا : فلتخرج فاطمة و ليس قولكم . قلنا : يدخل المؤنّث إذا جاء معه بخلاف قولكم فانّكم خصّصتموها بالنساء .

إن قالوا : خاطب موسى امرأته بالميم في قوله «لعلّي آتيكم منها بقبس» قلنا : أقامها مقام الجمع مجازاً

إن قالوا : فكذا هنا بل أولى ، قلنا : لاضرورة تحوج إلى المجاز هنا وحديث أمّ سلمة أخرج النساء و سيأتي ذلك منّا ، مع انعقاد الاجماع في أنّ ترتيب القرآن ليس على ما نزل

و قال الامام الطبرسيّ : عادة الفصحاء الذهاب من خطاب إلى آخر و العود إليه ، و القرآن مملوء منه : «حتّى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم . وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً ، إنّ هذا كان لكم جزاءً (١)» وقد أخرج صاحب جامع الأصول ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم لمّا قيل له : من أهل بيته؟ نساؤه ؟ قال : لا إنّ المرأة تكون مع الرجل الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى قومها ، أهل بيته هنا أصله و عصبته الّذين حرّموا الصدقة بعده .

و أسند ابن حنبل إلى واثلة بن الأسقع أنّ النبيّ ﷺ أجلس عليّاً على يساره و فاطمة على يمينه و الحسنين بين يديه ، ثمّ التفع عليهم بثوبه و تلا هذه الآية ثمّ قال : «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي هؤلاء أحقّ» . وفي الرواية قالت أمّ سلمة : أنا معكم قال : إنّك على خير (٢) .

---

(١) يونس : ٢٢ . الدهر : ٢١ و ٢٢ .

(٢) قد نقل المصنف رحمه الله روايات فى هذا الفصل ترى مواضعها ذيل احقاق الحق ج٢ ص ٥٠٢ وج ٣ ص٥١٣ ، وأخرجها فى البحار ج ٣٥ ص ٢١٧ الطبعة الحديثة .

قالوا : عنى بالخير نزول الآية فيهنّ . قلنا : لو كنّ معنيّات بالآية لم يكن لقول أمّ سلمة فايدة ، و أيضاً فقد أسند ابن حنبل إليها أنّها لمّا قالت ذلك قال لها : قومي فتنحّي عن أهل بيتي ، قالت : فتنحّيت ، و أسند أيضاً إليها أنّه ألقى عليهم كساءً فدكيّاً ثمّ وضع يده عليهم و قال:اللّهمّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك و بركاتك على محمّد و آل محمّد إنّك حميد مجيد ، قالت : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي ، و قال : إنّك على خير و رواه في المصابيح عن عائشة و رواه أحمد ابن حنبل عن أمّ سلمة بطريق آخر ، ورواه البخاريّ ومسلم في صحيحيهما بطريق آخر ، في الجزء الرابع للبخاريّ على حدّ كراسين .

و في تفسير الثعلبيّ عن الصادق عليه‌السلام معنى طه طهارة أهل البيت ثمّ تلى آية التطهير ، و روى مثل ذلك في تفسيره عن الخدريّ و عن أبي الحمراء و رواه أيضاً الطبرانيّ في معجمه عن الخدريّ .

قال صاحب المستدرك : إنّه حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه قال الترمذيّ ! إنّه حديث حسن صحيح على شرط البخاريّ و لم يخرجه ، وذكر نحو ذلك أبو داود في مواضع من سننه ، و ذكره الحميديّ في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع و الستّين من افراد مسلم و ذكر مسلم أيضاً في الجزء الرابع في ثالث كراس أنّ النبيّ لمّا خرج بالأربعة إلى المباهلة قال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي .

و ذكر الشيخ المفيد أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وضع الكساء عليهم ثمّ قال : هؤلاء أهل بيتي فأنزل الله آية التطهير فيهم وفي أخبار مسلم أنّه قال لأمّ سلمة : إنّما نزلت فيّ و في أخي و ابنيّ وتسعة من ولد الحسين ليس معنا فيها غيرنا .

وممّا يدلّ على تخصيصهم ما أسنده الثعلبيّ في تفسيره إلى الخدريّ أنّ النبيّ قال : نزلت آية التطهير فيّ وفي عليّ و الحسنين و فاطمة و أسند إلى مجمّع قال : دخلت على أمّي عائشة فقلت : أرأيت خروجك يوم الجمل ؟ قالت : كان قدراً من الله ، قلت : فعليّ ؟ قالت : أحبّ الناس إلى رسول الله ، ولقد رأيت النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله جمعه و فاطمة و الحسنين و قال : اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي و خاصّتي فأذهب عنهم الرجس

و طهّرهم تطهيراً ، قلت : أنا من أهل بيتك ؟ فقال : تنحّي إنّك على خير ، ونحوه في زينب .

و ممّا يدلّ على خروج النساء قوله « لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » ولو كنّ مقصودات لم تخرج عائشة عن الاسلام ، وحاربت المجمع على إمامته عليه السلام كما عرفت من صاحب المجمل أنّ التطهير التنزيه عن كلّ قبيح ، و في الفردوس : « قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّا أهل بيت أذهب الله عنّا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن » . و بهذا يسقط قول من زعم أنّه لا يلزم من إرادة ذلك وقوعه ، وقد سلف ، و لأنّ الله مدحهم ولا يمدح بغير الواقع ، و لأنّ وصفهم بالطهارة ليس عدميّاً لأنّه نقيض الاتّصاف العدميّ فوصفهم بها ثبوتيّ .

و قال : انتهت دعوة إبراهيم إليّ و إلى عليّ في قوله : « اجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام[1] » و أنساب الجاهليّة ليست بصحاح لما فيها من السفاح : أسند يزيد ابن هارون أنّ عمر بن الخطّاب لمّا قيل له إنّ عليّاً نذر عتق رقبة من ولد إسماعيل فقال : والله ما أصبحت أثق إلاّ ما كان من حسن وحسين وعليّ و عبد المطّلب فانّهم شجرة رسول الله .

و روى الحديث عن أمّ سلمة الفقيه الشافعيّ عليّ بن المغازليّ في كتاب المناقب ، و رواه عن زادان عن الحسن عن عطاء بن يسار ، و رواه ابن عبد ربّه في كتاب العقد ، وأسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنتزعة ، وقد وقفه المستنصر بمدرسته ، و شرط أن لا يخرج من خزانته ، و هو بخطّ ابن البوّاب و فيه سماع لعليّ بن هلال الكاتب و خطّه لا يمكن أحد أن يزوّره عليه .

قال الحميريّ :

طبت كهلاً و غلاماً ☆ و رضيعاً و جنينا
ولدى الميثاق طيباً ☆ يوم كان الخلق طينا

---

(١) ابراهيم : ٣٥ .

كنت مأموناً وجيهاً ✡ عند ذي العرش مكينا

و قال :

له شهد الكتاب ألاّ تخرّوا ✡ على آيـاته صمّـاً و عميـا
بتطهير أماط الرجس عنه ✡ و سمّـي مؤمناً فيها زكيّـا

و هذه آيات تطهيرهم قد ظهر سرّها فيهم ، قال الحسن : والله ما شرب الخمر قبل تحريمها ، قال شاعر :

عليّ على الاسلام و الدين قد نشا ✡ ولا عبد الأوثان قطّ ولا انتشا
وقد عبد الرحمن طفلاً و يـافعـاً ✡ و ذلك فضل الله يؤتيه من يشا

و في التاريخ من طرق كثيرة عن بريدة الأسلميّ قال : قال النبيّ ﷺ : قال لي جبرائيل : إنّ حفظة عليّ تفتخر على الملائكة لم تكتب عليه خطيئة منذ صحباه .

قال العبديّ : وإنّ جبرائيل الأمين قال لي عن الملائكة الكاتبين ، إنّهما لم تكتبا على الطهر عليّ زلّة ولا خنا .

تذنيب : ذكر ابن قرطة في مراصد العرفان عن ابن عباس : قال شهدنا النبيّ تسعة عشر شهراً يأتي كلّ يوم عند كلّ صلاة إلى باب عليّ فيسلّم عليهم و يتلو الآية ويدعوهم إلى الصلاة ، و نحوه عن أنس و أبي بردة الأسلميّ و عن الخدريّ لمّا دخل عليّ بفاطمة جاء النبيّ أربعين صباحاً و يتلو الآية و يقول : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم .

« الفصل الحادى عشر »

جعل الله أجر رسالة نبيّه في مودّة أهله في قوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى [١] » .

---

(١) الشورى : ٢٣ .

قالوا : المراد القربى في الطاعات أي في طاعة أهل القربى . قلنا : الأصل عدم الاضمار ، ولو سلّم فلا يتصوّر إطلاق الأمر بمودّتهم إلّا مع عصمتهم .

قالوا : المخاطب بذلك الكفّار يعني راقبوا نسبي بكم يعني القرشيّة . قلنا: الكفّار لا تعتقد للنبيّ أجراً حتّى تخاطب بذلك ، على أنّ الأخبار المتّفق عليها تنافي الوجهين ففي صحيح البخاريّ : قالوا : يارسول الله من قرابتك الّذين وجبت علينا مودّتهم؟قال : عليّ و فاطمة و ابناهما ومثله في صحيح مسلم ، وتفسير الثعلبيّ و مسند ابن حنبل ، و نقله ابن المرتضى و الزمخشريّ في تفسيريهما ، و قال صاحب التقريب : قد صحّ ذلك عن ابن عبّاس ، و في مناقب ابن المغازليّ بالاسناد عن السدّيّ في تفسير « و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً [١] » قال : المودّة في آل الرسول . قال مكّيّ القيسيّ فيمشكل إعراب القرآن : أصل آل أهل ، و هو أعلم ممّن صنّف في المشكل [٢] .

قالوا لا ننكر تعظيم الآل و التقرّب بهم إلى الله لكن لا ندخلهم في حيّز المغالات من تفضيلهمعلىالأنبياء ، ووجوب العصمة ، و علم الغيب ، و حضورالمهديّ في كلّ مكان ، و عند ذاكريه في كلّ أوان ، و هل ذلك إلّا فسوق و عدوان ؟

قلنا : لولا إنكاركم فضلهم ما جحدتم ما قال الله و رسوله فيهم حتّى بغضتم التسمية بأسمائهم ، و نادى إمامكم معاوية بالكفّ عن فضائلهم ، و سبّ عليّ على المنابر فلم يتحام للاسلام أحدكم ، أمّا تفضيلهم على الأنبياء ففيه كلام ، و إذا قام الدليل على إمامتهم لم يكن دعوى العصمة مغالاة فيهم ، و إلّا لزم مثله في جدّهم .

قال الرازيّ في مفاتح الغيب في تفسير « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى » الدعاء للآل منصب عظيم ، و لذلك جعل خاتم التشهّد ، و هذا التعظيم لم يوجد في غير الآل ، و كلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب ، قال و قال الشافعيّ :

---

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) ترى تلك الاحاديث مشيراً الى مواضعها فى احقاق الحق ج٣ ص٢ ـ ١٩ .

يا راكباً قف بالمحصّب من منى ✿ و اهتف بساكن خيفها و الناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ✿ فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد ✿ فليشهد الثقلان أنّي رافضيّ

فائدة : قيل القاضي النعماني : أجمل الله في كتابه قوله : « إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً »[1] فبيّنه النبيّ لأمّته ونصب أوصياء لذلك من بعده ، و ذلك معجز لهم لا يوجد إلّا فيهم ، ولايعلم إلّا فيهم ، فقال حين سألوا عن الصلاة عليه : قولوا اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميد مجيد .

فالصلاة المأمور بها على النبيّ و آله ليست هي الدعاء لهم كما تزعم العامّة إذ لا نعلم أحداً دعا للنبيّ فاستحسنه ، ولا أمر أحداً بالدعاء له و إلّا لكان شافعاً فيه و لأنّه لو كان جواب قوله تعالى « صلّوا عليه » اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد لزم أن يكون ذلك ردّاً لأمره تعالى كمن قال لغيره افعل كذا فقال افعل أنت ، ولو كانت الصلاة الدعاء لكان قولنا اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد بمعنى اللّهمّ ادع له و هذا لا يجوز .

وقد كان الصحابة عند ذكره يصلّون عليه و على آله ، فلمّا تغلّب بنو اُميّة قطعوا الصلاة عن آله في كتبهم و أقوالهم ، و عاقبوا الناس عليها بغضاً لآله الواجبة مودّتهم ، مع روايتهم أنّ النبيّ ﷺ سمع رجلاً يصلّي عليه ولا يصلّي على آله فقال : لاتصلّوا عليّ الصلاة البترة ، ثمّ علّمه ماذكرناه أوّلاً فلمّا تغلّب بنو العبّاس أعادوها و أمروا الناس بها وبقي منهم بقيّة إلى اليوم لايصلّون على آله عندذكره .

هذا فعلهم و لم يدركوا أنّ معنى الصلاة عليهم سوى الدعاء لهم ، و فيه شمّة لهضم منزلتهم حيث إنّ فيه حاجة مّا إلى دعاء رعيّتهم ، فكيف لو فهموا أنّ معنى الصلاة هنا المتابعة و منه المصلّي من الخيل ، فأوّل من صلّى النبيّ أي تبع جبريل حين علّمه الصلاة ثمّ صلّى عليّ [على] النبيّ إذ هو أوّل ذكر صلّى بصلاته فبشّر

(١) الاحزاب :٥٦ .

الله النبيّ أنّه يصلّي عليه باقامة من ينصبه مصلّياً له في اُمّته ، و ذلك لمّا سأل النبيّ بقوله : « اجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به أزري » ثمّ قال تعالى « صلّوا عليه » أي اعتقدوا ولاية عليّ و سلّموا لأمره ، و قول النبيّ : قولوا اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد . أي اسألوا الله أن يقيم له ولاية ولاة يتبع بعضهم بعضاً كما كان في آل إبراهيم ، و قوله و بارك عليهم أي أوقع النموّ فيهم ، فلا تقطع الامامة عنهم .

و لفظ الآل وإن عمّ غيرهم إلّا أنّ المقصود ، هم ، لأنّ في الأتباع والأهل و الأولاد فاجر و كافر لا تصلح الصلاة عليه ، فظهر أنّ الصلاة عليه هي اعتقاد وصيّته و الأئمّة من ذرّيته ، إذ بهم كمال دينهم ، و تمام النعمة عليهم ، وهم الصلاة الّتي قال الله إنّها تنهى عن الفحشاء و المنكر ، لأنّ الصلاة الراتبة لا تنهى عن ذلك في كثير من الموارد .

فهذا وجه من البيان ، و عند أولياء الله من ذلك ما لا يحصى ، فقد ذكر أنّ الصادق عليه السلام بيّن في شيء ثانياً خلاف ما بيّن أوّلاً فقال : إنّا نجيب في الوجه الواحد سبعة أوجه ، قال الرجل بسبعة ؟ - مستنكراً لذلك - قال : نعم و سبعين .

و هذا معنى ما نقله ، و لكن لمّظته بلفيظات قليلة ، روّجت دخوله كلّ روية صقيلة ، وقد أجملت فيهم تفصيل ما قيل فيهم .

هم الهداة إلى دين الإله فلا ✿ قوم سواهم بهم يهدى إلى الباري
قل للمعادي لهم مهلاً فأنت على ✿ سبيل غيّك موقوف على النار

تذنيب : أسند صاحب نهج الايمان إلى الصادق عليه السلام في تفسير « ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلّين » قال : لم يكونوا من أتباع الأئمّة السابقين و هذا قريب ممّا سلف ، و أسند نحوه إلى أبي الحسن الماضي عليه السلام أي كنّا لا نتولّى وصيّ محمّد و الأوصياء من بعده ، ولا نصلّي عليهم .

تكميل : قال المرتضى في رسالته الباهرة في تعظيم العترة الطاهرة : دلّنا الله على أنّ المعرفة بهم إيمان ، والشكّ فيهم والجهل بهم كفران ، وقد أجمعت الامامية

على وجوب معرفتهم ، و هو حجّة لدخول المعصوم فيهم ، بل و يمكن الاستدلال باجماع الأمّة على وجوب معرفتهم ، فانّ أكثر الشافعيّة يوجبون في التشهّد الأخير الصلاة عليهم ، فوجبت معرفتهم ، و الباقون استحبّوها ، فعلى الحالين هي من العبادة ، وهذه فضيلة لم تحصل لغيرهم بعد جدّهم ،وقد غرس في القلوب مع اختلاف أديانهم عظم شأنهم ، فيهتمّون مع تباعد البلاد لزيارة مشاهدهم ، ليستفتحون بها الأغلاق ، و يسألون عندها الأرزاق .

قيل : هذا التعظيم لهم إنّما هو لأجل جدّهم . قلنا : كم من قرابة لجدّهم ولا تعظيم لهم يقارب تعظيمهم ، مع زهادة لهم و علم و غيره فيهم .

إن قيل : لم لا تكون الأئمّة على غير مذهب الاماميّة . قلنا : فشيوخ الاماميّة كانوا أهل بطانتهم ، و مظهرين أنّ كلّما ينتحلونه و يصحّحونه فعنهم أخذوه ، فلو لم يكونوا عليهم السلام مع شدّة صلاحهم بذلك راضين ، و عليه مقرّين ، لأبوا عليهم نسبة المذهب إليهم .

إن قيل : قد لا يمكنهم إظهار ذلك لهم لأجل تقيّتهم . قلنا : فالتقيّة إنّما هي للاماميّة لا منهم .

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

في الطائر المشويّ فضيلة لعليّ بدعوة النبيّ لا ينكرها إلاّ الغويّ أخرج الفرّاء في مصابيحه ، و صاحب جامع الأصول ، و صاحب الوسيلة ، و ابن حنبل في مسنده ، و ابن المغازليّ في مناقبه ، ورزين في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح الستّة ، و أبو داود في سننه ، والترمذيّ في جامعه ، وأبونعيم في حليته ، والبلادريّ في تاريخه ، و ابن البيع ، و الخركوشيّ ، و مسعود ، و النطنزيّ ، و داود ، و أبو حاتم ، و السمعانيّ ، و ابن إسحاق ، و الأزديّ ، و شعبة ، و المازنيّ ، و ابن شاهين و البيهقيّ ، و مالك ، والطبريّ . .

و قال ابن المغازليّ : رواه عن أنس يوسف بن إبراهيم الواسطيّ و إسماعيل ابن سليمان الأزهريّ؟ و إسماعيل السدّيّ ، و إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة و ثمامة بن عبدالله بن أنس ، وسعيدبن زربي ، و رواه من الصحابة عن أنس خمسة و ثلاثون رجلاً ، و ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، و صنّف فيه أحمد بن سعيد كتاباً و صحّحه القاضي عبد الجبّار .

و قال أبو عبدالله البصريّ إنّ طريقة أبي عليّ الجبّائي في تصحيح الأخبار تقتضي تصحيحه ، حيث ذكره عليّ عليه السلام يوم الشورى ، فلم ينكروا .

وفي تكرير الدعاء زيادة مرتبة لعليّ في محبّة الله و رسوله لا يقاربه أحد فيها فسقط ما يهولون به من أنّ الله يحبّ المتّقين لأنّ المحبّة تتفاوت بتفاوت التقوى .

وفي مسند أحمد ابن حنبل : أهدت امرءة من الأنصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله طيرين فقال اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك و إلى رسولك يأكل معي ، فدخل عليّ و أكل معه ، و زاد ابن المغازليّ أنّه أتى مرّتين و يردّه أنس و في الثالث سمعه النبيّ فقال صلى الله عليه وآله : ادخل ما أبطأك عنّي ، قال هذه ثالثة و يردّني أنس ، قال : ما حملك ؟ قال : سمعت دعوتك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي و في موضع آخر من المناقب أنّه قال : أحبّ خلقك إليك و إليّ . و في موضع منها : ياأنس أو في الأنصار خير من عليّ؟ أو في الأنصار أفضل من عليّ ؟ وقد رواه ابن المغازليّ قريباً من ثلاثين طريقاً .

و في المحاسن للمفيد أنّه لمّا دخل قال له : قد كنت سألت الله أن يأتيني بك مرّتين ولو أبطأت لأقسمت عليه أن يأتيني بك و نحو ذلك في كتب القوم كثير حذفناه و حذفنا بعض الألفاظ اختصاراً ، فهل يسوغ لمسلم أن يدّعي أنّه حديث مكذوب بعد هذه الشهرة وقد جعل القوم أساس دينهم قول عائشة وحدها : مروا أبا بكر فليصلّ .

قالوا : قلتم : كذب أنس ثلاث مرّات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على الحاجة، فكيف قبلتم روايته ، قلنا : ذكرناه إلزاماً وقد أجمع على جواز الأخذ عن الراوي قبل

فسقه كما ذكره ابن الصلاح في كتابه .

هذا روى أنس بن مالك لم يكن ✩ ما قد رواه مصحفًا و مبدّلا
و شهادة الخصم الألدّ فضيلة ✩ للخصم فاتّبع الطريق الأسهلا

قالوا : خبر واحد. قلنا : تلقّته الأمّة بالقبول ، فلحق بالمجمع عليه ، ولأنّه موافق للقرآن في قوله تعالى «فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه»(١) الآية ، و للسنّة فذكر ابن جبر في نخبه قول النبيّ ﷺ لعليّ : من زعم أنّه آمن بما جئت به و هو مبغضك فهو كاذب ، و في كتاب الثقفيّ قال عليه السلام : لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك منافق ، و في إبانة العكبريّ و كتاب ابن عقدة ، و فضائل أحمد عن جابر و الخدريّ : كنّا نعرف المنافقين على عهد النبيّ ببغض عليّ و في شرح الآلكانيّ عن زيد بن أرقم : كنّا نعرفهم ببغض عليّ و ولده .

قالوا : معنى أحبّ خلقك أي الّذي كتبته رزقاً له لا أنّه أحبّ الخلق إلى الله و إلّا لكان أحبّ من النبيّ . قلنا : خرج النبيّ بقوله « ائتني » فانّه ليس بمن يأتي إلى نفسه وقد رويتم ماأظلّت الخضراء ولاأقلّت الغبراء أصدق من أبي ذرّ، فيلزم على قولكم أنّه أصدق من نبيّكم ، و لو كان القصد بالمحبّة ما ذكروه من كتب الرزق ، فلم يبق لقوله إليّ أو إلى رسولك فايدة ، و كان الواجب على العلماء على هذا التأويل أن لا يخرجوا ذلك في مناقب عليّ عليه السلام .

إن قالوا : فلفظة أحبّ قد لاتوجب [أفعل] التفضيل لقوله تعالى : « أصحاب الجنّة خير مقاماً (٢) » و قال الشاعر :

تمنّت سليمى أن أموت و إن أمت ✩ فتلك سبيل لست فيه بأوحد

أي بواحد . قلنا : لا شكّ أنّ ذلك من المجاز ، فلا يعدل عن الحقيقة إليه فانّ الانسان إذا قال : فلان أحبّ الناس إليّ . تبادر إلى الذهن أنّ غيره لم يبلغ في المحبّة منزلته ، و أيضاً فلو لا قصد التفضيل حتّى صار المعنى ائتني بالمحبوبين

---

(١) المائدة : ٥٤ .

(٢) الاية فى الفرقان هكذا : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا» .

لم يكن قد اُجيب دعاء النبيّ ﷺ لعدم إتيان كلّ المحبوبين ، ولكان إفرادعليّ من بينهم ترجيحاً بلا مرجّح ، و لأنّ في قول النبيّ ﷺ له : ما أبطأك عنّي ؟ دليل على أنّه كان ينتظره بعينه دون غيره ، ولولاذلك لم يحبّ أنس أن يكون رجلاً من قومه لما فهم الفضل و الشرف بذلك .

قالوا : لا يدلّ الفضل في الحال على الفضل في الاستقبال . قلنا : لولاذلك لم يخصم به عليّ في الشورى معانديه من الرجال ، و في عدم ردّ ذلك منهم دليل ثبوت الفضل في الاستقبال كالحال ، وقد أنشأالفضلاء فيذلك أشعارهم فمنأبيات للحميريّ :

و في طائر جاءت به اُمّ أيمن ✡ بيان لمن بالحقّ يرضى ويقنع
فقال إلهي آت عبدك بالّذي ✡ تحبّ و حبّ الله أعلى و أرفع

و قال الصاحب :

عليّ له في الطير ما طار ذكره ✡ وقامت به أعداؤه و هي تشهد

و قال ابن رزيك :

وفي الطائر المشويّ أوفى دلالة ✡ لو استيقظوا من غفلة و سبات

و في رواية أنّ كلاً من عائشة و حفصة قالت : اللّهمّ اجعله أبي و في بعضها لم يبق في البيت أحد إلّا أرسلته إلى أبيها و في رواية لمّا قال : أحببت أن يكون رجلاً من قومي ، قال النبيّ ﷺ أبى الله إلاّ أن يكون عليّ ابن أبي طالب .

قال الطبرسيّ في احتجاجه : أسند الصادق عليه السلام إلى آبائه عليهم السلام أنّ عليّاً قال : جاع النبيّ فطلب من الله فجاءه جبرائيل عليه السلام بطيرقال النبيّ فقلت : اللّهمّ يسّرعبداً يحبّك و يحبّني يأكل معي ، فلم يأت أحد فقلت : ثانية اللّهمّ يسّرعبداً يحبّك و يحبّني و اُحبّه ، فلم يأت أحد ، فقلت ثالثة:اللّهمّ يسّر عبداً يحبّك و تحبّه و يحبّني و اُحبّه ، فسمعت صوتك ، فقلت لعائشة أدخليه أخبرني ما أبطاك عنّي فقلت : طرقت الباب مرّة فقالت عائشة نائم ، فانصرفت ، وطرقته ثانيةفقالت : على الحاجة ، فرجعت و جئت و طرقته ثالثاً عنيفاً فسمعني النبيّ فأدخلني و قال : ما أبطأك عنّيفقلت هذه ثالثة وتردّني عائشة فكلّمها فقالت : اشتهيت أنيكونأبي

فقال ﷺ : ما هذا بأوّل ضغن بينك و بينه لتقاتليه ، و إنّه لك خير منك له ولينذرنّك بما يكون الفراق بيني و بينك في الآخرة ، و كذا كلّ من فرّق بيني وبينه بعد وفاتي .

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال : يا عليّ حبّك حسنة لا تضرّ معها سيّئة ، و بغضك سيّئة لا تنفع معها حسنة .

قالوا : أحبّه أبوه و قد روي أنّ في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه . قلنا : هذا الحديث افتراء من علماء السوء الّذين رضوا بسبّ عليّ جهاراً و ستعلم إيمان أبيه ، ولو سلّم عدمه إنّما لم تنفعه محبّة ابنه لأنّها طبيعيّة و المحبّة المرغّب فيها إنّما هي في الله ، فهي ربّانيّة .

قالوا : الخبر مكذوب . قلنا : رواه الخوارزمي في الأربعين و الديلميّ في الفردوس ، وقد أجمع المسلمون على قوله عليه‌السلام : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة . ولا شكّ أنّه الامام ، فلاتنفع الجاهليّة حسناتهم .

قالوا : لوصحّ ذلك لزم إحباط أكثر أعمال الناس لأنّكم تزعمون أنّ الأكثر يبغضه ، وقد كذّب القرآن ذلك بمدحه للصحابة : « ومن يعمل صالحاً . ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره (١) » و نحوها ، ولم يشترط فيه حبّ عليّ ولا بغضه .

قلنا : لا ، فإنّ أعاظم الصحابة كانت في جانب عليّ كما قاله شارح الطوالع و غيره ، إلّا أنّهم الأقلّ عدداً ، و كذلك أتباع كلّ نبيّ و وصيّ ، وقد أخرج صاحب المصابيح و غيره أنّ النبيّ ﷺ مات ساخطاً على ثلاثة أحياء من العرب و عدّ منهم اُميّة ، و قال ابن الجوزيّ في زاد المسير : ورد أنّ الشجرة الملعونة في القرآن بنو اُميّة و قال في المصابيح و غيرها : قال النبيّ ﷺ : هلاك اُمّتي على يد أغلمة من قريش ، و ظاهر في بني العبّاس شرب الخمور ، و ركوب الفجور ، و

(١) التغابن : ٩ . الزلزال : ٧ .

قتلهم أولاد عليّ و تشريدهم ، حتّى أُنشئت الأشعار ، في القتل والطرد لبني المختار منها قول دعبل :

لاأضحك الله سنّ الدهر إذ ضحكت ☆ يوماً و آل رسول الله قد قهروا
مشتّتون نفوا عن عقر دارهم ☆ كأنّهم قد جنوا ما ليس يغتفر

و قال أبو نواس :

مانال منهم بنو حرب وإن عظمت ☆ تلك الجرائم إلّا دون نيلكم
أ أنتم آل ه فيما ترون و في ☆ أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

و قال الشهرستانيّ :

بمحمّد سلّوا سيوف محمّد ☆ ضربوا بها هامات آل محمّد
فكأنّ آل محمّد أعداؤه ☆ و كأنّما الأعداء عترة أحمد

و قال العلويّ :

أهل النبيّ الّذي لولا هدايتهم ☆ لم يهد خلق إلى فرض ولا سنن
مشتّتين حيارى لا نصير لهم ☆ مشرّدين عن الأهلين والوطن

و قال السروجي :

لأصبح دين الله من بعد قوّة ☆ على جرف هار بغير دعائم
وآل عليّ الطهر شرقاً و مغرباً ☆ يطاف بهم في عربها و الأعاجم
كأنّهم كانوا على الدين سوقة ☆ تطلّ دماها بالقنا و الصوارم
و أوصى رسول الله قبل وفاته ☆ بقتل بنيه دون أولاد آدم

و نحو هذا كثير يخرج عن قانون الكتاب ، فكيف يقال إنّهم غير مبغضين وفي أيّ موضع مدح القرآن الصحابة ، بل ذمّهم و ذمّ كثيراً منهم في آية النجوى «فتاب عليكم [١] » و في سورة الفتح « فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه . لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة[٢] » . وقد كانت البيعة على عدم الفرار وقد

---

(١) و تاب عليكم : المجادلة ٢٣ . (٢) الفتح : ١٠ و ١٨ .

فرَّ كثير بأُحد و خيبر و حنين ، ولهذا قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه (١) » ولم يقل كلُّ المؤمنين و قال تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار و كان عهد الله مسؤولاً (٢) » .

وقد جاء في السنّة ذمٌّ بعضهم كحديث الحوض ، و حديث الدبادب أخرج مسلم في صحيحه و الجامع بين الصحيحين و نحوه ذكر ابن كيسان و الثعلبيُّ في تفسيره و في تفسيره لبراءة في قوله « يحذر المنافقون أن تنزَّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم (٣) » قال الحسن : كانت هذه السورة تسمّى الخفارة خفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته وقد قال النبيُّ : « لتركبنَّ سنن من كان قبلكم » .

وآية مثقال الذرّة من الخير مخصوص بغير المشركين إجماعاً مع أنّه قديرى في الدنيا أوفي الآخرة بتخفيف العقاب .

قوله : ولم يشترط حبَّ عليّ ولا بغضه . قلنا : بل حيث قال تعالى « إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة (٤) » الآية و قوله : « إلّا من تاب وآمن و عمل صالحاً ثمَّ اهتدى (٥) » نقل ابن المرتضى و الكواشيُّ وغيرهما أنَّ الاهتداء إلى محبّة أهل البيت ، وقد أجمع المسلمون على قوله : « حبُّ عليّ يأكل الذنوب ، كما تأكل النار الحطب » قال صاحب الوسيلة : إنّه من خصائصه وأخرج أيضاً من خصائصه قوله عليه السلام : « من أحب عليّاً فقد أحبّني و من أحبّني فقد أحبَّ الله ، و من أبغض عليّاً فقد أبغضني ، و من أبغضني فقد أبغض الله » . و حديث ابن عمر : « من فارق عليّاً فقد فارقني » و قوله : « يا عليُّ طوبى لمن أحبّك و صدق فيك ، وويل لمن أبغضك و كذب فيك » و قوله : « عليٌّ أقضى اُمّتي بكتاب الله ، فمن أحبّني فليحبّه ، فانَّ العبد لا ينال ولايتي إلّا بحبِّ عليّ » و قال : « لا يقبل الله فريضة إلّا بحبِّ عليّ » و قال : « حبُّ عليّ فرض ، و بغضه كفر » وقد

---

(١) الاحزاب : ٢٣ .
(٢) الاحزاب : ١٥ .
(٣) براءة : ٦٥ .
(٤) المائدة : ٥٥ .
(٥) طه : ٨٢ .

أخرج ذلك كلّه صاحب الوسيلة فيما خصّ به عليّ دون غيره .

قالوا : لو كان حبّه حسنة لا تضرّ معها سيّئة ، لم يضرّ ترك العبادات ، ولا فعل المنهيّات ، و بطلت الحدود و التوعّدات . قلنا : قد جاء عن النبيّ : « المرء مع من أحبّ ، و من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة » و نحو ذلك كثير فالطعن فيه و فيما سلف نحوه طعن على ملّة الاسلام ، و تأويل ذلك أنّ من أحبّ عليّاً لا يخرج من الدنيا إلّا بتوبة تكفّر سيّئاته ، فتكون ولايته خاتمة عمله ، ومن لم يوفّق للتوبة ابتلي بغمّ في نفسه ، أو حزن على ماله ، أو تعسير في خروج روحه ، حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب له يؤاخذ به .

قالوا : فقد ضرّ ذلك . قلنا : متناه محتقر بالقياس إلى الخلوص من طبقات الجحيم ، و الخلود في جنّات النعيم ، فصحّ إطلاق اللّفظ من النبيّ كما أطلقت اللّغة الأسود على الزنجيّ ، و قالوا : لاضرر على من نجت من المهلكة نفسه و إن تلف ماله ، ولو لم يكن لنا إلّا الحديث المجمع عليه : « لايحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق » لكفى ولقد علمت ما جاء في المنافق ، ولا يشكّ عاقل أنّ حبّه حسنة وقد قال تعالى : « إنّ الحسنات يذهبن السيّئات (١) » و كيف تقولون لا يضرّ ترك العبادات ، و فعل المنهيّات ، و عندكم لا طاعة للعبد ولا معصية ، و أنّ الله لا يفعل لغرض فله إثابة العاصي ، و مؤاخذة الطائع ، وناهيك بقول المضلّين فساداً في الدين أعاذنا الله منه و سائر المؤمنين .

إن قالوا : إنّما ذكرنا ذلك إلزاماً لكم لأنّكم ترون للعبد فعلاً ، و تعتقدون في أفعال الله غرضاً ، قلنا : نرجع إلى جوابنا الأوّل من أنّ ضرر اليسير ينغمر في جنب الحاصل بمحبّته من الخير الكثير .

---

(١) هود : ١١٥ .

﴿ الفصل الرابع عشر ﴾

أخرج صاحب الوسيلة في المجلّد الخامس قول النبيّ لعليّ : لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت مقالاً لا تمرّ على ملاءٍ إلّا أخذوا من تراب رجليك ، و فضل طهورك يستشفون به ، و لكن حسبك أن تكون منّي كهارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، و إنّك تبرىء ذمّتي و تقاتل على سنّتي ، و إنّك في الآخرة معي ، وعلى الحوض خليفتي ، و أوّل من يدخل الجنّة معي ، و إنّ شيعتك على منابر من نور مبيضّة وجوههم، أشفع لهم و يكونون جيراني وإنّ حربك حربي ، و سلمك سلمي ، و سرّك سرّي ، و علانيتك علانيتي ، وإنّ الحقّ معك ، و على لسانك ، وفي قلبك ، وبين عينيك ، و إنّ الايمان يخالط لحمك و دمك ، كما خالط لحمي و دمي ، ولن يرد الحوض مبغض لك ، و لن يغيب عنه محبّ لك . وقد أخرج صاحب المناقب صدر هذا الحديث بأسانيده ، و أخرج ابن المغازليّ الشافعيّ في موضعين من مناقبه قول النبيّ ﷺ : عليّ يوم القيامة على الحوض ، لا يدخل الجنّة إلاّ من جاء بجواز منه .

قالوا : جاء القرآن بأنّ الكوثر للنبيّ لا لعليّ . قلنا : قد ذكرنا كون عليّ خليفة فيه للنبيّ و سيأتي في ذلك شيء ممّا روي .

قالوا : لو تولّى عليّ سقي أهل الأرض ، لم يفرغ من سقي الأقلّ إلّا وقد مات الأكثر عطشاً . قلنا : هذا تعجيز لله فانّه إذا أراد أمراً بلغه و أيضاً فقد أورد الكنجيّ الشافعيّ أنّ هذا منصب النبيّ فيرد عليه ما أوردتم على عليّ وقد جاء في ملك الموت و ملك الرزق مثل ما قلنا في عليّ ، وقد أخرج البخاريّ سعة الحوض و أنّ آنيته كعدد النجوم ، و السقي عبارة عن التخلية بينهم ، و عدمه عبارة عن الذود عنه .

قالوا : كيف يليق لعليّ الرفيع جعله خادماً و يسقي الرفيع و الوضيع ؟

قلنا : لا بل هو منصب شريف لا ينكره إلّا ذو عقل سخيف ، وهل يشرب من الحوض وضيع كذوي المحال الشنيع ، و ناهيك بشناعته جرأته على النبيّ كما ذكرنا عن الكنجيّ .

قال ابن الأطيس :

من قال فيه المصطفى معلناً ☆ أنت لدى الحوض لدى الحشر
أنت أخـي أنت وصيّي كمـا ☆ هـارون من موسـاه في الأمر

قال ابن أبي الحديد في مدحه عليه السلام :

والمترع الحوض المدعدع حيث لا ☆ واد يفيض ولا قليب ينزع

و قال آخر :

صفات أمير المؤمنين من اقتفى ☆ يدارجهـا أقنته ثوب ثوابه
صفات جلال ما اغتذى بلبانها ☆ سواه ولا حلّت بغير جنـابه
تفوّقها طفلاً و كهلاً و يافعاً ☆ معاني المغالي فهي ملء إهابه
مناقب من قامت به شهدت له ☆ بازلافه من ربّـه و اقترابه
منـاقب لطف الله أنزلهـا به ☆ و شرّف ذكراه بها في كتابه

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

أخرج أبو بكر ابن فورك في كتاب الفصول عن أسماء بنت عميس حديث ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام ، وأسند محمّد بن عثمان المزنيّ، وأخرج ابن المغازليّ من طريقي فاطمة بنت حبش و رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و أخرجه القاضي أبو يعلى في المعتمد ، و صاحب كتاب الشافي في بشائر المصطفى ، و قال فيه إمام المعتزلة ابن أبي الحديد :

إمام هدى بالفرض آثر فاقتضى ☆ له القرص ردّ القرص أبيض أزهرا

و أخرج ابن مردويه ، و النطنزيّ، وابن منده ، والجرجانيّ، وابن إسحاق

و الشيرازيّ ، و الورّاق ، و الحسكانيّ ، و صنّف أبو عبدالله الجعل فيه كتاباً ، و ابن شاذان كتاباً ، وقد ذكر ابن‌شهرآشوب أنّه روي أنّها ردّت له في مواضع كثيرة منها بالصهباء في غزوة خيبر ، قال ابن حمّاد :

و الشمس قدردّت عليه بخيبر ✡ وقدانبدت زهر الكواكب تطلع
و ببابل ردّت عليه ولم يكن ✡ والله خير من عليّ يوشـع

و قال العونيّ :

ولاتنس يوم الشمس إذرجعت له ✡ بمنتشر وار من النور مقنع
كذلك بالصهباء وقد رجعت له ✡ ببابل أيضاً رجعة المتطوّع

و روى الكلينيّ في الكافي ردّها بمسجد الفضيخ ، و المشهور مرّتان : مرّة بكراع الغميم روتها اُمّ‌سلمة وأسماء بنت عميس ، وجابر، وابن عبّاس ، والخدريّ و أبو هريرة ، و الباقر و الصادق عليهما السلام أنّ الوحي تغشّى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأسنده عليّ فلمّا تمّ قال صلّيت ؟ قال : لا،قال:ادعوا الله يردّ عليك الشمس ، فدعا فردّت ، وقد ذكره ابن‌جمهور في كتاب المواحده وقد روي أنّه صلّى إيماءً فلمّا ردّت الشمس أعاد فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله حسّاناً أن ينشد شعراً فقال :

لا تقبل التوبة من تائب ✡ إلّا بحبّ ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره ✡ والصهر لايعدل بالصاحب
يا قوم من مثل عليّ وقد ✡ ردّت عليه الشمس بالغائب

و مرّة ببابل ، رواها جويرية ابن مسهر ، و أبو رافع ، وزين العابدين ، و الباقر عليهما السلام أنّه لمّا عبر الفرات لم يفرغوا من العبور حتّى غابت فلم يصلّ الجمهور فتكلّم الناس في ذلك فسأل الله فردّت فصلّوا فقال قدامة السعديّ :

ردّ الوصيّ لنا الشمس الّتي غربت ✡ حتّى قضينا صلاة العصر في مهل
لـم أنسه حين يدعوهـا فتتبعه ✡ طوعـاً تلبّيه مهلاً ها بلاعجل
و تلك آيـاته فينـا و حجّته ✡ فهل له في جميع الناس من مثل
أقسمت لا أبتغي يوماً به بدلاً ✡ و هل يكون لنور الله من بدل

حسبي أبي حسن مولاً أدين به ☆ و من به دان رسل الله في الأوُل

و بالجملة فهذان الموضعان ، أمران شايعان ، قال السيّد المرتضى :

ردَّت عليه الشمس يجذب ضوءها ☆ صبحاً على بعد من الاصباح

من قاس ذا شرف به فكأنّما ☆ وزن الجبال السود بالأشباح

و قال الحميريّ :

ردَّت عليه الشمس لمّا فاته ☆ وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

و عليه قد ردَّت ببابل مرَّة ☆ اُخرى و ماردَّت لخلق مغرب

و قال الصاحب بن عبّاد الرازيّ :

كان النبيّ مدينة العلم الّتي ☆ حوت الكمال و كنت أفضل باب

ردَّت عليك الشمس وهي مضيئة ☆ ظهرت ولم تُستتر بكفّ نقاب

و قال آخر :

جاد بالقرص و الطوى بين جنبيه و عاف الطعام و هو سغوب

فأعاد القرص المنير عليه ☆ الفرض والمقرض الكريم كسوب

وقد أنشد فيه ابن حمّاد ، و المفجّع المصريّ ، و كشاجم ، و العونيّ ، و الرضيّ ، و السروجيّ ، وابن الحجّاج ، والصنوبريّ ، وابن رزيك ، و ابن الروميّ و الجمانيّ ، و الاسكافيّ ، و الاصفهانيّ .

اعترض ابن فورك في كتاب الفصول أنّه لو كان صحيحاً لرآه جميع الأبشار في ساير الأقطار ، أجبنا بانشقاق القمر للنبيّ المختار ، ولم تعترف به طوائف الكفّار وقد اختلف الناس فيما هو أظهر من ذلك : البسملة والوضوء و غيره ممّا كان النبيّ يكرّره ، وقد عرفت برواية الفريقين بطلان ما قالوه من أنَّ تلك الروايات ليست حجّة علينا لأنّها من طرقكم .

قالوا : لو ردَّت الشمس لعليّ لزم أن يكون أفضل من النبيّ لأنَّ العصر فاتته يوم الخندق ، ولم تردّ له . قلنا : هذا من رواياتكم الكاذبة ، لتسقطوا بها فضيلة عليّ كيف ذلك وقد ذكر خطيب دمشق عن صاحب كتاب الفتوح أنَّ عليّاً عليه السلام

ليلة الهرير بسط له نطع فصلّى نافلته والسهام تمرّ عليه ، فلم ترعه ، و تريّع النبيّ يوم الخندق فلم يصلّ ، و الهرير أشدّ من الخندق لأنّها انكشفت عن ستّة وثلاثين ألف قتيل ، فكان يلزم كون عليّ أشجع من النبيّ ، و بطلانه إجماعيّ .

قالوا : نام النبيّ عن صلاة الغداة ولم ترجع الشمس إلى الليل . قلنا : قد أخرج البخاريّ في صحيحه قول النبيّ ﷺ : تنام عيني ولا ينام قلبي ، و هو يكذّب ذلك .

قالوا : ترك عليّ للصلاة إن كان عمداً أو نسياناً بطل ما تدّعونه من عصمته ، وقد قال النبيّ ﷺ : « ليس بين الايمان و الكفر إلّا ترك الصلاة » . قلنا : قد جاء أنّ عليّاً صلّى جالساً ليجمع بين طاعة ربّه في صلاته ، وما فيه تكميل الوحي إلى نبيّه فلمّا أفاق النبيّ و رأى غمّه على تكميل صلاته ، سأل ربّه أن يردّها كرامة له وفي رواية أنّ الله تعالى ألقى على عليّ النعاس ليفرد نبيّه باسماع الوحي ، فلم ينتبه فنزلت عن موضع الفضيلة ، ورجعت إليه ، وببابل اشتغل الناس بالعبور وصلّى وحده فتكلّموا في ذلك فأراد جمعهم على الصلاة ، و ليريهم كرامته ، و قيل لم يصلّ فيها لأنّها أرض خسف ، وقد أمر النبيّ أصحابه أن لا يبيتوا في واد خوف الشياطين ففعلوا ففاتهم الصبح ، و قيل صلّى عليّ منفرداً و أعادها بهم لا ذهاب إرجاف أعدائهم ، و ليزيل بكرامته شكّ أصحابه في أمره .

تذنيب : روى محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام عن جابر أنّ الشمس كلّمت عليّاً سبع مرّات :

الأوّل : قالت يا أمير المؤمنين اشفع لي عند ربّي لا يعذّبني . الثاني : أمرني أن أحرق مبغضيك . الثالث : لمّا قال لها ببابل : ارجعي قالت : لبيك . الرابع : قال لها : هل تعرفين لي خطيئة ؟ قالت : و عزّة ربّي لو خلق الله الخلق مثلك لم يخلق النار . الخامس : لمّا اختلفوا في الصلاة في عهد أبي بكر فخالفوا عليّاً فقالت: الحقّ له و بيده و معه ، وسمعها قريش و من حضر . السادس : لمّا جاءته بالسطل

فتوضّأ و قال : من أنت ؟ قالت : الشمس المضيئة . السابع : لمّا دنت وفاته جاءته فسلّمت عليه ، و عهد إليها و عهدت إليه ، و أنشأ في ذلك الناشيّ و العونيّ و ابن حمّاد و المغربيّ و غيرهم .

﴿ الفصل السادس عشر ﴾

جاء في الأخبار الحسان أنّ علياً عليه السلام مضى في ليلة إلى المدائن لتغسيل سلمان ، فأنكر الناصبيّة ذلك ، و قالوا : هذا خارج عن قدرة الانسان ، قلنا : قد جاء من خبر آصف و عرش بلقيس ما حكاه القرآن حيث أتى به من مسيرة شهرين إلى سليمان في طرفة عين ، وقد صحّ في أخبارهم أنّ الدنيا خطوة رجل مؤمن، وقد نسب إلى بعض شيوخ الصوفيّة ذلك : فلم ينكروه ، فكيف بأمير المؤمنين و رووا حديث عمر بسارية و هو قريب من ذلك فلم ينكروه ، و حكموا في كتبهم بأنّه لو عقد رجل بالمشرق على امرأة بالمغرب فولدت لحق به استناداً إلى كون الدنيا خطوة مؤمن ، وقد روي أنّ ابن هبيرة شكا إليه عليه السلام شوقه إلى أولاده فأغمض عينيه ثمّ فتحهما و إذ ابداره في المدينة و عليّ على السطح فجلس هنيئة ثمّ قال : هلمّ ننصرف فأغمض عينيه ثمّ فتحها فاذا هو بالكوفة فتعجّب و سيأتي فيه مزيد كلام .

قالوا : ادّعيتم إنكار سلمان على المشايخ إمامتهم وقد كان عاملاً لعمر على المدائن يدعو إلى إمامته ، قلنا : لا يرتاب أحد أنّ سلمان كان من شيعة عليّ وقد روى سبط الجوزيّ الحنبليّ في كتاب الرجال أنّ جماعة من الصحابة سألوه لمن الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً ✿ عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم ✿ و أعرف الناس بالأحكام و السنن
ما فيهم من صنوف الخير يجمعها ✿ وليس في القوم ما فيه من الحسن

فانصرفوا عنه إلى السقيفة، فلمّا أُخبر بها ، قال : « كردن و نيك نكردن »

فكيف يقال : إنّه يدعو إلى خلافة عمر ، و أمّا توليته فالظاهر أنّها كانت باذن عليّ لأنّ الحقّ له ولوأمكنه تولية جميع أصحابه عن أمره وجب عليه .

قالوا : عرّضتم بكفر المشايخ و غيرهم أنّ عليّاً لم يشرك قطّ و المراد أنّه أسلم قبل البلوغ و ليس ذلك من خصائصه إذ ساير أطفال المسلمين كذلك . قلنا : لا قياس إذ المراد زمان الفترة الّتي هلك الناس فيها بعبادة الأصنام و عليّ و آباؤه على ملّة إبراهيم عليه السلام ، وقد ذكرنا من طرقكم قول النبيّ صلى الله عليه وآله سبّاق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين، فلو لم يكن من خصائصه ، انتفت الفائدة في التنويه بذكره و فيه أكبر دليل على عصمته ، حيث قطع النبيّ بعدم الشرك و هو غيب لا يكون إلّا باعلام ربّه .

إن قلت : فحديث السبق ينافي أنّه لم يشرك قطّ قلت : لا ينافي إذ المراد السبق إلى الايمان بالنبيّ و هو استدلاليّ و عليّ ظهر له ذلك قبل آبائه و غيرهم لا أنّه كان مشركاً .

قالوا : كان طفلاً في كفر آبائه فمحجور على إيمانه إلى بلوغه . قلنا : سيأتي إسلام أبويه في باب النصّ من الرسول عليه ، وقد اشتهر في شعرهم « نحن آل الله في كعبته » لم يزل ذلك على عهد إبراهيم ، و هل قولكم إلّا ردّاً على النبيّ سبّاق الأمم ثلاثة ، وقد أخرج صاحب الوسيلة في مناقب عليّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله : صلّت الملائكة عليّ و على عليّ سبع سنين من قبل أن يسلم بشر ، و المحجور عليه كافر فكيف تصلّي الملائكة عليه ، و أيضاً فقد ذكر شارح المصابيح أنّه أسلم ابن خمس عشر سنة وشارح الطوالع ابن أربعة عشر سنة ، و سيأتي .

قالوا : قلتم : عليّ لم يزل مسلماً فلو كان صحيحاً لكان أفضل من النبيّ لقوله تعالى لنبيّه : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان[1] » . قلنا : قد بيّنّا أنّ معنى « لم يزل مؤمناً » أي لم يسبقه بشرك وأمّا إسلامه بمحمّد فلم يشكّ في تجدّده عاقل و الايمان المنفيّ عن النبيّ ليس هو المستلزم للشرك لعلمنا وعلمكم بسلامة الأنبياء

(١) الشورى :٥٢ .

منه ، بل المراد : ما كنت تدري ما الايمان الّذي تبلّغه .

قال الامام الطبرسيّ : ما كنت تدري معالم الايمان ، و قيل ما كنت تدري أهل الايمان ، من يؤمن و من لايؤمن ، وقد أخبر عليه السلام أنّ الايمان بضع و سبعون شعبة ولم يدر كلّها في أوّل البعثة و أيضاً فمعرفة الايمان كسبيّة ، فحال النظر لا يسمّى الانسان كافراً و إلاّ لم يسلم من الكفر أحد .

تذنيب : جوّز الفضيليّة من الخوارج الكفر على الأنبياء ، و ذهب ابن فورك إلى جواز بعثه من كان كافراً ، و قال بعض الحشويّة أنّ نبيّنا عليه السلام كان كذلك لقوله تعالى : « و وجدك ضالاً فهدى[1] » و قوله : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » و صاحب هذا الاعتراض إن كان يعتقده فهو لاحق بها ولاء أعاذنا الله من ذلك .

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

روى أبو المؤيّد الخوارزميّ في كتاب المناقب قول النبيّ : خاطبني ربّي في المعراج بلغة عليّ فقلت : يا ربّ تخاطبني أم عليّ ؟ فقال : خلقتك من نوري ، و خلقت عليّاً من نورك ، فأطلعت على سرّك فلم أجد إلى قلبك أحبّ منه في قلبك فخاطبتك بلسانه كي يطمئنّ قلبك .

قالوا : في الرواية سمعتك تقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى فما رأيتك تحبّ أكثر منه فخاطبتك بلغته ، ولا شكّ أنّ حديث هارون من موسى كان في غزوة تبوك و المعراج قبله بنحوستّة ، فالرواية بالمخاطبة بلغته مزوّرة ، قلنا : بل قولكم سمعتك تقول الخ هو المزوّر إذ حديث هارون بالوحي لامتناع الاجتهاد من النبيّ عند المحقّقين ، فكيف يقول الله : سمعتك تقول ، و أيضاً نمنع اختصاص حديث هارون بغزوة تبوك ، فانّ أوّله حديث الأخوّة وقد أورده صاحب الوسيلة في عدّة مواضع منها قول النبيّ مكتوب على باب الجنّة لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول

(١) الضحى : ٧ .

الله ، عليٌّ أخو رسول الله ، و منها قول جبرائيل له في المعراج : نعم الأخ أخوك عليٌّ ابن أبي طالب ، و منها أنّه رأى ليلة المعراج حوراء ولم ير أحسن منها فسلّمت عليه و قالت : خلقني الله لأخيك عليٍّ بن أبي طالب و منها لمّا ولد الحسن أهبط الله جبرائيل يهنيّه و يقول : عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمّه باسم ابن هارون شبّر فقال : لساني عربيٌّ قال : سمّه الحسن .

قالوا : فيلزم من مخاطبة الله بلسان عليّ أن يكون فيه شبه مّا لعليّ وهو كفر قلنا : الله متكلّم عندنا بخلق الكلام في جسم فالشبه لذلك الجسم دون الله ، فلا كفر.

قالوا : فيلزم أن يكون عليٌّ أحبَّ من الله إلى النبيِّ . قلنا : زيادة الاستيناس بلغة عليٍّ لكثرة الممازجة لا تدلُّ على أنّه أحبُّ من الله إلى النبيِّ [1] و لهذا نزل جبرائيل إليه في صورة دحية الكلبيِّ ولم يكن أحبَّ من جبرئيل إلى النبيِّ .

قالوا : بذكر الله تطمئنُّ القلوب ، لا كما رويتم في اطمينان قلب النبيِّ بلغة عليّ . قلنا: إن عنيتم بالذكر القرآن فهو غير لازم ، و إن عنيتم ما هو أعمُّ منه فلغة عليّ منه على أنَّ الله قد عبّر بالذكر عنه في قوله: «لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني [2]» و عبّر به عن النبيِّ في قوله : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً [3] » و ظاهر أنَّ الاطمينان بالنبيِّ و الوصيِّ كما هو بالكتاب الالهيِّ ، مع أنَّ القلوب عامٌّ مخصوص بغير الكفّار ، وقد يكون الذكر موجباً للخوف ، كما قال : « الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم [4] » و نحوها .

ثمّ إنّ المخالفين الجاحدين اقتدوا بأسلافهم في بغضة أمير المؤمنين ، وأنكروا ما خصّه ربُّ العالمين ، و رسوله النبيُّ الأمين ، و كتبهم ناطقة بالأحاديث القدسيّة والأخبار النبويّة ، فقد أخرج صاحب الوسيلة قول النبيِّ لعليّ : أكرمك الله عليُّ بأربع خصال : زوجة مثل فاطمة زوّجها الله فوق عرشه ، وصهر مثلي ، و ولدين مثل

---

(١) فى النسختين : أحب الى الله من النبى . و هو سهو .

(٢) المائدة : ٢٩ .　　(٣) الطلاق : ١١ .

(٤) الانفال : ٨ .

الحسنين ، ولم اُرزق مثل ذلك ، و قوله نظرت في الاسراء فاذا على ساق العرش الأيمن : محمد رسول الله أيّدته بعليّ و نصرته به ، و قال : عليّ منّي بمنزلة رأسي من جسدي ، و قال : من أحبّ أن يحيى حياتي ، ويموت موتي ، ويتمسّك بالقضيب الياقوت الّذي خلقه الله فليتمسّك بعليّ ابن أبي طالب بعدي .

أيّها المؤمن الّذي طاب فرعاً ✡ وزكى منه أصله و تمسّك
طب بدين النبيّ نفساً و إن خفت من النار في غداة تمسّك
فاستجر من لظاً لظى بعليّ ✡ و بنيه و بالبتول تمسّك (١)

و قال : ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة ، و قال : أوّل من يأكل من شجرة طوبى عليّ بن أبي طالب ، و قال : عليّ و شيعته هم الفائزون يوم القيامة وقال : عليّ بن أبي طالب و أهل بيته عمود الجنّة ، و قال : لعليّ من الثواب ما لو قسم على أهل الأرض لوسعهم ، و قال : عليّ يحمل لوائي يوم القيامة وقد اُعطي كصبري و حسن يوسف و قوّة جبرائيل ، و جميع الخلائق تحت لوائي ، و قال و هو في منزل عليّ : أخبرني جبرائيل أنّكم قتلى ، و أنّ مصارعكم شتّى ، قال الحسين : فمن يزورنا ؟ قال : طائفة من اُمّتي يريدون بذلك برّي وصلتي ، إذاكان يوم القيامة زرتهم و أنجيتهم من أهواله ، وفي حديث آخر : ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوّار قبوركم ، كما تعيّر الزانية ، اُولئك أشرار اُمّتي ، وقد أوردناه تامّاً فيشرح التكليفيّة منوفّق له وقف عليه ، وقال : أخبرني جبرائيل أنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياتي و بعد وفاتي ، و قال صلى الله عليه وآله : أنا شجرة و فاطمة حملها ، و عليّ لقاحها ، و الحسنين ثمرها ، و المحبّون لأهل البيت ورقها إلى الجنّة حقّاً حقّاً .

و أسند ابن ماجيلويه في كتاب الآل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لمّا خلق الله آدم وحوّى تبختر افي الجنّة و قال آدم : ما خلق الله تعالى أحسن منّا فأمر الله جبرائيل فأخذهما إلى الفردوس فرأيا جارية على رأسها تاج من نور ، و في اُذنيها قرطان من

(١) قدمر في ص ١٠٠ فراجع .

نور ، قد أشرقت الجنان من نور وجهها ، فقال آدم : ما هذه ؟ قال جبرائيل : هذه فاطمة بنت محمّد نبيّي من ولدك ، قال : فما التاج ؟ قال : بعلها عليّ ابن أبي طالب قال فما القرطان ؟ قال : ولداها الحسنان قال : خلقوا قبلي ؟ قال : هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة .

فهذه روايات الفريقين ، ناطقة بأفضليّته ، و شاهدة من الله و رسوله بعظم منزلته ، و السوالف ينكرونها ببغيهم و حسدهم ، و الخوالف يجحدونها بغيهم و بغضهم . شعر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ☆ فالناس أعداء له و خصوم
كضراير الحسناء قلن لوجهها ☆ حسداً و بغياً : إنّه لدميم

و قال آخر :

أزاحوك ظلماً عن مقامك غصّة ☆ رأوا فيك فضلاً لم يروا في جيادها
ومن عادة الغربان تكره أن ترى ☆ بياض البزاة الشهب بين سوادها(١)

﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

نقل مالك بن أنس أخباراً جمّة في فضائل عليّ وكان يفضّله على أُولي العزم من الأنبياء فرمي بالغلوّ لذلك ، و كان الجعارتيّ ، و أبو الأزهر الهرويّ و غيرهم يرون الحقّ فرموهم بالرفض ، و أكثر شيوخنا يفضّلونه على أُولي العزم لعموم رئاسته ، وانتفاع جميع أهل الدنيا بخلافته ، لكونه خليفة لنبوّة عامّة بخلاف نبوّتهم ولقول النبيّ ﷺ في خبر الطائر المشوي : ائتني بأحبّ خلقك إليك ، ولم يستثن الأنبياء ، و لأنّه مساوٍ للنبيّ الّذي هو أفضل في قوله : « و أنفسنا و أنفسكم (٢) » والمراد المماثلة لامتناع الاتّحاد ولأنّه أفضل من الحسنين في قوله ﷺ : « أبوهما خير منهما » وقد جعلهما جدّهما سيّدين لأهل الجنّة في الحديث المشهور فيهما .

---

(١) البزاة جمع البازى وهوضرب من الصقور . (٢) آل عمران : ٦١ .

وقد أسند الأعمش إلى جابر الأنصاريّ قول النبيّ ﷺ له : أيّ الاخوان أفضل ؟ قلت : النبيّون ، فقال « أنا أفضلهم و أحبّ الاخوة إليّ عليّ بن أبيطالب فهو عندي أفضل من الأنبياء ، فمن قال : إنّهم خير منه ، فقد جعلني أقلّهم لأنّي اتّخذته أخاً لما علمت من فضله ، وأمرني ربّي به » .

و أسند ابن أبي عمير إلى الصادق عليه السلام أنّ الله قال لموسى عليه السلام : « و كتبناله في الألواح من كلّ شيء[1] » ولم يقل كلّ شيء و في عيسى : « و لأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه[2] » و قال في عليّ بن أبي طالب : « و من عنده علم الكتاب[3] » و قال : « ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين[4] » فعند عليّ علم كلّ رطب و يابس .

إن قلت : عند عليّ علم الكتاب ، ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب ، هذا من الشكل الثاني و عقيم ، و هوهنا لا يجاب مقدّمتيه .

قلت : فلنردّه إلى الأوّل ، فنقول : كلّ رطب و يابس علمه في كتاب مبين و علم ذلك الكتاب كلّه عند عليّ بطريق أبي نعيم وفي تفسير الثعلبيّ .

و في هذا أيضاً نظر من عدم اتّحاد أوسطه فانّ الكتاب الّذي فيه الرطب و اليابس ، هو اللّوح المحفوظ ، و الكتاب الّذي علمه عند عليّ هو القرآن ، إلّا أن يقال : نذكر ذلك إلزاماً للخصم ، لأنّه يقول : كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين هوالقرآن و علم القرآن عند عليّ عليه السلام .

على أنّه لا مانع من حمل الكتاب الّذي عند عليّ على اللّوح لاطلاق اللّفظ.

إن قلت : المانع امتناع إحاطة عليّ بعلم الله ، قلت : ليس في تلك دليل على حصر علم الله فيها ، على أنّه يجوز أن يريد بالعلم باللّوح علم بعضه إطلاقاً للعامّ وإرادة الخاصّ .

---

(١) الاعراف : ١٤٤. (٢) الزخرف : ٦٣ .
(٣) الرعد : ٤٥ . (٤) الانعام : ٥٩ .

إن قلت : فيلزم أن يكون عند عليّ بعض علم القرآن لذلك و حينئذ فلا فضيلة له لأنّ قليلاً من علماء الاسلام إلّا ويعلم بعضه ، قلت : الأفضليّة في التفاوت و إلّا لخلا تقييده في الآية عن الفائدة ، و لأنّه لا مانع في القرآن من الحمل على كلّه ، بخلاف ما في اللّوح المحفوظ لما ذكرتم .

وقد أخرج البيهقيّ مارواه صاحب الوسيلة من قول النبيّ ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، و إلى نوح في تقواه ، و إلى إبراهيم في حلمه ، و إلى موسى في هيبته ، و إلى عيسى في عبادته ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب » . فقد اجتمع فيه ما تفرّق فيهم فهو أفضل من كلّ واحد منهم .

وقد استدلّ الرازيّ في المعالم بمثل هذا على تفضيل النبيّ على الأنبياء ، عند قوله تعالى « فبهداهم اقتده [1] » ،

قالوا : آتى الله نوحاً السفينة و انتصر فأغرق قومه ، و نجّا إبراهيم من ناره و من الملك الّذي همّ بزوجته ، و انتصر له بهلاك نمروده ، و أعطى موسى العصا و اليد البيضاء و سلّط الآيات التسع على أعدائه ، و انتصر له بهلاك فرعون ، و نفخ في عيسى من روحه و رزقه يبرىء ذوي العاهات ، و انتصر له من أعدائه برفعه إلى السماوات ، ولم ينتصر لعليّ من معاوية و ابن ملجم ، فليس له كرامة تقابل واحدة من معجزات الأنبياء ، و هو و إن كان له المنزلة العالية لكن أين درجة الولاية من درجة النبوّة السامية .

قلنا : ما ذكرتم من كرامات الأنبياء فهو حقّ لكن لا يلزم من فقدها عن عليّ أفضليّتهم عليه ، و إلّا لزم أفضليّتهم على النبيّ حيث لم يحصل له مثلها ، و أنتم جعلتم عدم مثلها موجباً لعدم أفضليّة فاقدها ، ولا يبعد أفضليّة الولاية على النبوّة كما في الخضر و موسى وقد أخرج أبو نعيم في كتاب الفتن في حقّ المهديّ أنّ عيسى وزيره ، وقال بعض علماء الطريقة : بداية النبوّة نهاية الولاية ، وقال آخرون

---

(١) الانعام : ٩٠ .

بداية الولاية نهاية النبوّة ، و أبلغ من ذلك ما أجمع فيه من قول النبيّ ﷺ : علماء اُمّتي كأنبياء بني إسرائيل .

وقد تجرّيتم على الأنبياء في قولكم كذب إبراهيم ثلاث كذبات ، و ولد ابن نوح على فراشه ، و عشق داود امرأة اوريا ، ووطىء الشيطان نساء سليمان و غيرذلك وقد قال الغزاليّ : أمّا عليّ فلم يقل فيه ذو تحصيل شيئاً .

قلنا : فعلى تقريركم هو أفضل من الأنبياء ، حيث قلتم فيهم تلك الأشياء وقد باهى الله به الملائكة ليلة الفراش و هم عند الرازيّ و غيره أفضل من الأنبياء وأشارإلى ذلك ابن الجوزيّ في تفسيره : « و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله[1] » والانتصار له من معاوية لا يتعيّن في الدنيا ، فانّ الكفّار إلى الآن يصوّرون النبيّ في بيوت عباداتهم بأقبح الصور ، ولم ينتقم الله منهم في الدنيا « إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً » .

و نفيكم لكراماته لم يقل أحد به ، منها قوله للخثعميّ الّذي أبى أن يبايعه إلاّ على سنّة الشيخين : كأنّي بك وقد نفرت في هذه الفتنه ، وقد شدخت حوافر خيلي وجهك و رأسك و مثّل بك ، و قال قبيصة لمّا رآه كذلك : لله أبو حسن ما حرّك شفتيه بشيء قطّ إلّا كان كما قال ، و اُجيب دعاؤه على بشر بن أرطاة أن يسلبه الله عقله فخولط فيه حتّى كان يدعو بالسيف فاتّخذ له سيف من خشب ، و دعا على الغيرار حين حلف لا يرفع أخباره إلى معاوية فقال : إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك فما دارت الجمعة حتّى عمي ، و أخرج خطيب دمشق الشافعيّ في قتال الخوارج لمّا قال له رجل : قد عبروا النهر هاربين ، فقال : لا يعبرون ولا يبلغون قصر كسرى حتّى يقتل الله مقاتلتهم على يدي ، فلا يبقى منهم إلاّ أقلّ من عشرة ، ولا يقتل من أصحابي إلاّ أقلّ من عشرة ، فكان كما قال .

و من ذلك ما وجدناه مرويّاً عن سعد بن عبادة و الأصبغ بن نباته : أنه عليه السلام

---

(١) البقرة : ٢٠٧ .

لمّا خرج إلى النهروان استقبله دهقان ، و قال لتعودنّ عمّا قصدت إليه لتناحس النجوم و الطوالع فسعد أهل النحوس ، و نحس أهل السعود ، و اقترن في السماء كوكبان يقتتلان ، و شرف بهران في برج الميزان ، و قدحت في برجه النيران وتناشت الحرب حقاً بأماكنها ، فتبسّم الامام عليه السلام وقال : أنت المحذّر من الأقدار أم عندك دقائق الأسرار ، فتعرف الأكدار و الأدوار ، أخبرني عن الأسد في تباعده في المطالع و المراجع ، و عن الزهرة في التوابع والجوامع وكم من السواري إلى الدراريّ ، وكم من الساكنات إلى المتحركات ، وكم قدر شعاع المدبّرات ، و كم أنماس الفجر في الغدوات ؟ قال : لاعلم لي بذلك .

فقال عليه السلام : هل عندك علم أنّه قد انتقل الملك في بارحتنا من بيت إلى بيت بالصين ، و انقلب برج ماجين ، و هاج نمل الشيخ ، و تردّى برج الأندلس وطفح جبّ سرنديب ، و فقد ديّان اليهود ابن عمّه ، و عمي راهب عموريه ، و جذم بطريق الروم بروميّة ، و تساقطت شرافات من سور قسطنطينيّة أفأنت عالم بمن أحكم هذه الأشياء من الفلك ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام : هل عندكم علم أنّه قد سعد في بارحتنا سبعون ألف عالم منهم في البرّ و منهم في البحر ، أفأنت عالم بمن أسعدهم من الكواكب ؟ قال : لا .

ثمّ أخبره عليه السلام بأنّ تحت حافر فرسه اليمنى كنز ، وتحت اليسرى عين من الماء ، فنبشوا فوجدوا كما ذكر عليه السلام فقال الدهقان : ما رأيت أعلم منك إلّا أنّك ما أدركت علم الفلسفة ، فقال عليه السلام : من صفي مزاجه اعتدلت طبايعه ، ومن اعتدلت طبايعه قوي أثر النفس فيه ، و من قوي أثر النفس فيه ، سما إلى ما يرتقيه ، و من سما إلى ما يرتقيه تخلّق بالأخلاق النفسانيّة ، و أدرك العلوم اللّاهوتيّة ، و من أدرك العلوم اللّاهوتيّة صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان ، و دخل في باب الملكيّ الصوري ، و ماله عن هذه الغاية معبر ، فسجد الدهقان و أسلم ، وقد وجدت هذا الحديث في كتاب نهج الايمان ذكره الحسين

ابن جبر في نخبه مسنداً إلى سعيد بن جبير ، و فيه ألفاظ مختلفة اكتفيت عنها بما وضعت منها .

و منها ما نقله ابن طلحة عن صاحب فتوح الشام و عن كتاب ابن شهر آشوب أنّ عليّاً عليه السلام صلّى الصبح يوماً ثمّ قال لرجل : اذهب إلى محلّة بني فلان تجد رجلاً وزوجته يتشاجران فأحضرهما إليّ فذهب فأحضرهما فقال عليه السلام : قد طال تشاجر كما اللّيلة ، قال الرجل : وجدت في نفسي منها نفرة ، فقال لها عليّ عليه السلام : أليس كان يرغب فيك ابن عمّك ومنعه أبوك منك ، فخرجت ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك و وطئك و حملت و أعلمت أُمّك ، فلمّا وضعتيه ألقيتيه خارج الدار ، فجاء كلب فشمّه فخشيت أن يأكله فرميتيه بحجر فشجّيت رأسه فعدت إليه أنت وأُمّك فشدّت أُمّك رأسه بخرقة من مرطها ومضيتما ؟ قالت : نعم ، لم يعلم بها سوى أُمّي ، قال : فقد أطلعني الله عليه فأخذه بنو فلان و ربّوه وهو زوجك هذا ، اكشف عن رأسك فكشف فوجدت الشجّة فيه فقال : هو ابنك فخذيه ، ولانكاح بينكما .

و منها ما قاله خطيب دمشق عن الحسين بن زكريّا الفارسيّ أنّ أهل الكوفة طلبوا من عليّ أن ينقص لهم الفرات لمّا طفت ، فلبس جبّة النبيّ و عمامته وبردته و أخذ في يده قضيبه و أهوى به إليها فنقصت ثلاثة أذرع ، فهذا بعض ما جاء من طريق الخصم و أمّا الطريق الآخر فكثير سلف منه جانب و سيأتي إنشاء الله جانب .

و لما ادّعى الامامة و أقسم عليها في قوله : وايم الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة و هو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى ، وقد أظهر الله كراماته على يده الدالّة على صدقه ، لأنّ الله تعالى لايخرق العادات لعدوّه و الكاذب عليه ، فعلم من ذلك صحّة إمامته ، كما علم من اقتران دعوى الرسول بمعجزته صحّة نبوّته .

وهذا كاف شاف لولم يوجد نصّ على خلافته كما قال العلامة الفريد عزّ الدين ابن أبي الحديد :

و خلافة ما إن لها لولم تكن ✿ منصوصة عن جيد مجدك معدل
عجبا لقوم أخّروك و كعبك الـ ✿ عالي وخدّ سواك أضرع أسفل

﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

نذكر فيه ما وعدنابه في أوّل الباب من إحاطته عليه السلام بفضائل أولي الألباب ولا عجب ممّن ربّاه النبيّ المؤيّد بالوحي الإلهيّ أن يبلغ الغاية القصوى من العلوم ويطّلع على سرّ السرّ المكتوم فقد روى مسلم في أوّل كرّاس من صحيحه في تفسير سورة غافر عن ابن عبّاس كان عليّ تعرف به الفتن قال و أراه ذكر فيه كلّ جماعة كانت في الأرض أو تكون ، و قال و روي عنه نحو ذلك كثير وروت الفرقة المحقّة قوله عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني فو الّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها و في من نزلت و أنبأتكم بناسخها و منسوخها ، و خاصّها و عامّها ، ومحكمها و متشابهها ، والله مامن فئة تضلّ أو تهدي إلاّ وأناأعرف قائدها و سائقها و ناعقها إلى يوم القيامة ، و زاد في نهج البلاغة : ومن يقتل من أهلها و من يموت .

و في غرر الحكم عن الآمديّ : سلوني قبل أن تفقدوني فانّي بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض . و قد اشتهر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علّمه ألف باب فتح له كلّ باب ألف باب ، و فيه قال الشاعر :

علّمه في مجلس واحد ✡ ألف حديث حسبة الحاسب
كلّ حديث من أحاديثه ✡ يفتح ألفاً عجب العاجب
وكان من أحمد يوم الوغا ✡ جلدة بين العين والحاجب

قال الجاحظ : في تزكية عليّ لأبي بكر بالرواية عنه دون العكس ، دليل الأفضليّة ، قلنا : ليس في الرواية عنه إن صحّ ذلك تزكية له ، ولاالاستفادة منه ، لجواز أن يكون عالماً بها من الرسول فيرويها عنه إلزاماً له ، أوليحتجّ بها على من يحسن ظنّه به ، وعليّ لم يحتج إلى تزكية أبي بكر بعد تزكية الله تعالى في قوله : « و يطهّركم تطهيراً » (١) و تزكية رسول الله في قوله : « أناحرب لمن حاربتم ووليّ

(١) الاحزاب : ٣٣ .

لمن واليتم» . على أنّ الدرك على تارك الفضيلة لا على صاحب الفضيلة .

قال : سكت عليّ ترجيحاً للشيخوخة عليه ، قلنا : في خطبته الشقشقيّة جواب هذا الكلام و قد روى أخطب خوارزم أنّ النبيّ ﷺ أعطى الراية ببدر لعليّ وهو ابن عشرين سنة ، فلم تمنعه الفتوّة عن تأميره ولمّا بهرت عجايبه عقول الغلاة ، ترفّعوا به عن درجات المخلوقين ، فحفر النار و ألقى منهم كثيراً لينزّلوا به إلى درجات المحدّثين .

و أسند ابن جبر في نخبه إلى النبيّ ﷺ أنّه كان إذا نزل الوحي ليلاً لم يصبح حتّى يخبر به علياً و إذا نزل نهاراً لم يمس حتّى يخبر به علياً ، و فيه أيضاً من طرق عديدة أنّه عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار وأشار إلى صدره: كنيفٌ ملىء علماً لو وجدت له طالباً ، سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً ، عندي علم الأوّلين والآخرين ، لو ثنّيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة و الانجيل و الزبور و الفرقان بكتبهم حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّه حكم الله فيّ . و في رواية : حتّى يزهر كلّ كتاب ويقول : يارب إنّ علياً قضى فيّ .

و فيه أيضاً : لو شئت أخبرت كلّ أحد منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه و فيه أيضاً عن سلمان عندي علم المنايا والبلايا ، والأنساب و فصل الخطاب ، ومولد الاسلام ومولد الكفر ، وأنا صاحب الميسم ، و الفاروق الأكبر ، سلوني عمّا يكون إلى يوم القيامة ، و عمّا كان قبلي و على عهدي .

و فيه عن المسيّب : ماكان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقول : سلوني ، غير عليّ وعن ابن شبرمه ماقال أحد على المنبر سلوني غير عليّ ، وفي تفسير الشيرازيّ من علمائهم في قوله : « فاسألوا أهل الذكر(١) » يعني محمّداً وعلياً وفاطمة و الحسن و الحسين ، هم أهل العلم و العقل و البيان ، و الله ماسمّي المؤمن مؤمناً إلّا كرامة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

(١) النحل : ٤٣ .

تذنيب : طعن أبو هاشم في الحكم بالكتب المتقدّمة بأنّه منسوخ لايجوز الحكم بها . قلنا : لعلّ المرادمنها علمه بأحكامها [وعلمه بأحكامها] الواردة في القرآن الناسخ لها أو أنّه يعرف ما حرّف منها فيقضي بينهم بغيره ، و يردّ قضاء هم به ، أو يمكنه استخراج النصوص الواردة في حقّ النبيّ وأهل بيته منها .

تذنيب آخر : ممّا سمعناه مذاكرةً أنّ ابن الجوزيّ قال على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني . فسألته امرأة عمّا روي أنّ علياً سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه و رجع ، فقال روي ذلك ، قالت و عثمان تمّ ثلاثة أيّام منبوذاً في مزابل البقيع ، و عليٌّ حاضر ؟ قال : نعم ، قالت فقد لزم الخطأ لأحدهما . فقال : إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن بعلك فعليك لعنة الله و إلاّ فعليه فقالت خرجت عائشة إلى حرب عليّ باذن النبيّ أولا ؟ فانقطع .

و ذكر ابن شهرآشوب عن الصفوانيّ قالت : أمّ سلمة أعطاني النبيّ كتاباً و قال من طلبه منك ممّن يقوم مقامي فأعطيه فمضت الثلاثة ولم يطلبوه فلّما بويع عليّ عليه السلام طلبه قالت : و كان فيه كلّ شيء دون قيام الساعة ، و في رواية عن ابن عبّاس لمّا فتحه قال : هذا علم الأبد .

تنبيه : إذا كان الربّ القديم جعل كلّ شيء في القرآن العظيم ، فقال : «ولا رطب ولايابس إلاّ في كتاب مبين» (١) و من المعلوم أنّ ذلك ليس في ظاهره فهوفي باطنه فقد ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام قوله : سلوني ونحوها و لم يردّ عليه أحد من الصحابة والتابعين ، فهوالّذي عنى الله بقوله «و كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» (٢) فهو أولى من الله بامامته لقبح تقديم المفضول في حكمته و العلماء والحكماء و أهل الزواجر بفضله يعترفون ، ومن لجج بحاره الزواخر يغترفون .

و أمّا المتكلّمون فناهيك بنهج البلاغة وما فيه من التوحيد لباريه ، وقد شهد له الرسول الّذي هو مدينة العلم بأنّه ربّانيّ هذه الأمّة و قال الغزاليّ في كتاب

---

(١) الانعام : ٥٩ .	(٢) يس : ١٢ .

إحياء العلوم : أوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحقّ عليٌّ بن أبي طالب و قد ناظرته الملاحدة في مناقضات القرآن فأجاب مسألة الجاثليق فأسلم .

وقد روى ابن جبر في نخبه عن ابن عبّاس أنّ الله تعالى جمع القرآن في قلبه و جمعه بعد موت رسوله ، و أمّا القرّاء فحمزة و الكسائيُّ يعوّلان على قراءته و قال ابن مسعود : ما رأيت أحداً أقرأ من عليّ ، و نافع و ابن كثير و أبو عمرو يرجعون في الأكثر إلى ابن عباس و هو قرأ على عليّ و اُبيّ و قراءتهم تخالف قراءة اُبيّ فهو عن عليّ ، و عاصم قرأ على أبي عبد الرحمن السلميّ و هو قرأ على عليّ .

وأمّا المفسّرون فابن عباس ، وابن مسعود ، واُبيّ ، وزيد بن ثابت ،معترفون له بالتقدّم قال ابن شهر آشوب : سمعت مذاكرة أنّه عليه السلام تكلّم لابن عباس في الباء من بسم الله إلى قرب الفجر و قال لو زادنا الليل لزدنا ، وفي قوت القلوب : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير الفاتحة ، و في فضائل العكبريّ قال الشعبيُّ : ما أحدكم أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ ابن أبي طالب ، و في حلية الأولياء و تاريخ البلاذريّ أنّه عليه السلام قال : ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت ، و أين نزلت ، بليل أو نهار ، في سهل أو جبل ؟ إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً .

وأمّا الفقهاء فابن أبي ليلى ، و سفيان الثوري ، و الحسن بن صالح ، وشريك من أهل الكوفة يرجعون إليه ، و يترجمون الأبواب بقولهم هذا قياس قول عليّ ، و الحسن وابن سيرين من أهل البصرة يأخذان عمّن أخذ عن عليّ وقد أفصح ابن سيرين بأخذه عن عبيدة السلماني ، و هو أخصّ الناس بعليّ و المكّيّون أخذوا عن ابن عباس و عليّ و أخذ ابن عباس معظم علمه عن عليّ ، و المدنيّون قد صنّف الشافعيُّ كتاباً في اتّباعهم لعليّ و في مسند أبي حنيفة قال له الصادق عليه السلام : من أين أخذت القياس ، قال من عليّ وزيد حين شاجرهما عمر في الجدّ مع الاخوة فقال له عليٌّ : لو أنّ شجرة انشعب منها غصن ثمّ انشعب منه غصنان أيّهما أقرب إلى أحدهما الغصن الأوّل أم الشجرة ، و قال زيد : لو انبعث من الجدول ساقية و انبعث من الساقية

ساقيتان أيّهما أقرب إحدى الساقيتين إلى الأُخرى أم إلى الجدول .

وأمّا الفرضيّون فقد روي في فضايل أحمد أنّ أعلم أهل المدينة بالفرايض عليّ ابن أبي طالب . قال الشعبيّ : ما رأيت أفرض منه ، ولا أجيب منه ، سئل على المنبر و هو يخطب عمّن مات و ترك امرأة و أبوين و بنتين كم نصيب المرأة ؟ فقال عليه السلام صار ثمنها تسعاً . وذلك إمّا استفهام أو بيان حكم على رأي من يقول بالعول ، فلقّبت المسألة بالمنبريّة ، وروت العامّة أنّه سئل عمّن خلف ستّ مأة دينار فاستحقّت امرأة من الورثة ديناراً واحداً ، كم كانوا ؟ فقال : بنتان و أُمّ و زوجة و اثنا عشر أخاً و أُختاً فسمّيت المسألة الديناريّة فأين هذا من عمر حيث أتى إليه زوج و أُمّ وأخوان لأُمّ و أخوان لأبوين فجعل للزوج نصفاً و للأُمّ سدساً و لأخوي لأُمّ ثلثاً فقال: أخوا الأبوين : هب أنّ أبانا كان حماراً فأشركنا بأُمّنا فسمّيت الحماريّة .

و أمّا النحاة فظاهر وصفه لأبي الأسود الدؤليّ فانّه دخل عليه فرآه متفكّراً فقال له : فيما أنت متفكّر ؟ قال : سمعت في بلدكم لحناً و أردت أن أصنع في اللّغة كتاباً ، قال : فأتيته بعد أيّام فألقى إليّ صحيفة فيها : الكلام كلّه ثلاثة : اسم وفعل ، و حرف ؛ و الأشياء ثلاثة : ظاهر ، و مضمر ، و غيرهما ، فانح هذا النحو . فجمع حروف النصب ولم يذكر «لكنّ» منها ، فقال له : هي منها فزدها فيها ، وبخل أبو الأسود به زماناً حتّى سمع قارئاً يقرء : « أنّ الله بريىء من المشركين ورسوله[1] » بكسر اللاّم فقال : لايحلّ أن أترك الناس بعد هذا ، فوضع أدوات الإعراب الثلاث و الوصل و التسكين ، و التشديد ، و التمديد ، ثمّ أخذه عنه ، عنبة ، ثمّ ابن أبي إسحق و هو أوّل من فتح النحو و شرح العلل و صنّف ، ثمّ عيسى ، ثمّ الخليل ثمّ سيبويه ، ثمّ الأخفش ، ثمّ المازنيّ ، ثمّ المبرّد ، ثمّ ابن السرّاج ، ثمّ أبو عليّ الفارسيّ ، ثمّ عليّ بن عيسى ، ثمّ الحسن بن حمدان ، ثمّ أحمد بن يعقوب ، كلّ واحد من المذكورين أخذ عمّن تقدّمه . قاله الزجّاج في أماليه .

---

(١) براءة : ٣ .

و أمّا الخطباء و الفصحاء، فناهيك بكلامه في نهج البلاغة و كتاب الخطب و غيره في الاُصول من خطبته في التوحيد و غيرها، و في الفروع من أحكامه الّتي لا يمكن أحد أن يفوّه بنكيرها، ومن نظر في العلوم وجد اُسّها[1] عليه، و رآه رأسها المنقادة إليه، و كلّ من حصّل علماً فمنه احتذى و ابتدى، و به اقتدى و اهتدى كلّ جليل من بحره اغترف، و بدقيق علمه اعترف، فقد قيل لعبد الحميد كاتب بني اُميّة لمّا كتب إلى أبي مسلم كتاباً بجملة أجمل فيها: من أين لك هذه البلاغة؟ قال: من حفظي لألف خطبة لأصلع بني هاشم.

وقد دهش الجاحظ الّذي هو علّامة الدهر في مفردات كلماته الحكميّة، و اعترف بأنّها حوت متفرّق المعاني، و اشتملت على أحسن المباني، و من رزق الهداية رآى كلامه منضوداً في عقد الألفاظ الرائقة، والأساليب الفائقة، لا بالمستعمل الخلق، ولا بالمشكل الغلق، بل أشهى إلى النفوس من الخرّد الحسان، و أعلق بالقلوب من تعلّق الجزع بالأمان، فان وجدت شارداً منسوباً إلى غيره فبتفضيله و إن رأيت وارداً مضافاً إلى سواه فلا تعرض عن تبجيله، و من بلغ في الهداية إلى هذا المرتبع، كان أحقّ بقوله «أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع»[2] فوجب اتّباعه بعد النبيّ بلا فصل، لاختصاصه بعظيم الخصل، شعر رواه ابن جبر في نخبه عن الصادق عليه السلام:

محال وجود النار في بيت ظلمة ✿ و أن يهتدي حيران في ظلّ حاير
فلا تطمعوا في العدل من غير أهله ✿ ولا في هدى من غير أهل البصاير

قال السيّد الرضيّ: كان عليه السلام مشرع الفصاحة و موردها، ومنشأ البلاغة و مولدها، و منه ظهر مكنونها، و عنه اُخذ قانونها، و أنشد بعضهم في المعنى:

و خوطب بالوزارة من إليه ✿ تناهى الفضل و اجتمع الفخار
منيع لا يطاوله زمان ✿ و فيٌّ لا يضام له جوار
خطيب لا يعثّره خطاب ✿ بليغ لا يجاوزه اختصار

---

(١) اسها، خ ١. (٢) يونس: ٣٥.

فنحن ننتهب جواهر البلاغة من بحار خطراته وملح أشعاره ، و ننتقب فرائد البراعة من وجيز توقيعاته و كنوز أفكاره ، فمن كلامه فهمت جواهر العربيّة ، و يواقيت الحكم الدينيّة و الدنياويّة ، عليه مسحة من الكلام الإلهيّ و فيه عبقة من اللفظ السويّ .

قال قطب الدين الراوندي : سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول : رأيت بمصر مجموعاً من كلام عليّ في نيّف وعشرين مجلّداً . وأسند صاحب النخب إلى الكلبيّ إلى أبي صالح أنّ الصحابة اجتمعت و قالت : الألف أكثر دخولاً في الكلام ، فارتجل خطبته المونقة أوّلها : حمدت من عظمت منّته ، وسبغت نعمته ، و سبقت رحمته غضبه ، إلى آخرها لم يوجد فيها ألف ، ثمّ ارتجل اُخرى خالية من النقط .

و أمّا الوعّاظ فليس لأحد من الرجال ماله من العبر و الأمثال ، مثل : من زرع العدوان حصد الخسران ، من ذكر المنيّة نسي الأمنيّة ، من قعد به العقل قام به الجهل ، من عدل في سلطانه استغنى عن عدوانه ، من طال عدوانه زال سلطانه ، من ساءت سيرته سارّت منيّته ، من مال إلى الحقّ مال إليه الخلق ، من ساء اختياره قبحت آثاره ، من قلّ اعتباره قلّ استظهاره ، من جار في سلطانه صغّره ، ومن منّ باحسانه كدّره ، العدل أقوى جيش ، و الأمن أهنى عيش ، كلّ دولة يحوطها الدين لا تغلب ، و كلّ نعمة يحرسها الشكر لا تسلب .

وله مائة كلمة مشهورة قد تضوّع المحقّقون بنشرها ، و اعتنى المدقّقون بكشف سرّها ، اشتملت من العلوم على أعذاق جانية ، و أقطاف دانية .

و أمّا الفلاسفة فهو أرجحهم ، قال عليه السلام : أنا النقطة أنا الخطّ ، أنا الخطّ أنا النقطة ، أنا النقطة و الخطّ . و قال جماعة : القدرة هي الأصل ، و الجسم حجابه ، و الصورة حجاب الجسم ، لأنّ النقطة هي الأصل و الخطّ حجابه ومقامه ، والحجاب غير الجسم الناسوتيّ .

و قال صاحب النخب : سئل عليه السلام عن العالم العلويّ فقال : صور عارية عن الموادّ عالية عن القوّة و الاستعداد ، تجلّى لها فأشرقت ، و طالعها فتلألأت ، و

ألقى في هويتها مثاله ، فأظهرعنها أفعاله ، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة ، إن زكّاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوايل عللها ، و إذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد .

و أمّا المهندسون فقد روي أنّ رجلين مرّا بعبد مقيّد فقال أحدهما : إن كان وزن قيده كذا فامرأته طالق ، و قال الآخر بخلافه ، فسألا سيّده أن يحلّه فأبى حلّه ، فارتفعا إلى عمر فأمرهما باعتزال نسائهما ، و بعث إلى عليّ فوضع رجليه بالقيد في إجانة وصبّ الماء عليه ، ثمّ رفع و وضع الحديد مكانه ، ثمّ أخرج الحديد و وزنه ، ثمّ أخرج القيد و وزنه فتعادلا ، فتعجّب منه عمر .

و في المصالت : جاء رجل بآخر و قال : هذا احتلم بأمّي ،فقال : أوقفه في الشمس و اضرب ظلّه ، و في التهذيب قال له رجل : حلفت أن أزن الفيل ، فأدخل الفيل قرقوراً(١) وعلّم الماء ثمّ أخرجه و وضع القصب ، فلمّا وصل الماء إلى العلامة أخرجه و وزن القصب ، و قال : هذا وزن الفيل .

و أمّا الحسّاب فذكر الشيخ في النهاية و غيره مسألة الأرغفة و هي مشهورة و وجدنا أنّ إنساناً سأله من الكسور التسعة فقال : هي مضروب أيّام أسبوعك في أيّام سنتك .

وأمّا أصحاب الكيمياء فسئل في أثناء الخطبة : هل لها كون ؟ فقال : لها كون و هي كائنة ، قالوا : ممّ هي ؟ قال : في الزيبق الرجراج ، و الأسرب و الزاج ، و الحديد المزعفر ، و زنجار النحاس الأخضر ، قيل : زدنا . قال : اجعلوا البعض أرضاً و البعض ماءً ، و افلجوا الأرض بالماء ، وقد تمّ ، قيل : زدنا . فقال : لازيادة إنّ القدماء الحكماء ما زادوا لئلّا يتلاعب الناس به : وفي كلام آخر له: إنّ الكيمياء أخت النبوّة ، و عصمة المروّة ، ما في الأرض من شيء إلّا و فيه منه أصل و فرع إنّي لأعلم به من العالمين ، إنّه في الزيبق الرجراج ، و الذهب و الزاج ، والحديد المزعفر ، و زنجار النحاس الأخضر ، تكون إصباغ لا يؤتى على عابرها ، يصلح بعضه ببعض ، فتفترّ عن ذهب كاين ، وصبغ غير متباين .

(١) القرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

قيل : ما نعقل هذا ، قال : ماء جامد ، و هواء راكد ، و نار حامية ، و أرض سائلة . فمن يبلغ زهده إذ ترك الدنيا باختياره ، و غيره باضطراره .

و أمّا الأطبّاء فروي عن الصادق عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال : إذا كان الغلام ملتئات الأزر ، صغير الذكر ، ساكن النظر ، فهو ممّن يرجى خيره ، و يؤمن شرّه و إن كان شديد الأزر ، كبير الذكر ، حادّ النظر ، فهو ممّن لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شرّه .

و روي عنه أنّه قال : يعيش الولد لستّة أشهر و لسبعة و لتسعة لا ثمانية ، و قال : لبن الجارية من المثانة ، و الغلام من العضدين و المنكبين ، و قال يشبّ الصبيّ كلّ سنة أربع أصابع بأصابع نفسه ، وقد روى المخالف وفير علمه ، و غزير حكمه ، فأسند ابن حنبل إلى ابن المسيّب أنّ عمر كان يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، فاذا ثبت أنّه الأعلم بقول الفريقين ، و الأحكم باتّفاق الخصمين كان بالامامة أولى ممّن سئل عن الله أين هو ؟ فقال : في السماء .

روى المفيد في إرشاده أنّ حبراً قال لأبي بكر : أنت خليفة نبيّ هذه الأمّة؟ قال : نعم . قال : فإنّا نجد في توراتنا أنّ خلفاء الأنبياء أعلم امّتهم فأخبرني أين الله ؟ قال : في السماء . قال فأرى الأرض خالية منه ، ثمّ ولّى مستهزئاً بالاسلام فلقيه عليّ عليه السلام فقال له : قد عرفت سؤالك و إنّا نقول : إنّ الله أيّن الأين فلا أين له ، جلّ أن يحويه مكان ، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ، يحيط علماً بما فيها ولا يخلو من تدبير شيء منها .

أليس في كتبكم أنّ موسى جاءه ملك فقال له : من أين أقبلت ؟ فقال : من المشرق من عند الله ، ثمّ آخر من المغرب وآخر من السماء وآخر من الأرض كلّ يقول : جئت من عند الله ، فقال اليهوديّ : هذا هو الحقّ و أنت أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه .

ولقد سألت جمعاً من أهل الذمّة قرأوا التوراة و كتاب يوشع و كتباً تسمّى

كتب النبوّة فقالوا : فيها أنّ خليفة الأنبياء لابدّ أن يكون أعلم الرعيّة و أزهد الخليقة ، و أسدّهم رأياً ، و أعلاهم حسباً ، وذلك أيضاً في الجزء الخامس من السفر الثاني و الأوّل من السفر الخامس .

وقد روى أنس و غيره قول النبيّ ﷺ لسلمان : إنّما أوصى موسى ليوشع لأنّه كان أعلم أمّته ، و إذا ثبت في الكتب السالفة ، و الأخبار الخالفة ، أنّ الأولى هو الأعلم ، و ظهر ممّا ذكرنا و غيره أنّ علياً هو الأعلم ، اتّضح أنّه أحقّ ممّن تقدّم ، وقد روي أنّ أبا بكر حفظ البقرة في سبع عشرة سنة ، و نحر جزوراً و ليمة عند فراغه من حفظها ، وقد حكمت ضرورة العقل بقبح تقديم المفضول ، و عضدها قول الربّ و الرسول « أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع[1] » « زوّجتك أعظمهم حلماً ، وأقدمهم سلماً ، و أعلمهم علماً . و في علوم عليّ الولي ، قال السيّد الحميري :

عليّ أمير المؤمنين أخو الهدى	✩	وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا
أسرّ إليه أحمد العلم جملة	✩	و كان له دون البريّة واعيا
و دوّنه في مجلس منه واحد	✩	بألف حديث كلّها كان هاديا
و كلّ حديث من أولئك فاتح	✩	له ألف باب فاحتواها كماهيا

و قال ابن الفوديّ :

و من ذا يساميه بمجد ولم يزل	✩	يقول اسألوني ما يحلّ ويحرم
سلوني ففي جنبيّ علم ورثته	✩	عن المصطفى مافاه منّي به الفم
سلوني عن طرق السماء فانّني	✩	بهامن سلوك الطرق في الأرض أعلم
ولو كشف الله الغطا لم أزد به	✩	يقيناً على ما كنت أدري وأفهم

و قال الصاحب :

من كالوصيّ عليّ عند مشكلة	✩	وعلمه البحر قد فاضت نواحيه

---

(١) يونس : ٣٥ .

من كالوصيّ عليّ عند مخمصة ☆ قد جاد بالقوت إيثاراً لعافيه
يا يوم بدر تجشّم ذكر موقفه ☆ فاللّوح يحفظه و الوحي يمليه
وأنت ياأُحد قل مافي الورى أحد ☆ يطيق جحداً لما قد قلته فيه
براءة استرسلي في القول وانبسطي ☆ فقد لبست جمالاً من تولّيه

و ممّا ارتجله جامع الكتاب في هذا الباب :

عليٌّ علا فوق السماوات قدره ☆ وسارمع الركبان في الأرض أمره
بعلم و زهد وافر وشجاعة ☆ و أنواع إفضال بها شيد ذكره
رواها الموالي والمولّي فان يكن ☆ لها منكر يوماً فقد فاه نكره
فباء بحوب لا يعدّ عذابه ☆ و أصروهتك لا يؤمّل ستره

﴿ الفصل العشرون ﴾

من تكميل ما سبق ، أنواع الفضائل خمسة : الأوّل : العلم وقد سبق جانب منه ، و يزيده وضوحاً ما أسنده أبونعيم في حلية الأولياء إلى علقمة عن عبدالله أنّه سأل النبيّ عن عليّ فقال : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليٌّ تسعة و الناس كلّهم جزءاً . و نحوه ذكر ابن جبر في نخبه عن ابن عباس ، قال : إنّه لأعلمهم بالعشر الباقي .

و في أربعين الخطيب قسم عمر العلم ستّة وقال : لعليّ خمسة ، وللناس واحد ولقد شركنا في السدس الآخر حتّى لهو أعلم منّا به .

وعن الصادق عليه السلام : اُهدي إلى النبيّ خوخاً فسأل أبابكر وعمر وعثمان اسمه فلم يعرفوه فسأل عليّاً فقال تسمّيه أهل فارس خوخاً فقال عمر : من أين علم عليٌّ تسمية أهل فارس ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله علّمه الله الأسماء الّتي علّمها لآدم .

و في تفسير النقاش عن ابن عباس : ما علمي وعلم أصحاب محمّد في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر و في كتاب الحسن البصريّ : رأى الخضر عصفوراً وضع نقطة

على يد موسى فقال : هذا العصفور يقول : ما علمكما في علم وصيّ نبيّ يأتي في آخر الزمان إلاّ كما أخذت بمنقاري من هذا البحر .

و في المناقب مسنداً إلى رسول الله ﷺ يأتي الناس يوم القيامة بالأعمال فلا تنفعهم إلاّ ما قبلت أنا و عليّ بعد قبول الله تعالى إنّ الله تعالى جعلني ميزان قسط و جعل عليّاً كلمة عدل ، و هذا يدلّ على زيادة علمه بأفعالهم الموجبة للدارين ولا يخفى ذلك إلاّ على ذي رين .

الثاني : العمل وقد اشتهر زهده و عبادته و ملاك العمل الخشية و ملاكها العلم « إنّما يخشى الله من عباده العلماء [١] » وقد بان أنّه أعلم ، فهو أخشى ، فهو أعمل ، و من العمل الجهاد ، وهذا الباب غنيّ عن الايراد ، فانّه لاخفاء على أحدمن أنّ سيفه أقام الاسلام قال :

يامن به للدين فخر والهدى ✡ نور و في كتب العلوم تمائم
ومن الّذي لولا ثباة حسامه ✡ ما قام للاسلام قطّ دعائم
يامن له فصل الخطاب وعنده ✡ علم الكتاب ومن بنيه القائم

الثالث : المال وعليّ استغنى فيه بالله عن غيره ، حيث نزلت المائدة عليه عند سغبه ، و الماء لطهوره ، و أسند ابن المغازليّ إلى أنس قول النبيّ لأبي بكر و عمر: امضيا إلى عليّ يحدّثكما بما كان منه في ليلته و أنا على أثركما ، فمضيا و قالا : بعثنا النبيّ لتحدّثنا فجاء النبيّ ﷺ و قال : حدّثهما . فقال : أردت الطهور و خفت أن تفوتني الصلاة فانشقّ السقف ونزل سطل مغطّى فتطهّرت منه ثمّ ارتفع و التأم السقف ، فقال النبيّ ﷺ : السطل و المنديل من الجنّة ، من مثلك ؟ جبريل يخدمك . ونحوه ذكر أخطب خوارزم إلاّ أنّه قال : كان الطهور لصلاة العصر ، قال النبيّ ﷺ : مازال إسرافيل قابض على ركبتي حتّى لحقت معي الصلاة ، أفيلومني الناس على حبّك ، والله و ملائكته يحبّونك ؟ و المفهوم من هذين الحديثين نزول السطل عليه مرّتين .

(١) فاطر : ٢٨ .

تنبيه : الظاهر أنّه إنّما أرسل الشيخين إليه ليعلمهما بنقصهما عنه ، فلا يستوجبان التقدّم عليه و في ذلك يقول ابن حمّاد :

أُعطيت بالفضل مالم يعطه أحد ✿ كذا روى خلفٌ منّا عن السلف
كالجام والسطل والمنديل يحمله ✿ جبريل ما أحد فيه بمختلف

و قال العونيّ :

و هل يقاس حيدر بحبتر ✿ وهل تقاس الأرض جهلاً بالسما
هل يستوي المؤمن و المشرك و المعصوم عن معصية ومن عصا
هل يستوي من كسّر الأصنام و الساجد للأصنام كلاّ لاسوى
هل يستوي الفاضل والمفضول أم ✿ هل يستوي شمس النهار والدُّجى

الرابع : الجاه ولا ريب في بسط قدرته و قيام الاسلام بسيفه و قوّته ، ونزول « إنّما وليّكم الله و رسوله » في ولايته .

الخامس : النسب ولا نسب أعلى من بني هاشم ، في الجاهليّة بأجداده الكرام و في الاسلام فناهيك بالنبيّ و ابنته و ابنيه عليهم السلام ، وعليٌّ أوّل من ولد من هاشميّين (١) وقد ذكر الخركوشيّ و الثعلبيّ عن جابر قول النبيّ ﷺ لعليّ : الناس من شجر شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة ، وبنحوه ذكر ابن عقدة وعطاء و الخراسانيّ و ابن شريح الفلكيّ و الطوسيّ في الأربعين و في الفردوس و في بعضها : أنا الشجرة وعليٌّ فرعها و الأئمّة من ولده أغصانها والأئمّة ثمرها وشيعتهم ورقها و نحو هذا كثير .

ضيحة : لمّا عدّ دغفل النسّابة للأوّل مقابح رهطه هرب منها و تبسّم النبيّ ﷺ لها ، ذكر ذلك سلمة في الفاخر ، و ابن عبد ربّه في العقد ، والخطيب في التاريخ ، وقد قيل للفرزدق : وصفت كلّ قبيلة إلاّ تيماً فقال : لم أجد حسباً فأصفه ، ولا بناءً فأهدمه .

قال الجاحظ : النسب لا تأثير له في الخلافة بل الدين « و أن ليس للإنسان

---

(١) بل الصحيح ما ذكره المؤرخون بقولهم : و أمه أول هاشمية ولدت لهاشمي .

إلّا ما سعى [١] » قلنا : النسب من السعي كما جاء في الحديث : ولد الإنسان من كسبه .

قال : « يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً [٢] » قلنا : هذا مختصّ بالكفّار بالاجماع باثبات الشفاعة .

قال : « لا يغني مولى عن مولى [٣] » قلنا : في آخرها « إلّا من رحم الله » و قرابة النبيّ مرحومة .

قال : روي أنّ النبيّ ﷺ قال : يابني عبدالمطّلب لا اُغني عنكم من الله شيئاً. قلنا : رواية ساقطة من الكتب و الرجال ، فلا يعتمد فيها على حال ، و يردّها ما أسنده الثعلبيّ برجاله من قوله عليه السلام : من صنع صنيعة إلى أحد من ولد عبدالمطّلب ولم يجازه عليها فأنا اُجازيه عليها في القيامة ، وقد أورد المرزبانيّ في كتابه : « كلّ نسب و سبب منقطع يوم القيامة إلّا نسبي و سببي » وقد ألحّ عمر في التزويج عند أمير المؤمنين لهذه العلّة .

قال شيعيّ لناصبيّ : او بعث النبيّ أين كان يحطّ رحله قال : في أهله وولده قال : فقد حططت هواي حيث يحطّ النبيّ ﷺ رحله و ثقله ، قال الحسن من بني العباس :

و قالت قريش لنا مفخر ✫ رفيع على الناس لا ينكر
فقد صدقوا فلهم فضلهم ✫ و بينهم رتب تقصر
فأدناهما رحماً بالنبيّ ✫ إذا فخروا فبه المفخر
بنا الفخر فيكم على غيركم ✫ و أمّا علينا فلا تفخروا
ففضل النبيّ عليكم لنا ✫ أقرّوا به بعد أن أنكروا
فان طرتم بسوى مجدنا ✫ فانّ جناحكم الأقصر

---

(١) النجم : ٣٩ .
(٢) البقرة : ٤٨ و فيه : واتقوا يوما لا تجزى الاية .
(٣) الدخان : ٤١ .

و في خبر حرّة بنت حليمة مرضعة النبيّ لمّا أراد الحجّاج هلاكها لتفضيلها عليّاً على الثلاثة : أنّها لمّا رأت شدّة غضبه قالت : إنّ الله و رسوله فضّلاه عليهم بل هو أفضل من آدم و نوح و داود و سليمان و إبراهيم و موسى و عيسى ، فاشتدّ غضبه و طلب منها سبب ذلك ، فقالت : « و عصى آدم ربّه فغوى[1] » و شكّر الله سعي عليّ في « هل أتى » و امرأة نوح خائنة و زوجة عليّ فاطمة الطاهرة ، و إبراهيم قال : « ليطمئنّ قلبي[2] » و عليّ قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، موسى خرج خائفاً و عليّ ليلة المبيت لم يرخائفاً ، وداود حكم في الغنم و كان الصواب في حكم سليمان كما نطق به القرآن و قال النبيّ : أعلمكم عليّ أقضاكم عليّ ، و سليمان طلب مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، و عليّ يا دنيا اعزبي عنّي لا حاجة لي فيك و قال الله لعيسى : « ءأنت قلت للناس اتّخذوني وأُمّي إلهين من دون الله[3] » فاعتذر بقوله : « إن تعذّبهم فانّهم عبادك » وعليّ لم يعتذر بقتل الخوارج و غيرهم، فتخلّى غضبه و أمر لها بألف دينار و جعلها رسماً لها في كلّ سنة .

وفي قضاء العقول : من كان أفضل من رعيّته ، امتنع أن يستحقّ أحدهم عظم رتبته ، فما ظنّك بمن فضّل على الأنبياء هل يكون غيره أولى منه بمنازل الأولياء و لمّا أنكر قوم طالوت ملكه بقولهم : « أنّى يكون له الملك علينا[4] » ردّ الله عليهم بقوله : « إنّ الله فضّله عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » قال ابن الرومي :

رأيتك عندالله أعظم زلفةً ✿ من الأنبياء المصطفين ذوي الرشد

وجدت هذا البيت مفرداً فأحببت أن أنسج على منواله ، وأقتدي به في إفضاله بمقاله ، فقلت :

فآدم لمّا أن عصى زال فضله ✿ وفي هل أتى شكر الامام على الرفد

و امرأتا نوح و لوط فخانتا ✿ ونور الورى عن طهر فاطمة يبدي

---

(١) طه : ١٢١ .
(٢) البقرة : ٢٦٠ .
(٣) المائدة : ١١٩ .
(٤) البقرة : ٢٤٧ .

وقد سأل ابراهيم إحياء ميّت ✿ ليطمئن منه القلب بالواحد الفرد
ولو كشف المستور مولاي لم يزد ✿ يقيناً على ما كان في سالف العهد
وقد خاف موسى حين ولّى مبادراً ✿ و بات عليّ لم يخف سطوة الضدّ
ولم يخف ما في حكم داود سابقاً ✿ و حكم عليّ إذ تجلّ عن الردّ
سليمان جاء الذكر فيه بقوله ✿ هب الملك لاتحببه من أحد بعدي
و دنيـا أتت مولاي زيّ بنيّة ✿ فقال اعزبي عنّي ولا تمكثي عندي
وقد عاتب الرحمن عيسى بقوله ✿ أأنت أمرت الناس أن يعبدوا اعبدي
فأبدى اعتذاراً إن تعذّ بهم على ✿ جرائمهم أو تعف لا زلت ذا مجد
و مولاي لم يبد اعتذاراً بقتله البغاة و لكن فاز بالشكر و الحمد
فقد عرّف التفضيل حقّا لطالب ✿ لحقّ ولم يحتج إلى متعب الكدّ
فقد ضلّ من قاس العتيق بحيدر ✿ ولا ملحة فيه لمنفعة تجدي

﴿ الفصل الحادى و العشرون ﴾

✿ (في سد الابواب دون باب على عليه السلام) ✿

هذا الفصل يتضمّن معنى النصّ من الله و رسوله لكونه بأمر الله و فعل رسوله و في روايه أبي رافع : لمّا سدّ الأبواب تكلّموا فيه فصعد المنبر و قال : ما فعلت إلّا عن أمر ربّي إنّ الله تعالى أوحى إلى موسى و هارون : « أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتاً و اجعلوا بيوتكم قبلة (١) » ثمّ أمره أن يسكن مسجده فلا يدخله جنب غيره و غير هارون و ذرّيته ، و اعلموا أنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي و هذا أمر مستفيض رواه الفريقان ، و اتّفق عليه الخصمان ، فرواه عبدالله بن أحمد بن حنبل ، عن ابن عمر ، وعن عمر ، و عن زيد بن أرقم : ولمّا تكلّموا فيه صعد المنبر و قال : اُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ ، و قال فيه قائلكم

(١) يونس : ٨٧ .

فوالله ما سددت شيئاً ولا فتحته و لكن أُمرت بشيء فاتّبعته .

و أسنده الحافظ الاصفهانيّ إلى ابن عباس و فيه أنّ موسى سأل الله أن يطهّر مسجده ولا يسكن فيه إلّا هو و هارون و أولاد هارون ، و إنّي سألت الله لك و لذرّيتك ذلك ، و فيه ما أنا سددت ولا فتحت و لكنّ الله سدّ أبوابكم و فتح باب عليّ ، و رواه ابن المغازليّ الشافعيّ من طرق ثمانية : عديّ بن ثابت و سعد بن أبي وقّاص بسندين ، والبراء بن عازب و ابن عباس بسندين ، و نافع مولى عمر وحذيفة ابن أسيد .

و فيه انقضّ كوكب فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : من انقضّ في داره فهو الوصيّ من بعدي ، فنظر فتية من بني هاشم فاذا هو في دار عليّ فقالوا : غوى في حبّ عليّ . فنزل : « و النجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم و ما غوى [1] » .

و فيه أنّه بعث معاذ بن جبل إلى أبي بكر و عمر و عثمان و حمزة بسدّ أبوابهم فقالوا : سمعاً وطاعة ، وقال لعليّ عليه السلام : اسكن طاهراً مطهّراً فبلغ حمزة قول النبيّ فقال : تخرجنا و تسكن غلمان بني عبد المطّلب ؟ فقال : لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم أحداً ، و الله ما أعطاه إيّاه إلّا الله و رواه أحمد في فضائله و أبو يعلى في مسنده و السمعانيّ و ذكره في الخصائص و حلية الأولياء و الخطيب في تاريخ بغداد و صاحب الابانة في مسند العشرة ، وشرف المصطفى ، و الزمخشريّ في الفائق ، و أبو صالح في الأربعين و العطّار الهمدانيّ و الترمذيّ في جامعه و الخطيب أيضاً في الحدائق .

و فيه : لا يحلّ أن يدخل مسجدي جنباً غيره و غير ذرّيته فمن شاء فهنا و أشار بيده نحو الشام ، فقال المنافقون : لقد ضلّ و غوى في أمر ختنه ، فنزل : « ما ضلّ صاحبكم و ما غوى » و رواه ابن جبر في نخبه عن الباقر و الرضا عليهما السلام و عن نحو ثلاثين رجلاً من الصحابة منهم ابن عباس و عن أُمّ سلمة أيضاً .

هداية : إذا كان الله هو المطّلع على البواطن سدّ أبوابهم وفتح بابه ، فعلمه

(١) النجم : ٢ .

بصلاح باطنه دونهم ، أوجب تميّزه عنهم ، وأرشد بذلك إلى المنع من اتّباعهم ، إذ نوّه بشرف ذكره وظهور فضله ، وعرّض بنقصهم وعدم صلاحهم ، قال السيّد الحميري :

و خصّ رجالاً من قريش بأنّني ✿ لهم حُجراً فيه و كان مسدّدا
فقيل له اسدد كلّ باب فتحته ✿ سوى باب ذي التقوى علي فسدّدا
لهم كلّ باب أشرعوا دون بابه ✿ وقد كان منفوساً عليه محسّدا

و قال أيضاً :

و أسكنه في مسجد الطهر وحده ✿ و زوجتـه والله من شـاء يرفع
فجـاوره فيـه الوصيّ و غيره ✿ و أبوابهم في مسجد الطهر شرّع
فقال لهم : سدّوا عن الله صادقاً ✿ فضنّوا بها عن سدّه و تمنّعوا

﴿ الفصل الثاني والعشرون ﴾

✿ (في السبق الى الاسلام) ✿

قال الثعلبي : قال الحسن والشعبي ومحمّد بن كعب القرظي : نزلت : « أجعلتم سقاية الحاجّ و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله لا يستوون عندالله (١) » حين افتخر طلحة بن أبي شيبة بالمفـاتيح ، و العبّاس بالسقاية ، فقال علي : ما أدري ما تقولان ؟ لقد صلّيت ستّة أشهر قبل الناس : و أنا صاحب الجهاد ، فنزلت الآية ، وذكره في الجمع بين الصحاح رزين العكبري (٢) في الجزء الثاني من صحيح النسائي مسنداً إلى القرظي و أسند نحو ذلك الشافعي ابن المغازلي من طريقين فلا سبيل إلى مشابهته لأنّ الله تعالى نوّه بعظيم ذكره و نبّه على علوّ قدره ، مضافاً إلى ما آتـاه الله من وجوب ولايتـه ، كولاية نفسه و رسوله .

و أسند ابن جرير الطبري في كتاب المناقب إلى النبيّ ﷺ : امتحن الله قلب أبي بكر بالصبر فلم يجده صابراً و بالشجاعة فوجده خوّاراً (٣) وبالسبق إلى

(١) براءة : ٢٠ .　(٢) العبدرى خ .　(٣) أى جبانا .

الايمان فوجده لم يكن مسارعاً ، وهذه من أعظم صفات الامامة فالموصوف بأضدادها موصوف بضدّ استحقاقها .

وأسند ابن مردويه إلى ابن عباس في قوله تعالى : « اركعوا مع الراكعين[1] » قال : نزلت في النبيّ ﷺ و عليّ و إنّهما أوّل من صلّى و ركع .

قال الجاحظ : لو كان إسلامه ذلك معتبراً لاحتجّ به في السقيفة . قلنا : قد كانت الصحابة تناظر النبيّ وتردّ عليه في غير أسباب الامامة فكيف بأمير المؤمنين في ذلك ، وهم في مقام طرده و صرفه .

قال : و لقي أبوبكر من الأذى ما يفوق سبق عليّ ولم يلق مثله عليّ . قلنا : المشهور خلاف ذلك كيف و النبيّ ﷺ و عليّ أصل القاعدة في تغيير الشرك ، و إسقاط كلّ غوى ، ولو سلّم فلا يدلّ ذلك على شرف إسلامه إلاّ بعد علمه أو ظنّه أنّه يؤذى ، و علم عليّ أو ظنّه أنّه لا يؤذى .

قال : إسلام زيد و خبّاب أفضل من إسلامه إذ لا ظهر لهما كأبي طالب. قلنا : هذا كلّه واه لأنّ هاشماً كلّها لم يكن فيها مقاومة قريش كيف ذلك وقد طردوا إلى الشعب و نالهم ألم السغب .

إن قيل : هذا رجوع منكم من أنّ أبا طالب كان يحمي النبيّ ﷺ . قلنا : جاز أن يحميه من الواحد و الاثنين و نحو ذلك أمّا إذا اجتمعت قريش فظاهر عدم قدرته على منعها .

وأسند سبق إسلامه جماعة من أهل المذاهب ستأتي ، وبها تسقط رواية الشعبيّ النادرة أنّ أوّل من أسلم أبوبكر مع أنّه منحرف عن عليّ وضعّفه الشافعيّ . وأيّ عاقل يقبل إسلام البعيد عنه في حال كبره ، على من ربّاه النبيّ ﷺ في حجره و كيف لا يبدء في هذا الأمر المهمّ بالمختصّين ، مع قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين[2] » .

---

(١) البقرة . ٤٣ .
(٢) الشعراء : ٢١٤ .

١ ـ سلمة بن كهيل قال علي عليه السلام : اللّهمّ إنّي لاأعرف عبداً لك عبدك من هذه الأمّة قبلي غير نبيّها ، ولقد صلّيت قبل أن يصلّي أحد سبعاً .

٢ ـ المنهال قال علي عليه السلام : لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين .

٣ ـ جابر الحضرمي قال علي عليه السلام : لقد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين لم يصلّ فيها أحد غيري .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : المراد أنّه عليه السلام صلّى سبع سنين بعد بلوغه إلى ثمان سنين ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله دعوى رسالة بل كان يتعبّد في الاسلام بدين إبراهيم عليه السلام و كان إسلام عليّ صغيراً كاسلام إبراهيم فقد ذكر أهل العلم أنّ أمّه حملته و هو صغير في سرب لئلاّ يطّلع عليه فلمّا نشأ قال لأمّه : من ربّي ؟ قالت : أبوك ، فقال : ومن ربّ أبي ، فزبرته فتطلّع من شقّ السرب فرأى كوكباً الآية .

٤ ـ بُعادة العدوية ، قال[عليّ] عليه السلام على منبر البصرة : أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم .

٥ ـ البختري ، قال [عليّ] عليه السلام صلّيت قبل الناس بسبع سنين .

٦ ـ خالد الخفّاف : قال عثمان بن عفّان : أبو بكر و عمر خير منك ، فقال عليّ عليه السلام : كذبت والله لأنا خير منك و منهما ، عبدت الله تعالى قبلهما و بعدهما .

٧ ـ الحارث الأعور قال عليّ عليه السلام : لا أعرف عبداً من عبادك عبدك قبلي و قال عليه السلام حين بلغه أنّه يكذب : على من أكذب ؟ أعلى الله فأنا أوّل من عبده أم على رسول الله فأنا أوّل من صدّقه .

٨ ـ أبو أيّوب قال النبيّ صلى الله عليه وآله : صلّت الملائكة عليّ و على عليّ سبع سنين و ذلك أنّه لم يصلّ معي رجل غيره . و مثله عن ابن عباس من طريقين ، وعن مجاهد وعن أنس وفي آخره : لم ترفع الشهادتان إلى السماء إلّا منّي و منه .

٩ ـ سلمان قال النبيّ صلى الله عليه وآله : أوّلكم وروداً على الحوض أوّلكم إسلاماً : عليّ ابن أبي طالب .

١٠ ـ أبو ذرّ قال النبيّ ﷺ لعليّ : أنت أوّل من آمن بي .

١١ ـ حذيفة : عليٌّ أقدم الناس سلماً و أرجحهم علماً .

١٢ ـ جابر الأنصاريّ : بعث النبيّ يوم الاثنين ، و أسلم عليٌّ يوم الثلثاء .

١٣ ـ زيد بن أرقم : أوّل من صلّى مع النبيّ ﷺ عليٌّ ابن أبي طالب .

١٤ ـ أمّ سلمة : والله لقد أسلم عليٌّ ابن أبي طالب أوّل الناس وما كان كافراً

وقد نقل ذلك عن جماعة منهم الأشتر ، و سعيد بن قيس ، و عمرو بن الحمق ، و هاشم بن عبيد ، و محمّد بن كعب ، و مالك بن الحارث ، و أبو بكر ، و عمر ، و أبو مخلد ، و أنس ، و ابن العاص ، و الأشعريّ ، و الحسن بن أبي الحسن البصريّ ، و قتادة ، ومالك بن الحارث ، و محمّد بن إسحاق ، و الحسن بن زيد ، و أسند ذلك ابن حنبل من عدّة طرق و ابن المغازليّ من عدّة طرق و الثعلبيّ في تفسيره قال: و هو قول ابن عباس و جابر و زيد بن أرقم و ابن المنكدر و ربيعة الرأي و ابن حبّان و المزنيّ و ذكره ابن عبد ربّه في الجزء التاسع و العشرين من كتاب العقد .

و روى ابن مردويه وهو من أعيانهم قول أبي ذر : دخلنا على النبيّ ﷺ و قلنا : يا رسول الله من أحبّ إليك فان كان أميراً كنّا معه ؟ قال ﷺ : هذا عليٌّ أقدمكم سلماً و إسلاماً .

وقد اُنشد في ذلك من الأشعار ، ما يغني عن الاكثار ، قال خزيمة في أبيات له :

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ✡ أبو حسن ممّا نخاف من الفتن

إلى قوله :

و أوّل من صلّى مع الناس كلّهم ✡ سوى خيرة النسوان والله ذو منن

و قال كعب بن زهير :

صهر النبيّ و خير الناس كلّهم ✡ فكلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاة مع الأمّي أوّلهم ✡ قبل العباد وربّ الناس مكفور

و قال ربيعة بن الحارث عند البيعة :

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ☆ عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم ☆ و أعلم الناس بالآثار و السنن
وآخر الناس عهداً بالنبيّ و من ☆ جبريل عاونه في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ☆ وليس في القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الّذي ردّكم عنه فنعلمه ☆ ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

وقال مالك بن عبادة :

رأيت عليّاً لا يلبّث قرنه ☆ إذا ما دعاه حاسراً أو مزمّلا
فهذا وفي الاسلام أوّل مسلم ☆ و أوّل من صلّى وصام وهلّلا

و قال زفر بن زيد :

فحوطوا عليّاً و احفظوه فانّه ☆ وصيّ و في الاسلام أوّل مسلم

و قال قيس بن عبادة :

هذا عليّ و ابن عمّ المصطفى ☆ أوّل من أجابه حين دعى

وقال في ذلك : الفضل ، و عبدالله بن أبي سفيان ، و النجاشيّ ، و ابن الحارث و جرير بن عبدالله ، و عبد الله بن حكيم ، و عبد الرحمن بن حنبل ، و أبو الأسود الدؤليّ ، و هاشم بن عتبة تركنا أشعارهم خوف الإطالة ، وقد روى المنحرفون روايات شاذّة ضعيفة في تقدّم إسلام أبي بكر سنذكرها في باب الروايات المختلقة و نجيب عنها و نبيّن ندورها .

تذنيب : قالت البكريّة : إسلام عليّ لا على النظر و المعرفة ، بل على وجه التلقين ، فليس كاسلام البالغين ، فانّه كان ابن سبع سنين . قلنا : من المعلوم أنّه صحب النبيّ ﷺ ثلاثاً و عشرين منها عشراً بعد الهجرة ، و مات سنة أربعين فعلم أنّ عمره عند المبعث يزيد على سبع سنين وقد اشتهرت الأخبار بأنّ عمره ثلاث و ستّين و خمس و ستّين و أمّا ما سواهما فشاذّ مطروح بعيد ، لا يؤثره من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد . وقد قال بصفّين لمّا بلغه قول أعدائه أنّه شجاع لكن لا بصيرة له بالحروب : « لله أبوهم و هل أحد أبصر بها منّي ؟ لقد قمت فيها و ما بلغت

العشرين ، و ها أنا قدذرّفت على الستّين و لكن لارأي لمن لايطاع»[١] فأخبر أنّه قد نيّف على الستّين ثمّ عاش بعد ذلك دهراً .

فممّن روى الثالث و الستّين محمّد بن الحنفيّة و أبو نعيم عن شريك عن إسحق و يحيى ابن أبي بكر عن مسلمة عن الخدريّ و أحمد بن زكريا عن عائشة و ممّن روى الخمس و الستّين الكواسجيّ عن الوليد بن هاشم و روى قتادة عن الحسن و غيره أنّه أوّل من آمن و هو ابن خمس عشرسنة وقال خالد بن الأرتّ: أسلم و هو ابن خمس عشر سنة ، ولقد رأيته يصلّي مع النبيّ ﷺ و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ ، و روى الحسن بن زيد أنّه أوّل من أسلم و هو ابن خمس عشر سنة ، و ذكره محمّد بن عبد البرّ منهم و قال ابن عمر : قال إبراهيم : هذا أصحّ ما قيل و على هذا قال عبدالله بن أبي سفيان بن عبد المطّلب :

و صلّى عليّ مخلصاً بصلاته ✿ لخمس وعشر من سنيه كوامل
و خلّى أُناساً بعده يتبعونه ✿ له عمل أمصل به صنع عامل [٢]

قال الجاحظ: لو كان بالغاً كان إسلام زيد وخبّاب أفضل منه حيث تركا المألوف من عبادة الأصنام ، قلنا: بل إسلامه طفلاً أشرف وقد كان يخالط الكفّار وينفر عن أفعالهم ثمّ ما يدريه أنّهما أظهرا الاسلام . و أنّ إظهاره جاز مجاورتهما رؤساء كفّاراً تمنع

---

(١) أما كلامه هذا فهو نص على أن اسلامه كان فى السادسة أو السابعة من عمره الشريف فانه اول ما قام بالحرب كان فى بدر السنة الخامسة عشر من المبعث و اما حديث صلاته مع النبى صلى الله عليه و آله قبل الناس سبعا فلانه كان يصلى معه جماعة فى المسجد الحرام وأصحابه المسلمون لايقدرون على ذلك خوفاً من المشركين بل يصلون فرادى خفية فى دورهم حتى اذا حوصروا فى الشعب للسنة السابعة من المبعث وحرم النبى صلى الله عليه و آله من الصلاة فى المسجد صلى معه بنو هاشم وسائر أصحابه هناك جماعة مع النبى ، فصح أنه كان يصلى قبل الناس معه سبعا ولا يصلى معهما أحد من الرجال .

(٢) كذا ، وقد صحح فى احدى النسختين «أفضل به» ، يقال : مصل ماله : أفسده و صرفه فى مالا خير فيه ، و امصل به صيغة تعجب . كأفضل به .

منهما كما جرى لغيرهما ، على أنّه ليس الحدّ في التكليف بالمعارف بلوغ الحلم بل ذلك في الشرعيّات وقد كمل الله عقل الطفل حتّى برّأ يوسف و قال الله في يحيى : « و آتيناه الحكم صبيّاً (١) » وقال في عيسى : « و جعلني نبيّاً (٢) » .

ولعلّهم يقولون : ما ذكرتم في الطفل بمعجزة ليوسف ، ويحيى وعيسى معجزة لهما أيضاً فاسلام عليّ صبيّاً خارقاً للعادة لا يجوز أن يكون معجزاً له ، و إلّا لكان نبيّاً ، ولا للنبيّ لأنّه لم يعدّ في معاجزه ، ولا نقله المسلمون في دلائله .

قلنا : بل إسلامه صغيراً كرامة له ، ولا يلزم منها نبوّة ، و أنتم تجوّزون الكرامات لمشايخ الطريقة و ليس لهم نبوّة ، بل و ربما لاعدالة لهم مع جواز كونه معجزة للنبيّ ، و إن لم يشع ذلك في العوامّ ، إذ ليس كلّ معاجزه عليه السلام أعلام ولو استشهد على حال صغره بتصديق النبيّ صلى الله عليه وآله لشهد كما شهد ليوسف الطفل ببراءته ، و نطق عيسى ببراءة أمّه ، و يحيى بتقرير نبوّة أبيه ، و المعاجز الّتي هي أعلام تدلّ على نبوّته بظواهرها ، فاستغني به عن غيرها ، و لمّا تقرّرت نبوّته أخبر باسلامه صغيراً فكان معجزاً لكنّه غير مقرون بالدعوة ، ومن الجايز أن يكون الله تعالى أعلم نبيّه الكفّ عن ذكر إسلامه لعلمه بما في ذلك من مصلحة خلقه .

ثمّ نرجع و نقول : كيف يكون إسلام عليّ على وجه التلقين ، و قد تمدّح به بين أعدائه ، و جعله من أعظم فضائله ، و ذلك كلّه في معنى الشهادة بصدق نبيّه ولم يردّ أحد من خصومه ماتمدّح به من سبق إسلامه ، ولاذكروا أنّ ذلك لافضيلة له فيه ، لأنّه حال صغره ، وقد اشتهر ذلك في شعره عليه السلام :

سبقتكم إلى الاسلام طرّاً ☆ على ما كان من فهمي و علمي

و كذا وجدناه في العيون و المحاسن للشيخ المفيد رحمه الله وقد قال :

وصلّيت الصلاة و كنت طفلاً ☆ صغيراً ما بلغت أوان حلمي

---

(١) مريم : ١١ .

(٢) مريم : ٣٠ .

وقد أظهرنا وجه فضيلته على القولين .

قالوا : لو سلّم سبق إسلامه فاسلام أبي بكر أفضل منه ، لحصول الشوكة و القوّة للاسلام به دونه ، لأنّه كان شيخاً من الشيوخ محترماً ، و دعى الناس إلى الاسلام . قلنا : نمنع احترامه ، و دعاءه إلى الاسلام ، وحصول الشوكة ، ففي إسلام عليّ صغيراً فضيلة لا تعادل إذ الميل إلى الأبوين في طباع الصبيان ، و كثير اللّعب مع الأخدان ، فالعدول عن ذلك بصحيح النظر ، لم يكن لغيره من البشر ، فكانت التقوى المستلزمة للكرامة ، ثابتة له لسبق إسلامه ، لا لمن مضى على الكفر أكثر أعوامه ، وكيف لايكون إسلامه بالاستدلال ؛ وقد ذكر النبيّ ﷺ في مناقبه حيث قال لفاطمة : أما ترضين أنّي زوّجتك أقدمهم سلماً ، و قال في حديث سلمان : أوّل هذه الأمّة وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب ونحو ذلك قدسلف .

و أيضاً فالنبيّ ﷺ لم يستكتمه على سرّه و[لا]يثق بعقله و أمانته إلاّ وهو عالم بصدق سريرته ، و علمه وحكمته ، وحصول عصمته ، وإلاّ لكان مضيّعاً لحرمته و مفرطاً بوضع الشيء في غير موضعه ، و متشاغلاً عمّا يجب عليه من المهمّ بغيره ولأنّ حاله بعد الاسلام ليس كما كان من قبله ، و إلّا لم يصدق الاسلام عليه .

إن قيل : قد يصدق الاسم بمجازه دون حقيقته كاسلام الطفل تبعاً لأبيه وسابيه(١) قلنا : الأصل في الاطلاق الحقيقة و عندكم لا إسلام لأبيه ، و من المعلوم نفي سابيه ولو صدق بمجازه لصدق السلب فيه ، و يلزم صدق الكفر حقيقة عليه ، وذلك قول فنيد ، لم يذهب إليه رشيد ، و الحمدلله القويّ الحميد .

---

(١) أى الذى سباه فى دار الحرب .

﴿ الفصل الثالث والعشرون ﴾

في كونه عليه السلام بمنزلة: « قل هو الله أحد » ، و البئر المعطّلة ، و الحسنة ، و أبو الأمّة .

[روى ذلك] و أسند بن جبر في نخبه قول النبيّ صلى الله عليه وآله : مثل عليّ في هذه الأمّة مثل « قل هو الله أحد » و أسنده الشافعيّ ابن المغازليّ إلى النعمان بن بشير و إذاكان عليّ مماثلا لنسبة الربّ تعالى إلاّ ما أخرجه العقل ، فمن يطمع في مساواته أو مداناته .

و أسند ابن جبر في نخبه إلى الصادق عليه السلام : البئر المعطّلة و القصر المشيد عليّ بن أبي طالب .

و أسند إلى الكاظم عليه السلام : البئر المعطّلة : الامام الصامت ، والقصر المشيد : الامام الناطق .

قال العونيّ :

هو القصر و البئر المعطّلة الّتي ✫ متى فتحت تروي الأنام عن السغب
فمن دخل القصر المشيد بناءه ✫ فلا ظمأ يلقا هناك ولا نصب

و قال آخر :

عليّ هو البئر المعطّلة الّتي ✫ مياها شفاء للغليل من الظما
إذا كشفت للخلق فاضت علومها ✫ كفيض مياه البحر في البرّ إذ طما

و أمّا الحسنة ، فأسند صاحب النخب إلى الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « و من يقترف حسنة [1] » قال عليه السلام : هي المودّة لعليّ بن أبي طالب ، و روى زادان عن السبيعيّ ، عن الجدليّ أنّ عليّاً عليه السلام قال : في قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها و من جاء بالسيّئة فلا يجزى إلاّ مثلها [2] » الحسنة حبّنا أهل البيت و السيّئة بغضنا .

(١) الشورى : ٢٣ . (٢) الانعام : ١٦٠ .

و في تفسير الثعلبيّ : إنّي أُنبّئك بالحسنة الّتي من جاء بها دخل الجنّة و بالسيّئة الّتي من جاء بها دخل النار ، ولم يقبل معها عملاً ؟ فقلت : بلى ، قال : الحسنة حبّنا أهل البيت والسيّئة بغضنا .

و أمّا الأُبوّة فأسند ابن جبر في نخبه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله : أنا و عليّ أبوا هذه الأُمّة . وروى الثعلبيّ في ربيع المذكّرين ، والخركوشيّ في شرف النبيّ ، والديلميّ في الفردوس ، و الطوسيّ في الأمالي قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : حقّ عليّ على هذه الأُمّة كحقّ الوالد على الولد ، و في الخصائص عن أنس : حقّ عليّ على المسلمين كحقّ الوالد على الولد ، و في مفردات الراغب قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : يا عليّ أنا و أنت أبوا هذه الأُمّة . ومن حقوق الآباء على المسلمين أن يترحّم عليهم في أوقات الاجابات .

و المراد بالأُبوّة وجوب شكر نعمتها كما وجب للوالدين على ولدهما وقد روى أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام أنّ قوله تعالى «أن اشكرلي ولوالديك (١) » نزلت فيه ، وروى هو أيضاً عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « وبالوالدين إحساناً(٢) » الوالدين رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين . و روي عن الرضا عليه السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : أنا و عليّ الوالدان .

و ذكر ميثم في شرح نهج البلاغة ما يقرب من هذا المعنى حيث روى قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : كلّ نبيّ هو آدم وقته فصدقت الأُبوّة عليه وعلى عليّ عليه السلام بالمجاز ولم يخصّ النبيّ صلّى الله عليه وآله غير عليّ عليه السلام بمثل ذلك الاعزاز .

قلت : لمّا كانت الرحمة توجب السرور ، فأي ترحّم ممّن قتلوا ذرّيتهم وصرفوا بنت نبيّهم عن حقّها بغصبهم و سبّوا إمامهم على رؤس منابرهم .

وقد روينا عن شيخنا زين الدين عليّ بن محمّد التوليني أنّ الأصبغ بن نباته دخل على عليّ عليه السلام حين ضربه ابن ملجم اللّعين فأخذ عليّ عليه السلام بأصبعه و قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخذ بأصبعي هكذا و قال : اخرج فناد : ألا من عقّ

---

(١) لقمان : ١٤ .　　(٢) البقرة : ٨٣ .

والديه فعليه لعنة الله ، ألامن أبق من مواليه فعليه لعنة الله ، ألامن ظلم أجيراً اُجرته فعليه لعنة الله ، فخرجت فناديت فلم يفهموا ، فرجعت فقلت له : يا رسول الله لم يفهموا ، فقال : يا عليّ أنا و أنت أبوا هذه الاُمّة ، فمن عقّنا فعليه لعنة الله ، و أنا و أنت مولا هذه الاُمّة فمن أبق منّا فعليه لعنة الله ، و أنا و أنت أجير هذه الاُمّة فمن ظلمنا أجرنا فعليه لعنة الله ، فخرجت فأوضحت ذلك .

﴿ الفصل الرابع و العشرون ﴾

أسند الخطيب في الأربعين إلى محمّد بن الحنفيّة قول النبيّ صلى الله عليه وآله : لمّا عرج بي رأيت في السماء ملكاً مكتوب على جبهته : أيّد الله محمّداً بعليّ . فتعجّبت فقال الملك : إنّه مكتوب قبل الدنيا بألفي عام ، و في الكتاب المذكور أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : مكتوب على جناح جبرائيل : « لا إله إلّا الله محمّد النبيّ » وعلى الآخر : « لا إله إلّا الله عليّ الوصيّ » .

و أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس و ابن مسعود قول النبيّ صلى الله عليه وآله : مكتوب على وجه القمر الّذي يلي السماء : الله نور السماوات ، و على الوجه الّذي يلي الأرض محمّد و عليّ نور الأرضين .

و أسند الفحّام و هو عاميّ إلى أنس قول النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ركب إلى موضع كذا : خذ البغلة و أت عليّاً في موضع كذا تجده يسبّح بالحصى فاحمله عليها إليّ فلمّا جاء قال له : اجلس هنا فقد جلس في هذا الموضع سبعون مرسلاً ما جلس فيه نبيّ إلّا و أنا أكرم على الله منه ، و جلس موضع كلّ نبيّ أخ له ما جلس منهم أكرم على الله منك ثمّ أظلّتنا غمامة فأكلنا منها عنباً ثمّ قال : يا أنس والّذي يخلق ما يشاء ، لقد أكل منها ثلاث مائة و ثلاثة عشر نبيّاً ما فيهم أكرم على الله منّي و أوصياؤهم ما فيهم أكرم على الله من عليّ .

وفي أمالي النيسابوريّ : دخل الكاظم على الصادق ، و الصادق على الباقر و الباقر

على زين العابدين ، و زين العابدين على الحسين الشهيد عليه السلام ، و كلّهم فرحون قائلون: ناول النبيّ عليّاً(١) تفّاحة فسقطت من يده ، فانفلقت فخرج فيه مكتوب : من الغالب الطالب لعليّ بن أبي طالب .

و أسند الخوارزميّ إلى ابن عباس أنّ جبرائيل أتى النبيّ باُترنجة و قال : هذه هديّة لعليّ بن أبي طالب فدفعها إليه فسقطت فاذا فيها : هذه هدية من الطالب الغالب لعليّ بن أبي طالب و يقال : إنّ ذلك كان لمّا قتل عليّ عمرو بن عبدود .

و في أحاديث ابن الجعد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة المعراج رأى تحت العرش ملكاً على صورة عليّ يسبّح فقال : يا جبرائيل من هذا الملك ؟ فقال جبرائيل : اشتاق العرش إلى عليّ لإكثار الله تعالى الثناء والصلاة عليه ، فخلق هذا على صورته يسبّح وثوابه لأهل بيتك .

وأسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس أنّه صلى الله عليه وآله رأى صورة عليّ في السماء فقال : سبقتني يا أبا الحسن ؟ قال جبرائيل : هذا ملك على صورته لأنّ الملائكة اشتاقت إلى صورته فسألت ربّها فخلقه ليزورونه قال العبديّ :

يامن شكت شوقه الأملاك إذ شغفت ✩ بحبّه و هواه غاية الشغف
فصاغ شبهك ربّ العالمين فما ✩ تنفكّ من زائر منها و معتكف

﴿ الفصل الخامس و العشرون ﴾

في قوله تعالى : « و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا (٢) » قال ابن عبد البرّ : أخرج أبو نعيم الحافظ من كبار الجمهور قول النبيّ صلى الله عليه وآله : لمّا اُسري بي [إلى] السماء جمع الله تعالى بيني و بين الأنبياء و قال : سلهم على ما بعثتم فسألتهم فقالوا : على شهادة أن لا إله إلّا الله و الاقرار بنبوّتك و الولاية لعليّ ابن أبي طالب . دلّ هذ الحديث على أنّ من لم يواله في جميع الأزمان كان عارياً عند الله تعالى من

(١) عليّ، خل . (٢) الزخرف : ٤٥ .

الايمان ، وخارقاً لعهده المأخوذ على أنبيائه ، و هذا نصّ الكتاب المجيد ، و قول النبيّ الرشيد . لا يحتمل الترديد ولا يقبل التفنيد ، ولو اجتهد في ردّه المتعصّب العنيد ، إذ هو تنزيل من حكيم حميد .

وأسند ابن قرطة في كتابه مراصد العرفان إلى أنس قول النبيّ ﷺ :الجنّة مشتاقة إلى أربعة من اُمّتي قال أنس : فهممت أن أسأله عنهم فجئت إلى أبي بكر ثمّ إلى عمر ثمّ إلى عثمان فأخبرتهم وطلبت منهم سؤاله فكلّ يقول : أخاف أن أسأله فلا أكون منهم فيعيّرني قومي فأخبرت عليّاً عليه السلام فقال : والله لأسأله فإن كنت منهم حمدت الله إذ جعلني منهم ، و إن لم أكن منهم سألت الله أن يجعلني منهم ، فأتيت معه إلى النبيّ ﷺ فوجدت رأسه في حجر دحية الكلبيّ فقام و سلّم عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين خذ رأس ابن عمّك فأنت أولى به منّي فلمّا انتبه النبيّ ﷺ أعلمه أنّه كان جبرائيل فقال : يا رسول الله أعلمني أنس أنّك قلت : الجنّة مشتاقة إلى أربعة من اُمّتي فمن هم ؟ فأومى إليه بيده وقال : والله أنت أوّلهم ـ ثلاثاً ـ قلت : فمن الباقي ؟ قال ﷺ : المقداد و سلمان و أبو ذرّ .

و في هذا الحديث نصّ النبيّ ﷺ باشتياق الجنّة إليه ونصّ جبرائيل أنّه أولى بالنبيّ منه و بأنّه أمير المؤمنين ، و متى كان أولى بالنبيّ من جبرائيل ،كان أولى من الثلاثة و غيرهم بالتقدّم للتفضيل .

و أسند إلى جابر من طرق عديدة أنّ النبيّ ﷺ ناجى عليّاً بالطائف فأطال فرأى في وجوه بعض الصحابة تغيّراً ـ وقيل : هما أبو بكر وعمر ـ فقال ﷺ : ما أنا ناجيته و لكنّ الله انتجاه .

و أسند إلى أبي ذرّ قول النبيّ ﷺ لعليّ : أنت أوّل من يصافحني يوم القيامة ، و أنت الصدّيق الأكبر و الفاروق بين الحقّ و الباطل ، و أنت يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الكفّار .

و أسند إلى عمرو بن الحمق قول النبيّ ﷺ له : هل اُريك آية الجنّة ؟ قلت : بلى ، قال : هذا و قومه و أشار إلى عليّ ابن أبي طالب . هل اُريك آية من

النار ؟قلت : بلى ، فأشار إلى رجل . فلمّا وقعت الفتنة ذكرت ذلك فبرزت من آية النار إلى آية الجنّة .

و أسند إلى عليّ عليه السلام من طرق عديدة قول النبيّ صلى الله عليه وآله له : إذا اجتمع الناس في صعيد و قطّع العطش أمعاءهم كان أوّل من يدعى إبراهيم فيكسى و يقام عن يمين العرش ثمّ ينفجر لي شعب من الجنّة إلى حوض أعرض ممّا بين بصرى و صنعاء فأشرب أنا و الوصيّ و أكسى و أقام عن يمين العرش ، ثمّ تدعى و تشرب و تتوضّأ و تكسى و تقوم معي ، فلا أدعى لخير إلّا و أنت معي تدعى له .

و أسند إلى الصادق عليه السلام إلى جابر قول النبيّ صلى الله عليه وآله : ما اعتصم أهل ملّة من المشركين عليّ إلّا رميتهم بسهم الله عليّ ابن أبي طالب و ما بعثته إلى سريّة إلّا و رأيت جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و ملك الموت أمامه و سحابة تظلّه حتّى يعطي الله حبيبي النصر .

و أسند إلى عليّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله : يؤتى بك و يدفع إليك قضيباً من الدرّ ويقول لك : غرست هذا لك في جنّة عدن فخذه بيدك ، و قف عند الحوض ، واسق من شئت بإذني ورُدّ من شئت بعلمي .

و أسند النيسابوريّ إلى ابن عباس قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ بعد فتح مكّة : قم فانظر كرامتك على الله و كلّم الشمس ، فقام وسلّم عليها فقالت : وعليك السلام يا أخا رسول الله و وصيّه وحجّة الله على خلقه .

﴿ الفصل السادس و العشرون ﴾

أسند الطبريّ إلى الخدريّ قول النبيّ المختار : أعطاني الله مفاتيح الجنّة و النار ، و قال تعالى : سلّمها لعليّ ابن أبي طالب ليدخل من شاء ويخرج من شاء .

و أسند جلاد بن هيثم إلى ابن عباس قول النبيّ صلى الله عليه وآله له : عليك بعليّ ابن أبي طالب فانّ الحقّ ينطق على لسانه و إنّ النفاق في مجانبته و إنّ هذا قفل الجنّة و مفاتيحها و قفل النار ومفاتيحها ، بيده ، يدخل من شاء ، و يعذّب من شاء .

وفي مسند ابن حنبل و الجمع بين الصحيحين و بين الصحاح الستّة من صحيح أبي داود و صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ قال لعلي : لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق ، و قيل لبعض العلماء : إنّ الرفضة يقولون علي قسيم الجنّة و النار ؟ قال : ألستم رويتم قول النبي ﷺ فيه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا كافر ؟ قال : بلى . قال : فالمؤمن أين ؟ قال : في الجنّة قال : فالكافر ؟ قال : في النار ، قال فصار علي قسيم الجنّة و النار .

و هذا خبر قسيم الجنّة و النار ذكره الشافعي ابن المغازلي في كتابه وذكر فيه أيضاً عن النبي ﷺ لم يجز عن الصراط إلّا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب و فيه حدّث الأعمش عن النبي ﷺ أنّ الله تعالى يقول لي و لعلي يوم القيامة : أدخلا الجنّة من أحبّكما و النار من أبغضكما فيجلس علي على شفير جهنّم فيقول : هذا لي و هذا لك .

قلت : فكيف يقاس به من لا يقطع بنجاة نفسه ، و يدعو بالويل و الثبور عند موته ، و ما ذلك إلّا لما عاين من سوء عاقبته .

إن قلت إنّ عليّاً عند خالقه ✿ خير غداً من أبي بكر و من زفر
عجبت عصايب من قولي وساءهم ✿ ولست منهم وإن عجبوا بمعتذر

و قال آخر :

ترائت لأحداق العيون شهوده ✿ فأكرم بها من شاهد لا يكذّب
فلو أنّ أفواه الرجال عواطل ✿ من القول قال المجد ها أنا معرب

وأسند ابن حنبل عن زادان قول النبي ﷺ : كنت أنا و علي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلمّا خلقه قسم النور جزئين فجزء أنا و جزء علي و روى نحوه الديلمي في فردوسه ، و ابن المغازلي الشافعي في مناقبه من هذا الطريق ، و من طريق جابر الأنصاري و في آخره : فلم نزل شيئاً واحداً حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب ففي النبوّة ، و في علي الخلافة ، و في حديث آخر: فأخرجني نبيّاً و عليّاً وصيّاً .

و في مناقب ابن المغازلي حديث زيدة عن اُمّها أنّ النبيّ ﷺ و أبا طالب أخذا فاطمة بنت أسد حين اشتدّ عليها الطلق إلى الكعبة فولدت علياً. قال عليّ ابن الحسين عليهما السلام ما سمعت بشيء قطّ إلاّ و هذا أحسن منه.

و أسند الجاحظ بن ثابت إلى النبيّ ﷺ قال: رأيت على باب الجنّة في الإسراء [مكتوب] لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، و فاطمة أمة الله، على باغضيهم لعنة الله. شعر لمؤلّفه:

يفنى المديح ولا يحيط بوصفه ✿ أيحيط ما يفنى بما لا ينفد
فجزاء من قاس الوصيّ بغيره ✿ نار تؤجّج حرّها لا يبرد
إذ حطّ مرتفعا و أعلى خافضاً ✿ بفضيلة و رذيلة لا تجحد
روت الثقاة لهذه و لهذه ✿ من وامق أو مارق يتفنّد

﴿ الباب الثامن ﴾

✿ (فيما جاء في تعيينه من كلام ربه) ✿

و يندرج فيه شيء من كلام نبيّه لأنّه يؤكّد ذلك و يزيده تعييناً و هو آيات كثيرة غزيرة نضع منها في هذا المختصر آيات يسيرة ، كافية في الدلالة لذي بصيرة لا يجحده إلاّ كلّ ذي نفس شريرة ، قبيحة السيرة خبيثة السريرة ، لأنّها آيات الكتاب المجيد ، المفحم للمتعصّب العنيد ، السالك إلى الضلال البعيد ، العادل بغيّه الشديد ، عن القرآن المجيد السديد ، أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد .

وقد أسند أبو عليّ الأشعريّ إلى أبي جعفر عليه السلام : نزل القرآن ربع فينا و ربع في عدوّنا ، و ربع سنن و أمثال ، و ربع فرائض و أحكام .

و أسند الكلبيّ و جماعة إلى الأصبغ قول عليّ عليه السلام : نزل القرآن ثلث فينا و في عدوّنا ، و ثلث سنن و أمثال ، و ثلث فرائض و أحكام ، منها قوله تعالى في آية المباهلة « و أنفسنا و أنفسكم » سمّاه نفسه وقد اجتمعت الأمّة على دلالتها على أفضليّة أهل البيت .

قال الزمخشريّ : خرج النبيّ صلى الله عليه وآله بأعزّته وأفلاذ كبده ، ليهلك خصمه مع أحبّته ، و فيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء على غيرهم ، وقد لاح ذلك للأسقفّ حيث قال : أرى وجوهاً لو سألوا [الله] أن يزيل جبلاً لأزاله و ذكر خطيب دمشق وصاحب جامع الأصول ما أخرجه مسلم في الكرّاس الثالث من الجزء الرابع ، و أخرجه في آخره أيضاً على حدّ كرّاسين ، ورواه عن الحميديّ في الجمع بين الصحيحين والترمذيّ في حديث سعد بن أبي وقّاص حين لامه معاوية على تركه سبّ عليّ فقال : ثلاث قالهنّ له النبيّ صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى . و قوله صلى الله عليه وآله : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و

يحبّه الله و رسوله ، فأعطاها عليّاً . و لمّا نزلت آية المباهلة دعابه و بزوجته و ابنيه و قال : اللّهمّ هؤلاء أهلي .

و في تفسير الثعلبيّ مسنداً إلى مقاتل و الكلبيّ : لمّا نزلت الآية و خرج النبيّ ﷺ بهم قالت النصارى للعاقب : ما ترى ؟ قال : والله لقد عرفتم أنّه نبيّ والله ما لاعن قومٌ نبيّاً فعاش كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم . و قال الأسقفُ : إن باهلتموه لم يبق على وجه الأرض نصرانيّ فطلبوا المصالحة على ألف حلّة في صفر و ألف حلّة في رجب كلّ عام فوادعهم و قال : و الّذي نفسي بيده إنّ العذاب قد تدلّى عليهم ، ولولاعنوا لمسخوا ولاضطرم الوادي عليهم ناراً . ولا حال الحول على نجران و أهله و نحو ذلك ذكر ابن المغازليّ في مناقبه و الثعلبيّ و السدّيّ و في تفسير الحافظ أبو نعيم إلى غيره و اكتفينا بقليله عن كثيره .

اعترض الواسطيّ الغويّ بأنّ جميع قريش نفس النبيّ ﷺ في قوله تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم[1]» فلا خصوصيّة بالفضل في ذلك لعليّ فلايختصّ بالامامة دون كلّ قريش . قلنا : قد سلّم أنّ علياً نفس النبيّ ﷺ فيلتزم بهبوط الصحابة عن منزلة عليّ لتخصيص النبيّ له ولولديه و زوجته بالمباهلة دون كلّ قريش ، و المعارض خصّ بها علياً بعد الثلاثة لأفضليتّه دون كلّ قريش ولم يأت لأحد من الفضائل ما أتى لعليّ لحديث سعد و غيره .

قال صاحب الوسيلة في المجلّد الخامس : قالت عايشة : قالت فاطمة : لمّا ذكر النبيّ ﷺ فضل [بعض] الصحابة لم يقل في عليّ شيئًا فقيل له في ذلك فقال : عليٌّ نفسي فمن رأيت يقول في نفسه شيئاً .

و روى ابن جبر في نخبه أنّ النبيّ ﷺ سئل عن بعض الصحابة فقال فيه ما قال ، فقيل له و عليّ؟ فقال ﷺ : سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي، فلو كان الّذين قال فيهم نفسه كعليّ لما قال فيهم شيئاً و معنى النفس في الآية : أي من نسبكم وقد قرئت « من أنفَسكم » بفتح الفاء أي من أعلاكم و سيأتي البحث في

---

(١) براءة : ١٢٩ .

معاني « من » في الفصل التاسع من الباب الثامن .

إن قالوا : يلزم على ما ذكرتم أن لا يقول النبيّ في نفسه ولا في عليّ شيئاً البتّة ، و هو خلاف المشهور باعترافكم . قلنا : ذلك لا يلزمنا لكون المقام يقتضي هذا دون غيره فانّ النبيّ ﷺ قال في مقام : أنا سيّد ولد آدم [آدم] و من دونه تحت لوائي يوم القيامة ، و قال في آخر : لاتفضّلوني على يونس . على أنّ النفس لو صحّت لكلّ قريش لم يبق لتخصيص الأبناء و النساء بالذكر فائدة لدخولهم في ذكر النفس .

إن قيل :اُفردوا بالذكر لترجيح الخاصّ على العامّ . قلنا : ذلك هومطلوبنا في أوّل الكلام .

فان قيل : المراد بأنفسنا نفس النبيّ ﷺ . قلنا : ظاهر « ندع » يقتضي المغايرة إذ لا يكون الانسان داعياً لنفسه .

إن قيل : ذهب الجبائيّ إلى أنّ القائل لسليمان « أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك(١) » هو سليمان فقد صحّ أن يخاطب الانسان نفسه . قلنا : هذا قول شاذّ لم يذهب إليه سواه فدلّ على أنّ قانون اللّغة يوجب المغايرة .

إن قيل : فقد يأمر الانسان نفسه « إنّ النفس لأمّارة بالسوء(٢) » فالآمر هنا هو المأمور و الأمر كالدعاء . قلنا : لا ، فانّ الآمر هو القلب ، و الدعاء يقتضي مدعوّاً فافترقا . و لأنّ النصارى فهموا أنّ عليّاً نفسه و لهذا لم يقولوا : جئت بزيادة عمّن شرطت .

و حكى الواحديّ في الوسيط عن ابن حنبل أنّه أراد بالأنفس بني العمّ و العرب تسمّي ابن العمّ نفساً و قال تعالى : « ولاتلمزوا أنفسكم(٣) » أي المؤمنين من إخوانكم . قلنا : مجاز لا يحمل عليه .

إن قيل : كون عليّ نفس النبيّ ﷺ مجاز أيضاً . قلنا : مسلّم و لكنّه

(١) النحل : ٤٠ . (٢) يوسف : ٥٣ .

(٣) الحجرات : ١١ .

أقرب إلى الحقيقة فتعيّن الحمل عليه .

بيان القرب قول النبيّ ﷺ له في رواية ابن سيرين : يا عليُّ أنت منّي و أنا منك . و ذكره البخاريُّ و في فضائل السمعانيّ و تاريخ الخطيب و فردوس الديلميّ عن ابن عباس : عليٌّ منّي مثل رأسي من بدني و قوله : أنت منّي كروحي من جسدي ، و قوله : أنت منّي كالصنو من الصنو .

و يؤيّد ما قلناه أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ : أنا و أنت من شجرة واحدة ، رواه الخركوشيُّ و الثعلبيُّ في الكشف و البيان و كذا رواه في أماليه ابن شاذان و النطنزيُّ في الخصائص و شيرويه في الفردوس وفي تفسير عطاء الخراسانيّ والفلكيّ الطوسيّ ، و نحوه أبو صالح المؤذّن والسمعانيُّ وقد أخرج صاحب المراصد قول النبيّ ﷺ لزيد بن حارثة : عليٌّ كنفسي لافرق بيني و بينه إلاّ النبوّة فمن شكّ فقد كفر . ونحو ذلك كثير من جنسه و غير جنسه .

إن قيل : لم يقصد في المباهلة الأفضل بل النسب و لهذا أحضر الحسنين و كانا طفلين . قلنا : لو لا إرادة الفضل لدعا عقيلاً و عبّاساً و ولده فانّهم انضمّوا إلى النبيّ ﷺ و أسلموا قبل المباهلة بمدّة والمباهلة كانت في سنة عشر من الهجرة وقد كان الحسنان في حدّ العقل و العرفان ، و إن لم يبلغا حدّ التكليف على أنّه يجوز اختصاصهما بما يخرق العادة فيهما لثبوت إمامتهما وقد شهرت في عيون الزمان مدائحهم في كلّ أوان قال الحمانيُّ :

و أنزله منه النبيُّ كنفسه ☆ رواية أبرار تأدّت إلى البرّ
فمن نفسه منكم كنفس محمّد ☆ ألا بأبي نفس المطهّر والطهّر

و قال ابن حمّاد :

فسمّاه ربُّ العرش في الذكر نفسه ☆ فحسبك هذا القول إن كنت ذا خبر
و قال لهم : هذا وصيّي و وارثي ☆ و من شدّ ربّ العالمين به أزري

و له أيضاً :

و قال ما قد رويتم حين ألحقه ☆ بنفسه عند تأليف يؤلّفه

و نفس سيّدنا أولى النفوس بنا ☆ حقّاً على باطل النصّاب نقذفه

العلويّ :

و ألحقه يوم البهال بنفسه ☆ بأمر أتى من رافع السمٰوات

فمن نفسه منكم كنفس محمّد ☆ بني الافك والبهتان والفجرات

و أسند أبو العلاء القطّان أنّ النبيّ ﷺ أتاه قنوموز فجعل يقشّره ويضعه في فم عليّ فقيل : إنّك تحبّه ؛ فقال ﷺ : أو ما علمت أنّه منّي و أنا منه .

الحميريّ :

أنت ابن عمّي الّذي قد كان بعد أبي ☆ إذ غاب عنّي أبي لي حاضناً و أبا

ما إن عرفت سوى عمّي أبيك أباً ☆ ولا سواك أخاً طفلاً ولا شيبا

كم فرّجت كفّك اليمنى بذي شطب ☆ في مارق حرج عن وجهي الكربا

و هؤلا أهل شرك لاخلاق لهم ☆ من مات كان لنار و قدت حطباً

الصاحب :

أما عرفتم سموّ منزله ☆ أما عرفتم علوّ مثواه

أما رأيتم محمّداً حدبا ☆ عليه قد حاطه و ربّاه

و اختصّه يافعاً و آثره ☆ و اعتامه مخلصاً و آخاه

زوّجه بضعة النبوّة إذ ☆ رآه خير امرء و أتقاه

و قال آخر :

بمن باهل الله أعداءه ☆ و كان الرسول به أبهلا

و هذا الكتاب و إعجازه ☆ على من وفي بيت من أُنزلا؟

و قال آخر :

أنت يوم الغدير أمّرك الله وهم أمّرتهم الغوغاء

أين كانوا يوم نجران إذ قيل تعالوا و كلّكم شهداء

أين كانت فلانة و فلان ☆ بان ثمّ الدناة والشرفاء

و قال آخر :

يا من يقيس به سواه جهالة ✩ دع عنك هذا فالقياس مضيّع
لولم يكن في النصّ إلاّ أنّه ✩ نفس النبيّ كفاه هذا الموضع

فقد بان في هذا بلوغ عليّ أعلى غايات الكمال، و أقصى نهايات الجلال و الجمال، و جعله الله و ولديه حجّة على تصديق نبيّه، فهم كالقرآن الّذي تحدّى العرب به، فلزم وجوب متابعته، و إذا كان رفع الصوت على النبيّ يحبط العمل بنصّ الكتاب، فالمقدّم بين يدي الله و رسوله بتأخير وصيّه ذاهب عن الصواب.

و منها قوله تعالى : «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اُولي الأمر منكم»(١) فقد روي أنّ جابراً لمّا نزلت هذه الآية قال للنبيّ : قد عرفنا الله و رسوله، فمن «اُولي الأمر»؟ قال : خلفائي وأئمّة المسلمين بعدي : أوّلهم عليّ بن أبي طالب.

وقد أسند الشيخ العالم الاصفهانيّ الاُمويّ إلى الصادق عليه السلام أنّ علياً عليه السلام من اُولي الامر فسأله أبو مريم : هل كانت طاعته مفروضة؟ فقال : والله ما كانت لأحد إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وآله و لآله، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، و طاعة أمير المؤمنين من طاعة الله (٢) و روي من طريق آخر نزولها في عليّ بن أبي طالب و آل محمّد عليهم السلام.

قالوا : لا عموم لطاعة اُولي الأمر بعد تكرير لفظ «أطيعوا» فيها فان أمروا بما يدخل في طاعة الله و رسوله اُطيعوا و إلاّ فلا، و لهذا لم يأمر بالردّ إليهم عند النزاع في قوله «فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرسول» ولم يقل : و إلى اُولي الأمر.

قلنا أوّلاً : واو العطف للجمع المطلق كما قرّر في الاُصول فلا يدلّ على المتقدّم من المتأخّر.

---

(١) النساء : ٥٩.

(٢) و من أطاع أمير المؤمنين فقد أطاع الله. خ.

و ثانيا : عدم تكرير «أطيعوا» لايدلّ على عدم عموم الطاعة و إلّا لدلّ في حقّ الرسول فانّه تعالى قال في موضع آخر : « أطيعوا الله و رسوله[١] » فلم يجب طاعته في كلّ شيء و هو باطل بالاجماع .

إن قيل : فهذه و إن لم تدلّ على عموم الطاعة ، لكنّ الأولى دلّت فبهاتمّت قلنا : الآية الخالية من التكرير سواء تقدّمت على هذه أوتأخّرت لزم منهاتبعيض طاعة الرسول في بعض الأوقات و هو باطل بالاجماع و إنّما لم يقل في آية النزاع و إلى أولي الأمر منكم إيماء إلى أنّ طاعتهم قسم من طاعة الرسول و يؤيّده : «إن كنتم تؤمنون » على الشكّ و الامام ليس في إيمانه شكٌ .

و ثالثاً : أنّ طاعة اللهو رسولهواجبة دائماً ، والمعطوف عليهما بحكمهما ، ولا يجب طاعة غير المعصوم دائماً .

قالوا : أولوا الأمر أمراء السرايا . قلنا : لم يجتمع العلم فيهم الّذي أمر الله بالرجوع فيه إليهم فيقوله « ولو ردّوه إلى الرسول و إلى أولي‌الأمرمنهم‌لعلمه الّذين يستنبطو نه منهم»[٢]علىأنّأوّل أمراء السرايا عليّ بن أبي طالب كما رواه الشعبيّ عن ابن عباس في تفسير مجاهد أنّ الآية نزلت في عليّ حين استخلفه في المدينة النبيّ ، و في إبانة الفلكيّ أنّها نزلت حين شكا أبو بردة من عليّ .

قالوا : هم علماء العامّة . قلنا : لا يأمر الله باتّباعهم لوجود الاختلاف بينهم بل التناقص فيهم .

و منها قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصادقين[٣] » ثمّ بيّن الصادقين في الآية الاُخرى وهي قوله تعالى : « و الصابرين في البأساء و الضرّاء و حين البأس اُولئك الّذين صدقوا [٤] » و حين البأس اشتداد الحرب ، و تواتر الطعن و الضرب ، وقد هرب من لا خفاء فيه ، و لزب من لاغطاء

---

(١) الانفال : ١ و٢٠ و ٤٧ . (٢) النساء : ٨٦ .

(٣) براءة : ١٢٠ . (٤) البقرة : ١٧٧ .

عليه ، و من المعلوم الضروري أنّه لم يكن لأحد من الثبات والقتل مالعلي حتّى قالت عايشة مع شدّة بغضها له لمّا بلغها قتله: لتفعل الحرب ما شاءت ، فليس لها من ينهاها. وقد أمر الله تعالى بالكون معه ومع ذرّيته الداخلين في صفته فوجب الانحراف و التخلّف عمّن ليس ذلك من نعته ، بل هرب عن رسول الله في أكابر حروبه .

و أيضاً قوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلاً(١) » روى المفسّرون أنّهانزلت في عليّ و حمزه ولا ريب أنّه لمّا قتل حمزة اختصّت بعليّ فأُمن منه التبديل بحكم التنزيل وروى اختصاصها بعليّ: ابن عباس ، و الصادق ، وأبونعيم الحافظ ، وصدّق ذلك طائفة ما روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « و اجعل لي لسان صدق في الآخرين(٢) » قال هو عليّ بن أبي طالب لأنّ الله تعالى عرض على إبراهيم ولايته فسأله أن يجعلها في ذرّيته ففعل . شعر :

فهذي المزايا بعض ما حلّي به ☆ وجبيء مَن الخيرات و البركات
نطقت بها آي الكتاب وحسبها ☆ أن جاء شاهدها من الآيات

إن قيل : « صدقوا » و « ما بدّلوا » ماضيان ، فلا يدلّان على عدم التبديل في مستقبل الأزمان قلنا : قد أُريد بالماضي الاستقبال كما في قوله تعالى « و نادوايا مالك (٣) » «و نادى أصحاب النارأصحاب الجنّة (٤) » « و قالوا ما لنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار (٥) » .

إن قيل : هو من المجاز . قلنا : يتعيّن الحمل عليه لقول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه : عليّ يدور مع الحقّ حيث دار ، و غيره ، وقد بلغ في الاشتهار إلى حدّ يمتنع فيه الإنكار .

قال إمامهم الرازيّ : ليس المراد بالصادقين من كان صادقاً في بعض الأمور

---

(١) الاحزاب : ٢٣ . (٢) الشعراء : ٧٤ .
(٣) الزخرف : ٧٧ . (٤) الاعراف : ٤٩ .
(٥) ص : ٦٢ .

و إلاّ لزم الأمر بمتابعة الخصمين ، إذ كلّ واحد صادق في أمر مّا ، فالصادق في الكلّ إن وجبت متابعته في بعض فهو غير معيّن فيلزم التعطيل ، فتجب المتابعة في الكلّ و هذا الصادق إمّا كلّ الأمّة و هو باطل ، إذ التقدير حينئذ : كونوا معكم . و هو مناف للبلاغة فهو بعض الأمّة فهو الامام المعصوم ، إذ لا صادق في الكلّ غيره .

ولا يستوحش ممّا ذكرنا بما نقل عن الضحّاك أنّها نزلت في أبي بكر و عمر فقد ذكر محمّد بن حبّان صاحب كتاب المجروحين أنّ الضحّاك ضعيف و نزولها في عليّ أسنده أبو نعيم الحافظ و هو من القوم برجاله إلى ابن عباس و كذا الثعلبي رواه عن ابن عباس فاذا أمر الله بالكون معهم على الاطلاق اقتضى عصمتهم عن ذميم الأخلاق .

إن قيل : يخصّ بمنفصل عقليّ الكون معهم ، و هو ما علم فيه صدقهم ، فلا يدلّ على عصمتهم . قلنا : غير المعصوم لايعلم الصدق فيه ، وحسن الظاهر لا يوصلنا إليه ، لظهور النفاق في كثير ممّن يعتمد عليه .

إن قيل : لم لا يكون الصادق أبوذرّ الّذي قال النبيّ ﷺ فيه : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذالهجة أصدق من أبيذرّ ، قلنا : هذا عامّ مخصوص أفتراه أصدق من النبيّ ﷺ فيختصّ بغير من ثبتت عصمته .

إن قيل : إنّ أفعل التفضيل يرجّحه على غيره ، قلنا : جاءت لغير التفضيل مثل قوله تعالى « و سيجنّبها الأتقى [١] » و في الشريعة الحدث الأصغر أوالأكبر و في الشعر :

تمنّت سليمى أن أموت و إن أمت ✿ فتلك سبيل لست فيها بأوحد

على أنّه قدأورد ابن قرطة في مراصد العرفان زيادة هي أنّه لمّا قيل ذلك لأبي ذرّ و عليّ عليه السلام مقبل ، قال : إلاّ هذا المقبل ، و المقرّر في الأصول قبول الزيادة و تقديمها على ما فيها مع أنّ الله قد بيّن الصادق في قوله تعالى « و لكن البرّ من

---

(١) الليل : ١٧ .

آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيّين و آتى المال على حبّه ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و في الرقاب و أقام الصلاة وآتى الزكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين في البأساء و الضرّاء وحين البأس اُولئك الّذين صدقوا و اُولئك هم المتّقون (١) » و هذه النعوت لم يحوها أحد غير عليّ ، فدلّت على ثبوت إمامته و إمامة المتّصفين بصفته من ذرّيته .

فأوّل النعوت الايمان بالله ، وقد سبق في الفصل الثاني و العشرين من الباب السابع .

و ثانيها إيتاء الزكاة و هو مشهور في قصّة الخاتم وسيأتي قريباً إن شاء الله ، و الوفاء بالعهد و غيره وقد كفى ما أتى في هل أتى من مديحه وقد أورد الزمخشريّ في كشّافه و الثعلبيّ في تفسيره و زاد محمّد بن علي الغزاليّ في كتاب البلغة نزول المائدة عليهم بعد تصدّقهم بالطعام ، و قيامهم بالصيام ، فأكلوا منها سبعة أيّام ، و رواه أخطب خوارزم في كتابه .

و ثالثها الرقاب فانّ عليّاً عليه السلام عمر أرضاً وباعها و اشترى بها رقاباً وأعتقها.

و رابعها حين البأس ، وهو حال الفرار من الزّحف ومعلوم ثبوت عليّ عليه السلام في جميع أوقاته حتّى تعجّبت الملائكة من حملاته ، وقال فيه ملك يقال له رضوان : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ . فوضع في أوّله حسّان أبياته الحسان :

جبريل نادى في السما ☆ و النقع ليس بمنجلي
و الخيل تعثر بالجماجم و الوشيح الذّبّل
و المسلمون قد أحدقوا ☆ حول النبيّ المرسل
هذا النداء لمن له ☆ الزاهراء ربّة منزل
لا سيف إلّا ذو الفقار ☆ ولا فتى إلّا عليّ

إن قلت : كيف ذكر جبرائيل حسّانٌ مع أنّ المنادي رضوان ؟ قلت : جاز

---

(١) البقرة : ١٧٧.

كون النداء من جبرائيل و أصل المدح من رضوان ، وقد اعترف له عمرو بن العاص في قوله :

و ضربته كبيعته بخم ✡ معاقدها من الناس الرقاب
هو النبأ العظيم و فلك نوح ✡ و باب الله و انقطع الخطاب

و اعترف له المأمون الخليفة في قوله :

ألام على شكر الوصي أبي الحسن ✡ و ذلك عندي من عجائب ذي المنن
خليفة خير الناس و الأول الذي ✡ أعان رسول الله في السر و العلن

وقد روى ابن قتيبة في المعارف و هو منهم فرار الشيخين بوقعة حنين وفي بدر قتل علي عليه السلام خمسة و ثلاثين بطلاً عرف ذلك من اتحاد ضرباته و تكثر ضربات غيره ، و من المستحيل عدّ أبي بكر من الشجعان ، وقد فرّ في اُحد يوم التقى الجمعان ، و ثبت علي للطعان ، و مكابدة الأقران ، و كتب هذا الفن تجعل الخبر فيها كالعيان ، و إذا اجتمعت النعوت في علي ، وجب الكون معه بالأمر الإلهي .

و منها قوله تعالى « بلّغ ما اُنزل إليك من ربّك [(١)] » قالوا : قلتم : كانت في المصحف « في علي » فأسقطها أهل السنّة كيف ذلك والله تعالى يقول : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [(٢)] » . قلنا : هذه الدعوى لم يذهب إليها إمامي كيف وقد أجمعوا على أنّ من قرأ بتلك الزيادة في صلاته بطلت ، و إنّما قلنا : إنّها نزلت في علي وقد قال ابن المرتضى في تفسيره : نقل الثعلبي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنّ المراد بقوله تعالى « بلّغ ما اُنزل إليك » في فضل علي عليه السلام و نقله أيضاً عن الفرّاء فأقامه بغدير خم و سيأتي إنشاء الله محرّراً و نقل نزولها فيه أيضاً الثعلبي و أبو القاسم الحسكاني عن ابن عباس و نقلها ابن البطريق في الخصائص عن أبي القاسم ، ومن تفسير الثعلبي كلّ منها بطرق عديدة .

و منها قوله تعالى : « إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون

---

(١) المائدة : ٧٠ .

(٢) فصلت : ٤٢ .

الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون (١) » ذكر الزمخشريُّ في كشافه أنّها نزلت في عليّ حين تصدّق بخاتمه و ذكره الثعلبيُّ في تفسيره عن السدّيّ و عتيبة وغالب ورواه الثعلبيُّ أيضاً من طرق عدّة منها عن أبي ذرّ قال : سمعت النبيُّ صلى الله عليه وآله بهاتين و إلّا صمّتا و رأيته بهاتين و إلّا فعميتا يقول : عليٌّ قائد البررة ، و قاتل الكفرة منصور من نصره ، مخذول من خذله . أما إنّي صلّيت يوماً مع النبيّ صلى الله عليه وآله فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فأومى [عليٌّ] عليه السلام إليه راكعاً فأخذ الخاتم من خنصره اليمنى ، فلمّا فرغ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله : اللّهمّ إنّ موسى قال : اللّهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي [هارون] فأنزلت : « سنشدّ عضدك بأخيك (٢) » الآية و أنا نبيّك وصفيّك ، فاجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به ظهري فما استتمّ كلامه حتّى نزل جبرائيل عليه السلام بـ« إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون » .

و روى نزولها فيه رزين في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح ، و ذكره في صحيح النسائيّ عن ابن سلام ، و رواه الفقيه الشافعيُّ ابن المغازليّ من طرق خمسة ، و الماورديُّ ، و القشيريُّ ، و النيسابوريُّ ، و القزوينيُّ ، و الفلكيُّ في الإبانة ، و الطوسيُّ و الاصفهانيُّ في تفاسيرهم ، عن السدّيّ ، و مجاهد ، والحسن والأعمش ، و عتيبة ، و غالب ، وابن الربيع ، و عباية ، و ابن عباس .

و ابن البيّع في معرفة أُصول الحديث ، و الواحديُّ في أسباب النزول ، و السمعانيُّ في فضائل الصحابة ، و أبوبكر الرازيُّ في أحكام القرآن ، و سليمان بن أحمد في المعجم الأوسط . و البيهقيُّ في الشعب ، و محمّد بن فتّال في التنزيل والروضة و ابن أبي رافع و ذكر أنَّ هذان إمامان و ابن عباس ، و الثقفيُّ ، و أبو صالح و مجاهد ، و الشعبيُّ ، و النطنزيُّ في الخصائص و ناصح التميميُّ ، و الكلبيُّ .

---

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) القصص : ٣٥ .

و رواه من الفرقة المحقّة زرارة عن الباقر عليه السلام في روايات مختلفة المباني متّفقة المعاني .

والحسين بن جبر في كتابه نخب المناقب ، و ابن البطريق في كتاب الخصائص من عدّة طرق ، و محمّد بن جرير الطبريّ و ابن بابويه القميّ في الأمالي مسنداً إلى عمر بن الخطّاب قال : تصدّقت بأربعين خاتماً و أنا راكع لينزل فيّ ما نزل في عليّ فلم ينزل .

و أسنده صاحب الكافي إلى الصادق عن آبائه عليهم السلام : لمّا نزلت « إنّما وليّكم الله و رسوله » الآية اجتمع نفر في المسجد فقالوا : هذا ذلّ حين سلّط علينا عليّ بن أبي طالب وقد علمنا صدق محمّد ولكن نتولاّه ولا نطيع عليّاً فنزلت : « يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها - يعني ولاية عليّ - و أكثرهم الكافرون [1] » لولاية عليّ .

فقد ظهر بنقل الفريقين و إطباق الخصمين نزولها في عليّ عليه السلام .

قالوا : كان بين عليّ و أسامة بن زيد بعد الغدير كلام فقال له عليّ : ألست مولاك بالأمس؟ قلنا: قد ولاّه عليه النخّاس وولاّه الله عليه في جملة الناس ، كما رويتم في الآيات المنتزعة عن ابن عباس على أنّ المقرّر في الاُصول أنّ السبب لا يخصّ .

قالوا : أسند الثعلبيّ عن ابن عباس نزولها في عبادة بن الصامت و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: كان بينه وبين اليهود حلف فلمّا أسلم قطعوه فنزلت تسلية له . قلنا : أكثر روايتها في عليّ منكم ومَن ولايتهم عليكم فلا يعدل عنها إلى رواية نادرة و كيف تكون في الأصحاب وقد حدّثت المناكير من أكثرهم .

فنقول حينئذ : لفظة « إنّما » تفيد الحصر ، و منه قوله تعالى « إنّما إلهكم الله [2] » أراد تعالى إثبات الإلهيّة لنفسه و نفيها عن غيره و كذا « إنّما أنت منذر [3] » و فهم ابن عباس اختصاص الربا بالنسية في قوله صلى الله عليه وآله « إنّما الربا في النسية » وقال الشاعر:

---

(١) النحل : ٨٣ . (٢) طه : ٩٨ .

(٣) الرعد : ٨ .

أنا الزائد الحامي الذمار و إنّما ☆ يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

و قال : « و إنّما العزّة للكاثر [١] » و إنّما مركّبة من «إنّ» و هي للاثبات و«ما» و هي للنفي ، فان تواردا على محلّ اجتمع المتنافيان فلابدّ من محلّين فان ورد الاثبات على غير المذكور و النفي عليه فباطل بالاجماع ، فتعيّن العكس و هو إثبات المذكور و نفي المهجور .

قالوا : جاءت إنّما لغير الحصر في قوله تعالى « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم [٢] » و قولهم : إنّما الناس العلماء مع وجود الايمان في غيرهم .

قلنا : ذلك للمبالغة في مدحهم ، لا لنفي الايمان و الناس عن غيرهم ، و لهذا إنّ الجهّال و ناقصي الايمان تنفر طبايعهم عند هذا الكلام ، و لولا إفادة الحصر لم يحصل ذلك .

إن قالوا : فما المانع من أن يكون ذكرها في آية الولاية للمبالغة لا لنفي الولاية عن غيره . قلنا : فلا بدّ للمبالغة من زيادة معنى لامتناع العبث فأصل الولاية ثابت لكلّ مؤمن في قوله تعالى : « و المؤمنون بعضهم أولياء بعض [٣] » ولا زيادة في المعنى توجب المبالغة سوى الولاية العامّة و هي المطلوبة هنا إذ هي الامامة .

قالوا : « إنّما أنت منذر » ليس فيها حصر لوجود الانذار لغيره . قلنا : بلى إذ التقدير إنّما أنت منذر لا مجبر و لم يقل الله تعالى : « إنّما أنت المنذر » .

قالوا : إذا أفادت الحصر لزم منه سلب إمامة أولاده و أنتم لا تقولون به . قلنا : إذا قام الدّليل الخارج على إمامتهم كان كافياً فيهم و ستأتي الكرامات منهم و النصوص من جدّهم عليهم و لأنّ الصدقة إذا وقعت من أبيهم جازت نسبتها إليهم مثل قوله تعالى في متأخّري اليهود : « فلم تقتلون أنبياء الله [٤] » و القتل من أسلافهم

---

(١) أوله : و لست بالاكثر منهم حصى .

(٢) الانفال : ٢ .

(٣) براءة : ٧١ . و فيه : و المؤمنون و المؤمنات بعضهم الخ .

(٤) البقرة : ٩١ .

قال بعض الأدباء :

هذه إنّما وليّكم الله أتت بالولاية من الله فيه
فاذا ما اقتضى من اللّفظ معنى ✩ فيه كانت من بعده لبنيه

ولئن خصّصنا الخطاب بالحاضرين كما هو ظاهر الآية ، تمّ الحصر أيضاً و نستفيد إمامتهم من غيرها .

إن قيل : « يقيمون » و « يؤتون » للاستقبال فيصحّ لكلّ من يفعل ذلك . قلنا : قد نقلنا من طرقكم نزولها في عليّ و نقلنا أنّ عمر تصدّق مراراً فلم ينزل فيه شيء و صيغة الاستقبال لا تستلزمه كقوله تعالى « يريدون أن يبدّلوا كلام الله » « يريدون ليطفئوا نور الله (١) » ونحوها كثير و إنّما تخلّص اللّفظ للاستقبال السين و سوف ، وهنا تخلّص للحال بقوله تعالى « وهم راكعون » كما يقال : رأيت الأمير و هو آكل ، و لقيته و هو راكب ، ولو كان « وهم راكعون » استينافاً لزم التكرار لدخوله في ذكر الصلاة و إذا كانت الولاية هي التصرّف و هي ثابتة لبعض الأمّة تعيّنت لعليّ بالاجماع على أنّ الآية لا تقتضي إمامة غيره فلو لم تثبت اُلغيت الآية ولو فرّ من عمومها الناس دخل عليّ فيها بالاجماع و يلزم من ذلك ثبوت إمامته لوجوب اتّحاد الاضافة .

و ربما قيل : إنّ كلّ واحد منهم زكّا راكعاً لتعميم الآية و فيه نظر إذ قد بيّنّا أنّ المراد بيؤتون الحال دون الاستقبال إلّا أن يقال لم يرد بالحال الزمان الحال ، بل حال الركوع فيذهب الاشكال .

قالوا : الّذين لفظ جمع فلا يحمل على الواحد . قلنا : في العرف والاستعمال موضوع للواحد للتعظيم و التفخيم مثل « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » « إنّا نحن نزّلنا الذكر » « ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس (٢) » أراد إبراهيم أو النبيّ عليهما السلام

---

(١) الفتح : ١٥. الصف : ٨ .
(٢) القدر : ١ ، الحجر : ٩ . البقرة : ١٩٩ .

و قوله تعالى : « الّذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم[١] » أراد تعالى نعيم بن مسعود ولو حمل لفظ « الّذين » على العموم لزم أن يكون كلٌّ واحد وليّاً لنفسه فكأنّه قال إنّما وليّكم بعد الله ورسوله أنتم هذا وقد ذهب جماعة من الاُصوليّين إلى أنّه لا صيغة تختصٌّ بالعموم .

قالوا : ذكرتم أنّ عليّاً كانوا يخرجون النصول من جسده في سجوده لانجذاب نفسه إلى ملاحظة عظمة ربّه فكيف شعر بالسائل في صلاته ؟ قلنا: ذلك من خصائصه عليه السلام ليجمع بين العبادتين و ليس في ذلك انصراف عن عظمته تعالى بل انصراف إليها من جهة اُخرى فانّ الساقي لا يضلٌّ مع سكره عن أن يشرب و يسقي ندماءه قال بعضهم :

يسقي و يشرب لا تلهيه سكرته ✿ عن النديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتّى تمكّن من ✿ فعل الصحاة فهذا أفضل الناس

قالوا : المشهور بين الفريقين[٢] أنّ علياً عليه السلام قال : الفخر بالفقر ولا زكاة مع الفقر . قلنا : الفقر هنا هو سلب الاعتماد على غير الله ولو سلّم أنّه فقير المال لم يناف الزكاة المستحبّة و هي مطلق التطوّع و على تقدير وجوبها لا يلزم نفي الفقر عمّن كلّف بها لجواز حصول نصابها مع دين يستغرقها فانّه لا يمنعها قال الخوارزميّ :

مؤدٍّ في الركوع زكاة مال ✿ جرايب قد حواها بالجراب

قالوا : هو جواد و هل تجب الزكاة على الجواد ؟ قلنا : كلام الجواد خطابيٌّ مع أنّ دفع الزكاة جود فكيف ينافي الجود ، بل كيف يتحقّق الجود مع نفي ما به يجود على أنّ الاعطاء يتعلّق بالحكمة و المصلحة و إلّا لنسب عدم الجود إلى الله في منع الفقراء .

قالوا : الركوع لغةً الخضوع فمعنى « وهم راكعون » أي و هم متواضعون قلنا : لا بل الركوع هو التطأطؤ قال صاحب كتاب العين : كلٌّ من ينكبُّ لوجهه

---

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) المشهور عن علي الفخر بالفقر ، خ .

سواء مسّت ركبتاه الأرض أولا فهو راكع و مثله قال ابن دريد و إن حمل الركوع على التواضع فهو من المجاز .

قالوا: فالزكاة الواجبة تفتقر إلى نيّة وهي مبطلة للصلاة . قلنا: نمنع إبطالها إذ هي قلبيّة ولا منافاة بينها و بين الصلاة للاكتفاء بالاستمرار الحكميّ و لجواز أن يكون أومأ إلى الفقير فأخذ الخاتم و لم ينو الزكاة حتّى فرغ و كان الايماء فعلاً قليلاً ، واو فرضت كثرته جازأن يكون جايزاً نسخ كماكان الكلام في الصلاة جايزاً ثمّ نسخ فانّه قد روي عن زيد بن أرقم قال : كنّا نتكلّم في الصلاة فلمّا نزل قوله تعالى : « و قوموا لله قانتين (١) » أمسكنا عن الكلام .

و بالجملة فعليّ أفقه الأمّة و الحجّة الكبرى في فعله فلا وصمة وقد أسلفنا إثبات عصمته ، وقد ذكر ابن حنبل في مسنده عن سعيد : لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله يقول : سلوني . غيرعليّ عليه السلام وقد مدحه الله على ذاك ، فلوكان مفسداً للصلاة لم يثن الله تعالى عليه على فعله ، وقد أسند الحافظ أبو نعيم وصاحب النخب أنّه كان يصلّي النافلة .

وإذا تخلّصت هذه الأمور لعليّ عليه السلام ثبتت ولايته بالعطف على ولاية الرسول المعطوفة على ولاية الله تعالى و إذا ثبت ولايته حكم بحصول عصمته لاطلاق وجوب طاعة خليفته فلو وقع منه قبيح كان الله قد أوجب فعله على خليقته هذا وقد نظمت في ذلك الأعيان ، على اختلاف البلدان والأزمان ، فقال فيه حسّان أبياته الحسان :

أبا حسن تفديك نفسي و اُسرتي ✫ و كلّ بطيء في الهوي و مسارع
أيذهب مدحاً من محبّك ضايعاً ✫ و ما المدح في جنب الاله بضايع
فأنت الّذي أعطيت إذ كنت راكعاً ✫ زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ✫ و ثبّتها في محكمات الشرائع

ذكر ذلك صاحب المنهاج باسناده و سيأتي في باب ردّ الشبهات أطراف اُخر في هذا .

---

(١) البقرة : ٢٣٨ .

و قال دعبل الخزاعيّ ، الساعي بنشر فضائله أحسن المساعي :

نطق القران بفضل آل محمد ✿ و ولاية لعليه لم تجحد
بولاية المختارمن خير الورى ✿ بعد النبيّ الصادق المتودّد
إذ جاءه المسكين حال صلاته ✿ فامتدّ طوعاً بالذراع وباليد
فتناول المسكين منه خاتماً ✿ هبةالكريم الأجوديّ الأجود
فاختصّه الرحمن في تنزيله ✿ من حاز مثل فخاره فليعدد
إنّ الاله وليّكم و رسوله ✿ والمؤمنون ومن يشأفليجحد
يكن الإله خصيمه فيها غداً ✿ والله ليس بمخلف في الموعد

و قال السيّد الرضيّ في جملة مدائحه لأمير المؤمنين عليه السلام :

و من سمحت بخاتمه يمين ✿ تضنّ بكلّ عالية الكعاب
أهذا البدر يكسف بالدياجي ✿ وعين الشمس تعمش بالضباب

و قال العونيّ :

تصدّق بالختّام لله راكعاً ✿ فأثنى عليه الله في محكم الذكر
و أنزل فيه الله وحياً مفصّلاً ✿ لدى هل أتى إذقال يوفون بالنذر

و قال أيضاً :

أبن لي من في القوم جاد بخاتم ✿ على السائل المعترّ إذجاءقانعا ؟
و جاد به سرّاً فأفشاه ربّه ✿ و بيّن من كان المصدّق راكعا

و قال آخر :

أيمن بخاتمة تصدّق راكعاً ✿ يرجو بذاك رضاالقريب الداني
حتّى تقرّب منه بعد نبيّه ✿ بولاية و شواهد و معاني
بولاية في آية لأولي النهى ✿ جاءت حصاهم واحد و اثنان
الأوّل الصمد المقدّس ذكره ✿ و نبيّه و وصيّه التبعان
هل في تلاوتها بأنّ ذوي هدى ✿ من قبل ثالث أهلها يليان

ومنها قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام «إنّي جاعلك للناس إماما قال و من ذرّيّتي

قال لا ينال عهدي الظالمين[١] » وقد قال الربّ العليم « إنّ الشرك لظلم عظيم[٢] » و أبو بكر و عمر و عثمان عبدوا الأوثان ، برهة من الزمان .

إن قيل : توبتهم ترفع الظلم عنهم . قلنا: اللّفظ مطلق فتخصيصه بوقت ترجيح بغير مرجّح ، ولأنّه قد تقرّر في الأصول عدم اشتراط بقاء المعنى في صدقه .

إن قيل : فعلى هذا يطلق على أكابر الصحابة الّذين أسلموا أنّهم ظلمة . قلنا : سلّمنا ذلك لغةً و نمنع منه شرعاً .

إن قيل : فعليّ يدخل في ذلك لتجدّد إسلامه قلنا : لا ، بل أظهر الاسلام لانعقاد إجماع الأنام ، أنّه لم يسجد للأصنام ، ولهذا اختصّ وحده بكرّم الله وجهه .

إن قيل : « لا ينال عهدي الظالمين » مهملة و هي كالجزئيّة فيصير التقدير لا ينال عهدي بعض الظالمين ولا يدلّ هذا في الثلاثة على خروجهم من وصول العهد إليهم . قلنا : عهدي مضاف و هي للعموم و الألف و اللاّم للاستغراق و ذلك يدلّ على أنّها كلّيّة وقد قيل بسقوط المهملة في كلام العرب لأنّ القضيّة إن وجدفيها الألف واللاّم فكلّيّة و إن عدما فجزئيّة فلامهملة ، على أنّ « لا ينال » نكرة منفيّة فهي للعموم كما قرّر في العربيّة و أيضاً « ينال عهدي الظالمين » موجبة جزئيّة على رأي الخصم فنقيضها « لا ينال عهدي » سالبة كلّيّة و لأنّه يصحّ استثناء كلّ زمان منه و هو معيار العموم فما يهول به كلام موهوم .

إن قيل : تقديم حرف النفي دلّ على السلب الجزئيّ . قلنا : كلام المنفرد بالجلال ، أصدق من هذا الخيال ، إذ قال « ولاتقتلوا النفس . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تقربوا الزنى ، ولا تأكلوا الرّبى[٣] » . و غيرها .

إن قالوا : هذه نواهي و ما نحن بصدده خبر ، فلا قياس . قلنا : فقوله : لا إله إلاّ الله خبر ولا تدركه الأبصار خبر مع جواز أن يراد بالخبر في قوله « لاينال

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) الانعام : ١٥١ ، البقرة : ١٨٨ ، أسرى : ٣٢ ، آل عمران : ١٣٠ .

عهدي الظالمين » النهي كما في لا تجتمع أُمّتي على ضلال على رأي من ضمّ عينها و يكون ذلك نهياً لابراهيم عليه السلام أن يجعل الامامة في ظالم .

إن قيل : إمامة إبراهيم هي النبوّة و نحن نسلّم اشتراط النبوّة بعدم الظلم ولا يلزم ذلك في الامامة . قلنا : الإمامة فرع النبوّة فالمانع منها مانع منها ، مع أنّ صريح الآية في الامامة و لمّا استلزمت النبوّة الإمامة ذكر الله سبحانه اللاّزم ثمّ نفاه عن الظالم .

إن قيل : إنّما نفى الملزوم و هو النبوّة فلا يلزم من نفيه نفي اللازم و هو الإمامة ، قلنا : هذا خلاف ظاهر الآية .

إن قيل : نمنع كون مانع الأصل مانع الفرع كما ذكرتم ، فانّ القاضي فرع النبيّ و الامام و ليس مانعهما مانعه . قلنا : بينهما فرقان فانّ وجود النبيّ و الامام عليه السلام يمنع النائب من ارتكاب الآثام ، خوفاً من عزله و الضرب على يده بخلاف الامام ، إذ قيامه بمصالح الأنام بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله .

إن قيل : لايتعيّن العهد لكونه للامامة . قلنا : تالي الكلام مبنيٌّ على مقدّمته و مقدّمته الامام ، ألا ترى لو قال الملك لشخص : إنّي جاعلك وزيراً . فقال : ومن ذرّيّتي فقال الملك : لايصل عهدي إلى من كان شريراً ، فهم السامعون من غير تأخير عدم وصول الوزارة إلى الشرير ولو سلّمنا اشتراك لفظ العهد لم يضرّنا الوجوب حمل اللّفظ على عمومه ، فتدخل الامامة فيه ، و هذا مثل قول القائل لا ينال عطائي الفاسق فانّه يقتضي نفي جنس عطائه عنهم بالإطلاق .

قال فخر الدين الرازيّ : هذه الآية كما دلّت على أنّ عليّاً هو الامام بعد الرسول دلّت على أنّه لم يكفر طرفة عين لأنّه لو كان قد كفر للزم بحكم الآية أن لا يكون أهلاً للامامة و ثبت أيضاً أنّ أبابكر و العبّاس ليسا أهلاً لها بمقتضى الآية ، فلو جاز الكفر عليه لزم خروج الثلاثة عن مقتضى الآية و هي أهليّته للامامة ، و كان إجماع الأمّة على أنّ الامامة بعد الرسول لأحد الثلاثة باطلاً ، و بطلان الاجماع باطل ، و أبوبكر و العباس كانا كافرين ، فثبت أنّ عليّاً لم يكفر

طرفة عين لئلاّ يلزم الطعن في الاجماع انتهى ملخّصاً .

وقد أسند الفقيه الشافعيُّ عن عليِّ بن المغازليِّ في كتاب المناقب أنَّ النبيَّ ﷺ قال : انتهت دعوة إبراهيم عليه السلام وهي قوله « واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام» إليَّ و إلى عليٍّ فأنا و عليٌّ لم يسجد أحدنا لصنم فاتّخذني نبيّاً و اتّخذ عليّاً وصيّاً وقد طلب النبيُّ ﷺ غلاماً لم يعبد صنماً فأتوه بزيد بن ثابت فجعل إليه كتابة الوحي فالنبيُّ لم يجوِّز كتابة الوحي لمن عبد وثناً ولو آية فكيف يجوِّز أن يحكّم في دين الله من كان أكثر عمره في الشرك بالله .

و أسند ابن المغازليِّ في الكتاب من طرق عدَّة قول النبيِّ ﷺ : يا عليُّ إنّك سيّد المسلمين ، و إمام المتّقين ، وقائد الغرِّ المحجّلين ، و يعسوب المؤمنين و أسند في طرق آخر قوله ﷺ : أوحى الله إليَّ ليلة الإسراء في عليٍّ أنّه سيّد المرسلين ، و إمام المتّقين ، و قائد الغرِّ المحجّلين . و أسند نحوه من طريق آخر وفي آخره : قائد الغرِّ المحجّلين إلى جنّات النعيم .

و أسند إليه ﷺ في طريق آخر : أنَّ الله تعالى عهد إليَّ في عليٍّ عهداً فقلت يا ربِّ بيّنه لي فقال : اسمع ، قلت : سمعت قال : إنَّ عليّاً راية الهدى ، و إمام أوليائي ، و نور من أطاعني ، و هو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه أحبّني ، و من أطاعه أطاعني ، فبشّره بذلك ، فبشّرته ، فقلت : اللّهمَّ أجلِ قلبه واجعل ربيعه الايمان ، فقال عزَّ وجلَّ : فقد فعلت .

و أسند الخطيب في تاريخه إلى النبيِّ ﷺ : ما في القيامة راكب غير أربعة أنا و صالح و حمزة و أخي عليُّ بن أبي طالب على ناقة من الجنّة ، بيده لواء الحمد ينادي بالشهادتين ، فتقول الخلائق هذا نبيٌّ مرسل ، أو ملك مقرَّب ؟ فينادون هذا عليُّ بن أبي طالب وصيُّ رسول ربِّ العالمين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرِّ المحجّلين .

و أسند ابن مردويه و هو من ثقاتهم إلى أبان بن تغلب عن مسلم قال : سمعت أبا ذر و المقداد و سلمان يقولون : كنّا قعوداً عند النبيِّ ﷺ إذ أقبل ثلاثة من المهاجرين ، فقال ﷺ : تفترق اُمّتي بعدي ثلاث فرق فرقة أهل حقّ لايشوبونه

بباطل ، مثلهم كالذهب كلّما فتنته النار زاد جودة و طيباً و إمامهم هذا وأشار إلى أحد الثلاثة ، و هو الّذي أمر الله في كتابه إماماً و رحمة و فرقة أهل باطل لايشوبونه بحقّ مثلهم كخبث الحديد كلّما فتنته النار زاد خبثاً و إمامهم هذا ، فسألتهم عن أهل الحقّ و إمامهم فقالوا : عليّ بن أبي طالب إمام المتّقين ، و أمسكوا عن الآخرين فجهدت في الآخرين أن يسمّوهما فلم يفعلوا .

هذه رواية أهل المذهب ، وأمّا الفرقة المحقّة فروى الحسين بن جبر في نخبه مرفوعاً إلى الباقر عليه السلام قال : لمّا نزل قوله تعالى : « و كلّ شيء أحصيناه في إمام مبين [1] » قيل : يا رسول الله هو التورية و الانجيل أو القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وآله : لا فأقبل عليّ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : هذا هو الإمام المبين الّذي أحصى الله فيه كلّ شيء .

و روى الفقيه ابن بابويه في أماليه و ذكره عدّة مشايخ في كتبهم عن ابن عبّاس قال : صعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فخطب واجتمع الناس فقال : إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّي مقبوض وأنّ ابن عمّي مقتول وإنّي اُخبركم ما إن عملتم به سلمتم و إن تركتموه هلكتم إنّ ابن عمّي هذا عليّ أخي ووزيري ، وهو خليفتي ، وهو المبلّغ عنّي ، وهو إمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، إن استرشدتموه أرشدكم ، وإن اتّبعتموه نجوتم ، وإن خالفتموه ضللتم ، وإن أطعتموه فالله أطعتم ، و إن عصيتموه فالله عصيتم ، وإن بايعتموه فالله بايعتم ، و إن نكثتم بيعته فبيعة الله نكثتم ، إنّ الله تعالى أنزل عليّ القرآن فمن خالفه ضلّ ، ومن ابتغى علمه عند غير عليّ هلك .

وهذا الخبر رواه أبو الفرج المعافا بن زكريّا و أخطب خوارزم و في آخر رواية الخطيب : عليّ بن أبي طالب إمام اُمّة محمّد ، و حجّة الله بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فقد ظهر بنقل الفريقين المتعادين ، والخصمين المتباينين ، لنقل لايحتمل التأويل والابهام أنّ عليّ بن أبي طالب هو الإمام .

إن قيل : لايلزم من قوله « خليفتي » ومن قوله « هو الإمام » وغير ذلك نفي

---

(١) يس : ١٢ .

خلافة غيره لما تقرّر في الأُصول من عدم الدلالة للتقييد بالوصف على عدم الحكم .
قلنا : بل قد ذهب جماعة إلى نفي الحكم عند نفي الوصف لئلّا يلزم العبث في القيد بالوصف ، وهو قويّ .

على أنّ النصّ على الامام إمّا من قبل نفسه وتبطله « وما ينطق عن الهوى » أو من الله تعالى فان أمره بالنصّ على الكلّ جار إذ لم ينصّ على البعض ، و إن أمره بالنصّ على البعض لزم الترجيح بلا مرجّح لمساواة الكلّ في العلّة ، و أيضاً فالامام ينصب لكشف حيرة الأُمّة لزيادة علومه ، وليس في أبي بكر كشف حيرة الأُمّة لنقيصة علومه .

ولهذا لمّا قال هشام بن الحكم لعمرو بن عبيد : ألك عين ؟ قال : نعم أبصر بها قال : ألك أنف ؟ قال : نعم أشمّ به . قال : ألك اُذن ؟ قال : نعم أسمع بها ، قال : ألك فم ؟ قال : نعم أذوق به ، قال : ألك قلب ؟ قال : نعم اُحقّق كلّما ورد على هذه الجوارح و يزول شكّها قال : فلا غناء لها عنه مع سلامتها قال : نعم ، قال : لم يترك الله جوارحك من إمام يزيل شكّها و يترك الخلق في حيرتها بغير إمام يزيل اختلافها .

وممّا سنح لجامع الكتاب :

نفسي الفداء لمن قال النبيّ له ✡ أنت الامام بلا شكّ ولا خلل
وأنت يعسوب أهل الدين قائدهم ✡ غرّ إلى الجنّة الغرّ ذوي حجل
وأنت كلمته التقوى الّتي لزمت ✡ إليك حمل اللّوا في الموقف الوهل
إليك دعوة إبراهيم قد وصلت ✡ روى المعادي لها عن سيّد الرسل
من ذكره جاء في الذكر الحكيم هلا ✡ سوى الامام أمير المؤمنين عليّ
فالويل والخزي للغاوين عن رجل ✡ له المزايا الّتي لم تلق في رجل
مع أنّ أعداءه يخفونها حسداً ✡ و الأولياء له يخفون من وجل

ومنها قوله تعالى « إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد » [1] صنّف أحمد بن محمّد بن

---
(١) الرعد : ٧ .

سعيد كتاباً في نزولها في عليّ وذكرها الحسكاني في شواهد التنزيل و المرزباني فيما اُنزل في عليّ والثعلبي في تفسيره عن ابن عبّاس أنّها لمّا نزلت وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال: أنا المنذر و أومأ بيده إلى منكب عليّ و قال: وأنت الهادي يهتدي بك المهتدون، من بعدي.

وذكره ابن مردويه في المناقب ورواه الثعلبي عن عليّ عليه السلام أيضاً وعن جابر مسندةً وعن ابن المسيّب مسندةً وأسندها الحسين بن جبر في كتاب نخب المناقب إلى عليّ عليه السلام وإلى ابن عبّاس أيضاً وإلى الضحّاك والزجّاج وأبي بردة أيضاً أنّه قال دعا النبي ﷺ بالطهور و عنده عليّ وأخذ بيده بعد ماتطهّر وألصقها بصدره وقال: « إنّما أنت منذر »، ثمّ ردّها إلى صدر عليّ و قال: « و لكلّ قوم هاد » فقد بان بنقل الموالي و المعادي أنّ عليّاً هو الهادي و إطلاق كونه هو الهادي بإجمال الله و تفصيل رسول الله، يقتضي كونه هادياً في سائر أوقاته وذلك مستلزم لعصمته.

إن قيل: فكون عليّ هادياً لايستلزم سلب هداية غيره، وقد قال النبي ﷺ أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم. قلنا: الألف و اللام في الهادي دليل الاستغراق، و لولا اختصاصه من الهداية بما لا يوجد في غيره، لخلت الفايدة عن نزول الآية فيه، وإفراد النبي له بذكره دون غيره، و إنّما ذلك ليتقرّر في قلوب المسلمين زيادة مرتبته الموجبة للتقديم، كما جرت عادت فصحاء الأنام بترجيح الخاصّ على العامّ، وقد نطق القرآن « بفاكهة ونخل و رمّان » وقال عزّ من قائل «الملائكة وجبريل وميكال ».

إن قيل: يجوز أن يكون الهادي هو النبي أي أنت منذر وأنت لكلّ قوم هاد ويكون ذلك دليل عموم نبوّته. قلت: تردّ هذا الاحتمال، ويلحقه بالمحال، شهرة المفسّرين و كتب الراسخين، وأشعار السالفين:

وقد أنشد الحميري في ذلك:

هما أخوان: ذا هاد إلى ذا ✿ و ذا فينا لامّته نذير

فأحمد منذر وأخوه هاد ✿ دليل لايضلّ ولا يجور

وأيضاً فعموم نبوّته قد جاء في قوله تعالى « وما أرسلناك إلّا كافّة للناس »[١] وهي أعمّ من قوله « ولكلّ قوم هاد » على تقدير تخصيص القوم بالذّكران كما ورد به القرآن في قوله تعالى « لايسخر قوم من قوم ولانساء من نساء »[٢] فعلى الاحتمال إحدى الآيتين تؤكّد الاُخرى، وعلى المشهور تفيد آية الهادي تأسيساً وهو مقدّم على التأكيد ، لزيادة فائدته دون التأكيد .

ومنها قوله تعالى « أفمن يعلم أنّما اُنزل إليك من ربّك الحقّ »[٣] أسند ابن جبر في نخبه إلى أبي جعفر عليه السلام قال : الحقّ عليّ بن أبي طالب . وذكره محمّد ابن مروان عن السدّيّ ، عن الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس .

وعنه عليه السلام أيضاً في قوله تعالى « يا أيّها النّاس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم فآمنوا خيراً لكم »[٤] يعني بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى « وقل الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[٥] يعني بولاية عليّ .

وعنه عليه السلام أيضاً في قوله تعالى « ويستنبؤنك أحقّ هو قل أي و ربّي »[٦] أي يسألونك عليّ وصيّك ؟ قل أي وربّي .

وعن اُبيّ بن كعب : نزلت سورة العصر في عليّ و أعدائه فإنّ « إلّا الّذين آمنوا » فيه عليه السلام لقوله تعالى « إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا »[٧] و « عملوا الصالحات » فيه لقوله « الّذين يقيمون الصلاة »[٨] الآية « وتواصوا بالحقّ » أيضاً فيه لقوله صلّى الله عليه وآله « الحقّ مع عليّ و عليّ مع الحقّ » و « تواصوا بالصبر » لقوله

(١) السبأ : ٢٨ . (٢) الحجرات : ١١ .
(٣) الرعد : ٢١ . (٤) النساء : ١٦٩ .
(٥) الكهف : ٢٩ . (٦) يونس : ٥٣ .
(٧و٨) المائدة : ٥٥ .

تعالى « والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس(١) » وقد سلف ذلك .

وسئل أبوذرّ عند اختلاف الناس عنه فقال عليك بكتاب الله و الشيخ عليّ بن أبي طالب فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول : عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع عليّ وعلى لسانه ، يدور حيث مادار عليٌّ .

وذكر ابن جبر في نخبه أنَّ محمّد بن أبي بكر قال لعايشة : أليس قلت : الزم عليّاً فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول : إنّه مع الحقّ والحقُّ معه لايفترقان حتّى يردا على الحوض ؟ قالت : بلى ، وناشدها عبدالله ومحمّد بن أبي بكر ذلك فاعترفت به وذكره السمعانيُّ في فضائل الصحابة وفي تفسير « طسم تلك آيات الكتاب »(٢) الآية للثماليّ أنَّ الآيات منادٍ ينادي من السماء آخر الزمان ألا إنّ الحقَّ مع عليّ و شيعته .

وأمّا المخالف فرواه سعد بن أبي وقّاص وروى عبيد الله بن عبدالله حليف بني اُميّة أنّه كان بين سعد و معاوية كلام فروى سعد هذا الخبر ، فقال له معاوية : لتأتينّي بمسموعك بالمؤيّد و إلّا قتلتك فدخلوا على اُمّ سلمة فقالت : في بيتي قاله وروى مالك العربيُّ(٣) ، نحوه ، هذا كلّه ذكر صاحب النخب وروى مثله الجرجانيُّ القاضي والخوارزميُّ الخطيب في تاريخه و أسند الآجريُّ في الجزء الثاني من كتاب الشريعة أنَّ عمّاراً دخل على النبيِّ ﷺ فرحّب به فقال : سيكون في اُمّتي بعدي هناة واختلاف حتّى يقتل بعضهم بعضاً ويتبرّأ بعضهم من بعض ، فاذا رأيت ذلك فعليك بعليّ إن سلك الناس كلّهم وادياً وعليٌّ وادياً فاسلك وادي عليّ ياعمّار إنّه لم يزل عن هدى ، ياعمّار طاعة عليّ من طاعتي وطاعتي من طاعة الله .

و في تاريخ الخطيب أنَّ علقمة و الأسود عاتبا أبا أيّوب الأنصاريّ لقتاله المسلمين مع عليّ في صفّين فقال : إنَّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاث فرق مع عليّ : الناكثين وهم أصحاب الجمل ، وقد قاتلناهم ، والقاسطين وهم أصحاب معاوية

---

(١) البقرة : ١٧٦ .　　(٢) الشعراء : ١ .

(٣) العوفى خل .

وهذا منصرفنا عنهم ، والمارقين والله ما أدري أين هم ولكن لابدّ من قتالهم ، لأنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول لعمّار : تقتلك الفئة الباغية ، وأنت إذ ذاك مع الحقّ و الحقّ معك إن سلك عليّ وادياً و الناس كلّهم وادياً فاسلك وادي عليّ فانّه لن يدخلك في ردىً ولن يخرجك من هدى ، يا عمّار من تقلّد سيفاً و أعان عليّاً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار فقالا : حسبك رحمك الله .

وروى ابن مردويه في كتاب الأربعين بطريق عائشة قول النبيّ ﷺ : الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ لن يفترقا حتّى يردا على الحوض ، ورواه أيضاً بطريق اُمّ سلمة .

وروى هو أيضاً عن الأصبغ بن نباتة لمّا اُصيب زيد بن صوحان بالجمل وقف عليه عليّ وبه رمق وقال : يرحمك الله ماعرفتك إلّاخفيف المؤنة كثير المعونة فقال: وأنت يرحمك الله ماعرفتك إلّا بالله وبآياته عارفاً والله ماقاتلت معك عن جهل ولكنّي سمعت من حذيفة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عليّ أمير البررة ، و قاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله ألا وإنّ الحقّ معه يتبعه ألا فميلوا معه .

إذا عرفت هذا فقد علم بنقل الفريقين تأخيره عن بيعة أبي بكر فان كان الحقّ في التأخّر فالباطل في البيعة ، و إن كان في البيعة فقد فارق عليّ الحقّ و بطل الخبر .

إن قالوا : تأخّر عليّ كان لعذر هو جمع القرآن فلا يلزم خروجه عن الحقّ ولا خروج البيعة عن الحقّ وإلّا لبطلت إمامة عليّ حين تأخّر عن النهوض فيها العذر قلنا : لا ، بل الصواب إن كان في العجلة في البيعة فالخطأ في التأخير وإلّا ففيها وجمع القرآن ليس عذراً مانعاً عنها مع استدراكه بعدها ، ولو كان تأخّره لذلك لم يخرج من بيته مكرهاً إليها وجلوسه عن طلب حقّه بالسيف ليس جلوساً عن إمامته، فانّه طلب الامامة بلسانه وذكر تظلّماته ، ولو لم يرد في ذلك رواية لكان في نصوص النبيّ عليه كفاية .

إن قالوا : فالبيعة صارت حقّاً بموافقته . قلنا : أمّا عندنا فانّه لم يوافق عليها أبداً والسكوت لايدلّ على الرضا باطناً . على أنّها لو كانت إنّما صارت حقّاً ببيعته عليه‌السلام لزم الدّور لأنّ البيعة لا تجوز لغير مستحقّها فلو توقّف استحقاق الخلافة عليها دار .

إن قالوا : يلزم مثله في النصّ إذ يقال : لايجوز النصّ بالخلافة لغير مستحقّها ثمّ إنّه لايستحقّها إلاّ بالنصّ فدار . قلنا : لانقول إنّما يستحقّها بالنصّ بل النصّ كاشف عن سبق استحقاقها لأجل الصفات و المزايا الموجبة لها ، الّتي علم الله في عليّ حصولها ، و ليس لهم جعل البيعة كاشفة لأنّهم قالوا صارت حقّاً بالبيعة ، فكانت باطلا قبلها ، ولاإجماع للرعيّة على الخواصّ الموجبة لها مع أنّ البيعة لم تصر حقّاً ببعض الاُمّة لعدم الاجماع فيها و عليّ عندكم ليس بمعصوم حتّى يلزم صحّتها بدخوله فيها .

إن قالوا : هو عندكم معصوم فيلزمكم صحّتها بدخوله فيها ، قلنا عندنا أنّه لم يدخل فيها فلم نحكم بصحّتها فلا إلزام لكم علينا فيها ، و أمّا كلّ الأمّة فلم تجتمع عليها لاشتهار بني هاشم وغيرهم على خلافها و إنشاء أشعارهم بتهجينها ، قال بريدة الأسلميّ :

يا بيعة هدموا بها ☆ اُسّاً و حيث دعائم
أتكون بيعتهم هدى ☆ و تغيب عنها هاشم
ويكون رائدها إذاً ☆ مولى حذيفة سالم
فليصبحنّ و كلّهم ☆ أسف عليها نادم
أمر النبيّ معاشر ☆ هم اُسوة و لهاذم
أن يدخلوا ويسلّموا ☆ تسليم من هو عالم
إنّ الوصيّ له الامامة بعده بالناس فيها قائم
و العهد لا مخلوق ☆ منه ولا متقادم

ونحو هذا كثير نكتفي عنه بعنوانه ، من أراده طلبه من مكانه .

و منها قوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى [1] » و القربى عليّ وفاطمة وابناهما لما أسنده ابن حنبل إلى ابن عبّاس أنّهم قالوا : من قرابتك الّذين وجبت محبّتهم ومودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة و ابناهما . و نحوه في تفسير الثعلبيّ وفي الجزء الخامس من صحيح مسلم و السادس من صحيح البخاريّ عن ابن جبير : القربى آل محمّد ، قلت : من آله ؟ قال : أهله ، و قد قيل معنى « إلّا » في الآية « غير » وأراد بها التعظيم للقربى . كما قال الشاعر :

فلا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ☆ بهنّ فلول من قراع الكتائب

أراد المبالغة في مدحهم و القرابة نسباً في عليّ أصدق وبه ألصق ، فإنّه أوّل من ولد بين هاشميّين وقال عليه السلام :

محمّد النبيّ أخي و صنوي ☆ وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي ☆ و ممتزج بها لحمي و دمّي
و سبطا أحمد ولداي منها ☆ فمن منكم له سهم كسهمي

وأمّا القرابة حكماً فليس لأحد سواه ما حواه [من] الجوار ، والاُخوّة ، و المصاهرة ، والنفوسيّة ، والغدير ، والوصيّة ، وبراءة ، والعشيرة ، وتبوك ، والراية والوراثة للعلوم والسلاح والبغلة والمتاع والعمامة .

و أبوبكر احتجّ في السقيفة لخلافته بالقرابة فان كان له القليل منها فلعليّ مجموعها فان كانت الحجّة فيها فعليّ أولى بها ولأنّه أنقذهم من النار بسيفه دون غيره كما أنقذهم النبيّ صلّى الله عليه وآله بهداه فإرادة الله تعالى بمودّتهم و جعلها أجر سفارة نبيّهم دليل على أنّ مودّتهم أوجب من غيرهم ، ولهذا فهموا أنّها واجبة حيث سألوا عن قرابته صلّى الله عليه وآله فقالوا : من قرابتك الّذين أوجبت علينا مودّتهم ؟ وإذا كانت أوجب فالخلافة فيهم إذ لو كانت في غيرهم كانت مودّته أولى منهم .

إن قالوا : ففاطمة تلك المودّة تتناولها ولا خلافة لها . قلنا : خرجت من الخلافة بالنصوص المتواترة على غيرها فلا ينتقض حكم الآية بها .

---

(١) الشورى : ٢٣ .

و منها قوله تعالى : « و من يتولَّ الله و رسوله والّذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغالبون[1] » روى ابن جبر في نخبه عن الباقر عليه السلام أنّها نزلت في عليّ وأسند في نخبه أيضاً إلى الصادق عليه السلام أنّ أهل كلّ سماء ليلة الأسرى أقرّوا بولاية محمّد و عليّ و فضيلة شيعتهما و أسند في نخبه إلى حذيفة أنّ الله تعالى فرض على الخلق خمسة : الصلاة ، و الزكاة ، و الحجّ ، و الصوم ، والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذوا الأربعة و تركوا الخامسة وهي الولاية الواجبة من الله تعالى قال المهلّبيّ.

فرض الولاية للوصيّ ✩ أهمّ من كلّ الفروض
لا عذر فيه مستفيض للمسافر و المريض

و أسند في نخبه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله : من سرّه أن يحيى حياتي ، ويموت ميتتي و يدخل جنّة عدن منزلتي ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليأتمّ بالأوصياء من ولده و نحو ذلك ذكر في حلية الأولياء و فضائل أحمد و خصائص النطنزيّ .

و أسند في نخبه أنّ رجلين تشاجرا في الامامة فأتيا شريكاً فأسند إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الله تعالى خلق عليّاً قضيباً من الجنّة فمن تمسّك به كان من أهل الجنّة فاستعظم الرجل ذلك ، فأتيادرّاجاً فأخبراه بذلك فقال : أتعجبان من ذلك ثمّ أسند حديثاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الله خلق قضيباً من نور فعلّقه ببطنان عرشه لا يناله إلّا عليّ و من تولّاه من شيعته ، فقال الرجل : هذه اُخت تلك فأتيا وَكيعاً فأخبراه فقال : أتعجبان من هذا ثمّ أسند إلى النبيّ صلى الله عليه وآله : أنّ أركان العرش لا ينالها أحد إلّا عليّ و من تولّاه من شيعته ، فاعترف الرجل المنازع بولايته .

و في أسباب النزول عن الواحديّ « ومن يتولّ الله و رسوله و الّذين آمنوا » يعني بهم عليّاً و في الكافي : ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء لم يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد و وصيّة عليّ .

و يعضده ما رواه جماعة أهل البيت ، و ابن إسحق ، و الشعبيّ ، و الأعمش ، و الاصفهانيّ ، و ابن جبر في نخبه ، و الحسكانيّ ، وابن عباس ، و النطنزيّ أنّ قوله

---

(١) المائدة : ٥٦ .

تعالى « وقفوهم إنّهم مسؤلون [١] » عن ولاية عليّ بن أبي طالب و رواه الديلميّ عن الخدريّ و قال صاحب شرح الأخبار: « ولا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون [٢] » يعني بولاية عليّ بن أبي طالب .

و في تفسير الثعلبيّ لمّا صلّى محمّد بالأنبياء ليلة الإسراء بعث الله إليه ميكائيل أن يقول للأنبياء : على ما اُرسلتم ؟ فقالوا : على ولايتك و ولاية عليّ بن أبي طالب و نحوه روى أبو نعيم المحدّث ، و روى صاحب النخب أنّهم كانوا تسعين نبيّاً منهم موسى و عيسى .

و أسند الشافعيّ ابن المغازليّ من طرق عدّة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : لا يمرّ على الصراط إلّا من معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب و نحوه روى جماعة من الأصحاب و في كتاب الكلينيّ في قوله تعالى « و من يطع الله و رسوله - في ولاية عليّ بن أبي طالب - فقد فاز [٣] » و فيه أنّ اسم عليّ مذكور في عشرة مواضع من القرآن قال ابن شهر آشوب رأيته في مصحف ابن مسعود في ثمانية مواضع .

و أسند الشيرازيّ في تفسيره إلى السدّيّ قال صخر بن حرب للنبيّ صلى الله عليه وآله : يا رسول الله هذا الأمر من بعدك لنا أم لغيرنا ؟ فقال صلى الله عليه وآله : لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى : « عمّ يتساءلون - عن خلافة عليّ - عن النبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون كلّا سيعلمون ـ أنّ خلافته حقّاً تكون ـ ثمّ كلّا سيعلمون [٤] » حين عن ولايته يسألون في قبورهم فلا يبقى ميّت إلّا و يسئل عن ربّه و دينه و نبيّه و إمامه .

و أسنده ابن جبر في نخبه إلى عليّ عليه السلام وفي رواية الأصبغ : أنا النبأ العظيم أقف بين الجنّة و النار و أقول : هذا لي و هذا لك ، و ذكر نحوه في نخبه أيضاً من طريقين آخرين و في السؤال عن ولايته أدلّ دليل على وجوبها على كلّ شخص في

---

(١) الصافات : ٢٤ . (٢) آل عمران : ١٠٢ .
(٣) الاحزاب : ٧١ . (٤) النبأ : ٤ .

حياته ، لامتناع أن يسئل عمّن لم يؤمر باتّباعه .

و أسند الشيرازيّ إلى ابن عباس أنّ الله تعالى يأمر مالكاً يوم القيامة باسعار النيران ، ورضوان بزخرف الجنان ، وميكائيل بمدّ الصراط على جهنّم ، وجبرائيل بنصب ميزان العدل تحت العرش ، و ينادي : يا محمّد ! قرّب اُمّتك للحساب ثمّ يقعد على الصراط سبعة قناطر طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ ، على كلّ قنطرة سبعون ألف ملك قيام يسألون نساء هذه الاُمّة و رجالها على القنطرة الاُولى عن ولاية أمير المؤمنين و حبّ أهل بيت محمّد فمن أتى بها دخلها كالبرق الخاطف ، و من لا [يأت بها] سقط على اُمّ رأسه في قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال الثقلين عمل سبعين صدّيقاً .

و أمّا كون حزب عليّ هم الغالبون فأسند المفيد في إرشاده قول النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ عليّاً وشيعته هم الغالبون ألا إنّ شيعة عليّ هم الفائزون وأسند أيضاً قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : يدخل الجنّة من اُمّتي سبعون ألفاً لاحساب عليهم ولاعذاب ، ثمّ التفت إلى عليّ فقال : هم شيعتك و أنت إمامهم .

و روى هو أيضاً أنّ علياً اشتكى إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله حسد الناس له ، فقال صلّى الله عليه وآله : أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسنان و ذرّيتهما خلف ظهورهما وأحبّاؤنا خلف ذرّيتنا و شيعتنا عن أيماننا و شمائلنا .

و في مسند ابن حنبل : يا عليّ من فارقني فقد فارق الله ، و من فارقك فقد فارقني ، و في مسنده أيضاً من أحبّك فقد أحبّني و حبيبك حبيبي و حبيبي حبيب الله ، و عدوّك عدوّي ، و عدوّي عدوّ الله ، فالويل الويل لمن أبغضك بعدي .

وقد روى الفريقان كون الحقّ لا يفارقه ، فهو أمير حزب الله و رسوله ، و ليس بعد حزب الله الغالب الفاخر إلّا حزب إبليس الناكب الفاجر وقد سلف منّا أنّ الله تعالى بعث الأنبياء على ولايته ، و أنّ الناس لا يجوزون الصراط إلّا باجازته و ذلك يوجب حتم اعتقاد إمامته بغير فصل لاطلاق لفظ النبيّ و إشارته ، ولم يوجد لمن تأمّر عليه قطرة من هذه المدائح ولا ذرّة من هذه المنائح ، وقد ارتجل مؤلّف

الكتاب فقال في هذا الباب :

نزل الكتاب مبيّناً ☆ فرض الوصيّ على العموم
و أتى الحديث مؤكّداً ☆ و منافيا جحد الخصوم
يا للرّجال لأمّة ☆ مالت إلى رجل ظلوم
و تناكبت في تركها ☆ وجه الصراط المستقيم
ميلاً إلى دنيا دنيّة فعل شيطان رجيم
فغدا الّذي كتم النصوص يكبّ في نار الجحيم

و منها قوله تعالى « و الّذين آمنوا بالله و رسوله اُولئك هم الصدّيقون [١] » أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عبّاس قال : صدّيق هذه الأمّة عليّ بن أبي طالب و الشهداء عليّ و حمزة و جعفر .

و أسند أيضاً في روايات من كتابه إلى الباقر و الصادق و الكاظم والرضا عليهم السلام و زيد بن عليّ أنّ قوله تعالى « و الّذي جاء بالصدق و صدّق به [٢] » هو عليّ بن أبي طالب .

و أسند أيضاً إلى ابن عباس قوله تعالى « اُولئك الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين [٣] » يعني محمّداً « و الصدّيقين » يعني علياً « و الشهداء » يعني علياً و جعفر وحمزة والحسنين عليهم السلام .

و في شرف النبيّ صلى الله عليه وآله عن الخر كوشيّ و الكشف و البيان عن الثعلبيّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه [٤] » حمزة و عليّ و جعفر و نحوه أسند الشيرازيّ و زاد أنّ علياً هو الصدّيق الأكبر .

---

(١) الحديد : ١٩ .
(٢) الزمر : ٣٣ .
(٣) النساء : ٦٨ .
(٤) الاحزاب : ٢٣ .

و روى ابن بطّة في الابانة وأحمد في الفضائل و شيرويه الديلميّ في الفردوس قول النبيّ ﷺ : الصدّيقون ثلاثة : عليّ بن أبي طالب و حبيب النجار وحزقيل مؤمن آل فرعون .

و في أربعين الخطيب وفضائل أحمد و كشف الثعلبيّ قال النبيّ ﷺ : سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين ثمّ ذكر الثلاثة و قال : و عليّ أفضلهم ورواه ابن حنبل مسنداً إلى ابن أبي ليلى بطريقين و رواه الشافعيّ ابن المغازليّ عن ابن حنبل وقد قال عليه السلام : أنا الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمت قبل أن يسلم ورواه المفيد في إرشاده ونحوه أسند الثعلبيّ في تفسيره و زاد : أنا عبدالله وأخو رسول الله و أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كذّاب مفتر ، و مثله روى ابن حنبل في مسنده .

و أسند الخوارزميّ في الأربعين إلى النبيّ ﷺ أنّ عليّاً عليه السلام يُنادى يوم القيامة بسبعة أسماء : يا صدّيق ، يا دالّ ، يا عابد ، يا هادي ، يا مهديّ ، يافتى ، يا عليّ ، مرّ أنت وشيعتك بغير حساب .

و في الخبر قال ابن سلام للنبيّ ﷺ : ما اسم عليّ فيكم ؟ قال : الصدّيق الأكبر قال : الله أكبر، ثمّ أسلم ، فقال : إنّا نجد في التوراة محمّد نبيّ الرحمة ، عليّ مقيم الحجّة ، قال العبديّ :

أبو كم هو الصدّيق آمن و اتّقى　　✩　　وأعطى وما أكدى وصدّق بالحسنى

و أنشأ المؤلّف مضاهياً لهذا المولى :

عليّ هو الصدّيق جاء به الذكر　　✩　　و أخبار أقوام به لهم خبر
فمن ينكر النصّ الجليّ مبادراً　　✩　　إليه فلا يعدوه في حشره خسر
لما أنّه أبدا عداوة ربّه　　✩　　فقد لزم التعذيب إذ لزم الكفر

إذا عرفت هذا فقد نصّ الجوهريّ و الفارسيّ على أنّ الصدّيق هو الملازم للصدق الدائم عليه ، الّذي صدّق فعله قوله ، و الصدّيقون نبيّون و غيرهم ، و

الصالحون صدّيقون و غيرهم ، فكلّ نبيّ صدّيق ، ولا ينعكس ، و كلّ صدّيق صالح ولا ينعكس .

و نعني بعدم العكس عدم الشمول لا ما اصطلح عليه المنطقيّون فانّ العكس هنا صادق عندهم إذ الموجبة الكلّيّة تنعكس موجبة جزئيّة فكلّ نبيّ صدّيق ينعكس في المنطق إلى بعض الصدّيق نبيّ وهو حقّ. وقد علم من ذلك أنّ مرتبة الصدّيق متوسّطة بين مرتبة النبيّ و مطلق الصالح فالصدّيق ينقسم إلى ثلاثة : نبيّ « يوسف أيّها الصدّيق » إمام : « كونوا مع الصادقين » وقد مضى ذلك قريباً و من ليس بأحدهما كحبيب و حزقيل و نحوهما . وقد أفرده اللّفظ النبويّ بأنّه أفضلهما فدلّ على اختصاصه بالامامة .

إن قلت : لا يلزم من الأفضليّة الانتهاء إلى الامامة إذ التفاضل واقع في الأشياء مع عدم الامامة . قلت : فيلزم ذلك في قوله عليه السلام : أنا الصدّيق الأكبر . فلو لم يكن هو الامام لم يكن الأكبر لأنّه انطلق له لفظ الأكبر .

إن قلت : فيلزم كونه أكبر من النبيّ . قلت : قد أخرجه الدليل ، فيختصّ به دون غيره ، هذا وقد أقسم عليه السلام مع كونه للصدق ملازماً و للمين مجانباً على ما صحّ في اللّغة بقول ذينك الامامين ونقل في الأحاديث من الفريقين في خطبته الشقشقيّة و غيرها قال عليه السلام : و أيم الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة و هو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحا ، ينحدر عنّي السيل ، و لا يرقى إليّ الطير . وسيأتي جانب من ذلك في شيء من تظلّماته عليه السلام .

إن قلت : فالقطب لا يستقلّ بنفسه في منفعة الرحا ، فيكون المتقدّم عليه مكمّلاً لمنفعة الرحا قلت : هذا وهم لا يغني من الحقّ شيئاً لأنّ القطب يستقلّ في الحركة الدوريّة بنفسه وحركة الرحا لا تكون إلّا به و كلامه عليه السلام يدلّ على أنّ فلانا وضع نفسه في محلّ القطب وليس أهلاً لها ولا يخفى ذلك على من له أدنى بصيرة إلّا أن تردّه نفسه الشريرة الأمّارة بخبث السريرة .

و منها قوله تعالى « و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل

فتفرّق بكم عن سبيله (١) » أسند إبراهيم الثقفيُّ إلى الأسلميِّ قول النبيِّ ﷺ سألت الله أن يجعلها لعليٍّ ففعل .

و أسند الشيرازيُّ من أعيانهم إلى قتادة عن الحسن البصريِّ في قوله « هذا صراطي مستقيماً » قال : يقول : هذا طريق عليِّ بن أبي طالب وذرّيته طريق مستقيم و دين مستقيم فاتّبعوه ، تمسّكوا به فانّه واضح لا عوج فيه .

و في تفسير وكيع عن السدّيّ و مجاهد عن ابن عباس في قوله « اهدنا الصراط المستقيم » معناه أرشدنا إلى حبِّ النبيِّ و أهل بيته .

و في تفسير الثعلبيِّ و كتاب ابن شاهين : الصراط محمّد و آله و أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس في قوله تعالى « و ستعلمون من أصحاب الصراط السويِّ و من اهتدى (٢) » الصراط السويُّ هو والله محمّد و أهل بيته .

و أسند أيضاً عن حمزة بن عطاعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « هل يستوي هو و من يأمر بالعدل (٣) » قال : هو عليُّ بن أبي طالب يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم .

و أسند أيضاً إلى ابن عباس وزيد بن عليٍّ في قوله : « و يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٤) » . يعني ولاية عليِّ بن أبي طالب .

وأسند إلى جابر الأنصاريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ أشار إلى عليٍّ وقال : هذا صراط مستقيم فاتّبعوه ، و أسند أيضاً إلى ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان يحكم وعليٌّ بين يديه و رجل عن يمينه و آخر عن يساره فقال : اليمين و الشمال مضلّة و الطريق المستوي الجادّة ، هذا ـ و أشار إلى عليٍّ بيده ـ فاتّبعوه .

و أسند عن الحسن أنَّ ابن مسعود وعظ فسئل عن الصراط المستقيم فقال : طرفه في الجنّة و ناحيته عند محمّد و عليٍّ و أسند إلى أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى

---

(١) الانعام : ١٥٣ . (٢) طه : ١٣٥ .
(٣) النحل : ٧٦ . (٤) يونس : ٢٥ .

« فاستمسك بالّذي أُوحي إليك إنّك على صراط مستقيم [١] » يعني على ولاية عليّ و هو الصراط المستقيم .

و في الخصائص عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « إنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون [٢] » قال : عن ولايتنا . وأسند محمّد بن جعفر المشهديّ إلى عبدالله بن عبّاس قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ : أنت صاحب حوضي و لوائي، وزوج ابنتي ، و وارث علمي ، و مستودع مواريث الأنبياء ، و أمين الله في أرضه ، وحجّته على خلقه ، و ركن الايمان ، و مصباح الدّجى ، و منار الهدى ، و العلم المرفوع لأهل الدنيا ، من تبعك نجا ، و من تخلّف عنك هلك ، و أنت الطريق الواضح و الصراط المستقيم .

و أسند أيضاً إلى عبدالله ابن عمر أنّه قال : قال لي أبي : اتّبع هذا الأصلع فانّه أوّل الناس إسلاماً و الحقّ معه فانّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول في قوله تعالى : « أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم [٣] » عليّ صراط مستقيم فالناس مكبّون على الوجوه غيره ، لأنّهم يحتاجون إلى هداه و فقهه ، فاذا كان هو الصراط المستقيم إلى الله وأهل البيت هوأعلاهم كان أولى بالاتّباع و التقديم و أحرى من غيره بالتحكيم ، عند كلّ ذي عقل سليم ، و هذه غاية لا مزيد عليها ، ولا يمكن المحيد عنها ، و الطعن فيها ، قال أبو الفتح الواسطيّ :

هذا علي النبأ العظيم تفهّموا ☆ وهوالصراط المستقيم إلى الهدى
هذا علي دنيا و ديني فاعلموا ☆ فليستحيد لجيده المستنقدا

تذنيب : ذكر صاحب المصالت عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : إنّهم عن الصراط لناكبون . قال عليه السلام : الأوّل و الثاني و الثالث عن الولاية معرضون .

---

(١) الزخرف : ٤٣ . (٢) المؤمنون : ٧٥ .
(٣) الملك : ٢٢ .

و منها قوله تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى [١] » أسند ابن جبر في نخبه إلى الرضا عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وآله من أحب أن يتمسّك بالعروة الوثقى ، فليتمسّك بحب علي بن أبي طالب و روى أيضاً في نخبه: العروة الوثقى ولاية علي بن أبي طالب .

إن قلت : إنّ الله تعالى جعلها الكفر بالطاغوت و الايمان بالله . ولم يذكر علياً ؟ قلت : ردّ ذلك إلى الرسول أوجب حيث يقول : « و لوردّوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم [٢] » ولو كان من كفر بالطاغوت و آمن بالله حسبُ حصل بالعروة الوثقى ، لم يبق بالاقرار بالنبوّة فائدة وهو باطل بالاجماع ، و حيث وجب التمسّك بالنبيّ وجب بمن عيّنه النبيّ . قال ابن حمّاد :

علي المعلّى القدر عند مليكه ✡ و إن أكثرت فيه الغواة ملامها
وعروته الوثقى الّتي من تمسّكت ✡ يداه بها لم يخش قطّ انفصامها

و منها قوله تعالى : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً [٣] » أسند ابن جبر في نخبه إلى العبديّ أنّ أعرابياً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن هذه الآية فأخذ بيد علي و قال : هذا حبل الله فاعتصموا به ، و أسند مثله إلى الباقر عليه السلام .

و أسند أيضاً إلى الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « ضربت عليهم الذلّة أينما ثقفوا إلّا بحبل من الله و حبل من الناس [٤] » . قال عليه السلام : حبل من الله كتابه ، و حبل من الناس علي ابن أبي طالب .

و أسند الثعلبي في تفسيره إلى الصادق عليه السلام : نحن حبل الله الّذي قال فيه « و اعتصموا بحبل الله » و إذا أمر الله و رسوله بالاعتصام به فقد هلك من لم يعتصم به ، و من تأمّر عليه لم يعتصم به ، فهلك من تأمّر عليه ، قال الحميري :

إنّا وجدنا له فيما نخبّره ✡ بعروة العرش موصولاً بها سبباً
حبلاً متيناً بكفيّه له طرف ✡ شدّ العراج إليه العقد والكربا

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .
(٢) النساء : ٨٢ .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٤) آل عمران : ١٢٢ .

من يعتصم بالعرى من حبله فله ✡ أن لا يكون غداً في الحال منعطبا

و منها قوله تعالى : « و صالح المؤمنين (١) » أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس قول النبيّ ﷺ : عليّ باب الهدى بعدي ، و الداعي إلى ربّي ، و صالح المؤمنين .

و أسند إلى زيد بن عليّ أنّ الناصر للحقّ و صالح المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، و روى نحوه السدّيّ عن ابن عباس و الخضرميّ عن أبي جعفر و الثعلبيّ عن أبي جعفر و عن الباقر عن عليّ عن النبيّ ﷺ و ذكره الثعلبيّ في تفسيره .

إن قيل : فصالح لا يدلّ على الأصلح ، قلنا : بل العرف يوجب ذلك لأنّ قولنا فلان عالم قومه و زاهد بلده ، يراد به أعلم و أزهد ، و لأنّه أخبر أنّه ناصر نبيّه ، و جبرائيل عند وقوع التظاهر ذكر [مع] صالح المؤمنين ولا يذكر في النصر إلاّ من كان في الدفاع أمنعهم وفي الذبّ عنه أنفعهم إذ لا يليق ذكر ضعيف ولا متوسّط في النصرة فانّ الملك لا يهدّد من يروم سلطانه بمثلها بل بمن هو الأعلى في مرتبة النصرة ، و لهذا إنّ علياً هدّد معاوية بمالك الأشتر حيث إنّه معروف بالشجاعة مشهور بالبراعة ، و إذا كان عليّ أصلح ، فتقديمه أنجح ، لأنّه الأرجح ، فالقول بامامته الأربح .

و منها « يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (٢) » روت الفرقة المحقّة أنّها في عليّ عليه السلام و رواه الثعلبيّ في تفسيره .

قالوا : الآية في أبي بكر و أصحابه لأنّهم الّذين قاتلوا المرتدّين . قلنا : تنزيل الآية على اليقين المستقيم أولى من تنزيلها على الظنّ والترخيم ، والمحبّة(٣)

---

(١) التحريم : ٤ . (٢) المائدة : ٥٧ .

(٣) والحجة ، خ ل .

له سنذكرها عند فتح خيبر ، و المبالغة فيها عند خبر الطائر المشويّ و الذلّة على المؤمنين لم تصدق على أبي بكر و صاحبيه . بما أحدثوا في فاطمة و بنيها و ردّ جماعة من المؤمنين بالسيف عن شهادتها ، و العزّة على الكافرين إنّما هي نعتاً له ، و لم يكن لأبي بكر حظّاً في جهادهم إذ لم نعرف له قتيلاً بل ولا جريحاً منهم و إنّما شاع ذلك من عليّ فيهم ، فاذا كذبت هذه الأوصاف عليهم ، كيف يقال إنّ الآية نزلت فيهم ، و إذا اجتمعت لعليّ عليه السلام كيف يقال إنّه معزول عن هذا المقام .

و المشهور في اللّسان أنّ [زمان] سوف أنفس من زمان السين ، و زمان حرب عليّ بعد أبي بكر أنفس من زمان أبي بكر ، وقد روي عن عمّار و حذيفة وغيرهما قوله عليه السلام في البصرة : والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلا « و من يرتدّ منكم عن دينه » الآية .

و منها : « إنّا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان [١] » روى محمّد بن الحسن برجاله إلى الصادق عليه السلام أنّ الأمانة في الآية هي الولاية لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام .

و منها : « الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [٢] » أسند محمّد بن يحيى إلى الصادق عليه السلام قال : «آمنوا » بما جاء به محمّد من الولاية « ولم يلبسوا أيمانهم بظلم » لم يخلطوه بولاية فلان و فلان .

و منها : « يا أيّها الّذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا [٣] » أسند عليّ بن إبراهيم إلى الصادق عليه السلام أنّها كانت آمنوا بما نزّلناه في عليّ .

و منها : « ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به -في عليّ- لكان خيراً لهم [٤] » هكذا أسندها عليّ بن إبراهيم إلى أبي جعفر عليه السلام .

ومنها : « هذان خصمان اختصموا في ربّهم [٥] » أسند البخاريّ في آخر كراس

---

(١) الاحزاب : ٧٢ .
(٢) الانعام : ٨٢ .
(٣) النساء : ٤٧ .
(٤) النساء : ٦٥ .
(٥) الحج : ١٩ .

من الجزء الخامس من صحيحه أنّ علياً عليه السلام قال : أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة .

و منها : « بل تؤثرون الحياة الدنيا[١] » يعني ولايتهم « والآخرة خير وأبقى » ولاية عليّ ، هكذا أسنده معلّى إلى الصادق عليه السلام .

ومنها : « أفكلّما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم[٢] » ولاية عليّ « استكبرتم ففريقاً كذّبتم » من آل محمد « و فريقاً تقتلون » أسنده إلى أبي جعفر عليه السلام .

و منها : « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه[٣] » من ولاية عليّ هكذا أسنده الحسين بن محمد إلى الرّضا عليه السلام .

ومنها : « وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض[٤] » قال الشيرازيّ في كتابه المستخرج من التفاسير الاثنى عشر عن ابن مسعود : الخلافة من الله لثلاثة : آدم « إنّي جاعل في الأرض خليفة[٥] » داود : « إنّا جعلناك خليفة[٦] » عليّ عليه السلام « ليستخلفنّهم في الأرض[٧] » .

و منها : « و ربّك يخلق ما يشاء و يختار[٨] » و سيأتي أيضاً قال في الكتاب المذكور قال النبيّ صلى الله عليه وآله اختارني وأهل بيتي فجعلني الرسول وجعل علياً الوصيّ .

و منها : « و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً[٩] » أسند أحمد بن مهران إلى أبي جعفر عليه السلام الطريقة هي ولاية عليّ و الأوصياء .

و منها : « إنّما أعظكم بواحدة[١٠] » أسند الحسين بن محمد إلى أبي جعفر عليه السلام أنّها ولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً[١١] »

---

(١) الاعلى : ١٦ . (٢) البقرة : ٨٧ . (٣) الشورى : ١٣ .
(٤) النور : ٥٥ . (٥) البقرة : ٣٠ .
(٦) ص : ٢٦ . (٧) النور : ٥٥ .
(٨) القصص : ٦٨ . (٩) الجن : ١٦ .
(١٠) السبأ : ٤٦ . (١١) النساء : ١٣٧ .

أسند معلّى ابن محمّد إلى الصادق عليه السلام أنّها نزلت في فلان و فلان آمنوا بالنبيّ فلمّا قال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » كفروا ثمّ آمنوا بالبيعة لعليّ عليه السلام ثمّ كفروا بعد مضيّ النبيّ ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من تابعه بالبيعة و هؤلاء لم يبق فيهم من الايمان شيء .

و منها : « إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى (١) » باسناد معلّى إلى الصادق عليه السلام أنّها في فلان و فلان ارتدّوا عن ولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله (٢) » قال الصادق عليه السلام : نزلت والله فيهما و في أتباعهما كرهوا ما أنزل الله في عليّ عليه السلام .

و منها : « و من يرد فيه بالحاد بظلم (٣) » نزلت فيهم حيث تعاقدوا في الكعبة على جحودهم ما أُنزل في عليّ عليه السلام .

و منها : « فلنجزينّ الّذين كفروا (٤) » أسند الحسين بن محمّد إلى الصادق عليه السلام : كفروا بولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « إنّكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أُفك (٥) » أسند محمّد بن يحيى إلى أبي جعفر عليه السلام القول المختلف الولاية يؤفك عن الجنّة من قد أُفك عنها .

و منها : « فلا اقتحم العقبة و ما أدريك ما العقبه فكّ رقبة (٦) » أسند الحسين ابن محمّد إلى الصادق عليه السلام أنّ ولاية أمير المؤمنين فكّ رقبة .

و منها : « فالّذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار (٧) » أسند عليّ بن إبراهيم إلى أبي جعفر عليه السلام كفروا بولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « هنالك الولاية لله الحقّ (٨) » أسند الحسين بن محمّد إلى الصادق عليه السلام أنّها ولاية عليّ عليه السلام .

---

(١) القتال : ٢٥ .
(٢) القتال : ٢٦ .
(٣) الحج : ٢٥ .
(٤) فصلت : ٢٧ فيه: ولنذيقنّ الذين كفروا .
(٥) الذاريات : ٩ .
(٦) البلد : ١٣ .
(٧) الحج : ١٩ .
(٨) الكهف : ٤٥ .

و منها : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة [١] » أسند محمّد بن يحيى إلى الصادق عليه السلام أنّ الله تعالى أصبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق .

و منها : « فأبى أكثر الناس إلاّ كفوراً [٢] » أسند عبد العظيم إلى أبي جعفر عليه السلام : فأبى أكثر الناس إلاّ كفوراً بولاية عليّ قال : و هكذا اُنزلت .

قال : و نزلت : « فقل الحقّ من ربّكم » في ولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « و حبّب إليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم [٣] » فعن الصادق عليه السلام يعني به أمير المؤمنين [عليّاً] عليه السلام .

و منها : « و لقد اُوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك [٤] » عن الصادق عليه السلام أي لئن أشركت في ولاية عليّ عليه السلام غيره و سيأتي في حديث الغدير .

و منها : « بلى من كسب سيّئة و أحاطت به خطيئته [٥] » قال : جحدوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فاُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

و منها : « لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهداً [٦] » أسند محمّد ابن يحيى إلى الصادق عليه السلام العهد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و الأئمّة من بعده .

و منها : « من يطع الله و رسوله [٧] » أسند الحسين بن محمّد إلى الصادق عليه السلام يطع الله و رسوله في ولاية عليّ و الأئمّة من بعده قال : و هكذا نزلت .

و منها : « يا أيّها الّذين آمنوا لا تؤذوا رسول الله [٨] » روى الحسين بن محمّد عنهم عليهم السلام لا تؤذوا رسول الله في ولاية عليّ و الأئمّة من بعده .

---

(١) البقرة : ١٣٨ .
(٢) أسرى : ٨٩ ، الفرقان : ٥٠ .
(٣) الحجرات : ٧ .
(٤) الزمر : ٦٥ .
(٥) البقرة : ٨١ .
(٦) مريم : ٨٧ .
(٧) النور : ٥٢ .
(٨) الاية ليست هكذا بل في القرآن : و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده . الاحزاب : ٣٣ .

و منها : « هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات » الآية [١] أسند الحسين بن محمّد إلى الصادق عليه السلام الآيات المحكمات هو أمير المؤمنين والأئمّة و الاُخر المتشابهات فلان و فلان [و فلان] « فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم » أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام .

و منها : « فأقم وجهك للدّين حنيفاً [٢] » أسند عليُّ ابن إبراهيم إلى أبي جعفر عليه السلام أنّه الولاية .

و منها : « و بشّر الّذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم [٣] » عن أبي جعفر عليه السلام هو الولاية لعليّ عليه السلام .

و منها : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم [٤] » أسند عليُّ بن محمّد إلى أبي الحسن الماضي يريدون ليطفئوا نور الله ولاية أمير المؤمنين والله متمّ نوره قال : متمّ الامامة له .

و منها : « هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ [٥] » قال : أرسله بالولاية لوصيّه وهي دين الحقّ « ليظهره على الدين كلّه » عند قيام القائم «ولو كره الكافرون » لولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « وقفوهم إنّهم مسؤولون [٦] » بطريق الحافظ أبي نعيم إلى ابن عباس و ابن سلام و مجاهد أي مسؤلون عن ولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام و مثله في الفردوس للديلميّ عن الخدريّ و مثله في الآيات المنتزعات عن ابن عباس .

و عن الحافظ أبي نعيم في قوله تعالى : « ثمّ لتسئلنّ يومئذٍ عن النعيم [٧] » قال : عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام و من مناقب ابن المغازليّ : « وإنّه لذكر

---

(١) آل عمران : ٧ .
(٢) الروم : ٣٠ .
(٣) يونس : ٢ .
(٤) الصف : ٨ .
(٥) براءة : ٣٣ .
(٦) الصافات : ٢٤ .
(٧) التكاثر : ٨ .

لك و لقومك و سوف تسئلون [1] » عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام و غير الامام لا يسئل عن ولايته ، و لهذا إن ابن عباس عند موته كان يتقرب إلى الله بولايته ، و يجعلها خاتمة ما يكتسب له من عمله ، مع كونه كنيفا مملوءاً علماً كما قال علي عليه السلام فيه .

و في كتاب أبي نعيم الذي استخرجه من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر الأندلسي في قوله تعالى : « واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا [2] » أن النبي صلى الله عليه وآله قال : لما اُسري بي إلى السماء جمع الله تعالى بيني وبين الأنبياء وقال : سلهم على ما بعثتم ؟ فسألتهم فقالوا : على شهادة أن لا إله إلا الله و على الاقرار بنبوتك و الولاية لعلي بن أبي طالب ، و إذا كان الله تعالى بعث الأنبياء على ذلك كيف يرضى لنفسه بالعدول عن ذلك ، و في هذا كفاية لمن أراد نجاته و عدل مألوف آبائه و وهمياته وقد سلف ذلك في الفصل الخامس و العشرين من الباب السابع .

و منها : « و الذي جاء بالصدق و صدق به [3] » روى ابن المغازلي عن مجاهد أن الذي صدق به علي بن أبي طالب و رواه غير واحد و عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أول أهل الجنة دخولاً علي بن أبي طالب وقال لأبي دجانة : أما علمت أن لله لواءاً من نور ، و قصوراً من ياقوت ، مكتوب بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد خير البرية . صاحب اللواء و إمام القيامة هذا ، و ضرب بيده على علي بن أبي طالب .

و منها : « في بيوت أذن الله أن ترفع [4] » أسند الثعلبي إلى أنس و بريدة أنها بيوت الأنبياء فقال أبو بكر : يا رسول الله هذا البيت منها ؟ - يعني بيت علي و فاطمة - قال : نعم ، من أفاضلها .

قلت : المقصود من البيوت أهلها إذ لا فضيلة لها بمجردها قال شاعر :

ألا يا بيت في العلياء بيت ✡ ولو لا حب أهلك ما أتيت

(١) الزخرف : ٤٤ .
(٢) الزخرف : ٤٥ .
(٣) الزمر : ٣٣ .
(٤) النور : ٣٦ .

ألا يا بيت أهلك أوعدوني ✡ بأنّي كلّ ذنبهم جنيت

فظاهر حديث النبيّ ﷺ أنّه جعل علياً من أفاضل الأنبياء فيستحقّ التقدّم و هو بيّن لمن ترك الهوى .

و منها : « فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه [1] » أسند ابن المغازليّ إلى ابن عباس أنّه سأل الله بحقّ الخمسة ولو لا أنّه علم أشرفيّتهم عند ربّهم لما توسّل إليه بهم .

و منها : « و لتعرفنّهم في لحن القول [2] » أسند الحافظ إلى الخدريّ : لحن القول بغض عليّ عليه السلام .

و منها : « هو الّذي أيّدك بنصره و بالمؤمنين [3] » أسند أبو نعيم إلى أبي هريرة مكتوب على العرش : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أيّدته بعليّ ابن أبي طالب .

قلت : فمن عدل عنه عدل عن تأييد دينه و إيمانه ، و سقط في غيّ قرينه و شيطانه .

و منها : « يا أيّها النبيّ حسبك الله و من اتّبعك من المؤمنين [4] » في طريق أبي نعيم الحافظ أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب .

و منها : « ومن عنده علم الكتاب [5] » أسند بطريق أبي نعيم و تفسير الثعلبيّ أنّما هو عليّ بن أبي طالب ، و هذا نصّ يوجب التقديم لاحاطته بعلم الكتاب دون غيره ، فيستحقّ التقديم على جاهل ميراث الجدّ و غيره « أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع » الآية وقد استوفيت الكلام على هذه الآية في الفصل الثامن عشر من الباب السابع فليطلب منه .

و منها : « و أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا [6] » أسند ابن مردويه

---

(١) البقرة : ٣٧ . (٢) القتال : ٣٠ .

(٣) الانفال : ٦٣ . (٤) الانفال : ٦٤ .

(٥) الرعد : ٤٣ . (٦) فاطر : ٣٢ .

إلى عليّ عليه السلام أنّه قال : نحن هم .

و منها : « يوم لا يخزي الله النبيّ و الّذين آمنوا معه[1] » أسند أبو نعيم إلى ابن عباس : أوّل من يكسى من حلل الجنّة إبراهيم ومحمّد ثمّ عليّ يزفّ بينهما ثمّ قرء الآية .

قلت : ولا يساويهما في الكرامة ، إلّا من له منزلة الامامة .

و منها : « ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد [2] » قيل : سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله : أنا و عليّ نقوم على يمين العرش فيقول الله لنا : ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد . أي من أبغضكما و كذّبكما . وقد كذّبه من اعتقد إمامة غيره لأنّه ادّعاها لنفسه و نصبه النبيّ صلى الله عليه وآله عن أمر ربّه .

و منها : « و من يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى [3] » أسند ابن مردويه أنّ من بعد ما تبيّن له الهدى في أمر عليّ .

ومنها «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم»[4] قال الامام الطبرسيّ : أسند الحسكانيّ إلى الأصبغ بن نباتة أنّ ابن الكوّاء سأل علياً عليه السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام : ويحك نحن نقف بين الجنّة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه وأدخلناه الجنّة و من أبغضنا عرفناه بسيماه و أدخلناه النار .

وقد أسند ابن البطريق في العمدة قول النبيّ صلى الله عليه وآله ينصب الصراط على شفير جهنّم لم يجز عليه إلّا من معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب .

فهذه قطرة ممّا منحت به ☆ على مزايا خواصّ أنت منطمع
فكن بها منقذي من هول مطلعها ☆ يوماً وأنت على الأعراف تطّلع

و منها : « و ممّن خلقنا أمّة يهدون بالحقّ و به يعدلون [5] » قال عليّ بن

---

(١) التحريم : ٨ .
(٢) ق : ٢٤ .
(٣) النساء : ١١٤ .
(٤) الاعراف : ١٨٠.
(٥) الاعراف : ٤٥ .

أبي طالب عليه السلام : هم أنا و شيعتي .

و منها : « فآمنوا بالله و رسوله و النور الّذي أنزلنا [١] » أسند أبو جعفر الطبريّ إلى ابن عباس أنّ النور ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

و منها : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم [٢] » الآية أسند أبوجعفر الطبريّ إلى ابن عباس أنّ سادات قريش كتبت صحيفة تعاهدت فيها على قتل عليّ و دفعوها إلى أبي عبيدة الجرّاح أمير قريش فنزلت الآية فطلبها النبيّ صلى الله عليه وآله منه فدفعها إليه فقال : أكفرتم بعد إسلامكم فحلفوا بالله لم يهمّوا بشيء منه فأنزل الله « يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا [٣] » و لمّا حكم الله بكفرهم عند الهمّ على قتله علم أنّ الله اختاره للولاية على خلقه ، إذ المقرّر في الشريعة أنّ الهمّ بقتل غيره غير موجب لتكفيره .

و منها : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد [٤] » الآية روى سلمان بن عبدالله عن الصادق عليه السلام هم الّذين كذّبوا بولاية عليّ بن أبي طالب الوصيّ « و الله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » لتكذيبهم بولاية عليّ عليه السلام « فصدّوا عن سبيل الله » والسبيل وصيّ رسول الله « ذلك بأنّهم آمنوا » برسالتك « ثمّ كفروا » بولاية وصيّك .

و منها : « كمشكوة فيها مصباح [٥] » أسند ابن المغازليّ إلى الحسن: المشكاة فاطمة ، و المصباح الحسن ، و الزجاجة الحسين ، و الشجرة إبراهيم « يكاد زيتها يضيء » قال : يكاد العلم ينطق منها إمام بعد إمام « يهدي الله لنوره من يشاء » قال يهدي لولايتنا من يشاء .

و منها : « يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة [٦] » روى الاصفهانيّ الأمويّ من عدّة طرق إلى عليّ عليه السلام أنّه قال : السلم ، ولايتنا أهل البيت ، وعن

---

(١) التغابن : ٨ .
(٢) المجادلة : ٧ .
(٣) براءة : ٧٥ .
(٤) المنافقون : ١ .
(٥) النور : ٣٥ .
(٦) البقرة : ٢٠٨ .

الباقر و العابد عليهما السلام نحوه ، وعن الباقر : أُمروا والله بولاية عليٍّ بن أبي طالب .

ولقد قال بعض الأعيان في هذا الشأن :

أصخ واستمع آيات وحي تنزّلت ☆ بمدح إمام بالهدى خصّه الله

ففي آل عمران المباهلة الّتي ☆ بانزالها أولاه بعض مزاياه

و أحزاب حم و تحريم هل أتى ☆ شهودٌ بما أثنى عليه و زكّاه

و إحسانه لمّا تصدّق راكعاً ☆ بخاتمه يكفيه من نيل حسناه

و في آية النجوى الّتي لم يفز بها ☆ سواه سنا رشد به تمّ معناه

و أزلفه حتّى تبوّأ منزلاً ☆ من الشرف الأعلى و آتاه تقواه

و أكنفه لطفاً به من رسوله ☆ بوارق إشفاق عليه و ربّاه

و أرضعه أخلاف أخلاقه الّتي ☆ هداه بها نهج الهدى فتوخّاه

و أنكحه الطهر إلبتول و زاده ☆ بأنّك منّي يا عليُّ و آخاه

و شرّفه يوم الغدير و خصّه ☆ بأنّك مولى كلّ من كنت مولاه

و لو لم يكن إلاّ قضيّة خيبر ☆ كفت شرفاً فيما تراءت سجاياه

﴿ الباب التاسع ﴾

فيما جاء في النصّ عليه من رسول الله ﷺ المستلزم لا بطال إمامة المتقدّم عليه ، و يندرج فيه شيء من كلام الله سبحانه لشدّة الملازمة بينهما و هو قسمان جليّ و خفيّ : فالجليّ مثل قوله ﷺ : سلّموا عليه بامرة المؤمنين ، هذا خليفتي عليكم اسمعوا له و أطيعوا ، و الخفيّ مثل حديث الغدير و المنزلة و ربما علم مدلوله بالاستدلال الموجب لليقين و موافقة المخالف على نقله و تلقّي الاُمّة له بقبوله وهو اُمور كثيرة نذكر منها نبذة يسيرة من طريق الخصم أوّلاً ليكون ألزم للحجّة و أثبت للنفس على المحجّة ، و فيه نصوص و سيأتي بعدها فصول .

فالنصوص :

منها : ما أخرجه ابن الأثير في جامع الاُصول قال و أخرجه الترمذيّ قال: قال النبيّ ﷺ : رحم الله عليّاً اللّهمّ أدر الحقّ معه حيث دار، و هو عليه السلام دارعن بيعة الأوّل بيقين فتكون مبائنة للحقّ بدعوة سيّد المرسلين ، و ليس لأحد أن يقول : لا يلزم من الدّعاء وقوع المدعوّ به . للزوم ردّ دعاء النبيّ ﷺ ولا يقول بذلك إلاّ الغويّ ؛ و لأنّه ﷺ لا يدعو إلاّ بالاذن له في الدعاء لقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » .

و منها : ما أخرجه الملاّ في المجلّد الخامس من الوسيلة فيما خصّ به عليّ من حديث الغدير نادى النبيّ ﷺ الصلاة جامعة و أخذ بيد عليّ و قال : ألست بأولى من كلّ مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال ﷺ : هذا مولى من أنا مولاه اللّهمّ وال من والاه ، و عاد من عاداه ، فلقيه عمر بعد ذلك و هنّأه بأنّه مولى كلّ مؤمن ومومنة .

قالوا : لفظ المولى يشتمل على العتق و النصرة و غيرهما فلا تتعيّن ولاية

المؤمنين بها ، قلنا : تالي الخبر يبني على مقدّمة و في مقدّمته ولاية النبيّ صلى الله عليه وآله على المؤمنين ، و لأنّ صاحب الوسيلة ذكر ذلك فيما يختصّ بأمير المؤمنين ولو اُريد غيره لشاركه كثير من المسلمين ولو اُريد ماقالوه من نصرته لم يكن عمر ناصراً لهم بحكم تهنيته .

إن قيل : إنّ عليّاً كان له مبالغة في النصرة دون عمر وغيره فليكن الاختصاص لأجلها لا لعدم المشاركة في أصلها . قلنا : مبالغته معلومة لكلّ أحد فالنصّ عليها بعد ذلك في مثل الحرّ الشديد ، وما أتى عليه من التوكيد ، يجري مجرى إيضاح الواضحات ، ولا شكّ أنّ ذلك من أعظم العبثات .

وقد قيل : إنّ ذلك الحديث من وضع ابن الراونديّ ولو كان صحيحاً أو صريحاً لاحتجّ به و لما عدل عنه عليّ عليه السلام يوم الشورى إلى ذكر فضائله من سبقه إلى الاسلام ، و إفنائه الطغام ، و مبيته على فراش خير الأنام ، و تجهيزه لرسول الملك العلاّم ، و تخصيصه بالأسهام بأنه أحبّ الخلق إلى الله تعالى في خبر الطائر المشويّ عنه عليه السلام إلى غير ذلك ممّا ذكر من صفات الإكرام . قلنا : إنّما عدل عن ذكر النصّ لوجهين :

١ ـ لو ذكره فأنكروه حكم بكفرهم حيث أنكروا متواتراً .

٢ ـ إنّهم قصدوا في الشورى الأفضل فاحتجّ عليهم بما يوجب تقديمه في زعمهم .

قالوا : طلب العبّاس مبايعة عليّ دليل عدم النصّ . قلنا : إنّما طلبها لمّا جعلوها طريقاً فأراد أن يسبقهم إلى بيعته بما يلتزمون بصحّته .

قالوا : طلب عليّ بيعة أصحابه دليل على عدم نصّه قلنا : الخلافة حقّه فله التوصّل إليها بما يمكنه .

قالوا : بويع أبوبكر و لم يدّع أحد لعليّ نصّاً . قلنا : جاء من وجوه ذكره البخاريّ و الاصفهانيّ و غيرهم .

قالوا : طلبت الأنصار منهم أميراً ومنهم أميراً فلانصّ . قلنا : عليّ لم يحضرهم

فيدّعيه بل كان مشغولاً بمصيبة النبيّ ﷺ فسارع غيره إلى فرجة خلافته و ما أحسن قول بعضهم في يوم السقيفة :

حملوها يوم السقيفة أثقالا　　تخفّ الجبال و هي ثقال

ثمّ جاؤا من بعدها يستقيلون　　و هيهات عثرة لا تقال

قالوا: جهل الأوّل والصحب الوصيّة لعليّ. قلنا : فكيف نقلوها في صحاحهم عن النبيّ و إنّما ذلك لجحودهم بعد عرفانهم كما قال تعالى في الكفّار : « و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً »[1] و سيأتي تكميل ذلك في ردّ الشبهات و المعترفون بوجود حديث الغدير وهم الجلّ و الجمهور كما ستعرفه في كتبهم طعنوا بما هو أوهن من بيت العنكبوت في دلالته لمّا لم يتمكّنوا من الطعن في متنه .

فرواه أحمد بن حنبل في مسنده بطريق ثمانية : عليّ بن أبي طالب ، و البراء ابن عازب ، و زيد بن أرقم ، و شعبة ، و أبي الطفيل ، وبريدة ، و الفضل ، وعبدالله ابن الصقر ، و رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في مسنده بطريق ثمانية أيضاً رباح ، و زاذان ، و ابن أرقم بطريقين ، و سعيد بن وهب ، و شعبة ، والبراء ، وعبدالرزّاق .

و أورده أحمد ابن عبد ربّه في الجزء التاسع و العشرين من كتاب العقد ، و أورده مسلم في الجزء الرابع من صحيحه على حدّ ثمان قوائم من أوّله و ذكره الثعلبيّ في مواضع من تفسيره و ذكره الحميديّ في الجمع بين الصحيحين من أفراد مسلم و ذكره رزين العبديّ في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح الستّة و في سنن أبي داود السجستانيّ و صحيح الترمذيّ .

و رواه في المناقب في اثني عشر طريقاً الفقيه الشافعيّ عليّ بن المغازليّ وقال: حديث صحيح رواه مائة نفس و هو ثابت لا أعرف له علّة تفرّد عليّ بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد . هذا آخر كلامه .

و أسنده في كتاب الخصائص محمّد بن عليّ النطنزيّ الّذي قال فيه محمّد بن النجّار

---

(١) النمل : ١٤ .

أنه نادرة الفلك و كان أوحد أهل زمانه ، و رواه ابن إسحاق ، وابن مردويه ، وابن أبي شيبة ، و ابن الجعد ، و شعبة ، و الأعمش ، وابن عبّاس ، و ابن الفلاّح ، وابن البيّع ، و ابن ماجه ، و البلاذريّ ، و الاصفهانيّ ، و الدارقطنيّ ، و المروزيّ ، و الباقلانيّ ، و الجوينيّ ، و الخركوشيّ ، و السمعانيّ ، و الشعبيّ ، و الزهريّ ، و الأقليشيّ ، و الجعابيّ ، و اللالكائيّ ، و شريك القاضي ، و النسائيّ ، و الموصليّ من عدّة طرق و ابن بطّة من ثلاثة و عشرين طريقاً ، و صنّف فيه المهلّبيّ كتاباً و ابن سعيد كتاباً و الشجريّ كتاباً و الرازيّ كتاباً و هؤلاء كلّهم من أهل المذاهب الأربعة .

شعر

فأنت الامام بما قد رووه ☆ وأنت الوصيّ وأنت الخليفة

و من لا يدين بما قد رووه ☆ يخالف جهد الدين الحنيفة

و أمّا غيرهم فجماعة كثيرة أيضاً منهم ابن عقدة أورده من مأة وخمسين طريقاً و أفرد له كتاباً ، و أبو جعفر الطوسيّ من مأة و خمسة و عشرين طريقاً ، و رواه صاحب الكافي عن الجعابيّ في كتابه نخب المناقب برواة عدّتهم سبعة و ثمانون نفساً.

و قال محمّد بن شهر آشوب : سمعت الهمدانيّ يقول : أروي هذا على مائتين و خمسين طريقاً . وقال : جدّي سمعت الجوينيّ يقول : شاهدت مجلّداً ببغداد في رواة هذا الخبر مكتوب عليه المجلّد الثامنة و العشرون و يتلوها التاسعة والعشرون و قال برهان الدين القزوينيّ : إنّه سمع ذلك من بعض أصحاب أبي حنيفة ، و أسنده في الشافي بما يزيد على مائة اسناد .

و منهم الشيخ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ فقد أورده من نيّف و سبعين طريقاً و أفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية .

منها : باسناده إلى زيد بن أرقم لمّا نزل النبيّ صلى الله عليه وآله بغدير خمّ في حرّ شديد أمر بالدّوحات فقمّمت و نادى : الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثمّ قال إنّ الله تعالى أنزل إليّ : « بلّغ ما أُنزل إليك [من ربّك] و إن لم تفعل فما بلّغت

رسالته والله يعصمك من الناس وقد أمرني جبرائيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد و أعلم كلّ أبيض و أسود أنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي و خليفتي و الامام بعدي .

فسألت جبرائيل أن يستعفيني من ربّي لعلمي بقلّة المتّقين ، و كثرة المؤذين لي واللائمين ، لكثرة ملازمتي لعليّ وشدّة إقبالي عليه ، حتّى سمّوني أذناً فقال تعالى فيهم : « الّذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم » ولو شئت أن أسمّيهم وأدلّ عليهم لفعلت ، ولكنّي بسترهم قد تكرّمت ، فلم يرض الله إلاّ بتبليغي فيه .

فاعلموا معاشر الناس ذلك فإنّ الله قد نصبه لكم إماماً و فرض طاعته على كلّ أحد ، ماض حكمه جائز قوله ، ملعون من خالفه مرحوم من صدّقه ، اسمعوا وأطيعوا فانّ الله مولاكم وعليّ إمامكم ثمّ الامامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة لاحلال إلاّ ماحلّله الله وهم ، ولاحرام إلاّ ماحرّمه الله وهم ، فصلوه فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه .

لاتضلّوا عنه ، ولاتستنكفوا منه ، فهو الّذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به ، لن يتوب الله على أحد أنكره ، ولن يغفر له ، حتم على الله أن يفعل ذلك ، وأن يعذّبه عذاباً نكراً أبد الآبدين فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه .

قولي عن جبرائيل عن الله « فلتنظر نفس ماقدّمت لغد » افهموا محكم القرآن ولا تتّبعوا متشابهه ، ولن يفسّر لكم ذلك إلاّ من أنا آخذ بيده ، شائل بعضده ، ألا وقد أدّيت ، ألا وقد بلّغت ، ألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت .

إنّ الله قال ، وأنا قلت عنه ، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره ، ثمّ رفعه إلى السماء حتّى صارت رجله مع ركبته ﷺ وقال :

معاشر الناس ! هذا أخي ووصيّي ، وواعي علمي ، وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي ، اللّهمّ إنّك أنزلت عند تبيين ذلك في عليّ : « اليوم أكملت

لكم دينكم » بامامته فمن لم يأتمّ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة « فأُولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون » إنّ إبليس أخرج آدم من الجنّة مع كونه صفوة الله بالحسد ، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم ، وتزلّ أقدامكم في عليّ نزلت سورة و العصر إنّ الانسان لفي خسر إلاّ الّذين آمنوا و وصّى بالحقّ و الصبر .

معاشر الناس ! آمنو بالله ورسوله و النور الّذي اُنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت . النور من الله فيّ ثمّ في عليّ ثمّ في النسل منه إلى القائم المهديّ .

معاشر الناس ! سيكون من بعدي أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وإنّ الله و أنا بريئان منهم إنّهم و أنصارهم و أتباعم في الدرك الأسفل من النار ، و سيجعلونها ملكاً واغتصاباً ، فعندها يفرغ لكم أيّها الثقلان ، ويرسل عليكما شواظ من نار ، ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس ! عدوّنا كلّ من ذمّه الله و لعنه ، و وليّنا كلّ من أحبّه الله ومدحه .

ثمّ ذكر ﷺ الأئمّة من ولده ، وذكر قائمهم ، وبسط يده وأوصاهم بشعائر الاسلام ، ودعاهم إلى مصافقة البيعة للامام ، و قال : إنّ ذلك بأمر الملك العلاّم .

معاشر الناس ! قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا و ميثاقاً بألسنتنا و صفقة بأيدينا نؤدّيه إلى من رأينا وولْدنا ، لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا ، و كفى بالله شهيداً .

قولوا ماقلت لكم ، وسلّموا على عليّ بامرة المؤمنين ، وقولوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فانّ الله يعلم كلّ صوت ، و خائنة كلّ عين ، فمن نكث فانّما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

قولوا ما يرضى الله عنكم ، وإن تكفروا فانّ الله غنيّ عنكم .

فعند ذلك بادر الناس بقولهم : نعم سمعنا وأطعنا على ما أمر الله ورسوله بقلوبنا و كان أوّل من صافق النبيّ ﷺ وعليّاً أبو بكر و عمر وعثمان و طلحة و الزبير و باقي المهاجرين وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشائين في وقت واحد واتّصل ذلك ثلاثاً .

وبالجملة فهذا أمر لشهرته لايحتاج الوليّ إلى إثباته لمن جحد ، ولايستطيع المولّي نفيه وإن جهد ، وقد فهم كلّ من حضر ذلك المشهد السنيّ ، ما أراده النبيّ ﷺ لعليّ فلا يخرجه إلى التأويل سوى الغبيّ الغويّ .

وفي رواية ابن مردويه و هو من أعيانهم إنّهما لم يفترقا حتّى نزلت « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي » الآية فقال النبيّ ﷺ الله أكبر على كمال الدين و تمام النعمة ، و رضى الربّ برسالتي ، و الولاية لعليّ بن أبي طالب وروى نزولها فيه أبو نعيم أيضاً .

قالوا : لودلّ على الامامة لكان إماماً في حياة النبيّ ﷺ لاطلاق الخبر ولعموم ولاية النبيّ الأوقات ، فكذا هنا . قلنا : الاطلاق لايقتضي العموم ، وقد قال تعالى « المؤمنون بعضهم أولياء بعض » وذلك في بعض الأحوال وبعض الأزمان ، وقد علم كلّ أحد أنّ الخليفة لايكون حال حياة من نصبه ، بل بعد ذلك ، فلم يجب تصرّفه في حياته بالأمر والنهي .

إن قيل : فاذا خرج عن عمومه حال الحياة ، فليخرج ما بعدها إلى آخر ولاية عثمان ، قلنا إنّما أخرجنا من العموم حياة الموصي للعرف أمّا بعدها فلا رافع للعموم .

إن قيل : لولا ثبوت عموم الولاية لبطل قول عمر أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ، قلنا : التهنية في الحال تقتضي ثبوت الاستحقاق في الحال لا ثبوت الأمر والنهي في الحال .

وقد استأذن حسّان بن ثابت في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول فيه فأذن له فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ✿ بخمّ و أسمع بالنبيّ مناديا
بأنّي مولاكم نعم و وليّكم ✿ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا و أنت نبيّنا ✿ ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا عليّ فانّني ✿ رضيتك من بعدي إماماً و هاديا

وقد أسند ذلك إلى حسّان سبط [ابن] الجوزيّ في الخصائص و الفقيه حميد في المحاسن .

قالوا : ذلك لواقعة زيد بن حارثة حين قال له عليّ عليه السلام : تنازعني و أنا مولاك فشكى زيد ذلك إلى النبيّ فقال ﷺ : من كنت مولاه فعليّ مولاه . قلنا : مات زيد قبل الغدير بسنتين كما أخرجه في جامع الأصول فلمّا لزمتهم بذلك الفضيحة إلى القيامة ، نقلوا واقعة زيد إلى اُسامة ، و للقرينة الحاليّة من النزول في الهاجرة ، وإقامة الرحال ، و المقاليّة من الخطبة و التحريض و إثبات الولاية لنفسه أولى بمنع ذلك الاحتمال .

و حكى سبط [ابن] الجوزيّ في الباب الثالث من كتاب خواصّ الأئمّة عن كتاب سرّ العالمين للغزاليّ حين أورد الغزاليّ حديث الغدير وبخ بخ عمر قال : هذا رضى و تسليم ، و ولاية و تحكيم ، وبعد ذلك غلب الهوى ، وحبّ الرئاسة ، وعقود البنود ، و ازدحام الجنود ، فحملهم على الخلاف ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون انتهى كلامه و فيه تبصرة لذي بصيرة .

على أنّه لو كان المراد واقعة زيد لم يحتجّ عليّ في الشورى بخبر الغدير في جملة فضائله بل كانوا قالوا و أيّ فضيلة لك في ذلك ؟ و إنّما هو لكذا و كذا ، و لأنّ تهنئة عمر تبطل ذلك ، ولو سلّم أنّ السبب ذلك لكن جاز أن يعمّ كغيره من الآيات الّتي نزلت على أسباب ثمّ عمّت .

إن قيل : فاذا كان معنى «مولى» فرض الطاعة فأطلقوه على الأب والمستأجر ؟ قلنا : لا مانع منه لغة لولا أغلبيّة الاستعمال عرفاً فانّ الوالد أولى بتدبير ابنه و المستأجر أولى باستعمال أجيره .

قال الجاحظ : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، و من كنت وليّه فعليٌّ وليّه شركه فيه سعد بن معاذ . قلنا : هذا خلاف الاجماع إذلم يسغ لبشر أن يقول كلُّ من كان الرسول أولى به فسعدٌ أولى به . وإن اُريد النصرة فلا يصحُّ أن يقال كلُّ من كان النبيُّ ناصره فسعد ناصره .

اعترض المخالف بمنع صحّة الحديث و دعوى العلم الضروريِّ به ممنوعة لمخالفتنا قلنا : قد شرط المرتضى فيقبول الضروريّ عدم سبق شبهة تمنع من اعتقاده و هو حقٌّ فانَّ اعتقاد أحد الضدِّين يمنع من اعتقاد الآخر و المخالف تمكّنت في قلبه الشبهة فمنعته من ذلك .

قالوا : نجد الفرق بينه و بين الوقائع العظام . قلنا : يجوز التفاوت في الضروريات .

قالوا : لم ينقله مسلم و البخاريُّ و الواقديُّ ، قلنا : عدم نقلهم لا يدلُّ على بطلانه ولو نقلت الرواة كلَّ خبر لم يختلفوا في خبر أصلاً .

قالوا : لم يكن عليٌّ حاضراً يوم الغدير ، بل كان في اليمن . قلنا : نقل حضوره كلُّ من نقل الخبر و يعضده شعر حسّان و بخبخة عمر .

قالوا : فنحن نقلنا تواتر فضائل الشيخين . قلنا : لا يلزم من ذكر الفضيلة فيهما ليستميلهما ثبوت إمامتهما كما ذكر فضائل غيرهما .

قالوا : نقلنا أخباراً في خلافتهما . قلنا : نجزم بردِّها لمنا قضتها ما تواتر لعليّ و امتناع التناقض في حديث النبيِّ صلى الله عليه وآله .

إن قالوا : ليس الحكم بثبوت نقيضكم و حذف نقيضنا أولى من العكس . قلنا : نحن و أنتم نقلنا نقيضاً فما وقع فيه الخلف أولى بالحذف .

قالوا : لم يكن لكم كثرة تفيد التواتر ابتداء . قلنا : لانسلّم عدمها ، على أنّكم شاركتمونا فيها و ليس كلُّ مقبول مشروط بالكثرة كالمحتفِّ بالقرائن .

قالوا : و ليس لكم أن تسندوا صحّة هذا الخبر إلى الاجماع لاعتبار الامام فيه عندكم ، فلو أثبتّم الامام فيه عندكم لزم الدَّور . قلنا : هو من المتلقّى بالقبول

الموجب للجزم به ، و نقله المخالف مع شدّة معاندته ، فالاجماع معتبر به فيما بعد ثبوته .

قالوا : يجوز أن يعلم الامام كذبه و يكتمه للخوف من إظهاره .

قلنا : مرادنا بالاجماع إطباق الخلق عليه وقد وقع فعلمت صحّته ولأنّه إن كان الحقّ كذبه فلا خوف على الامام في إظهاره لموافقته طبع الجمهورالمنكرين له إذ كان يريحهم من التعسّف في تأويله .

قالوا : قلتم احتجّ به في المناشدة ولانعلم صحّة ذلك قلنا : علمت بالضرورة كما علم أصل الخبر .

قالوا : يجوز أن لا تصل المناشدة به إلى كلّ الصحابة ، ولو وصلت لأنكره كلّهم أو بعضهم . قلنا : لا يشكّ في حضور المعتبرين من الصحابة يوم الشورى و إذا لم ينكره أحدهم مع طمعهم في الإمرة فبالأولى أن لاينكره غيرهم .

قالوا : قد يحصل الانكار ولم ينقل . قلنا : هو من الوقائع العظام فتتوفّر الدواعي إلى نقلها لووقعت .

قالوا : يجوز منهم ترك الانكار تقيّة . قلنا : لا يتصوّر خوف الأمير من قوم قليلين ، و أراهم ما خافوا عند سلبه لمنصبه ، مع اطّلاعهم على موجبه .

قالوا : قلتم : مقدّمة الخبر و هي « ألست أولى منكم بأنفسكم » تدلّ على الامامة في تاليه ، فنحن نمنع وصول المقدّمة ، قلنا : كلّ من نقله نقلها .

قالوا : لم يذكرها عليّ في الشورى ، قلنا : لا نسلّمه ، و عدم نقلها عنه لا يدلّ على عدمها منه ، و لجواز تركها للغناء عنها .

قالوا : ولو قالها فلادلالة فيهاعلى بناء تاليه عليها، لحسن التوكيد والاستفهام بعدها ، فانّ من قال عند جماعة : « عبدي زيد حرّ » حسن الاستفهام منهم أن يقولوا وقت إشهادهم : أيّ عبيدك تريد ؟ و حسن منه أن يقول عبدي الّذي هو زيد .

قلنا : نمنع حسن الاستفهام إلّا للغافل ، و نمنع حسن التوكيد لامتناع فهم غير المذكور .

قالوا : لا يدلُّ لفظة « مولى » على « أولى » لأنَّ مفعل موضوعه لغةً للحدث وأفعل موضوعة للتفضيل .

قلنا : إنَّ مفعل مع وضعها للحدث لا تنفي غيرها ، و إلّا لما أُطلقت على باقي معاني مولى كالمعتق و غيره ، وقد أجمع أهل اللّغة على اشتراكها فيها ، ولو وضعت مفعل للحدث لغة لا يمتنع وضعها للتفضيل عرفاً .

على أنَّ المبرِّد و الفرَّاء و ابن الأنباريِّ و غيرهم ذكروا أنّها بمعنى أفعل التفضيل .

قالوا : لم يذكرها الخليل و أضرابه بمعنى أفعل التفضيل . قلنا : لا نسلّم عدم ذكره ، و عدم وجدانكم لا يدلُّ على عدمه .

قالوا : الأصل عدمه . قلنا : فلا يلزم من عدمه بطلان نقل غيره ، لجواز التسهّل في تركه ، والاكتفاء بنقل غيره ، أوتركه لشهرته ، على أنه لوصرَّح بانكاره لم يبطل لكونه شهادة على نفي فكيف مع سكوته .

قالوا : من ذكره من أهل اللغة في التفسير ذكره مرسلاً لم يسند إلى أصل قلنا : اكتفوا بارساله لظهور الرواية .

قالوا : لو كان « مولى » بمعنى « أولى » لصحَّ أن يقترن باحداهما مايقترن بالأُخرى و ليس كذلك إذ لا يقال مولى من فلان كما يقالى أولى منه .

قلنا : لا نسلّم أنَّ كلَّ لفظة ترادف الأُخرى ، يصحُّ أن يقترن بها مايقترن بالأُخرى ، فانَّ صحّة الاقتران من عوارض الألفاظ لا من لوازمها ، فانَّ الأوتاد و الجبال مترادفة و يقال ضربت الوتد و سرت في الجبل دون العكس فيهما .

قالوا : أهل اللّغة قسمان قسم حملها على معنى القرب كما يقال فلان يلي كذا أي قريب منه ، و قسم حملها على جميع معانيها فمن قال بحملها على معنى واحد منها ، و هو ولاية النصرة خرق الاجماع .

قلنا : لانسلّم الحصر في القسمين ، فانَّ منهم من جعلها للقدر المشترك ، على أنّا لا نسلّم إجماع القسمين على ذلك ، و معنى القرب غير مراد هنا و إلّا كسر لام

المولى ، على أنّه وإن احتمله ، فما حملناه عليه و هو الإمارة أكثر فائدة ترجّح .

قالوا : إن دلّت مقدّمته على أولويّة التصرّف ، دلّت مؤخّرته على النصرة في قوله ﷺ : « و انصر من نصره » . قلنا : لا يتبادر إلى الذهن إلاّ ولاية التصرّف فانّه غير لائق إلاّ بسلطان له أولياء و أعداء و خذّال و أنصار .

قالوا : قد كان الغدير بعد عام الفتح فأراد النبيّ ﷺ أن يبيّن به لمن هو قريب الاسلام عظم منزلة عليّ ، ليذهب ما في نفوسهم من الحقد له ، لقتله أقاربهم. قلنا : لم يشكّ أحد من المسلمين و غيرهم في عظم منزلته من رسوله ، لقيام الدين بسيفه دون غيره ، فلم يحسن من النبيّ ﷺ مع شدّة الحرّ ، تعريف ما يعترف كلّ أحد به .

قالوا : إمامته عندكم ثابتة بالنصّ الجليّ فلا فائدة بعده بالنصّ الخفيّ . قلنا : لم يكن النصّ الجليّ بمثل هذا الجمع العظيم ، فقصد النبيّ ﷺ شهرته لقرب وفاته منه ، فصار إظهاره مضيّقاً عليه ، لمسيس الحاجة إليه .

قالوا : في القرآن لفظة أولى لغير الولاية « إنّ أولى الناس بابراهيم للّذين اتّبعوه [1] » و في العرف التلامذة أولى بالاُستاذ ، و الرعيّة أولى بالسلطان .

قلنا : ذلك لا ينافي ما قلناه إذ معناه الّذين اتّبعوا إبراهيم أولى بالتصرّف في خدمته دون غيرهم ، و كذا الآخران .

و بالجملة فاللّفظة لا تحتمل غير ما فهم منها الحاضرون ، و لو تركت هذه الاعتراضات ، و خلّي العاقل عن النظر فيها ، لم يفهم سوى ما ذكرناه ، والماء الصافي إذا خضخض في منبعه تكدّر ، و إذا ترك صفا ، فكذا في هذه و نحوها وبالله العصمة من ذلك ، و هذه الوجوه و إن تكرّرت ألفاظها فانّما هي للاستيناس بها .

إذا شعرت بهذا الباب ، فلنورد فيه شيئاً ممّا شعرت اُولو الألباب فقال عليّ عليه السلام :

---

(١) آل عمران : ٦٨ .

أنا البطل الّذي لن تنكروه ✩ ليـوم كريهـة أو يوم سلم
و أوجب لي ولايته عليكم ✩ رسول الله يوم غـدير خمّ

و قال كميت :

و يوم الدّوح دوح غدير خمّ ✩ أبـان له الولايـة لو أُطيعـا
و لكنّ الرجـال تبايعوها ✩ فكم الك مثلها خطباً منيعا
ولم أرمثل ذاك اليوم يوماً ✩ و لم أر مثله حقّاً اُضيعـا

وروي أنّ ابن الكميت رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام فقال أنشدني قصيده أبيك ! فلمّـا وصل إلى هذا بكى بكاءً شديداً و قال صلى الله عليه وآله : صدق أبوك رحمه الله ، إي والله لم أرمثله حقّاً اُضيعا .

و قال عمرو بن العاص :

و ضربتـه كبيعته بخمّ ✩ معاقدها من الناس الرقاب
هو النبأ العظيم وفلك نوح ✩ و باب الله و انقطع الخطاب

و قال الزاهي :

من قال أحمد في يوم الغدير له ✩ بالنقل عن خبر بالصدق مأثور
قم يا عليّ فكن بعدي لهم علماً ✩ و اسعد بمنقلب في البعث محبور
مولاهم أنت و الموفي بأمرهم ✩ نصّاً بوحي على الأفهام مسطور
و ذاك أنّ إله الحقّ قـال له ✩ بلّغ و كن عند أمري خيرمأمور
فان عصيت ولم تفعل فانّك ما ✩ بلّغت أمري و لم تصدع بتذكير

و قال الصاحب :

و قالوا عليّا علا قلت لا ✩ فـانّ العُلى بعليّ علا
و ما قلت فيه بقول الغلا ✩ ة ولاكنت أحسبه مرسلا
و لكن أقول بقول النبيّ ✩ وقد جمع الخلق كلّ الملا
ألا إنّ من كنت مولى له ✩ يوالي عليّاً و إلّا فلا

و قال أبو الفرج :

تجلّى الهدى يوم الغدير عن الشبه ☆ و برّز إبريز البيان عن الشبه
و أكمل ربّ العرش للناس دينهم ☆ كما نزل القرآن فيه فأعربه
وقام رسول الله في الجمع جاذباً ☆ بضبع عليّ ذي التعالي على الشبه
و قال ألا من كنت مولى لنفسه ☆ فهذا له مولى فيالك منقبه

و قال الملك الصالح :

و يوم خمّ وقد قال النبيّ له ☆ بين الحضور وشالت عضده يده
من كنت مولى له هذا يكون له ☆ مولى أتاني به أمر يؤكّده
من كان يخذله فالله يخذله ☆ أو كان يعضده فالله يعضده

و قال الجوهريّ :

أما أخذت عليكم إذ نزلت بكم ☆ غدير خمّ عقوداً بعد أيمان
وقد جذبت بضبعي خيرمن وطىء ☆ البطحاء من مضر العليا و عدنان
و قلت والله يأبى أن اُقصّر أو ☆ أعفي الرّسالة من شرح و تبيان
هذا عليّ لمولى من بعثت له ☆ مولى و طابق سرّي فيه إعلاني
هذا ابن عمّي ووالي منبري وأخي ☆ و وارثي دون أصحابي و إخواني
محلّ هذا إذا قايست من بدني ☆ محلُّ هارون من موسى بن عمران

و قال السيّد الحميريّ :

و قال في الناس النبيّ الّذي ☆ كان بما قيل له يصدع
فقام مأموراً و في كفّه ☆ كفّ عليّ لهم تلمع
رافعها للناس أكرم بها ☆ كفّاً و بالكفّ الّتي ترفع
من كنت مولاه فهذا له ☆ مولى فلم يرضوا و لم يقنعوا

و ذكر ذلك في إحدى و عشرين موضعاً من شعره و منها :

قد قال يوم الدّوح خيرالورى ☆ بوجهه للناس مستقبل
من كنت مولاه فهذا له ☆ مولى فلم يرضوا ولم يقبلوا

لكن تواصوا لعليّ الهدى ✡ أن لا يوالوه و أن يخذلوا

و قال العونيُّ :

حتّى لقد قال ابن خطّاب له ✡ لما تنوّص [١] من هناك و قاما

أصبحت مولاي ومولى كلّ من ✡ صلّى لربٍّ العالمين و صاما

وقال أبوتمّام :

ويوم الغدير استوضح الحقَّ أهله ✡ بفيحاء ما فيها حجاب و لاستر

أقام رسول الله يدعوهم بها ✡ ليقربهم عرفٌ و ينهاهم نكر

يمدّ بضبعيه و يعلم أنّه ✡ وليٌّ و مولاكم فهل لكم خبر

و قال أبو نواس [٢] :

قام النبيُّ بها يوم الغدير لهم ✡ والله يشهد و الأملاك و الأمم

حتّى إذا أنكر الشيخان صاحبها ✡ بانت تنازعها الذّئبان و الرخم

و صيّرت بينهم شورى كأنّهم ✡ لا يعلمون ولاة الأمر أين هم

تالله ما جهل الأقوام موضعها ✡ لكنّهم ستروا وجه الّذي علموا

وقال محسن بن داود :

فيما نظرت إلى كلام محمّد ✡ يوم الغدير وقد أُقيم المحمل

من كنت مولاه فهذا حيدر ✡ مولاه لا يرتاب فيه محصّل

نصّ النبيُّ عليه نصّاً ظاهراً ✡ بخلافة غرّاء لا تتأوّل

و قال غيره :

و سمّاه مولى باقرار من ✡ لو اتّبع الحقّ لم يجحد

فملتم بها حسد الفضل منه ✡ و من يك مولى الورى يحسد

فهذه نبذة من أقوال العلماء و الشعراء ، و كلُّ خبير نحرير غنيٌّ عن تطويل

---

(١) أي شمخ برأسه و تنحى ، و يحتمل أن يكون « تقوض » من تقوض الصفوف بمعنى تفرقت .

(٢) أبو فراس ، خ .

و تحرير ، فلورود ذلك على مرور الأزمان في عليّ لا يمكن جحده العدوّ الغويّ و يؤكّد إيمان الوليّ الوفيّ .

و بالجملة لو أمكن إنكار هذا الحديث ، لم يعلم صحّة كلّ حديث ، و قد روي أنّ يوم الغدير شهد فيه لعليّ ستّون ألفاً و قيل ستّة وثمانون ألفاًمن الأمصار والقبائل المتفرّقات ، وإذا بلغ الخبردون هذاانتظم في سلك المتواترات ، فالمرتاب فيه ممّن طبع على فؤاده ، جزاء لانحرافه عن الحقّ و عناده .

وقد ذكر الرازيّ و القزوينيّ و النيشابوريّ و الطبرسيّ و الطوسيّ و أبو نعيم أنّه لمّا شاع ذلك في البلاد ، أتى الحارث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله و قال : يارسول الله هذا شيء منك أم من الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله : و الله إنّه من أمر الله تعالى فولّى يريد راحلته ، فقال حينئذ : اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطرعلينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم ، فرماه الله تعالى بحجرعلى هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله تعالى حينئذ : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع [1] » .

و روى معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام أنّ رجلاً قال : إنّما هو شيء يتقوّله فأنزل الله تعالى : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ✿ لأخذنا منه باليمين ✿ ثمّ لقطعنا منه الوتين » [2] .

و في الحديث أنّه لمّا نصّ على عليّ بالامامة في ابتداء الأمر ، جاءه قوم من قريش و قالوا : يا رسول الله الناس قريبوا عهد بالاسلام ، ولا يرضوا أن تكون النبوّة فيك . و الامامة في عليّ ابن عمّك ، فقال صلى الله عليه وآله : ما فعلته برأيي فأتخيّر فيه ، و لكنّ الله أمرني به و فرضه عليّ ، قالوا : فأشرك معه رجلاً من قريش لئلّا تخالف الناس عليك ، فنزلت : « لئن أشركت ليحبطنّ عملك ، و لتكوننّ من الخاسرين [3] » . و نحوه خبر آخر عن الصادق عليه السلام .

(١) المعارج : ٢ .

(٢) الحاقة : ٤٦ .

(٣) الزمر : ٦٥ .

وعن أبي الحسن الماضي عليه السلام و عن الباقر عليه السلام أنّ ابن هند قام و تمطّى و خرج مغضباً ، و قال : والله لا نصدّق محمّداً على مقالته ، ولا نقرّ لعليّ بولايته فهمّ النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله فقال له جبرائيل عليه السلام : « لا تحرّك به لسانك لتعجل به(١) » و أنزل الله : « و قال الّذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله (٢) » يعنون : اجعل لنا أئمّة دون عليّ فهذا كلّه حسداً منهم لعليّ الأطهر ، وماتخفي صدورهم أكبر .

وقد روى أبان بن تغلب أنّ الصادق عليه السلام قال : إنّ أبا بكروعمرهزّارأسهما و قالا : لا نسلّم له أبداً فسمعهما رجل فأعلم النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك ، فأحضرهمافأنكرا قولهما ، فنزلت قوله تعالى « يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر - إلى قوله - فان يتوبوا يك خيراً لهم و إن يتولّوا يعذّبهم الله عذاباً أليماً (٣) » قال الصادق عليه السلام : والله تولّيا و ماتا و ماتابا . و روي عن الباقر عليه السلام نحوذلك .

ومن هذا و غيره استحقّا العذاب و اللّعن في الدّنيا و الآخرة ، كما قال و فعل الحارث الفهريّ وقد أسلفناه .

و في المقنع أنّ سالماً مولى أبي حذيفة ، وأباعبيدة لمّا رأيا النبيّ صلى الله عليه وآله رافعه قال بعضهم : انظروا إلى عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون ، فنزلت « و إن يكاد الّذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر و يقولون إنّه لمجنون وماهو إلاّ ذكر للعالمين (٤) » .

تذنيب :

إن قيل : إنّ الامامة إن كانت ركناً في الدين ، فقد أخلّ الله و رسوله بها

---

(١) القيامة : ١٦ .

(٢) يونس : ١٥ .

(٣) براءة : ٧٥ .

(٤) القلم : ٥٢ .

قبل يوم الغدير ، إذ فيه أُنزل : « اليوم أكملت لكم دينكم (١) » و لزم أنّ من مات قبل ذلك ، لم يكن مؤمناً لفوات ركن من إيمانه ، و فيه تأخير البيان عن [وقت] الحاجة ، و إن لم تكن ركناً لم يضرّ تركها .

قلنا : هي ركن من بعد موت النبيّ ﷺ لقيامه مقامه ، فلا تأخير عن الحاجة ولا شكّ أنّ دين النبيّ ﷺ إنّما تكمّل تدريجاً بحسب الحوادث ، أو أنّه كمل قبل فرض التكليف ، والميّتون قبل الغدير كمل الدين لهم بالنبيّ ﷺ ، والخطاب للحاضرين ، و ليس فيه تكميل الدّين لغيرهم .

على أنّ النبيّ ﷺ نصّ على عليّ في مواضع شتّى في مبدأ الأمر ، وسيأتي شيء منها في آخر هذا الباب .

تذنيب آخر :

قد سلف [أنّ] لفظة مولى مرادفة للأولى ، لأنّ النبيّ ﷺ قال : ألست أولى ، ثمّ قال : فمن كنت مولاه فعليّ له مولى ، وقال الله تعالى : « النار مولاكم »(٢) و ذكر ذلك أبو عبيدة وابن قتيبة ولبيد في قوله : « مولى المخافة خلفها وأمامها(٣) » و الأخطل في قوله « فأصبحت مولاها من الناس كلّهم »(٤) وذكر ذلك القول في كتاب معاني القرآن و ابن الأنباريّ في كتاب مشكل القرآن .

وقد روي أنّ ابن مسعود قرأ : « إنّما مولاكم الله ورسوله »(٥) وقد فهم كلّ من حضر أنّ المراد بالمولى الإمامة ، ولو أراد غيرها لما أقرّهم النبيّ ﷺ عليها إذ نوّهوا في أشعارهم بها ، و كذا القيام في ذلك الحرّ الشديد ، و التهنئة و البخبخة وقد استعفى النبيّ ﷺ ثلاثاً فلم يعفه ، و خاف أن يقتله الناس ، فبشّره بالعصمة منهم .

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) يريد قوله تعالى : « مأواكم النار هى مولاكم » فى سورة الحديد : ١٥ .

(٣) أوله : فغدت كلا الفرجين تحسب أنه .

(٤) وبعده : و احرى قريش أن تهاب وتحمدا .

(٥) يريد قوله تعالى : انما وليكم الله و رسوله فى المائدة : ٥٨ .

سؤال : كيف يستعفي و هو لا ينطق عن الهوى ، فكأنّ الله أمره بشيء و أمره بالاستعفاء عنه .

جواب : لا محال في ذلك ، و تكون الفائدة فهم الحاضرين شدّة التأكيد من الربّ المجيد ، ليعلمهم أنّه لابدل له ولاعنه محيد ، ويماثله ما فعله النبيّ ﷺ من إرساله لأبي بكر بسورة براءة و ذلك بأمر الله لعموم الآية ثمّ أمره الله بعزله لينبّه به على عدم صلاحه ، ولو لم يبعثه أوّلاً لم يكن فيه من التأكيد ، ما كان في بعثه و عزله ، و أمّا لفظ « ألست » فهي للتقرير و الايجاب ، منه :

ألستم خير من ركب المطايا ✡ و أندى العالمين بطون راح

و في يوم الغدير نصب موسى يوشع و عيسى شمعون و سليمان آصف فأمر الله تعالى محمّداً ﷺ أن ينصب فيه عليّاً و هذا يسقط كلّ ما يهولون به من أنّه أراد غير معنى الامامة .

تذنيب آخر :

قال الجوزيّ لأبي هارون الخارجيّ أمروا ـ الناس ـ بخمسة فعملوا بأربع : الصلاة ، و الزكاة ، و الحجّ ، و الصيام ، و تركوا الخامسة و هي الولاية لعليّ قال الخارجيّ و إنّها لمفترضة ؟ قال : نعم ، قال الخارجيّ : فقد كفر الناس إذاً قال فما ذنبي أنا ؟

ومنها قوله ﷺ حين خرج إلى تبوك فقال المنافقون : إنّما خلّفه استثقالاً به ، فلحقه فأخبره فقال ﷺ : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ، ولا يرتاب عاقل أنّ منزلة هارون من موسى أعظم من غيره من أصحابه ، فكذا عليّ من النبيّ ﷺ فهو أولى بالامامة من غيره .

وقد أخرج صاحب جامع الاُصول في صحيح النسائيّ عن عليّ عليه السلام « كان لي من النبيّ ﷺ منزلة لم تكن لأحد » و لو عرف النبيّ ﷺ مسدّ غيره عنه ممّا عساه يعرض من أعدائه في المدينة ، لاستخلف غيره ، و لو عرف مسدّ غيره في غزواته ، لاستخلفه دائماً و لو علم في تبوك حرباً لم يتركه .

قيل لابن الجوزيّ: هل جرى في تبوك قتال ؟ فقال: فقدت الحرب الشجاع فمن يقاتل ؟

فلمّا استخلفه في آخر مرّة و لم يعزله عمّت خلافته الأيّام و الأنام ، وهذا أقوى من استدلالهم على خلافة أبي بكر بصلاته لو ثبتت .

قالوا : إنّما كان قول النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك فيه تسلية له ، فلا يدلُّ على خلافته قلنا : لا ، بل ذلك دالّ على فضيلته ، فلا وجه لتخصيصه بتسليته ، و لئن سلّم فهو دليل على عظم شفقته ، لكبر منزلته الموجبة لاستحقاق إمامته ، و أنتم جعلتم قول النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي بكر: لا تحزن ، دليلاً على كبر منزلته .

قالوا : استخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم أحد عشر مرّة و هو لا يصلح للامامة لكفّ بصره ، قلنا كفى بعليّ شرفاً توليته و عزل غيره ، و لولا أنّ الله أراد لعليّ إبراز فضيلته ، لم يذكر الناصب عزل غيره في حجّته .

و إذا أراد الله نشر فضيلة ✡ طويت أتاح لها لسان حسود

قالوا : هارون مات قبل موسى ، فلم يكن له إمامة بعده ، فكذا عليّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله . قلنا : دلالته على أفضليّة عليّ عليه السلام توجب الخلافة له بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولوعاش هارون لكان خليفة له إذ لوعزله لكان لانحطاط منزلته ولاموجب لها.

ولا يلزم من نفي خلافة هارون لمانع الموت نفي خلافة المشبّه به ، فان قال أحد لوكيله « أعط زيداً كذا إذا حضرك و أنزل عمراً منزلته » فاذا لم يأت زيد لم يمنع عمرو ، و قد عاش عليّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فهو خليفة له .

و قول النبيّ صلى الله عليه وآله : لا نبيّ بعدي دالّ على أنه يفارق هارون في هذه الخصلة و إلّا لخلا الاستثناء عن الفائدة .

قالوا : اُخوّة موسى لهارون بالقرابة ، و ليست اُخوّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ بالقرابة فكيف يشبّه به ، قلنا : لا شكّ أنّه من المجاز لأجل المشاكلة ، و هو مشهور قال تعالى : « و ما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اُختها [1] » و المقصود

(١) الزخرف : ٤٨ .

المشاكلة في الأوصاف المستحسنة فانّ قولهم زيد كالأسد يقتضي المناسبة في أعلى الرّتب، لا أن يكون له ناب وذنب.

قالوا: لم يحصل من خلافة هارون إلّا الفتنة العظيمة بعبادة العجل، و مثله في خلافة عليّ حيث قامت الفتن بقتال الفرق الثلاث، حتّى وهن الاسلام، وطعنت الأعداء فيه بمسيء الكلام، فلم لا يكون التشبيه لهذه الوصمة الواقعة في الأنام.

قلنا: ليس وقوع الفتنة عند خلافة هارون بسبب هارون، و إن كانت عندها وقد أضاف الله في الوحي الالهيّ زيادة الرجس إلى السورة، و النفور إلى النبيّ ﷺ و إنّما حصلت بالسامريّ وقد قال هارون «إنّما فتنتم به[١]».

ولو كان ذلك هو المراد لم يكن في قول النبيّ ﷺ تسلية لعليّ لأنّه حينئذ إعلام له بأنّه سبب المحنة، و موجب الفتنة.

و أيّ رذيلة في قتال الفرق الثلاث، وقد بشّره النبيّ ﷺ بها، و مدحه عليها، فقد نقل الفرّاء في كتابه شرح السنّة مسنداً إلى الخدريّ قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبوبكر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا. قال: لا، و لكن خاصف النعل وكان عليّ عليه السلام يخصف نعل النبيّ ﷺ.

و أخرج البخاريّ قول النبيّ ﷺ: طوبى لمن قتلهم و قتلوه، و أخرج صاحب الوسيلة في المجلّد الخامس دخول عليّ على النبيّ ﷺ في منزل أمّ سلمة و قوله لها: هذا عليّ أخي، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، و عيبة علمي ومحيي سنّتي يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين بعدي، اسمعي يا أمّ سلمة و اشهدي لو أنّ رجلاً عبدالله ألف عام ثمّ لقيه وهو يبغض عليّاً و عترته[أ] كبّه الله على أمّ رأسه في النار.

و نقل خطيب دمشق الشافعيّ عن الشافعيّ: أخذ المسلمون قتال المشركين

---

(١) طه: ٩٠.

من النبيّ ﷺ و قتال البغاة من عليّ عليه السلام .

و أخرج أيضاً قتاله الفرق الثلاث صاحب شرح السنّة مسنداً إلى ابن مسعود إلى النبيّ ﷺ و أخرجه نظام الدين الشافعيّ في شرح الطوالع ، و ابن حنبل في مسنده .

فقد بان لك أنّ قتاله لهم حسنة و أنّه تمهيد للدّين في زمان ولايته ، كما كان في ابتدائه ، و كلّ من أخرج الحديث أخرجه في فضائله و المعاند الشقيّ يقول : إنّ الدين وهن بتوليته ، فما أحسن قول بعضهم :

إذا محاسني اللاتي أمنّ بها ☆ صارت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

على أنّا نرجع و نقول : النبيّ ﷺ ذكر حديث المنزلة في عدّة مواطن آخرها ما أكّده له في خروجه إلى تبوك ، وذكره ابن حنبل في مسنده عن الخدريّ و عن سعد بن أبي وقّاص بطريقين .

و ذكره عبد الله بن أحمد بن حنبل بطرق أُخر و الحميديّ في الجمع بين الصحيحين في الحديث الثامن من المتّفق عليه من طرق عدّة ، و البخاريّ في الربع الأخير من الجزء الرابع من صحيحه ، و في الجزء الخامس أيضاً في الكرّاس السادس و مسلم في صحيحه في أوّل الجزء الرابع ، و على حدّ كرّاسين في آخره منه .

ومجاهد في تفسيره و النطنزيّ في خصائصه و الخطيب في تاريخه ، والعكبريّ في فضائله و ابن التلاج و ابن المغازليّ و عليّ بن الجعد و التنوخيّ - حتّى أنّ التنوخيّ و أحمد بن سعيد صنّفا كتابين في طرقه - وابن عبد ربّه في عقده والجوزيّ في تحقيقه و في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة من الجمع بين الصحاح الستّة و في صحيح أبي داود و الترمذيّ و ذكر ابن حنبل أيضاً أنّه قال له ذلك يوم إيخائه له .

فهذه أخبار أئمّة القوم واضحة ، و أعلام الحقّ اليقين عليها لائحة ، و هي لفساد اعتقادهم فاضحة ، ورواه من الصحابة والقرابة نحو من ستّة وعشرين ذكرهم التنوخيّ في كتابه و أسانيده و ابن قرطة في مراصد عرفانه .

قالوا : لفظة « بمنزلة » تقتضي واحدة فلا تعمّ إذ لو أراد أكثر لقال منازل .

قلنا : الاستثناء معيار العموم إلّا الشركة في النبوّة و الاُخوّة من الأبوين ، و بقيت الخلافة ، و فرض الطاعة ، و شدّ الأزر .

و لأنّ الاُمّة بين قائلين فمنهم من قال : أراد جميع المنازل ، و منهم من قال : خرج على سبب ، فلا يعمّ .

قلنا : قد صحّ في الاُصول أنّ السبب لا يخصّ ، على أنّ المسبّب المذكور غير معلوم بـالتواتر ، فلا يقصر الخبر المتواتر في عدّة مواضع عن سبب مظنون فذهب ما يهولون به من أنّ خلافته تختصّ بالمدينة فانّـه متى كان إماماً على البعض كان إماماً على الكلّ إذ لا قائل بجمع إمامين .

تذنيب :

قيل : ابن اُمّ مكتوم (١) كان يصلّي بالناس ، فلا عموم لخلافة عليّ على المدينة فضلاً عن غيرها . قلنا : إنّـما أراد الله أن يفضح المخلّفين عن النبيّ ﷺ بجعل الأعمى الّذي لا يتحرّز من النجاسات و غيرها إماماً لهم ، و نزّه عليّاً عن كونه إماماً لهؤلاء الصمّ البكم الّذين لا يعقلون ، فلا يظنّ بذلك في إمامته إلّا الملحدون .

إن قيل: استثناء النبوّة ، يتبعه استثناء الخلافة ، لأنّ هارون إنّـما كان خليفة لكونه نبيّاً ، فاذا خرجت النبوّة خرج ما يقتضيه و هو الخلافة .

قلنا : لا نسلّم التبعيّـة ، ولهذا لو صرّح النبيّ ﷺ بقوله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى في خلافته إلّا أنّـك لست بنبيّ » لم يكن مناقضاً ، ولو خرجت الخلافة من النبوّة كان مناقضا .

إن قيل : إنّـه شبّـه خلافة عليّ بخلافة هارون ، ولم تحصل الخلافة لهارون بعد الموت ، فالتشبيه بها دليل نفيها .

قلنا : لا ملازمة لحصول مانع الموت في الاُولى دون الثانية ، فانّ من أوصى إلى غيره حصل له في حياته استحقاق تصرّفه بعد وفاته .

---

(١) ابن ام كلثوم خ .

إن قيل : القيام بأمر أُمّة موسى كان واجبا على هارون ، من حيث الشركة في النبوّة ، و قوله « اخلفني » (١) توكيد لذلك ، لا أنّه خليفة حقيقة .

قلنا : لا خلاف بين الأُمّة أنّه كان خليفة ، و ظاهر [لفظ] « اخلفني » ينافي أنّه ليس خليفة حقيقة ، إذ لا يقال للشخص « اخلفني في مصالحك » .

إن قيل : فلعلّ لفظ « اخلفني » حكاية من الله عن موسى ، لا نفس كلام موسى ، فلا يدلّ ظاهره على الخلافة . قلنا : لو كان كذلك لم يفهم بحكايته عن موسى شيئاً ، إذ يجوز طلبه وزارته و شركته ، حكاية عن الفضلاء تقتضي ذلك .

على أنّا نقول و إن كان شريك موسى في النبوّة ، جاز اختصاص موسى باقامة الحدود و غيرها ، فليكن استخلافه لها .

إن قيل : فقوله « اخلفني » أمر لا يقتضي التكرار قلنا : المراد بيان أهليّة هارون للخلافة و استحقاقه لها ، و هو حاصل بذلك .

إن قيل : قوله « لا نبيّ بعدي » معناه لا نبيّ بعد نبوّتي ، و هارون لم يكن له منزلة النبوّة بعد موت موسى ، فكأنّ النبيّ استثنى ما ثبت من منزلة هارون و هو النبوّة حال حياة موسى ، فيكون لعليّ الخلافة حال حياة النبيّ خاصّة .

قلنا : بل لفظة « بعدي » حقيقة فيما بعد الوفاة ، فانّ من قال لغيره « أنت وصيّي تتصدّق على الفقراء بعدي » فهم منه بعد الوفاة ، ولم يقصد النبيّ ﷺ منزلة هارون من موسى في زمانها بل التشبيه بين المنزلتين لا بين أوقاتهما ، فكأنّه قال أنت منّي بمنزلة هارون من موسى بعدي إلّا أنّه لا نبيّ بعدي واستغنى بالبعديّة الثانية عن الأُولى ، و هذا من أفصح الكلام ولو صرّح بقوله « بعد وفاتي » أو « في حياتي و بعد وفاتي » لم يكن خارجاً عن الاستقامة .

إن قيل : الخبر دالّ على نفي خلافة عليّ لأنّه شبّهه بمن لا خلافة له . قلنا: لا يصحّ التشبيه بالمسلوب ، إذ لا يحسن أن يقال : فلان منّي بمنزلة فلان في كونه

---

(١) الاعراف : ١٤١ .

ليس أخي ولا وكيلي ، على أنّ ذلك أورده أئمّة القوم في فضائله ، فلو أراد نفي الخلافة ، تنافى الأمران .

إن قيل : فهارون لو بقي بعد موسى لم يتجدّد له منزلة لم يكن حال حياة موسى ، فكذا عليّ لم يتجدّد له منزلة بعد النبيّ لم تكن حال حياة النبيّ ﷺ وقد علمنا أنّه لم يكن إماماً في حياة النبيّ فكذا بعده .

قلنا : لايمتنع أن يكون إماماً حال الحياة ، و إن لم نسمّه بها لعدم تصرّفه على أنّه يجوز خلافة عليّ باحدى شقّي خلافة هارون و هو ما بعد الوفاة . لمانع هو الحياة ، فانّ من قال لغيره : « أنت منّي بمنزلة وكيلي » يقتضي كونه بمنزلته في المستقبل دون الماضي .

قالوا : لو أراد الامامة لقال: بمنزلة يوشع . قلنا : اقتراح الأدلّة فاسد ، إذ يلزم أن يقال لكلّ من استدلّ بأمر هلاّ استدللت بغيره ، فالدليل على هارون كاف عن يوشع بن نون ، و خلافة يوشع لا تعلم صحّتها لأنّها من نقل اليهود وقد قيل إنّه كان نبيّاً ، و كانت الخلافة في أولاد هارون و لأنّ النبيّ أراد أن يثبت لعليّ جميع منازل هارون من الاستخلاف حال الحياة و بعد الوفاة .

على أنّ النبيّ ﷺ إنّما ذكر هارون لورود القرآن به المزيل للشبهة فيه بخلاف يوشع إذ ليس ذلك حاصلاً ليوشع بن نون .

على أنّ ابن جبر في نخبه وعليّ بن مجاهد في تاريخه أسندا إلى النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام عند وفاته : أنت منّي بمنزلة يوشع من موسى .

قال الجاحظ : لا يجوز أن يستثني ما لايملكه و هو النبوّة ممّا يملكه و هو الخلافة . قلنا : بلى و لأنّه لا يملك الخلافة بل هي من الله أيضاً و إنّما استثنى النبوّة لئلاّ يتوهّم الشركة فيها كهارون .

قالوا : الخبر يوجب إمامته في حال حياة النبيّ ، قلنا : الظاهر ذلك لولا الاجماع ، فيبقى على مقتضاه بعد وفاته ﷺ .

قالوا : فيحمل على مابعد عثمان . قلنا : لم يقل به أحد لأنّ المخالف أثبتها

له بعد عثمان بالبيعة ، و المؤالف بالنصّ من الله و رسوله ، وهي له بعد النبيّ ﷺ بلا فصل .

قالوا : فرجوع النبيّ إلى المدينة يقتضي عزله . قلت : ليس الرجوع عزلاً عادة كيف ذلك وقد يجتمع الخليفة و المستخلف في البلد الواحد ، و لأنّ الحضور لم يكن عزلاً إلاّ مع شرطه ، ولم ينقل أحد أنّ النبيّ شرط ذلك لعليّ .

تذنيب :

لمّا بغض عبدة العجل هارون و من معه ، سمّوهم رافضة ، فأُجري ذلك الاسم على شيعة عليّ عليه السلام لمناسبته لهارون وشيعته ، وهمّوا بقتل هارون ، فكذلك العمران واطئا خالداً على قتل عليّ فبعثت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر خادمتها تقول له : إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فقال عليه السلام : رحمها الله و من يقتل الطوائف الثلاث قبل ذلك ، فندم أبوبكر و أطال الجلوس ، ثمّ نهاه فرأى عليّ السيف مع خالد ، فقال له : أو كنت فاعلاً ؟ قال خالد : إي والله ، قال عليّ عليه السلام : كذبت أنت أجبن خلقه ، لست من ذلك ، أما والله لولا سبق به القضاء لعلمت أيّ الفريقين شرّ مكاناً و أضعف جنداً .

ثمّ قال عليه السلام أفبعد قول النبيّ : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ـ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » ؟ قال : نعم . فقبض على صدره فرغا كالبكر[1] و انساغ في المسجد ببوله .

فاجتمع الناس ليخلصوه فقال الأوّل : والله لو تمالأ عليه أهل الأرض لما استنقذوه ، و لكن نادوه بحقّ صاحب هذا القبر ، ففعلوا فخلّى عنه و قال عليه السلام : لو عزمت على ماهممت به لشققتك شقّين .

روى ذلك الحسن بن صالح ، و وكيع ، و عبّاد عن أبي المقدام عن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سفيان و ابن جبير ووكيع وكان ذلك سيّئة

---

(١) أي ضج و صاح .

لم تتمّ و أسند نحو ذلك العرفيّ إلى الصادق عليه السلام .

و أسند العرفيُّ إلى خالد بن عبدالله القسريّ قال على المنبر : لو كان في أبي تراب خيراً ما أمر أبوبكر بقتله ، و هذا يدلُّ على كون الخبر مستفيضاً ، و لولا وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لكان عليٌّ بالقبض على رؤوس أعدائه ، و ضرب بعضها في بعض حتّى ينشر دماغها مليّاً .

[و في رواية أبي ذرأنّه عصر حلقه بين الوسطى و السبّابة حتّى صاح صيحة منكرة] و في رواية البلاذريّ شاله بهما ، وضرب به الأرض فدقّ عصعصه ، فأحدث مكانه ، وبقي يقول : هماوالله أمراني ، فقال عبد اللات لزفر : هذه مشورتك المنكوسة قال ابن حمّاد في ذلك :

تـأمّل بعقلك ما أزمعوا ☆ و همّوا عليه بأن يفعلوه
بهذا فسل خـالداً عنهـم ☆ على أيّ ما خطّة وافقوه
و قال الّذي قال قبل السلام ☆ حديثـاً رووه فلم ينكروه
حديثاً رواه ثقاة الحديث ☆ فما ضعّفوه و ما علّلوه
أتى ابن معوية في الصحيح ☆ و زكّى الرواة الّذي أسندوه

هذا ، وقد أسلفنا نصوصاً في الباب الثامن فيما جاء في تعيينه من كلام ربّه عند قوله تعالى « إنّي جاعلك للناس إماماً[1] » و غيره .

نكتة :

اتّصاف عليّ عليه السلام بهذه المنازل، ليس سلبيّاً ولا نقيض الاتّصاف ، فهوثبوتيّ فمحلّه ليس غير عليّ بروایة الفريقين ، فقد بان الحقّ من المين ، لكلّ ذي قلب و عين ، و في ذلك قال عليٌّ بن الحسين ، وقد سمع من يقدّم الشيخين :

فمن شرّف الأقوام يوماً برأيه　　فانّ عليّاً شرّفته المناقب
وقول رسول الله و الحقّ قوله ☆ وإن رغمت منه اُنوف كواذب

(١) البقرة : ١٢٤ .

بأنّك منّي يا عليّ معالناً ✡ كهارون من موسى أخ لي وصاحب

و قال الحمّانيّ :

و أنزله منه على رغمة العدى ✡ كهارون من موسى على قدم الدهر

فمن كان من أصحاب موسى وقومه ✡ كهارون لازلتم على طلل الكفر

و قال منصور :

رضيت حكمك لا أبغي به بدلاً ✡ لأنّ حكمك بالتوفيق مقرون

آل الرسول خيار الناس كلّهم ✡ و خـير آل رسول الله هـارون

ومنها قوله ﷺ يوم الدار : « أنت أخي و وصيّي و خليفتي » لمّا نزلت « و أنذر عشيرتك الأقربين (١) » فجمع النبيّ ﷺ منهم أربعين رجلاً و قال : قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة ، من يوازرني ؟ قال ذلك ثلاثاً و عليّ يقوم في كلّ مرّة و يقول : أنا ذكر ذلك الفرّاء في معالمه و هو بهذا الفنّ أعلم الصحابة ، و الثعلبيّ باسناده في تفسيره ، و غيره من طرق كثيرة .

وقد ذكر ابن حنبل في مسنده قول النبيّ ﷺ لسلمـان : وصيّي و وارثي عليّ بن أبي طالب ، و أسنده إلى ابن عبّاس أيضاً و إلى عليّ عليه السلام أيضاً و ذكره ابن إسحاق في كتابه و أبو رافع و الشيرازيّ و الخركوشيّ و رواه الطبريّ في موضعين من تاريخه و الجرجانيّ في صفوته و ابن جبر في نخبه .

و في مناقب ابن المغازليّ : لمّا انقضّ الكوكب في دار عليّ قال النبيّ ﷺ : من انقضّ في داره فهو الوصيّ بعدي ، قالوا : غوي في حبّ عليّ ، فنزلت « و النجم إذا هوى ✡ ما ضلّ صاحبكم و ما غوى » (٢) .

وفي مجمع البيان للإمام الطبرسيّ أخبر السيّد أبو الحمد عن الحاكم الحسكانيّ عن جماعة تاسعهم الضحّاك ابن مزاحم أنّه لمّا رأت قريش تقديم النبيّ عليّاً قالوا: فتن به ، فنزلت « فستبصر و يبصرون بأيّكم المفتون (٣) » .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ . (٢) النجم : ١ و ٢ .

(٣) القلم : ٦ .

و قال البخاري ذكروا عند عائشة أنّ علياً كان وصيّاً ، و قال صاحب الوسيلة عن بريدة لكلّ نبيّ وصيّ و وارث ، و عليّ وصيّي و وارثي ، و ذكر في الوصيّة أيضاً أنّ الوصيّة من خصائص عليّ .

و فيها أيضاً : اختارني نبيّاً و اختار عليّاً وصيّاً ، و فيها عن أنس قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ خليلي ، و وزيري ، و خليفتي في أهلي ، وخير من أترك بعدي ، ينجز موعدي ، و يقضي ديني ، عليّ بن أبي طالب .

قال الحميري :

و قيل له أنذر عشيرتك الأُولى ✩ وهم من شباب أربعين و شيب
فقال لهم إنّي رسول إليكم ✩ و لست أراني عندكم بكذوب
وقد جئتكم من عند ربّ مهيمن ✩ جزيل العطايا للجزيل وهوب
فأيّكم يقفي مقالي و أمسكوا ✩ فقال ألا من ناطق و مجيب
ففاز بها منهم عليّ و سادهم ✩ و ما ذاك من عاداته بغريب

و قال أيضاً :

و يوم قال لهم جبريل قد علموا ✩ أنذر عشيرتك الأدنين إن نذروا
فقام يدعوهم من دون أُمّته ✩ فما تخلّف عنه منهم بشر
و منهم آكل في مجلس جذعاً ✩ و شارب ملء عسّ و هو محتقر
فصدّهم عن نواحي قصعة شبع ✩ فيها من الحبّ صاع فوقه الوذر
فقال يا قوم إنّ الله أرسلني ✩ إليكم فأجيبوا الله و ادّكروا
فأيّكم يجتبي قولي و يؤمن بي ✩ أنّي نبيّ رسول فانبرى عذروا
فقال تبّاً أتدعونا لتلفتنا ✩ عن ديننا ثمّ ثاب القوم واشتمروا
من ذا الّذي قال منهم وهو أحدثهم ✩ سنّاً وخيرهم في الذكر إن سطروا
آمنت أنّك قد أُعطيت نافلة ✩ لم يعطها أحد جنّ ولا بشر
و إنّ ما قلته حقّ و إنّهم ✩ إن لم يجيبوا فقد خابوا وقد خسروا
ففاز منهم بها والله أكرمه ✩ فكان سبّاق غايات إذا ابتدروا

و مع هذه الشهرة ينكر الواسطيّ الغويّ رواية نصب النبيّ في يوم الدار لعليّ عليه السلام قال: لأنّه عليه السلام أمر في الآية بإنذار الأقربين لا بطلب من يوازره فكيف يخصّ واحداً منهم دون الباقين.

قلنا: قد أنذرهم ثمّ خصّ بطلب الوزارة واحداً منهم، زيادة في ترغيبهم لوفور علمه أنّ الرسالة يسارع إليها كلّ منهم، ولامنافاة بين إنذارهم وطلب الوزارة من بعضهم.

قال: الايصاء و الاستخلاف على قوم، لا يكون إلّا بعد انقيادهم، وهم كانوا حينئذ بخلاف ذلك.

و كيف يليق من النبيّ تحكيم واحد عليهم، و يقول: استمعوا له و أطيعوا وهم حينئذ لم يسمعوا للنبيّ ولم يطيعوا و هل هذا إلّا كالمثل المضروب، فمن قال لآخر: أعطني ديناراً بعلامة أنّ اُستادي طلب منك فلساً فلم تعطه.

قلنا: النبيّ لا ينطق عن الهوى، و إنّما فعل ذلك بوحي من الله تعالى، ولا منافاة بين أن ينذرهم ثمّ يقول هذا خليفتي عليكم، وأمّا ذكر «اسمعوا و أطيعوا» فمختلف منهم، فان نازع في اختلافه أحد قلنا له قد أنكرت أصل الرواية الواردة به، و حيث عارض بالمثل قول النبيّ ﷺ فهو بإثمه يبوء، قال تعالى «للّذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء (١)» فقد تبع رؤساء الشياطين الّذين حذّر العلماء عنها طلّاب اليقين، شوائب الطبيعة، و وساوس العادة، و نواميس الأمثلة.

قال: ذكر صاحب المعالم عن عليّ عليه السلام أنّ الرواية الّتي فيها ذكر الوصيّة لعليّ مرسلة و ليس فيها ذكر الانذار المطابق للآية، فهي مضادّة لها، وذكر ثلاث روايات عن غيره مسندة و خالية عن ذكر الوصيّة فهنّ معارضات لها.

قلنا: تقرّر في الاُصول قبول الزيادة، وقد جاز العمل بالمرسل إذا علم من طريق آخر أنّه مسند كمراسيل ابن المسيّب، وقد جاء في صحيح البخاريّ مراسيل

---

(١) النحل: ٦٠.

و عدم ذكر الانذار لا يدلّ على عدم المطابقة للآية ، فلا معارضة في تلك الروايات للرواية .

و من العجب أنّه يضعّف قول أصحابه طلباً للشبهة و نحن لا نذكر قول أصحابنا طلباً للزوم الحجّة .

قال : رويتم أنّ علياً لم يزل مسلماً أو أسلم قبل يوم الدار ، وهوالمأموربجمع العشيرة الكفّار، فلا معنى لاجابته إلى الموازرة ، والخطاب ليس له مع بلاغته ، بل للكفّار .

قلنا : أمّا أنّه لميزل مسلماً ، فلا معنى لاختصاصنا به إذ أجمع المسلمون عليه و جاءت روايات الخصم فيه ، قال الزمخشري في كشّافه قال النبيّ ﷺ : سبّاق الأمم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين : عليّ بن أبي طالب ، و صاحب يس ، و مؤمن آل فرعون . ورواه صاحب الوسيلة وزاد : أكرمهم وأفضلهم عليّ بن أبي طالب و بهذا يندفع قولهم إنّ أبابكر صدّيق لأنه أوّل من صدّق ، وقد سبقه عليّ وخديجة و ورقاً و غيرهم .

قوله : لم يحسن جوابه بالموازرة إذ لم يتناوله الخطاب ، قلنا : فقدرويتم قول النبيّ ﷺ يوم الخندق : من يبرز إلى عمرو بن [عبد]ودّ و يكون جاري في الجنّة فلم يجبه أحد ، فقام عليّ فقال له : إنّه عمرو ، فقال عليّ : و إن كان عمراً ، فقد أجاب ولم يتناوله الخطاب .

وقد ذهب أكثر المحقّقين إلى أنّ إبليس لم يكن من الملائكة ، وتناوله الأمر بالسجود ، لأجل حضوره فيهم ، و جاز أنّ كلام عليّ بالموازرة ابتداء لاجواب قول النبيّ ، فلا منافاة للبلاغة .

قال : شرط الوصيّة و الاستخلاف ، الجزم بهما ، لا تعليقهما بشرط يوجد ولا يكونان إلّا لمعيّن ، و النبيّ ﷺ قال : من يوازرني ؟ فلا تعيين ، قلنا : ذلك وعيد بالوصيّة ، فلايشترط الجزم بالوعيد ، ولاالتعيين ، ولم تحصل الوصيّة لأحد في حال الخطاب ، بل لعليّ خاصّة بعد الجواب .

قال : فلو أجابه أكثر من واحد جاز أن يقع الشقاق ، قلنا : جاز أن يكون الله تعالى أمره بذلك مع علمه بعدم قبولهم ، ويكون فعل النبي ﷺ توكيداً عليهم كما أمره بانذار كفّار مع علمه بعدم إيمانهم .

قال : إجابة واحد تنفير الباقين ، قلنا : لا تنفير مع الانقياد التامّ ، و عندكم أنّ الله يفعل لا لغرض ، فلم نفيتموه هنا .

قال : جمعهم يقتضي ترغيبهم ، فطلب الوزارة من بعضهم يقتضي تزهيدهم ، فلا فائدة في جمعهم ، قلنا: إيمانهم يرغّبهم فيه بما يعمّهم ، وهو قوله جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و نحوه .

قال: الوصيّة هي الاستخلاف ، فكيف عطفه عليها . قلنا : لا ترادف إذ بينهما عموم من وجه ، ولو سلّم الترادف جوّزنا العطف مثل « صلوات من ربّهم ورحمة[1] » على أنّ كتبهم قد نطقت بالوصيّة فاذا سلّم الترادف التزم بالاستخلاف .

قال : عليّ كان مؤمناً فلا معنى لوزارته في ذلك اليوم . قلنا : أليس كلّ مؤمن خليفة .

قال : إن كان غرض النبيّ ﷺ الوصيّة لأحدهم استحال أن يكون لعليّ و يلزم تحصيل الحاصل إن كان الغرض ثبوتها لعليّ . قلنا : قد يكون الغرض لهم ولم يقع وقد أراد شيئاً ولم يقع ، ويجوز أن يكون الغرض إظهار أنّ الوصيّة لعليّ لجواز التأكيد مرّة بعد مرّة .

قال : من الحاضرين من آمن كالعباس ، وقد بايع أبابكر . قلنا : قد تركها أوّلاً فجاز وقوعها تقيّة .

قالوا : رواية الاستخلاف لم ترد إلاّ من عليّ فهو متّهم ، قلنا : قد جاءت من طرقكم عن ابن حنبل ، و البراء بن عازب و غيرهما ، و ليس ذلك شهادة بل رواية ولم يفرّق أحد بين الروايتين لنفسه و غيره ، بعد ثبوت عدالته ، فضلاً عن الثابتة

(١) البقرة : ١٥٧ .

بآية التطهير و غيرها ، ومن طرقهم رواية جامع الأصول عن النبي صلى الله عليه وآله علي مع الحق والحق معه ، وغيرها في مصابيح الفراء وغيره وقد شهدت عائشة لأبيها بصلاته وجعلوها سبباً لخلافته .

قال : إن سلمت الرواية ، اقتضت كونه خليفة على العشيرة ، قلنا : لا قائل بالفرق ، ويلزم اجتماع إمامين ، ولم يقل به أحد ، ولهذا قال عمر للأنصار « سيفان في غمد لا يجتمعان » ولا يلزم من تخصيصهم بالانذار تخصيصهم بالاستخلاف إذ أحدهما غير الآخر .

قال : كان علي صبياً فاسلامه غير معتبر ولا بالتبعية لأصلية الكفر من أبويه ، و الاستخلاف لا يكون إلا للبالغ . قلنا: لم يشترط أحد من المسلمين البلوغ في استخلاف الله ورسوله ، وقد قال تعالى « وآتيناه الحكم صبياً[1] » وقال « ففهمناها سليمان[2] » وقد كان حينئذ ابن أحد عشر سنة ، و عند أصحابنا أن علياً أسلم و هو ابن خمسة عشر سنة أو أربعة عشرة ، و روى الخمس عشرة العاقولي منهم في شرحه للمصابيح ، وروى الأربعة عشرة منهم شارح الطوالع ، وقد ذكر البخاري عن المغيرة قال : احتلمت و أنا ابن اثنى عشر سنة .

و لأن النبي صلى الله عليه وآله دعاه إلى الاسلام صبياً فلو لم يكن يحكم باسلامه ، لزم العبث في دعائه ، و إن لم يكن بدعائه كان إسلامه من خصائصه ، لكمال عقله حال صغره دون غيره ، وقد عرف أن التكليف العقلي لم يشترط فيه البلوغ الشرعي وقد أخرج صاحب الوسيلة أن النبي صلى الله عليه وآله قال : صلت الملائكة علي و على علي سبع سنين قبل أن يسلم بشر .

وأخرج أبو نعيم في حليته قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي : لك سبع خصال لا يحاجك أحد فيهن يوم القيامة ، أنت أول المؤمنين بالله إيماناً ، و أوفاهم بعهد الله ، وأقومهم

---

(١) مريم : ١١ .
(٢) الانبياء : ٧٩ .

بأمر الله ، و أرأفهم بالرعيّة ، و أقسمهم بالسويّة ، وأعلمهم بالقضيّة ، وأعظمهم يوم القيامة مزيّة .

فقد مدحه على سبق إيمانه ، و دلّ على عظم شانه ، و المعاند يقول لا يحكم بايمانه ، مع انتشار ذلك في كتب إخوانه ، وقد سلف ذلك في الفصل الثاني والعشرين من الباب السابع مستوفى ، اخترناهنا إيراد طرف منه فانّ لكلّ مقام مقالاً .

قوله : « لكفر أبويه » مردود بما أخرجه صاحب كتاب بشائر المصطفى أنّ اُمّه فاطمة بنت أسد انشقّ لها ظهر الكعبة ، فدخلت إليها وولدت عليّاً فيه ، فلمّا خرجت قالت : فُضّلت على آسية ومريم ، بدخول البيت الحرام ، و الأكل من ثمار الجنّة ، دون كثير من الأنام ، و هتف بي هاتف سمّيه عليّاً فهو عليّ والله العليّ شققت له اسماً من اسمي ، و أوقفته على غامض علمي ، و هو الّذي يكسّر الأصنام عن بيتي ، و يؤذّن فوق ظهره ، و يقدّسني ويمجّدني ، فطوبى لمن أحبّه و أطاعه و ويل لمن أبغضه .

هذا وقد ربّت اُمّه النبيّ صلى الله عليه وآله و رأت كراماته حال صغره ، والنبيّ بقميصه كفّنها ، و نزل بنفسه إلى قبرها ، وشفع إلى الله فيها ، وكان ذلك من دلائل إيمانها و أمّا أبوه فربّما تمسّك في كفره بقوله تعالى « وهم ينهون عنه و ينأون عنه (١) » قيل : المراد أبو طالب ينهى عن أذى النبيّ و ينأى عنه ، فلا يؤمن به ، و المخالف يزعم أنّ لفظ الجمع لا يطلق على الواحد ، حيث قالوا « الّذين يقيمون الصلاة (٢) » هو عليّ ، وهنا يطلقه على أبيه .

و في تفسير الثعلبيّ أنّ قريشاً تنهى أبا طالب عن نصر النبيّ صلى الله عليه وآله و كلامه في الذبّ عنه مشهور ، حتّى أتوه بعمارة بن الوليد يتّخذه خادماً عوضه ، فقال: ما أنصفتموني تعطوني ابنكم اُربّيه وأغذوه ، و اُعطيكم ابني تقتلونه ، رواه الواقديّ و غيره ثمّ قام إليه و أنشأ الأبيات الآتية .

---

(١) الانعام : ٢٦ .

(٢) المائدة : ٥٨ .

قال الزمخشريّ في كشّافه : الكناية للكفّار ، لأنّ قوله تعالى « ومنهم من يستمع إليك [١] » فيهم فالعطف عليهم ، و نحوه قال القطب في حاشية الكشّاف قال : و لأنّ الأبيات المنقولة عنه تنافي وصفه بما سلف في الآيات ، من الصفات المذمومة ، و الأبيات هذه :

والله لا يصلوا إليك بجمعهم ✡ حتّى أوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ✡ و ابشر بذاك و قرّ منه عيونا
و دعوتني و زعمت أنّك ناصح ✡ ولقد صدقت و كنت ثمّ أمينا
و عرضت ديناً لا محالة أنّه ✡ من خير أديان البريّة دينا

وقد اتّفق على نقلها مقاتل و الثعلبيّ و ابن عباس و ابن دينار و زاد أهل الضلال فيها بيتاً ظلماً و زوراً إذ لم يكن في جملتها مسطوراً :

لولا الملامة أو حذاري سبّة ✡ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا [٢]

و العجب من صاحب الكشّاف كيف ضمّه إليها ، ولم يتنبّه لمامافانه لها ، و إذا أخذ الله قوماً بما يظلمون أتاح لبّهم تناقض الكلام ، من حيث لا يعلمون .

و حثّ أخاه حمزة على نصره ، فقال :

فقد سرّني إذقلت أنّك مؤمن ✡ و كن لرسول الله في الله ناصرا
و ناد قريشاً بالّذي قد كتبته ✡ جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

و حضّ النجاشي على نصرة النبيّ ﷺ فقال :

ليعلم مليك الحبش أنّ محمّداً ✡ وزير لموسى و المسيح بن مريم
أتى بهدىً مثل الّذي أتيابه ✡ و كلّ بأمر الله يهدي و يعصم
و إنّكم تتلونه في كتابكم ✡ بصدق حديث لاحديث المترجم
فلا تجعلوا لله ندّاً و أسلموا ✡ فانّ طريق الحقّ ليس بمظلم

---

(١) المائدة : ٢٥ .

(٢) قوله « مبيناً » حال من قوله « سمحاً » أى لولا مخافة قريش و معرتهم لوجدتنى اعلن بالاقرار ، و هذا يقتضى بمفهومه ان الايمان كامن فى قلبه لم يبرزه لاجل التقية ليتمكن بذلك من حفظ النبى صلى الله عليه وآله . كما لايخفى .

وقد أخرج صاحب الوسيلة في المجلّد الخامس ، قوله في النبيّ :

ألا بلّغا عنّي على ذات بيننا ✩ قصيّاً و خصّا من قصيّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً ✩ نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب
أليس أبونا هاشم شدّ أزره ✩ وأوصى بنيه بالطعان و بالحرب

وهل يصف هذا العالم الشاعر بالكفر إلّا كافر ، وهم لمّا أخرجوا النبيّ ﷺ من قوله تعالى « و سيجنّبها الأتقى الّذي [1] » الآية لأنّ عليه تربية أبي طالب و هي نعمة تجزى ، و التربية سبيل ، وقد نفى الله سبيل الكافرين على المؤمنين لزم ذلك إيمان أبي طالب .

إن قلت : فيلزم على هذا أن يكون أبوطالب مؤمناً قبل مبعث النبيّ . قلت : نعم كان على دين إبراهيم ، وقد تمدّح به في قوله: نحن آل الله في كعبته ، لم يزل ذلك على عهد إبراهيم ، و سيأتي ذلك في التذنيب إن شاء الله تعالى عن قريب .

وفي مسند أحمد بن حنبل لمّا مرض للموت بعث إلى النبيّ ﷺ ادع لي ربّك أن يشفيني فانّه يطيعك و ابعث إليّ بقطف من الجنّة فأرسل إليه : إن أطعت الله أطاعك . فقد اعترف لله بوجوده ، و وجود جنّته ، وقبول دعاء نبيّه .

إن قالوا : قوله إن أطعت الله أطاعك دلّ على أنّه لم يكن طائعاً . قلنا : بل هو ترغيب في الاستمرار مثل قوله تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله[2]» فلا يدلّ ذلك أيضاً على ترك الدعاء له ، وقد نقل إيمانه الحافظ القدسيّ في سيرة النبيّ و في تفسير الثعلبيّ أنه قال لابنه عليّ : ما هذا الدّين الّذي أنت عليه ؟ قال: آمنت بالله و رسوله ، قال إنّ محمّداً لا يدعوك إلّا إلى خير فالزمه .

و في الجمع بين الصحيحين من أفراد البخاريّ من مسند عبدالله بن عمر ذكرت قول الشاعر حين استسقى :

[و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ✩ ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل]

---

(١) الليل : ١٧ .
(٢) النساء : ١٣٥ .

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ☆ وأحببته حبّ الحبيب المواصل
وجـدت بنفسي دونه وحميته ☆ ودارأت عنه بالذرى والكلاكل
فمازال في الدنيا جمالاً لأهلها ☆ وشين على الأعداوزين المحافل
حليماً رشيداً حازماً غيرطائش ☆ يوالي إله الخلق ليس بماحل
و أيّده ربّ العبـاد بنصره ☆ و أظهر ديناً حقّه غير باطل
ألم تعلموا أنّ ابننا غير مكذب ☆ لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ☆ ثمـال اليتامى عصمة للأرامل
تلوذبه الهلاك من آل هاشم ☆ فهم عنده في نعمة و فواضل
كذبتم و بيت الله نبزى محمّداً ☆ و لمّا نقاتل دونه و نناضل
و نسلمه حتّى نصرّع حوله ☆ و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

ففي هذا عدّة شواهد على إيمانه ، يظهرها من سبره ، على من جحده وستره و إنّما حداهم على جحدهم قصدهم مشاركة عليّ لأصحابهم في بعض رذائلهم ولاغرو في ذلك ، وقد سُبّ ألف شهر على منابرهم ، لم يكن فيهم من يغار للاسلام بمنابزتهم وقد اُلّف كتاب في الحجّة على الذاهب ، إلى تكفير أبي طالب ، فيه :

و لولا أبو طالب و ابنه ☆ لما مثّل الدين يوماًوقاما
فهذا بمكّة آوى وحامى ☆ وهذا بيثرب سام الحماما
و ماضرّ مجد أبي طالب ☆ جهول لغى و بصير تعاما

وقد أخرج ابن مسكويه و غيره افتخار عليّ بأبيه ، و تفضيله على أبي سفيان و اعترف له معوية بذلك و أخرج الكراجكيّ في كتابه كنز الفوائد قول العبّاس للنبيّ ﷺ ما ترجو لأبي طالب ؟ قال : رحمة ربّي .

وقد عاب المحدّثون على مسلم و البخاريّ حيث أخرجا في كتابيهما حديث المسيّب في وفاة أبي طالب(١) مع أنّه لاراوي له غير أبيه شدّة حرصهما على تكفير أصل عليّ عليه السلام حسداً له و الفرقة تتمحّل كفر أبي طالب ، كما تمحّلت إيمان محاربي عليّ الثابت كفرهم بقول النبيّ ﷺ : « حربك حربي » . و قد رووا قول النبيّ

(١) راجع صحيح البخارى ج ٢ ص ٣٢٦ .

صلى الله عليه و آله : ما قال أحد لأحد كافر إلاّ باء به أحدهما .

قالوا : نزل فيه : « إنّك لا تهدي من أحببت[١] » قلنا : لا بل هي لكلّ كافر كيف ذلك وقد نزلت يوم حنين و هو بعد موت أبي طالب بستّ سنين و أشهر و لو نزلت الآية فيه ، و فيها أنّ النبيّ يحبّه ، دلّت على إيمانه لأنّه صلى الله عليه و آله نهاه الله تعالى عن محبّة الكفّار في قوله تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله[٢] » وقد قيل معنى « و لكنّ الله يهدي من يشاء » أنّ هدايتنا لأبي طالب يا محمّد ، سبقت دعوتك له ، و في هذا أنّ أحداً لم يدركه في فضيلته إن كان الله تعالى بنفسه متولّياً لهدايته .

قالوا : نزل فيه « ما كان للنبيّ والّذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين[٣] » قلنا : ذكر صاحب جامع الأصول ، و صاحب التقريب موت أبي طالب قبل الهجرة و نزول الآية سنة تسع منها ، و النبيّ ﷺ لا يستغفر لمن مات على كفر لإخبار القرآن بتخليده مع نفي الهوى عن نطقه .

قالوا : لم ينقل له صلاة حتّى يحكم بإيمانه ، قلنا : عدم العلم بها لا يدلّ على عدمها على أنّ عدمها لا يوجب كفر تاركها .

قالوا : حرّصه النبيّ على الاسلام عند موته ، و حرّصه أبو جهل على دين الأشياخ ، فكان آخر كلامه أنه على دين الأشياخ عبد المطّلب ثمّ مات .

قلنا : لا بل نقل رؤساء الاسلام أنّه جمع أهله و أوصاهم بمحمّد و نصرته ، و أخبرهم بتملّكه ، و أنّه جاء بأمر عظيم عاقبته الجنان ، و الأمان من النيران ، و قال : لو كان في أجلي فسحة لكفيته الكوافي ، و دفعت عنه الدواهي ، فهذا الّذي هو يجب اعتماده ، لا ما ذكروه لمناقضته لأقواله و أشعاره .

قالوا : كتب الأولاد الأول إلى المنصور يردّ عليهم الملك ، و افتخروا بأشياء

(١) القصص : ٥٨ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) براءة : ١١٤ .

منها أنّ أبانا أبا طالب أخفّ أهل النار عذاباً و في قدميه نعلان يغلي منهما دماغه فكتب :

دعوا الأسد تربغ في غابها ☆ ولا تدخلوا بين أنيابها
سلبنا أميّة في دارها ☆ فنحن أحقّ بأسلابها

قلنا : هذا كذب صريح ، و كيف يفتخر برجل كافر يعذّب بنوع من العذاب و الشعر الأوّل المذكور للمعتزّ وهو بعد المنصور بثمانية وستّين سنة سيّما ذكره صاحب المنتظم في المجلّد الثامن والخبر لم يروه سوى المغيرة بن شعبة ، وهو عندكم فاسق مشهور بالزنا و بعداوة بني هاشم ، و هو الّذي حثّ عائشة على حرب عليّ عليه السلام بالبصرة .

و من أحاديث كتاب الحجّة أنّ رجلاً قال لعليّ : أبوك يعذّب في النار فقال له : مه والله لو شفّع أبي في كلّ مذنب لشفّعه الله كيف ذلك و أنا قسيم الجنّة و النار . وقال الرضا عليه السلام : إن لم تقرّ بايمان أبي طالب ، لكان مصيرك إلى النار .

و زوجته فاطمة بنت أسد مؤمنة صالحة ، لم تزل عنده حتّى مات ، مع نهي الله رسوله في غير آية أن [تبقى] مؤمنة عند كافر .

و عن الأئمّة عليهم السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة يعني أبا طالب لأنّه كفّله صلى الله عليه وآله .

وقد أخرج في جامع الأصول أنّه لمّا مات أوحى الله تعالى إلى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أن اخرج ، فقد مات ناصرك ، ولمّا نثروا الكروش عليه ، غضب أبو طالب وخرج إلى الأبطح و نادى بعد جمع الناس : من أرى فعل بمحمد هذا ؛ وقد خرست الألسن من هيبته ، فلم يجبه أحد فدفع كرشاً إلى عبيدة فلطخ بها شواربهم ثمّ حلف بربّ البيت لئن أقمتم على إنكاركم لأفعلنّ بكم أشدّ من هذا ، فجاؤه بالفاعل فنكل به ، و أطاف به بلد مكّة ثمّ قطّعه قطعاً و رماه بينهم .

فهذه جمل من رواية المخالف و غيره ، تمنع ملأً تقول بكفره و تجمع بكفر من قال بكفره ، ولو كانت مدافعته لا تدلّ على إسلامه ، لاتدلّ مدافعة جيوش النبيّ

على إسلامهم إذ لم ينقل تلفّظهم بكلمة الاسلام ولا فعل أكثرهم لصلاة ولا صيام ولا يخفى ما في ذلك من الاهتضام .

وقد ذكر الدينوريّ الحنبليّ في غاية السؤول أنّ أباطالب حدّث عن أبيه أنّه قال : إنّ من صلبي لنبيّاً ولوددت أنّي أدركته [ولو أدركته]لآمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمنوا به .

تذنيب :

نعني بايمان أبي طالب الوليّ إيمانه بالنبيّ الأميّ ﷺ لأنّه قد كان في ابتدائه على دين إبراهيم ، معترفاً بالربّ القديم ، وقدأخرج صاحب روضة الواعظين أنّ فاطمة بنت أسد حضرت مولد النبيّ ﷺ فأخبرت أبا طالب بما رأت من حضور الملائكة و غيره من العجائب ، فقال : أنتظرك تأتين بمثله فولدت عليّاً عليه السلام بعد ثلاثين سنه .

و عن ابن بابويه أنّ أبا طالب نام في الحجر حول البيت ، فرأى في منامه باباً انفتح من السماء ، و نزل منه نور شمله فأتى راهب الجحفة يقصّ عليه ، فقال له :

أبشر أبا طالب عن قليل ✩ بالولـد الخالي عن المثيل
[يا ال قريش اسمعوا تأويلي] ✩ هذان نوران على السبيل
كمثل موسى و أخيه السؤل

فرجع أبو طالب فرحاً و طاف بالكعبة ، و هو يقول :

أطوف لله حوالي البيت ✩ أدعوه بالرغبـة محي الميت
بأن يريني السبط قبل الموت ✩ أغر نوريّاً عظيـم الصوت
مصلّياً يقتل أهل الجبت ✩ و كلّ من دان بيوم السبت

ثمّ نام في الحجر ثانية فرأى كأنّه اُلبس إكليلاً من ياقوت ، و سربالاً من عبقر ، و كأنّ قائلاً يقول له : يا أبا طالب ! قرّت عيناك ، وظفرت يداك ، وحسنت رؤياك ، فأنّى لك بالولد ، ومالك البلد ، و عظيم التلد ، على رغم الحسّد ، فانتبه فرحاً و طاف قائلاً :

أدعوك ربّ البيت و الطواف ☆ دعاء عبد بالذنوب واف
تعينني بالمنن اللطاف ☆ والولد المحبوّ بالعفاف
و سيّد السادات و الأشراف

ثمّ نام في الحجر فرأى عبدمناف قائلاً : ما يبطئك عن بنت أسد ، فانتبه فنكحها ، و طاف بالكعبة قائلا :

قد صدّقت رؤياك بالتعبير ☆ ولست بالمرتاب في الأمور
أدعوك ربّ البيت و النذور ☆ دعاء عبد مخلص فقير
فأعطني يا خالقي سروري ☆ بالولد الحلاحل الذكور
يكون للمبعوث كالوزير ☆ يا لهما يالهما من نور
قد طلعا من هاشم البدور ☆ في فلك عال على النحور
فيطحن الأرض على الكرور ☆ طحن الرّحى للحبّ بالتدوير
إنّ قريشاً بان بالنكير ☆ منهوكة بالغيّ و الثبور
و مالها من موئل مجير ☆ من سيفه المنتقم المبير
و صنوه الناموس بالشفير ☆ حسامه الخاطف للكفور

ومن شعره فيه :

يكلّم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ☆ و أمر أتى من عند ذي العرش قيّم
فلا تحسبوه مسلميه و مثله ☆ إذا كان في يوم فليس بمسلم

و منه :

أ خلتم بأنّا مسلمون محمّداً ☆ و لمّا نقاذف دونه و نراجم
أمين محبّ للعباد مؤمّن ☆ بخاتم ربّ قاهر للخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ☆ و ما جاهل في فعله مثل عالم
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه ☆ فمن قال لا تقرع بهاسنّ نادم

و منه :

فلا تحسبونا مسلمين محمّداً ☆ لذي غربة فينا ولا متقرّب

فلاوالّذي تحدى إليه قلائص ✡ لادراك نسك من منى والمحصّب
نفارقه حتّى نفرّق حوله ✡ وما بال تكذيب النبيّ المقرّب

ولمّا قام عثمان بن مظعون يدعو قريشاً إلى اتّباعه ضربه سفهاؤها ففقأوا عينيه فنهض أبو طالب في أمره و أخذ بحقّه فقال :

أمن تذكّر دهر غير مأمون ✡ أصبحت مكتئباً إنّي لمحزون
أمن تذكّر أقوام بذي سفه ✡ يغشون بالظلم من يدعو إلى دين
ألا يرون أقلّ الله خيرهم ✡ أنّا غضبنا لعثمان بن مظعون

إلى قوله :

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب ✡ على نبيّ كموسى أو كذي النون

و قال يحثّه على إظهار دعوته :

لايمنعنّك من حقّ تقوم به ✡ أيد تصول ولاأضعاف أصوات
فانّ كفّك كفّي إن مننت بها ✡ ودون نفسك نفسي في الملمّات

و منه :

زعمت قريش أنّ أحمد ساحر ✡ كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم

و منه :

وقد حلّ مجد بني هاشم ✡ فكان النعـايم و العثرة
و خير بني هـاشم أحمد ✡ رسول الاله على فترة

و منه :

لقد أكرم الله النبيّ محمّداً ✡ فأكرم خلق الله في الناس أحمد

و منه :

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّد ✡ عندي بمنزلة من الأولاد

و منه :

صدق ابن آمنة النبيّ محمّد ✡ فتميّزت غيظاً به و تقطّعوا
إنّ ابن آمنة النبيّ محمّد ✡ سيقوم بالحقّ الجليّ ويصدع

و منه :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ✡ فعبد منـاف سرُّها و صميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ✡ بني هاشم أشرافها و قديمهـا
و فيهم نبيٌّ الله أعني محمّداً ✡ هو المصطفى من سرّ ها و كريمها

فهذا اعتراف أبي طالب بتصديق نبيّه ، و وزارة عليّ وليّه ، و لعلّ قعوده يوم الدار عن البيعة في جملة عشيرته إنّما كان لعلمه السابق من اختصاص ابنه بوزارته لما تلوناه عليك من أشعاره و إشارته .

تذنيب آخر :

إيمان أبي طالب بالله سبحانه مسطور في كتب العلماء ، و تعاليق الأدباء. فمن [ثبوته و] شعره فيه :

مليك الناس ليس له شريك ✡ هو الجبّار و المبدي المعيد
و من فوق السماء له بحقّ ✡ و من تحت السماء له عبيد

و منه :

لا تيئسنّ لروح الله من فرج ✡ يأتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرّع كأس الصبر معتصم ✡ بالله إلّا أتـاه الله بـالفرج

و أمّا سبب كتمان إيمانه برسول الله ﷺ ، فانّه كان مطاعاً في قومه ، وهم على إنكار نبوّته ، فلو أظهر لهم إيمانه لخالفوه ، فلم يتمّ غرضه من نصرته ، وتدبير أمره ، و تمهيد قاعدته ، و لأشركته قريش في عداوته و خصومته ، فلم يقبل شيئاً من مقالته ، فكان يحضر مجالسهم ، و يظهر لهم أنّه منهم ، وهو مع ذلك يشوب منه الفعل و الكلام ، بتصديقه عليه السلام .

و لهـذا أنشد شعراً يستعطف فيه أبالهب بالرحم ، ليخدعه به حيث رأى منه النهي عن قتل النبيّ خوف عموم الفتنة ، فكان باظهار كفرانه كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه ، و كأهل الكهف و غيرهم كتموا إيمانهم عن قومهم ، و ليس كتمان الايمان خوفاً بمخرج عنه حقيقة ، و إلّا لكان من شهد بالله بايمانه كافراً بكتمانه .

تذنيب آخر :

قالوا بكفر أبوي النبيّ لقول قريش ، لا نرغب عن ملّة عبد المطّلب . قلنا: نقل باطل ، فقد روى الثعلبيّ في التفسير « و تقلّبك في الساجدين » (١) أنّ محمّداً لم يلده إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن ، و قال أبو عمر الزاهد منهم في كتاب الياقوت قال النبيّ لعليّ عليه السلام : لم أزل أنا و أنت نركض في الأصلاب الطاهرة ، إلى عبدالله و أبي طالب لم تدنّسنا الجاهليّة بأرجاسها و سفاحها .

و أخرج الكراجكيّ قول عبدالمطّلب لأبرهة : إنّ لهذا البيت ربّاً يدفع عنه و تمدّح بكونه على ملّة إبراهيم ، وقد سلف .

و ظاهر قوله تعالى « و قل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً (٢) » أنّه خطاب للنبيّ ﷺ مع قوله تعالى: «ماكان للنبيّ والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (٣)».

و في كتاب البشائر مسنداً إلى الصادق عليه السلام أنّ الله أوحى إلى النبيّ ﷺ أنّي قد حرّمت النار على ظهر وضعك ،وبطن حملك ، وحجر كفلك ، وثدي أرضعك .

قالوا : قال الله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان (٤) » فمن أين لأبويه إيمان ؟ قلنا: يلزم من هذا تكفيره بالتبعيّة لكفرهما ، و هو خلاف الاجماع من علماء الاسلام ، و الايمان المنفيّ هو العبادة الشرعيّة ، « و ما كان الله ليضيع إيمانكم (٥) » أي صلاتكم إلى البيت المقدّس .

وقد ذكر جماعة أنّه كان قبل النبوّة على دين إبراهيم ، و الحقّ أنّ تعبّده بالهام الربّ الحكيم .

قالوا : زعمتم أنّ عليّاً دحى أصنام قريش عن الكعبة ، و عبدالله من أكابرها فمن أين علمتم منه عدم عبادتها ؟ قلنا : علمناه من الأدلّة الّتي أسلفناها .

---

(١) الشعراء : ٢١٩ . (٢) أسرى : ٢٤ .
(٣) براءة : ١١٤ . (٤) الشورى : ٥٢ .
(٥) البقرة : ١٤٣ .

قالوا : تولّد النبيّ من كافر كابراهيم من آزر . و تولّد منه كافر ككنعان من نوح ، قلنا : لا خلاف بين النسّابين أنّ اسم أبي إبراهيم تارخ .

قالوا : نطق القرآن بأنّه آزر . قلنا : قيل كان عمّه و قيل خاله ، وقد نطق القرآن بكونهما أبوين « واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم و إسمعيل » [1] و إسمعيل عمّ يوسف « و رفع أبويه على العرش » [2] و المراد أبوه و خاله .

قالوا مجاز . قلنا : يجب إليه المصير ، حذراً من التنفير .

و أمّا تولّد كافر من النبيّ فلا محال فيه وقد قيل إنّ كنعان كان لنوح ربيباً ولم يكن ابناً .

و روي عن الحسن ومجاهد أنّه ولد على فراشه ، وهذا بالاعراض عنه حقيق قال ابن عباس مازنت امرأة نبيّ قطّ .

---

(١) يوسف : ٣٨ و الاية هكذا : « و اتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب» فليس فيها وجه للاستشهاد بها و الاية التى يستشهد بها العلماء لذلك هو قوله تعالى فى سورة البقرة : ١٣٤ « قالوا نعبد الهك و اله آبائك ابراهيم واسماعيل و اسحاق الهاً واحداً» .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

الفهرس

	الصفحة
مقدمة الكتاب	١٩ ـ ١

✿ (الباب الاول) ✿

في اثبات الواجب و صفاته

الفصل الاول في أنه تعالى يفعل لغرض هو مصلحة خلقه	٢٢
« **الثاني** في أنّ استناد أفعالهم إليهم لا بالجائه	٢٢

✿ (الباب الثاني) ✿

في ابطال الجبر المنافي لعدله و رحمته

الفصل الاول في مباحث الجبر و التفويض و الأقوال في ذلك	٢٣
« **الثاني** أقوى ما يقال لهم	٣٥
« **الثالث** في إلزامات اُخر	٣٦
« **الرابع** «	٣٧
« **الخامس** «	٣٨

✿ (الباب الثالث) ✿

في اثبات النبي و صفاته

الفصل الاول في إثبات وجوب البعثة	٤٠
« **الثاني** « بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله	٤٢
« **الثالث** في ردّ الاعتراضات على نبوّته	٤٤
« **الرابع** في عصمة الأنبياء عليهم السلام	٥٠
« **الخامس** في طرف من معاجزه صلى الله عليه وآله	٥٢

الصفحة

الفصل السادس في شيء من البشارة به في الكتب الماضية ٥٥

تذنيب في الفرق بين المعجزة والحيلة ٥٧

الفصل السابع في مقالات المنكرين للنبوات الطاعنين على المعجزات ٥٨

« **الثامن** في أنّه صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين ٦١

❁ (الباب الرابع) ❁

في اثبات الوصى و صفاته

الفصل الاول في طريق إثباته ٦٣

« **الثانى** في تكميل شيء ممّا سبق في هذا الباب ٦٨

« **الثالث** شبهة من أوجب نصب الامام على الاُمّة عقلاً ٧٠

« **الرابع** في إبطال الاختيار ٧١

« **الخامس** فيما يرد على الاختيار ٧٦

« **السادس** « ٧٨

« **السابع** « ٨٠

« **الثامن** و فيه مباحث من ذلك ٨٤

« **التاسع** و فيه أبحاث ٨٦

« **العاشر** في ردّ اعتراضاتهم على إمامته عليه السلام بالنص ٨٩

❁ (الباب الخامس) ❁

فيما صدر عنه من الكرامات الموجبة لاستحقاقه الامامة

الفصل الاول في شيء من معاجزه ٩٤

« **الثانى** في مساواته عليه السلام لجماعة من النبيّين ١٠٠

« **الثالث** أيضاً في شيء من معاجزه ١٠٤

✿ (الباب السادس) ✿
في شرائطه

	الصفحة
مقدمة في أنّ الامامة لطف	١١٠
الفصل الاول في وجوب عصمة الامام	١١٢
« **الثاني** من لم يكن معصوماً لا يجوز إمامته	١١٨
« **الثالث** و فيه وجوه	١٢٠
« **الرابع** في وجوه اُخر	١٣٦
« **الخامس** « «	١٢٩
« **السادس** و فيه اُمور	١٣٢
القطب الاول في آيات متضمّنة للرحمة	١٣٤
« **الثاني** « « للتقوى	١٣٤
« **الثالث** « « للهداية	١٣٥
« **الرابع** « « للخوف	١٣٦
« **الخامس** « « للهلاك	١٣٦
« **السادس** « « للاستمرار على الحقّ	١٣٧
السابع « « للحثّ على العمل الصالح	١٣٨
« **الثامن** « « لشفقة الله تعالى	١٣٩
« **التاسع** « « لاخفاء الحقّ	١٤٠
« **العاشر** « « للاستعاذة	١٤٠
« **الحادى عشر** في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون	١٤١
الفصل السابع فيه جواب اعتراضات للمخالف	١٤٢
« **الثامن** « «	١٤٤
« **التاسع** « «	١٤٦

✿ (الباب السابع) ✿
في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام

الصفحة

الفصل الاول في شطر من فضائله الّتي اعترف بها العدوّ ١٥١
« **الثاني** أيضاً « » ١٦٠
« **الثالث** في شيء من علمه ١٦٥
« **الرابع** في اعتقاد الناس اُلوهيّته ١٦٨
« **الخامس** في مصاهرته للنبيّ صلّى الله عليه وآله ١٧٠
« **السادس** في مبيت عليّ عليه السلام على فراش النبي صلّى الله عليه وآله
حين خرج إلى الغار ١٧٣
الفصل السابع في حمله النبيّ لكسر الأصنام ١٧٨
« **الثامن** في عمله بآية النجوى ١٨٠
« **التاسع** في نزول سورة هل أتى ١٨٢
« **العاشر** في نزول آية التطهير ١٨٤
« **الحادى عشر** في نزول آية المودّة ١٨٨
« **الثانى عشر** في خبر الطائر المشويّ ١٩٢
« **الثالث عشر** في أنّ حبّه حسنة و بغضه سيّئة ١٩٦
« **الرابع عشر** في أنه شبيه عيسى عليه السلام ٢٠٠
« **الخامس عشر** في حديث ردّ الشمس ٢٠١
« **السادس عشر** في طيّ الأرض والمضيّ إلى مدائن لتجهيز
سلمان رحمه الله ٢٠٥
الفصل السابع عشر في خبر المعراج ٢٠٧
« **الثامن عشر** في أنه عليه السلام أفضل من اُولي العزم من الرسل ٢١٠

	الصفحة
الفصل التاسع عشر في إحاطته بفضائل اُولي الألباب	٢١٦
« **العشرون** في تكميل ما سبق	٢٢٦
« **الحادى و العشرون** في سدّ الأبواب دون بابه	٢٣١
« **الثانى و العشرون** في السبق إلى الاسلام	٢٣٣
« **الثالث و العشرون** في كونه بمنزلة قل هو الله أحد	٢٤١
« **الرابع و العشرون** في أنّ وصايته كان معروفاً في السماء	٢٤٣
« **الخامس و العشرون** في قوله «و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا»	٢٤٤
« **السادس و العشرون** في أنه قسيم النار	٢٤٦

✿ (الباب الثامن) ✿

فيما جاء في تعيينه من كلام ربه

في آية المباهلة	٢٤٩
في قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واُولي الأمر منكم »	٢٥٤
في قوله تعالى « كونوا مع الصادقين »	٢٥٥
« « رجال صدقوا »	٢٥٦
« « بلّغ ما اُنزل إليك من ربّك »	٢٥٩
« « إنما وليّكم الله »	٢٥٩
« « إنّي جاعلك للناس إماماً »	٢٦٦
« « إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد »	٢٧١
في آيات اُخر	٢٧٣-٢٩٧

✿ (الباب التاسع) ✿

فيما جاء في النص عليه من رسول الله صلى الله عليه و آله

منها في قوله ﷺ عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه ٢٩٨
« « من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ٢٩٨-٣١٤
تذنيب في أنّ الامامة ركن ٣١٤
« في أنّ لفظة مولى مرادفة للأولى ٣١٥
منها في قوله ﷺ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ٣١٦

ويليه في الجزء الثاني :

و منها ما ذكره مسلم والبخاريُّ... ـ في حديث الراية .